

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم

كلية الأدب العربي والفنون

قسم اللغة العربية وآدابها

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه

العلوم

تخصص: الصوتيات

الموسومة بـ:

الحروف المقطعة في فواتح السور القرآنية "دراسة صوتية دلالية"

إشراف
أ/د: بن يشو جيلالي

إعداد الطالبة
مختاري يمينة

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الصفة	الجامعة الأصلية
د/حاج علي عبد القادر	رئيسا	جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم
أ/د بن يشو الجيلالي	مشرفا ومقررا	جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم
أ/د بن عجمية أحمد	عضوا مناقشا	جامعة حسيبة بن بو علي الشلف
أ/د بن عيسى عبد الحليم	عضوا مناقشا	جامعة أحمد بن بن بلة (وهران)
د / إبراهيم بلقاسم	عضوا مناقشا	جامعة عبد الحميد بن باديس (مستغانم)
د. سعدي نسيمة	عضوا مناقشا	جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان

السنة الجامعية: 2018-2019

الإهداء

إلى التي أقلقت راحتها وأرقت نومها وكلفتها يومياً عناء جمع أقلامي
وترتيب دفاتري... إلى التي قدمت لي الصدر الحنون والنظارة في
العيون ورعتني ما بين الجفون: أمي الغالية.
إلى من أرشدني إلى الأمل ونهاني عن اليأس، إلى الذي علّمني الشكر
ونهاني عن الجحود، إلى الذي ملأ صدري حبورا وأيامي سرورا،
والذي العزيز.

إلى نور عيني ومهجة قلبي ومصدر بهجتي، أسرتي الصغيرة:

ابني جيلالي، ابنتي بشرى وأبيهما عبد الهادي.

إلى من يوصل صبري بالمدد الذي لا ينضب، ويهون في عيني كلّ

الصعاب لأرى خط الأفق: عمي العزيز، وأمّي الثانية، زوجته.

إلى الذين تجنّدوا لمساعدتي فلم يدّخروا جهداً لتوفيق عملي إخوتي:

أبوبكر، عبد الحق، رشيد، الطاهر، حمزة ومجاهد.

وأخواتي: عائشة، فتيحة، فاطمة، العالية، خيرة، رشيدة.

إلى مستودع الأسرار وملجأ المحترار ومصدر الحماس صديقاتي:

أمينة، ليلي، فطيمة.

إلى كل من أحبهم قلبي ولم يذكرهم قلبي أهدي ثمرة جهدي.

الشكر

بسم الله الذي لا يضرّ مع اسمه شيء.

أحمده وأشكره لكرمه عليّ بنعمة العقل ونور العلم الذي يضيء طريقي.

فشكراً لله على توفيقه في إنجاز هذا البحث المتواضع.

وأتوجه بعظيم الشكر وخالص الامتنان إلى الأستاذ المشرف الأستاذ الدكتور
الجيلالي بن يشو لما قدّمه من نصائح وتوجيهات فله عني جزيل الشكر
وموفور الجزاء.

كما أتقدم بالشكر إلى جميع أساتذتي الذين ساهموا في تكويني والذين
تناسقت جهودهم لتوجيهي.

ولا يفوتني في هذا المقام شكر اللجنة المناقشة التي تحملت عناء
قراءة رسالتي لتصويب ما ورد فيها من مأخذ وتثمين ما أودعته فيها
من جهد.

كما أتقدم بالشكر الخاص والخالص لشيخ الإمام: بلقوميدي محمد
الهبيري على كل ما قدّمه لهذا البحث من تسهيلات وما تحمّله في
سبيل العلم من عناء جعله الله لكل طلبة العلم ذخرا وفخرا وكرّمه الله
بزيارة بيته العتيق.

أشكر أيضا العين التي سهرت على رقن محتويات هذه الأطروحة:
سمية وفقها الله وسدد خطاها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق العوالم ويسر العلوم، وأجرى الأفلاك وسخر النجوم، واستوى في علمه المنطوق والمفهوم، سبحانه الحي القيوم، والصلاة والسلام على خالق الأنبياء وسيد الأصفياء محمد بن عبد الله، المبعوث رحمة للعالمين بشريعة محكمة قوامها اليسر بالناس ورفع الحرج عنهم، وغايتها تحقيق مصالحهم - صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأكرمين ومن اقتدى بهم وسلك طريقهم إلى يوم الدين. وبعد:

لما كان القرآن الكريم معجزة الله الخالدة في الكون بث فيه من العلوم والفنون ما يدل على إعجازه وصدق رسالة نبيه الأمين الأمي فكانت المعجزة لغوية.

ولما تعهد الله بحفظ الذكر الحكيم سخر له رجالا سهروا على الإحاطة بأصوله وفرعه وعنهم استقيت العلوم وعنهم أخذت الفنون كل مأخذ. ومن الرجال رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وما بدّلوا اجتهادهم تبديلا فلم يغيّبوا شيئا في القرآن صغيرا كان أو كبيرا ومن جملة الدقائق التي اعتنوا بها: حروف القرآن المقطعة فأخذوا بها كل مأخذ. ومن هنا استقيت مهمتي المحصورة في جانبين أساسيين: جانب دلالي " يلاحق كل التخريجات الدلالية التي تكشف للمفسرين، والتأويلات المنكرة التي سولت لضعاف النفوس الخوض فيها. ولما كانت المهمة علمية فكان لزاما التطرق إليها ورد شبهتها بالحجة واليقين لئلا يدعي هؤلاء ومن يشد على أيديهم بأن المسلمين خائفون من الخوض في هذه المسائل لئلا يظهر ضعف عقيدتهم وهشاشة إسلامهم.

أما الجانب الثاني فصوتي يحاول الإحاطة بكل ما يتعلق بهذه الحروف من ظواهر فونولوجية. بعضها خاصة بالقراءات القرآنية من تفخيم وترقيق وإمالة وإشمام؛ وبعضها عام يشمل أصناف الحروف ومخارجها وصفاتها مفردة ومؤلفة في بنية مقطعية مفتوحة كانت أو مغلقة.

ولعل أسباب اهتمامي بالموضوع تعزى إلى أسباب شخصية وأخرى علمية. والأخيرة منهما أن هذه الدراسة هي لب تخصصي في الصوتيات بعد أن قضيت الماجستير في الفرع الآخر من التخصص آنذاك، وهو المعجمية. وشعرت بنوع من القصور أردت استدراكه بتخصيص هذه الدراسة في الجانب الصوتي ليحدث التوازن. أما الداعي الشخصي: فهو ولوعي بهذه الحروف وشدة افتتاني بها حتى أنني أسميت

ابني طه حبا فيها وتيمنا بأستاذاي جيلالي. لذا جمع هذا العمل الاثنين، دراسة هذه الحروف و إشراف أستاذاي.

ولا أدعي في دراستي هذه حيازة قصب السبق؛ إذ أن الموضوع مطروق لحد التّخمة. إذألفت فيه الكثير من المؤلفات قديمة منها وحديثة وهو مدار جدل وحوار على قنوات التواصل بين المسلمين وأهل الكتاب. ولب نقاش على قنوات التلفزيون -الإسلامية منها والمسيحية-.

ومن جملة من ألف في هذا الموضوع من أقدمين: علماء كثير منهم من أفرده بالتصنيف؛ فقد ألف ابن أبي الأصبع كتابا سماه: الخواطر السوانح في أسرار الفواتح، حققه د/حنفي شرف وطبع بمصر سنة 1960م بمطبعة الرسالة. ومنهم من تكلم عنه في ثنايا تصنيف متعدد المقاصد. مثل: بدر الدين الزركشي في كتاب البرهان، وجلال الدين السيوطي في الإتقان. ولعل هذين الباحثين أهم ما كتب حول الفواتح- إذ ليست العبرة بالكم- ومن أهم المفسرين الذين أولوها رعاية خاصة: الألوسي في تفسيره روح المعاني، وفخرالدين الرازي في مفاتيح الغيب والزمخشري في الكشاف. ومن المعاصرين: محمد رشيد رضا في المنار. والسيد قطب في الظلال، وشيخنا الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير.

وقد ألفت الدكتوراة سهام خضر كتابا اعتبرته أهم ما ألف في الفواتح وسمته ب- الإعجاز اللغوي في فواتح السور دراسة لغوية، ضف إلى ذلك الرسائل العلمية. والمقالات- الحرة منها والأكاديمية- مما قد لا يعد ولا يحصى.

ورب مستغرب يقول: وما مزية بحثك هذا إن كانت هذه الحروف قد استنزفت وقتلت بحثا؟

فأقول أن أغلب هذه البحوث يكرر بعضها بعضا فكأنها تتناسل من بعضها فكأنك لا تجد من يجدد أو يبادر بالنظر إليها من زاوية مختلفة- أقول مختلفة لا جديدة دفعا لشبهة الادعاء-

وقد حاولت في هذه الدراسة جمع أغلب الآراء التي قيلت في تفسيرها مستحسنة كانت أو مستنكرة مع محاولة ردها إلى أصولها ونقدها والوقوف على الغريب منها. ثم محاولة النظر إليها من وجهة صوتية أحسبها خاصة.

وقد شغلني هموم علمية حاولت استنطاق المصادر والمراجع -المتاحة - بجواب يقنعني ويسكت نداء الفضول في داخل كل متحر"عن الحقيقة, ويروي ظمأ طالب المعرفة:

فما هي هذه الحروف؟ وعلى أي طريقة ركبت؟ وما هي السور التي اختصها الله بهذه الحروف؟ ولم هذه الحروف دون سواها؟ وهل كان للعرب عادة الافتتاح بأشباها ونظائرها؟

كيف فسرت؟ ولم تعددت تأويلاتها، ولماذا تحرز البعض وامتنع البعض الآخر عن تأويلها؟

هل للفاتحة علاقة بالمتن؟ هل تجمع خواتم والسور وفواتحها علاقة؟ وهل تتقاطع مضامين السور مثلما تتقاطع الحروف في المطالع؟

ما هي القوانين الصوتية التي تحكم قراءة هذه التركيبات الفريدة؟ وماذا أضافت جهود القراء في دراسة هذه الحروف إلى الصوتيات؟ وهل تميزت البنية المقطعية لهذه الحروف عن ما هو معروف في الشعر والنثر؟ هل لهذه الحروف صدى داخل السورة؟ وهل اتخذ تكرارها منحى مخصوصا؟ .

كل هذه الاستفسارات- وزيادة- بُذل مجهود غير خافٍ في الإجابة عنها وفق ذلك التسلسل في الفصول الثلاثة بالاعتماد على مناهج وإجراءات لا تخفى على القارئ. إذ تصدر المنهج التحليلي والوصفي -بما أن الدراسة قائمة على الملاحظة - والمنهج المقارن أثناء الموازنة بين آراء العلماء

والمنهج التاريخي لما كنت بصدد عرض جهود أعلام الإعجاز في تصنيف الحروف. والتجريبي في درس المقاطع وأخيرا الإحصائي في دراسة نسبة تكرار الحروف داخل السور. ولا يفوتني بالمناسبة

التنويه بجهد القائمين على البرامج الإلكترونية التي تهتم بضبط القرآن الكريم ونسخه بالخط العثماني بمختلف الروايات مثل الخدمة التي يقدمها موقع tanzil.net وأكبر برنامج لإحصاء القرآن الكريم على موقع عبد الدايم الكحيل kahil.com بمساهمة أخي وزميلي أستاذ الرياضيات حمادي محمد. ومن جملة المصادر والمراجع المعتمدة في البحث -زيادة على ما قيل آنفا- دواوين الشعر وكتب النقد والبلاغة في المدخل مثل ديوان المتنبي وزهير وأبي تمام وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري وكتاب البديع لابن المعتز، ثم كتب علوم القرآن في الفصل النظري مثل البرهان والإتقان مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح. بعدها كتب النحو والكتب التي ألفت في إعراب القرآن مثل كتاب سيبويه وإعراب

القرآن للنحاس ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ، تلتها كتب التفسير في الفصل الدلالي مثل روح المعاني ومفاتيح الغيب وجامع البيان... ومقالات عن الشيعة والمستشرقين والبهائية... ثم روح المعاني بالاضافة إلى المعجم المفهرس وملحق مواضيع القرآن بمصحف التجويد وبرامج القرآن الإلكترونية لإيجاد المناسبات بين السور. وتم الاعتماد في الفصل الصوتي على كتب إعجاز القرآن للباقلاني والبرهان للزركشي وتفسير الكشاف للزمخشري. وكتب القراءات مثل : الحجة في القراءات، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ومعني القرآن للفراء. بعدها كتب الصوتيات في المبحث الموالي: مثل الصوت اللغوي لأحمد مختار عمر، وكتب كمال بشر وتمام حسان وعباس حسن ثم برنامج إحصاء القرآن الكريم لعبد الدايم الكحيل.

ولعل القارئ استنتج من خلال ما قيل أن الدراسة انقسمت إلى ثلاثة فصول شغل المدخل المعنون بـ(جودة الاستهلال أكثر من ضرورة) جزءاً من الفصل النظري الموسوم بـ(فواتح القرآن المقطعة) (لمحة عامة) أُفرد بعده مبحث خاص بالأنواع العشرة للافتتاح في القرآن الكريم وآخر حول الحروف المقطعة عموماً تعريفها أنواعها ، السور المختصة بالفواتح ثم مبحث يخص أحكامها من قراءة وإعراب، واتخاذها أية من عدمه.. يليه فصل دلالي يتفرع إلى مبحث أول يعالج أقوال العلماء في الحروف المقطعة، يليه ثانٍ يعالج التخريجات الدلالية لهذه هذه الحروف ، تفرع ، تلاهما مبحث اختص بدراسة المناسبات بين السور المفتحة بالحروف المقطعة وبيان تعالقتها ببعضها والتقاطع بين مواضيعها ودواعي تواليها مع سابقاتها ولاحقاتها. ومنه تم الخلوص إلى الفصل الصوتي الذي يتولى أول مبحث منه: التصنيف الصوتي للحروف المقطعة عند علماء الإعجاز، تلاه مبحث ثانٍ يعالج القراءات القرآنية للحروف المقطعة وما أسفر عنه من تغيرات إعرابية وتنقلات صوتية بين الإبدال والإدغام والإمالة والإشمام، وكان لا بد من عقد مبحث لدراسة هذه الحروف مقطعيًا وملاحظة ما يسفر عنه من أسرار ومقارنته مع الدراسة الفردية الإحصائية للحروف وتردداتها. وختمت الدراسة بخاتمة جمعت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج: أهمها أن الحرف جزء من اللغة التي من بيانها أن يعبر الكل على الجزء والجزء على الكل ، وأن من دلائل وحدانية الله الذي خلق البشر من ذكر وأنثى وجعلهم شعوبا وقبائل. والذي أوحى إلى نبيه نوح أن يصعد إلى السفينة من كل المخلوقات اثنان ، هو ذاته الله الذي جعل معجزته الخالدة من حروف معدودة ، فاختر بعض الحروف لتدل على الكل، وإن كان بعض العلماء الأفذاذ امتنعوا عن

تفسيرها فليس لاستغلاق أذهانهم عن إدراك معانيها وإنما أخذنا بمقصد من مقاصد الشريعة، لسد ذريعة من تسول له نفسه بالقول بفضل اليهود على النبي أو تقديس عددها إلى غاية الخروج عن الملة . كما كان لهذه الحروف غرض تعليمي في تهجيها والتعرف على مخارجها وصفاتها، وسنن تجاورها الصوتية والإعرابية خلوصا إلى علم الإحصاء في التعرف على تردداتها، والتعرف على الإيقاع الصوتي الذي تعكسه تردداتها وما يرافقه من انفعال نفسي وعاطفي...

وقد تمّ تسبيق الفصل الدلالي على الصوتي -مع أن العنوان يوحي بالعكس- لأن المنطق يستدعي ذلك فإن قيل لم جعلت العنوان بهذا الترتيب إذن؟ قلت: فعلت ذلك لأغراض إدارية بحثة لأن تقديم الدلالة على الصوتيات في العنوان يرمي من التخصص (الصوتيات) ويوجهني إلى تخصص الدلالة وليس ذلك من متطعاتي. ضف إلى ذلك استغلاق هذه المقاطع الصوتية وإبهامها ما يجعل من الدرس الصوتي طُلُسمًا بالغ التعقيد فرأينا ارسال المباحث الدلالية أولا لتسهل في فك هذه الألغاز كي يسهل التعامل معها من الناحية الصوتية كما أن هنالك متعلقات بالمعنى تدخل في جانب الإعراب والقراءة.

ولأن مشكلة سيدنا آدم في الجنة مشكلة تخمة لا جوع فإن كثرة المراجع كانت من أهم المعوقات التي شوشت على ذهني، وحرمتني التركيز، واستنزفت قراءتها سنوات من العمر. ضف إليها عدم التفرغ نظرا إلى وظيفتي السابقة في منصب مستشارة تربوية في قطاع التربية والتعليم تنضاف إليها مهام الأم والزوجة، زيادة على عسر الموضوع وصعوبته، خاصة الجانب الصوتي منه وما تعلق بالقراءات والإعراب والتقطيع الصوتي وإحصاء الحروف وتأويلها مما انطوى عليه الفصل الأخير من الدراسة. ولا يفوتني في هذا المقام إيصال موفور الشكر وجزيل الجزاء لأستاذي المشرف الذي تحملني طيلة هذه الفترة ووقف بجانبني داعما إيتاي بكل ما أوتي من علم وخبرة وصبر. ومثله موصول إلى شيخني الإمام بلقوميدي محمد الهبري، على معينه العلمي الذي لا ينضب في سبيل العلم، وصبره الذي لا ينفذ في استيعاب الباحثين أمثالي . فجزاهما الله عني موفور الجزاء.

مينة مختاري: مستغانم 2018/05/16

المدخل

جودة الاستفتاح عند العرب أكثر من ضرورة

1- تمهيد

2- براعة الاستهلال في النقد الأدبي القديم

3- ظاهرة الاهتمام بالاستفتاح

4 _ سورة الفاتحة وسورة العلق من أحسن الاستهلال

5- بواذر الاهتمام بالافتتاح

6- الاستهلال في النقد القديم

6-1- الافتتاح في الشعر

6-1-1- أضرب الابتداء في الشعر

6-1-1-1- الاستفهام

6-1-1-2- النداء

6-2- الاستهلال في الخطب

6-3- الاستهلال في مقدمات الكتب

7- الاستهلال في النقد الحديث والمعاصر

جودة الاستفتاح عند العرب أكثر من ضرورة

1- تمهيد:

إن طبيعة النفس البشرية تميل إلى الافتتاح الحسن ، ولهذا فطن الشعراء والأدباء منذ وقت مبكر. إلى أهمية مطالع الأعمال الأدبية شعرا ونثرا ومن ثمّ توالى التوصية بالفواتح من قبل العلماء والأدباء . وعن النقاد القدامى؛ توارثت الأجيال وصية: "أحسنوا معاشر الكتاب الابتدءات، فإنهنّ دلائل البيان."¹ وعدوا الشعر قفلا أوله مفتاحه، إذ المطلع أول ما يقع في السمع من القصيدة، والدال على ما بعده، المنزل من القصيدة منزل الوجه والغرة. فإذا كان الابتدء حسنا بديعا ومليحا رشيقا؛ كان داعية إلى الاستماع لما يجيء بعده من الكلام.

2- براعة الاستهلال في النقد الأدبي القديم:

إذا استهل المتحدث كلامه بما يناسب الحال المتحدّث فيه وبما يشير إلى غرض من الحديث سُمّي ذلك عند البلاغيين براعة الاستهلال "وهذا فن لا يدركه إلا البارع الفذّ الذي يملك مفتاحا سحريا يفتح به قلب السامع، فيجعله مستعدا لأن يتدبر ويتفكر فيما يبني عليه من الكلام"، والاستهلال مرحلة من الخطاب على قدر كبير من الأهمية باعتبار موقعها منه، وأهم ما تتسم به دورها في التواصل من حيث كانت الأحوال النفسية مهيمنة على طرفي الخطاب فهي على ذلك تكتسي بعدا تداوليا جديرا بالاهتمام فقد قال أهل البيان: "من البلاغة حسن الابتدء وهو أن يتأني في أول الكلام لأنه أول ما يقرع السمع، فإن كان محرّرا أقبل السامع على الكلام ووعاه؛ وإلا أعرض عنه - ولو كان الباقي في نهاية الحسن - فينبغي أن يؤدّي فيه بأعذب اللفظ وأجزله وأرقّه وأحسنه نظما وسبكا وأصحّه معنى."²

¹ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت395هـ): الصناعتين (الكتابة والشعر) تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ط2، 1989م . 489ص.

² أورد هذا النص جلال الدين السيوطي (ت911)، الإتيقان في علوم القرآن -دار الفكر للطباعة نسخة مصححة ومنقحة بعناية د.خالد العطار، ط2008 ج2 ص449.

ومن هنا تبرز أهمية الاستهلال صياغة وتبليغا ولأجل ذلك كانت موضوع دراسة وعناية في التراث الإنساني بوجه عام¹.

3- ظاهرة الاهتمام بالاستهلال:

من الجدير بالذكر أن الدراسات القرآنية دائما هي السبابة في المجال البحثي الإبداعي - لاسيما القديمة منها- خدمة للنص الكريم إذ تغدو دراسات ابن قتيبة وابن أبي الأصبع وابن حيّان والزركشي والسيوطي والبقاعي من أهم ما قدّم في مجال العتبات من دراسات قيّمة².

ويغدو هذا الدرس (العتبات في النص القرآني) من أغزر الدروس البحثية وأشدّها إغراء على مستوى النتائج لما ينطوي عليه من إشكاليات، فهي تحمل وظيفة إعلامية في شكل من أشكالها إلى تلقّي الكتب السماوية قبل القرآن الكريم "أمانة لأهل الكتاب أنّه ينزل على محمد صلى الله عليه وسلم كتاب في أول سور منه حروف مقطعة"³

ولا يراود عاقلا أدنى شك أن الله تعالى أنزل هذا الكتاب على رسوله ليعجز به ويتحدى به هذه الأمة البليغة الفصيحة، فلا بد أن يكون معجزا في نظمه ومعانيه وتراكيبه ومطالع سوره وخواتمها فجاء هذا الكتاب المبين على أحسن نظم وأجمل وصف وقفت أمامه بلاغة البلغاء وفصاحة الأدباء، فلم يجدوا مسلكا إلا أن يعترفوا ببيانه وفصاحة جُمله وتعبيراته⁴.

4- سورة الفاتحة وسورة العلق من أحسن الاستهلال:

"ومن الابتداء إلى نوع أخص منه يسمى براعة الاستهلال، وهو أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه ويشير إلى ما يبقى الكلام لأجله. والعلم الأسمى في ذلك سورة الفاتحة التي هي مطلع القرآن، فإنها مشتملة على جميع مقاصده كما قال البيهقي في شعب الإيمان: "أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ حَبِيبٍ أَنَّ أَبَا مُحَمَّدٍ بْنَ صَالِحٍ بْنَ هَانِيٍّ أَنْبَأَنَا الْحُسَيْنُ بْنَ الْفَضْلِ حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ

¹ ينظر: رشيد شعلال: شعرية الاستهلال عند عبد الله البردوني، مجلة كلية الآداب واللغات، العدد 08. جانفي 2011 (مقال).

² ينظر: محمود الهميسي: براعة الاستهلال في صناعة العنوان، مجلة الموقف الأدبي: اتحاد الكتاب العرب، دمشق، عدد 414 أيار 1997 ص 95

³ بناء العتبات في القرآن الكريم مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية المجلد 21 العدد 1-2013.

⁴ فواتح القرآن الكريم وأثرها في براعة الاستهلال، بحث علمي كامل عن فواتح السور في القرآن الكريم على موقع المصطبة:

مُسْلِمٍ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ صَبِيحٍ عَنِ الْحُسَيْنِ قَالَ: أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مِائَةٍ وَأَرْبَعَةَ كُتُبٍ وَأَوْدَعَ عُلُومَهَا أَرْبَعَةً مِنْهَا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَالزَّبُورَ وَالْفُرْقَانَ، ثُمَّ أَوْدَعَ عُلُومَ التَّوْرَةَ وَالزَّبُورَ وَالْفُرْقَانَ، ثُمَّ أَوْدَعَ عُلُومَ الْقُرْآنِ ثُمَّ أَوْدَعَ عُلُومَ الْقُرْآنِ الْمُفَصَّلِ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ فَمَنْ عَلِمَ تَفْسِيرَهَا كَانَ كَمَنْ عَلِمَ تَفْسِيرَ جَمِيعِ الْكُتُبِ الْمُنزَلَةِ".¹

وقد وُجِّه ذلك بأن العلوم التي احتوى عليها القرآن وقامت بها الأديان الأربعة علم الأصول ومداره على معرفة الله تعالى وصفاته وإليه الإشارة بـ "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾" ومعرفة النبوات وإليه الإشارة بـ "الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ" ومعرفة المعاد وإليه الإشارة بـ: "مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾" وعلم العبارات وإليه الإشارة بـ: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ"، وعلم السلوك وهو حمل النفس على الآداب الشرعية والانقياد لرب البرية؛ وإليه الإشارة بـ: "إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾" اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾" وعلم القصص وهو الاطلاع على أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية ليعلم المطلع على ذلك سعادة من أطاع الله وشقاوة من عصاه وإليه الإشارة بقوله: "صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾".

فنبّه في الفاتحة على جميع مقاصد القرآن وهذا هو الغاية في براعة الاستهلال مع ما اشتملت عليه من الألفاظ الحسنة والمقاطع المستحسنة وأنواع البلاغة.²

وكذلك أول سورة اقرأ فإنها مشتملة على نظير ما اشتملت عليه الفاتحة من براعة الاستهلال لكونها أول ما أنزل فإن فيها الأمر بالقراءة. والبدء فيها: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾" وفيه الإشارة إلى علم الأحكام، وفيها ما يتعلق بتوحيد الرب وإثبات ذاته وصفاته. ومن صفاته صفة ذات وصفة فعل، وفي هذه الإشارة إلى أصول الدين وفيها ما يتعلق بالأخبار من قوله: "عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾" ولهذا قيل إنها جديرة أن تسمى عنوان القرآن لأن عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة في أوله.³

¹ أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخشروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي: (المتوفى: 458هـ) شعب الإيمان، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد تحت إشراف: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية بومباي، الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية بومباي بالهند الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2003 م . حديث مقطوع باب 19 ذكر فاتحة الكتاب رقم الحديث 2167.

² ينظر: جلال الدين السيوطي الشافعي (ت911هـ) الإتيقان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، 2008 نسخة منقحة ومصححة بعناية خالد العطار، ج2 ص450 .

³ ينظر: المصدر نفسه، ج2 ص450.

5- بؤادر الاهتمام بالاستهلال:

تجد في أغلب الكتب المهمة بهذا الموضوع النص القائل: "من البلاغة حسن الابتداء... فينبغي أن يؤتى فيه بأعذب اللفظ وأجزله وأرقه وأسلسه وأحسنه نظماً وسبكاً، وأوضحه وأخلاه من التعقيد والتقديم والتأخير الملبس، أو الذي لا يناسب"¹

ولعل جمع هذا النص للتعريف وبيان الغرض والمقومات للابتداء الحسن جعله يستأثر ببدايات أغلب الباحثين في هذا الموضوع فقد أوضح صاحبه وأوجز بحيث لم يترك للاحق ما يزيد.

إذن فالاستهلال في الاصطلاح: تأليف مخصوص للمقدمات بصيغ وتراكيب تتفرد على نحو من الإثارة الواصلة بين المرسل والمتلقي².

ونظراً لهذه الأسباب المذكورة عن أهمية الاستفتاح وخطورة التهاون به نجد أنّ العرب قد اهتموا باستفتاحاتهم شعراً ونثراً، بل وجعلوا لها قواعد كالمقدمة الطللية في الشعر؛ والديباجة في الخطب وفي فنّ الترسل فخصّوا افتتاحاتهم بكل ما يقرع السمع ويسلب الفؤاد ويستأثر الذهن ويجلب التفاؤل ويناسب المقام. وانتقدوا كلّ ما يجافي ذلك مما يجلب التشاؤم ويدعو للتطيّر ويمجّ في السّمع فمنعوا آذانهم عن الباقي؛ إذا كان الأول لا يؤاتهم - بما أن الثقافة السائدة - وقت ذاك - كانت سماعية - فحرص على هذه القاعدة كلّ قول يعتدّ بقوله، وجاء القرآن معجزة قولية تجاري قواعد العرب وتنتصر عليهم. فأما النبيّ فكان أفصح العرب بيد أنّه من قریش³.

واستثمر النقاد في اهتمامهم بهذا الموضوع حتى وصلوا إلى شعرية الابتداء في الرواية الحديثة. كما لا نغفل أن الغرب اهتموا بهذا الموضوع اهتمام العرب به، وربما أكثر. فهنالك الكثير من الدراسات الجادة في هذا المجال (شمولية وتجزئية) توقفت عند مجمل عتبات النص الإبداعي بشكله

¹ ينظر مثلاً السيوطي الإتقان ج 2 ص 211.

² ينظر رشيد شعلال، شعرية الاستهلال عند عبد الله البردوني (مرجع سابق) ص 214.

³ هو حديث مرسل (بدون سند) نصه: "أنا أفصح العرب بيد أنّي من قریش واسترّضعت من بني سعد بن بكر". لا أثر له في الصحاح وتجد في كتب الغريب بعدة روايات. جار الله محمود بن عمر الزمخشري: الفائق في غريب الحديث، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ومحمد علي البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي ط 2 سنة 1971.

الشعري والقصصي¹، ولعلّ ما قدّمه جيرار جينات في هذا المجال من تنظيم عتباتي أفضل ما قدّم وهو يدعوه بالمناص².

6- الاستهلال في النقد القديم:

لا غرو أنّ الشعراء والخطباء العرب القدامى قد عنوا بالاستهلال في أشعارهم وخطبهم أيّ عناية، وإنّ رمنا تقصي مكامن ذلك ألفينا له أسبابا وعللا ترتكز في جملتها على لفت ذهن المتلقي وتحفيزه للبقاء في جوّ النص الملقى إليه، ولهذا اعتمدوا ركائز من مثل التشبيب بالنساء والصيد والوقوف على الأطلال ديدانا لهم في مقدماتهم الشعرية³. حتى أن منهم من كان يعنى بالتصفية

1_ كان الاستهلال في الملاحم القديمة وخصوصا ملحمة كلكامش ذات البعد الأسطوري المرتبط بالواقع الاجتماعي لأحد الملوك السومريين القدامى ويظهر فيها الاستهلال بدلالات خاصة وأبعاد إيحائية تدل على تقنية فنية عالية في استخدام مفردات البدايات... وفي ملحمتي الإلياذة والأوديسا يأخذ الاستهلال نفس المنحى، إذ أنه يحدد الموضوع من البداية في جملة مقتضبة تبين مجرى القصة كلها وتحدد موضوعها ينظر تفسير ذلك عند ياسين النصير: الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي ص 35.

أما بالنسبة إلى استهلال ملحمة كلكامش فتجد في ترجمة طه الباقر: (دون طبعة ودون تاريخ) ص 39_42.

"هُوَ الَّذِي رَأَى كُلَّ شَيْءٍ فَعَنِي بِذِكْرِهِ يَا بِلَادِي... وَهُوَ الَّذِي حَبَّرَ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ وَأَفَادَ مِنْ عِبْرَتِهَا... وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَارِفُ بِكُلِّ شَيْءٍ... لَقَدْ أَبْصَرَ الْأَسْرَارَ وَعَرَفَ الْحَقَائِقَ الْمَكْتُومَةَ... وَجَاءَ بِأَنْبَاءِ الْأَيَّامِ مِمَّا قَبْلَ الطُّوفَانِ... لَقَدْ أَوْعَلَ فِي الْأَسْفَارِ الْبَعِيدَةِ حَتَّى حَلَّ بِهِ الضُّعْفُ وَالتَّعَبُ... فَتَقَشَّ فِي نُصْبٍ مِنَ الْحَجَرِ كُلِّ مَا عَانَاهُ وَمَا حَبَّرَهُ... بَنَى أَسْوَارَ "أَوُرُوكَ" الْمَقْدَسِ وَالْمَسْتَوْدَعِ الطَّاهِرِ... فَانظُرْ إِلَى سُورِهِ الْخَارِجِيِّ تَجِدُ شُرَفَاتِهِ تَتَأَلَّقُ كَالنُّحَاسِ... وَأَنْعَمِ النَّظَرَ فِي سُورِهِ الدَّاخِلِيِّ الَّذِي لَا يُمَائِلُهُ شَيْءٌ... إِفْتَرَبَ مِنْ مَسْكَنِ عَشْتَارِ الَّذِي لَا يُمَائِلُهُ صُنْعُ مَلِكٍ مِنَ الْآتِيَيْنِ وَلَا إِنْسَانٍ... أَعْلَى فَوْقَ أَسْوَارِ "أَوُرُوكَ" وَأَمَشَ عَلَيْهَا... وَهنا يلاحظ القارئ أن هذه المقدمة الشعرية لم تدخل مباشرة إلى صلب موضوع الملحمة بل قدمت توطئة عن المكان والزمان وبطل الملحمة دون الجيئ على ذكر اسمه وهذا ما يوضع القارئ في الجو العام دون استهلاك الأحداث. أما بالنسبة للأوديسسة، ترجمة: دريني خشبة، نشر: دار التنوير، ط 2013، ص 1، 13: "أَنْشُدْ يَا هُومِيرُوسُ؟... وَظَلَّ فِي فَمِ الْأَبْدِ قِيَّارَتِهِ الْمَرِيَّةِ، وَنَائِيَهُ الْمَطْرِبِ، وَعُوْدُهُ الْآنْ، وَنَعْمَتُهُ الْخُلُوةِ الْحُنُونُ؟... أَنْشُدْ يَا شَاعِرَ الْعَصْرِ الْخَالِي... وَخَلَّ فِي الْأَسْمَاعِ مُوسِيقَى مُدَوِّيَّةِ، وَفِي الْعُيُونِ دُمُوعًا جَارِيَّةِ، وَفِي الْقُلُوبِ رَحْمَةً وَمَحَبَّةً، وَأَنْفَحَ عَرَائِسَ الشُّعْرِ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا، وَحِكْمَةً وَبَيَانًا، وَسَرِيرًا وَصَوْلِحَانًا... تَعَنَّ يَا شَاعِرَ أَوْلَمْبِ؟ وَلْتُرْسِلْ مِنْ جَنَّتِكَ نِعْمَةً تَنْتَظِمُ الْأَفْئَالَكَ، وَرَنَةً تُجْلِجِلُ فِي الْأَفْقِ وَأَهْمَةً تُزَلْزِلُ قُلُوبَ الْجَبَّارِينَ..". ويبدو هنا جليا أن مقدمة الأوديسسة كانت تتغنى بشاعرية هوميروس ولا ذاكر يذكر أوديسيوس لكن لا يختلف عاقلان على شاعرية هذه المقدمة.

ملاحظة: النقاط المنقطعة داخل نصي الملحمتين للتفريق بين الأبيات لا للتدليل على انتقاص أبيات.

2 د. عبد الحق بلعابد: عتبات جيرار جينات من النص إلى المناص، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ص 05.

3 ثمة مؤلفات عديدة تطرقت للمقدمة الطلية في الشعر العربي القديم منها: المقدمة الطلية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي: دراسة أسلوية. سعيد محمود بابونس، وانظر: د- حسين عطوان: مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، دار المعارف، مصر. وقد حاول هذا الأخير وضع يده على القوانين المضطردة للمقدمة الطلية في الشعر الجاهلي من خلال أشعار امرئ القيس

والتحبير والتجويد "فلا يكتفون بالصورة العادية، بل كانوا ما يزالون يمدون أطناب الصور ويوسعون في جوانبها، مفصلين في جزئياتها وموازين بين أبعادها حتى تتحول إلى مشهد واسع يعجب الناظرين"¹. كيف لا وقد أوجدوا لأنفسهم مكانا في البيان والتبيين فقال صاحبه: "من شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا كريتنا وزمنا طويلا، يردد فيها نظره، ويجيل فيها عقله، ويقلب فيها رأيه، اتحاما لعقله وتتبعها على نفسه، فيجعل عقله زماما على رأيه، ورأيه عيارا على شعره، إشفاقا على أدبه، وإحرازا لما خوله الله تعالى على نعمته."² على أنّ هذا القول لا يفرق بين الاستفتاح والمتن أو الخاتمة. فقد شكّل الاستهلال أو حسن الابتداء عندهم هاجسا مافتى يشغل بالهم ولما يزل حتى وقتنا الحاضر. (في الشعر الحر والرواية الحديثة) بقي ذلك الهاجس مسيطرا على الكتاب والشعراء فتخيروا عتباتهم ونمقوها وحسنوها جذبا للمتلقي وتسويقا لأعمالهم الأدبية. "فهو (الاستهلال) قائم على العقد الاجتماعي والعرف المتفق عليه وخصوصا في الاستهلالات الطللية وعندما ظهر الصعاليك غيروا الاستهلال الاستهلال لما يتفق ومطالبهم و رؤيتهم للمجتمع، وكذلك أحدثت الشعوبية تغييرا جذريا في استهلالات الشعر العربي العباسي لما تطلبت تطورات الحياة التجارية الحديثة وذلك على يديّ أبو نواس، وتعتبر الاستهلالات جزءا من الموضوع وبداية القصة الشعرية التي انتشرت آنذاك، بعدما كانت تمهيدا منفصلا يحتاج إلى آليّة التخلّص، وقد أشارت الدراسات النقدية إشارات مقتضبة واهتمت بها في النثر والخطابة وفي أواخر العصر العباسي اتجهت الرؤية الاستهلالية إلى الشعر ودخلت في باب البلاغة."³

وعبيد بن الأبرص وطرفة بن العبد: "أساسا لتصوير بواكير المقدمة الطللية...منها ما يتعلق بمضمونها وتقاليدها ومنها ما يتعلق بشكلها وأقسامها" ص93.

¹ حسين عطوان المقدمة الطللية في الشعر الجاهلي، ص93.

² الجاحظ: ج2 ص9.

³ ياسين النصير: الاستهلال_ فن البدايات في النص الأدبي وينظر أيضا مقال: الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي جريدة الثورة أدب وثقافة، القاهرة، العدد19009 بتاريخ:05ديسمبر2016. وما يتعلق بالصعاليك الذين تمردوا على تقاليد الشعر تماما مثلما تمردوا على النظام الاجتماعي والقبلي فلنا في لامية العرب أصدق تمثيل: عمرو بن مالك الشنفرى(70ق هـ)ديوان الشنفرى، جمع وتحقيق وشرح: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، سنة1996م، ص58.

"أقيموا بني أمي صُدورَ مَطِيّكم - فإني إلى قومٍ سِوَاكُمْ لأُميلُ
فقدَ حَمَتِ الحَاجَاتِ وَالليلُ مُقَمَّرٌ - وَشُدَّتْ لِطَبَّاتِ مَطَايَا وَأَرْحُلُ
وَفِي الأَرْضِ مَنَائِي لِلكَرِيمِ عَن الأَدَى - وَفِيهَا لَمَنْ خَافَ القَلِي مُتَعَزِّلُ"

وتعدّ (براعة الاستهلال) عند البلاغيين قديماً محسناً بديعياً متفرداً عن اصطلاح آخر عندهم يشار إليه بـ(حسن الابتداء)، على أن كلاً من ذينك الاصطلاحين متّصل بمطالع القصائد (أول الكلام)، فإذا جاء مطلع القصيدة أو أول الكلام حسناً بديعاً، ومليحاً رشيقاً، صار داعية إلى الاستماع لما يجيء بعده ووصف بـ(حسن الابتداء)، "وإذا جاء بداية الكلام أو مطلع القصيدة دالاً على ما بنيت عليه، مُشعراً بغرض الناثر أو الناظم من غير تصريح، بل بإشارة لطيفة تعذب حلاوتها في الذوق السليم، ويستدل المستمع من ذلك على ما يتصل به الكلام أو القصائد من مدح أو تهنئة أو عتاب، أو رثاء أو هجاء، وصف بـ(براعة الاستهلال)"¹.

وعليه فإذا جمع الناثر أو الناظم بين (حسن الابتداء) و (براعة الاستهلال) صار من فرسان البلاغة. وإن لم تتسنّ له في كلامه (براعة الاستهلال)؛ فليجتهد في سلوك ما يقوله في (حسن الابتداء). فإنّ في ذلك إشارة إلى حسن بيانه، ومن الأقوال المأثورة: "أحسنوا معاشر الكتاب الابتداءات فإنهن دلائل البيان"². وسئل بعضهم عن أحذق الشعراء، فقال: "من يتفقد الابتداء

وبخصوص الشعبية وما جرته من ثورة على النظام الاجتماعي والسياسي وانعكس في مرآة الشعر التي صورت ذلك العصر فأبو نواس خير من يشهد على هذه المرحلة لكن لم يتم اختيار نماذج من شعره الخمري نظراً لخصوصية الموضوع قيد الدراسة؛ إذ القهوة

تفي بالغرض وهي من مجزوء الرمل: عَزَدَ الدَّيْكَ الصَّدُوخُ فَاسْقِنِي! طَابَ الصَّبُوخُ

واسقني حتى تراني حسنا عندي القبيخ

فَهْوَةٌ تَدُكُرُ نُوحًا حِينَ شَادَ الْفُلُكُ نُوخًا

نحن نُخْفِيهَا، وبأبي طيبٌ رِيحٌ فَتَفُوخُ

فَكَأَنَّ الْقَوْمَ نُهِيَ بَيْنَهُمْ مَسْكَ دَبِيحُ

أنا في دُنْيَا من العَبَا سِ أَعْدُو وَأَرُوخُ

الحسن بن هانئ الحكمي المعروف بأبي نواس(ت195هـ):ديوان أبي نواس:جمع وتحقيق حمزة بن الحسن الأصفهاني طبع على نفقة لطف الله الزهار مطبعة جمعية الفنون المكتبة الوطنية سوق النصر1301هـ. ص14.

1بدوي طبانة: معجم البلاغة العربية،دار المنارة جدة،ط1988،3،المجلد الأول، (براعة الاستهلال ص85(حسن الابتداء)ص197.

2 أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، الطبعة الثالثة، ص489.وقد أطل ابن الأثير في شرح ذلك:"حقيقة هذا النوع أن يجعل مطلع الكلام من الشعر...دالاً على المعنى المقصود منه:إن كان فتحاً ففتحاً، وإن كان هناءً فهناءً، أو كان عزاءً فعزاءً، وكذلك يجري الحكم في غير ذلك من المعاني، وفائدته أن يعرف من مبدأ الكلام ما المراد به، ولم هذا النوع.والقاعدة التي يبني عليها أساسه أنه يجب على الشاعر إذا نظم قصيداً أن ينظر، فإن كان مديحاً صرفاً لا يختص بحادثة من الحوادث، فهو مخير بين أن يفتتحها بغزل، بل يرتحل المديح ارتجالاً من أولها...وأما إذا كان القصيد في حادثة من الحوادث كفتح معقل أو هزيمة جيش أو غير ذلك فإنه لا ينبغي أن يبدأ فيها بغزل، وإن فعل ذلك دل على ضعف قريحة الشاعر وقصوره عن الغاية، أو على

والمقطع"¹. ويقول أبو هلال العسكري: "الابتداء أول ما يقع في السمع من كلامك، والمقطع آخر ما يبقى في النفس من قولك، فينبغي أن يكونا جميعاً مُوقَدَيْنِ".²

6-1- الافتتاح في الشعر:

براعة الاستهلال أو حسن الابتداء* أو براعة المطلع** أو أيا كانت التسمية فإنها من حسن ما يُبتدأ به الكلام شعراً أو نثراً وقد تناول الخطيب القزويني الافتتاح وجعله خاتمة ألوان البديع ضمن ما قاله عن السرقات الشعرية وما يتصل بها والقول في الابتداء والتخلص والانتهاء وفي هذا الموضوع أوصى المتكلم بالتأنق في هذه المواضع الثلاثة حتى تكون أعذب لفظاً وأحسن سبكاً وأصح معنى.³

"فالابتداء أول ما يقرع السمع فإن كان كما ذكر أقبل السامع على الكلام فوعى جميعه وإن كان بخلاف ذلك أعرض عنه ورفضه وإن كان في غاية الحسن".⁴

لقد كان الأدباء والشعراء حريصين أشدّ الحرص على الوسم والافتتاح إذ بقي الشعر العربي لعقود ففرون يبني استهلاله على الغزل ويتبعه بالبكاء على الأطلال حتى في مراحل الاستقرار اللاحقة، ومرّد ذلك إلى كسب المتلقي وإثارة عواطفه من حيث كانت العواطف أقصر طرق التبليغ، بلّة أوصلها في دورة الخطاب. قال ابن رشيق: "وللشعراء مذاهب في افتتاح القصائد بالنسبة لما فيه من عطف القلوب واستدعاء القبول بحسب ما في الطباع من حبّ الغزل، والميل إلى اللهو والنساء،

جهله بوضع الكلام في مواضعه." ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (ت637هـ) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. تحقيق: أحمد الحوي، بدوي طبانة، دار نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ج3، ص97.

¹ المرجع السابق، ص 493.

² العسكري: الصناعتين، ص494.

* هذه تسمية ابن المعتز أبو العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي (المتوفى: 296هـ):

البديع في علم البديع، دار الجيل، 1990م ط1 ص75.

** يسميه صفى الدين الحلي: براعة المطلع. انظر شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، تحقيق: د. نسيب

نشاوي، دار صادر-بيروت، د ط، دت ص51.

³ الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، المكتبة الأزهرية للتراث، 3ط، 1993م ج2 ص112.

⁴ المرجع نفسه ج2 ص595.

وإن ذلك استدراج لما بعده"¹. واستشهد المهتمون بالمقدمات الشعرية كثيرا بنص لابن قتيبة جامع شامل لعناصر المقدمة الطللية: "... إنما ابتداء فيها بذكر الديار والدمن والآثار، فبكى وشكا... واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الطاعنين عنها... لانتقالهم من ماء إلى ماء، وانتجاعهم الكلاً وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان، ثم وصل ذلك بالنسيب، فشكا شدة الوجد وألم الفراق... ليُميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه، وليستدعي به إصغاء الأسماع إليه، لأن التشبيب قريب من النفوس... فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلقا منه بسببٍ، وضاربا فيه بسهم حلال أو حرام، فإذا استوثق من الإصغاء إليه، والاستماع له... رحل في شعره وشكا النصب والسهر، وسرى الليل وحرّ الهجير، وإنضاء الراحلة والبعير، فإذا علم أنه أوجب على صاحبه حق الرجاء... بدأ في المديح فبعثه على المكافأة..."² ويواصل: "فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب وعدل بين هذه الأقسام، فلم يجعل واحدا منها أغلب على الشعر."

وروى الجاحظ عن شبيب بن شيبه أن الناس موكلون بتفضيل جودة الابتداء ومدح صاحبه.³ لذا بات من المؤكد لدى المهتمين بفن القول الشعري أن للبدء والختام دورا مهما في جلب اهتمام المتلقي فقد "قيل لبعض الحدائق بصياغة الشعر: لقد طار اسمك واشتهر، فقال: إني أقللت الجرّ وطبقت المفاصل، وأصبت مقاتل الكلام، وقرطست نكت الإعراض، بحسن الفواتح والخواتم ولطف الخروج إلى المدح والهجاء..." وقد صدق لأن حسن الافتتاح داعية أبقى في السمع وألصق بالنفوس لقرب العهد بها.⁴

ولما كان قدر الظواهر الإنسانية النزوع نحو المعيارية شيئا فشيئا سرت ظاهرة الانتقائية في فواتح الكلام عرفا يقصد إليه أهل الصناعة باعتباره عتبة الخطاب التي يلجون من خلالها إلى أعماقه، فقد قال قائل: "إن الشعر قفل أوله مفتاحه وينبغي للشاعر أن يجود ابتداء شعره، فإنه أول ما يقرع السمع منه وبه يستدلّ على ما عنده في أول وهلة."⁵

¹ أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: 463هـ): العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، 1981 م ج1 ص398-399.

² أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة (ت276هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، ط2، ج2، ص20.

³ أبو عثمان عمرو بن محبوب الكناي: البيان والتبيين، تحقيق محمد عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، 1998م، ج1 ص112.

⁴ ابن رشيق: العمدة ج1 ص388، وانظر القزويني الإيضاح ج6 ص149.

⁵ نقلا عن ابن رشيق: العمدة: ج1 ص388 تجده أيضا عند القزويني: الإيضاح ج6 ص149.

ولا عجب أن يتسع الاهتمام بالابتداء ليشمل المعيار الاجتماعي المتعلق باللباقة وآداب الحديث، وما يتصل بالمقام ومراعاة أحوال الخطاب والمخاطبين: فقد روي عن جرير أنه دخل على عبد الملك بن مروان "فابتدأ ينشده:

"أَنْصَحُو أُمَّ فُوَادُكَ غَيْرَ صَاحٍ..."

فقال عبد الملك بن مروان: "بل فؤادك يا ابن الفاعلة" كأنه استثقل هذه المواجهة وإلا فقد علم أن الشاعر إنما خاطب نفسه¹

وينبغي أن يُتجنب في المديح ما يُتطَيَّرُ منه فإنه قد لا يتفاهل به الممدوح أو بعض الحاضرين، ومثال ذلك لما أنشد ذو الرمة هشام بن عبد الملك قصيدته البائية:

مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا الْمَاءُ يَنْسَكِبُ؟... فقال هشام بل عينك...

وكانت عين بن مروان تدمع دائما لشعرة فيها فتوهم أنه خاطبه أو عرض به فقال: وما سؤالك عن هذا يا جاهل؟ ومقته وأمر بإخراجه.²

وقيل: لما بنى المعتصم بالله قصره بالميدان وجلس فيه، أنشده إسحاق الموصلي:

يَا دَارُ غَيْرِكَ الْبِلَا وَمَحَاكِ يَأَلَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي أَبْلَاكَ؟

فتطير المعتصم من هذا الابتداء وأمر بهدم القصر.³

حرص المتأخرين من النقاد في العصر الحديث لا يختلف عن حرص المتقدمين فتجد مثلا صاحب جواهر البلاغة يقول: "حسن الابتداء أو براعة المطلع: هو أن يجعل أول الكلام رقيقا سهلا واضح المعاني مستقلا عما بعده مناسبا للمقام، بحيث يجذب السامع إلى الإصغاء بكليته لأنه أول ما

¹ ونص البيت كاملا: أَنْصَحُو أُمَّ فُوَادُكَ غَيْرَ صَاحٍ عَشِيَّةَ هَمَّ صَحْبُكَ بِالرَّوَّاحِ

تَقُولُ الْعَاذِلَاتُ: غَلَاكَ شَيْبٌ أَهَذَا الشَّيْبُ يَمْنَعُنِي مَرَاحِي

والبيت غير موجود في الديوان. ينظر العمدة ص 193

² انظر ابن رشيق المرجع نفسه ج 1 ص 393- والبيت كاملا:

مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا الْمَاءُ يَنْسَكِبُ كَأَنَّهُ مِنْ كُلِّ مَفْرِيَّةٍ سُرْبٌ وَمَعْنَى ذَلِكَ: أَنْ عَيْنَاهُ تَدْمَعَانُ مِثْلَ سَحْبٍ مَتَشَقِّقَةٍ يَتَسَرَّبُ مِنْهَا

الماء انظر الديوان: ديوان ذي الرمة غيلان بن عقبة بن مسعود تحقيق: أحمد حسن بسج 1995 دار الكتب العلمية ط 1 1995 ص 10.

³ د. راجحة عبد السادة سلمان / د. أكرم عبد الله محمد: براعة الاستهلال وحسن الخاتمة في شعر زهير بن أبي سلمى مجلة كلية

التربية الإنسانية العدد 70 2011 وينظر أيضا: محمد بن علي بن محمد الجرجاني (ت 729هـ)، تحقيق د عبد القادر حسين،

مكتبة الآداب، د ط، د ت، ص 321-322.

يقرّع السمع به يعرف مما عنده.. وتزداد براعة المطلع حسنا إذا دلّت على المقصود بإشارة لطيفة وتسمى براعة الاستهلال، وهي أن يتأتى الناظم أو الناثر في ابتداء كلامه بما يدلّ على مقصوده منه بالإشارة لا بالتصريح... ويعني أيضا براعة الطلب، وهي أن يشير الطالب إلى ما في نفسه، دون أن يصرح بالطلب نحو قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال: (رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي) إشارة إلى طلب النجاة.¹

ورب ملاحظ يقول أن المتأخرين لم يفصلوا بين براعة الاستهلال في النظم أو النثر بل وحتى في القرآن الكريم، فنقول أن حسن الاستهلال ضروري في كلّ خطاب على الرغم من أن المثال الذي ساقه الدكتور سيد أحمد الهاشمي من القرآن الكريم لا يمثل الاستهلال إذ أنه يخص الآية الخامسة والأربعون من السورة ولعله ساقه للدلالة على حسن الطلب.

وغير بعيد نجد د. عبد القادر عبد الجليل يلج مسألة الاستهلال بقاعدة مباشرة في قوله: "ويعتمد بناؤه الأسلوب على قدرة المنشئ في احتضان دلالاته دفء التشخيص وكثافة المعقل وتوازن العلاقة بين الدال والمدلول ولغته تقوم على الجانب الإشاري والاختزال والتوازي"²

ولئن كان الشعر المعاصر قد تجاوز هذه الانتقائية معتدا بالناحية الفنية والجمالية والإيحائية، فإن المتلقي لما يزل يمارس سلطته التأويلية ويملي سننه القولية والاجتماعية - وإن تطوّرت بتطور الإنسان - ولا يزال المبدع يوظف طاقته الإبداعية ملتصقا من أجلها الوسائل المألوفة باعتبارها أقرب سبل التواصل وأمتعها وتتسع هذه الظاهرة لتشمل كافة أجناس الخطاب وفي مقدمتها الرسائل الإدارية والسياسية والإخوانية وسواها إذ هي أكثر أشكال الخطاب اعتمادا لشتى أساليب التودّد والمجاملة في الابتداء والختام.³

الشعر العربي مليء بالأمثلة والنماذج التي تبين فصاحة العرب وملكتهم الفائقة على طرق آذان السامع بما يهيج أحاسيسه ومشاعره فينتبه ويتهيأ لما سيتلى عليه من الكلام، ويكاد يجمع النقاد القدامى على استهلال امرئ القيس شاهدا على براعة الاستهلال حيث قال:

¹ سيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، المكتبة العصرية، ط1، 1999، ص419-420.

² عبد القادر عبد الجليل: الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، دار صفاء - عمان، ط1 2002، ص563.

³ انظر رشيد شعلال: شعرية الاستهلال عند عبد الله البردوني مرجع سبق ذكره ص216.

قَفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلٍ¹

فقالوا: "إنه في هذه البداية البارعة وقف واستوقف وبكى واستبكى، وذكر الحبيب ومنزله في مصراع واحد"²

ومع ذلك انتقده الحدّاق بعدم المناسبة بين شطريه لأن صدر البيت جمع بين عدوبة اللفظ وسهولة السبب وكثرة المعاني وليس في الشطر الثاني شيء من ذلك³، ويذكر شهاب الدين النويري في نهاية الأرب: "ينبغي أن يراعى في الابتداءات ما يقرب المعنى إذا لم يتأت له براعة الاستهلال وتسهيل اللفظ وعدوخته وسلاسة ألفاظه".

وقيل أن أحسن ابتداء ابتدأت به العرب قول النابغة:

كَلَيْبِي هُمْ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ⁵

ومن أحسن ما ابتدأ به مولّد قول إسحاق بن إبراهيم الموصلبي:

هَلْ إِلَى أَنْ تَنَامَ عَيْنِي سَبِيلٌ إِنَّ عَهْدِي بِاللَّيْلِ عَهْدٌ طَوِيلٌ⁶

ويستحسن أن يُبتدأ في المديح بمثل قول أبزون العماني:

عَلَى مَنْبَرِ الْعَلْيَاءِ جَدُّكَ يَخْطُبُ وَلِلْبَلَدَةِ الْعُدْرَاءِ سَيْئُكَ يَخْطُبُ⁷

¹ امرؤ القيس: ديوان امرئ القيس بشرح أبي سعيد السكري (ت275هـ) دراسة وتحقيق: د_أنور عليان أبو سويلم، د_محمد علي شوابكة، مركز زايد للتراث والتاريخ ط1 سنة: 2000 ص164.

² أبو هلال العسكري: ديوان المعاني تحقيق: أحمد حسن بسج دار الكتب العلمية، ط1، سنة 1994 ج1 ص144.

³ انظر صدر الدين المدني الحسيني علي بن أحمد بن مجد المعروف بعلي خان بن ميرزا أحمد (ت1113هـ)، أنوار الربيع بين أنواع البديع تحقيق: شاکر هادي شکر، مطبعة النعمان - النجف الشريف ط1 سنة1969

⁴ أحمد بن عبد الوهاب النويري شهاب الدين: نهاية الأرب في فنون الأدب. تحقيق: مفيد قميحة، حسن نور الدين، يحي الشامي، علي بو ملحم، محمد رضا مروة، يوسف طويل، علي محمد هاشم، دار الكتب العلمية، سنة 2004 ص211-212.

⁵ أبو أمامة زياد بن معاوية المعروف بالنابغة الذبياني (ت604م): ديوان النابغة، شرح وتقديم: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، ط3، 1996م، ص229.

⁶ تجد هذا البيت في كثير من الكتب منها: خزانة الأدب وغاية الأرب: لتقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزاري المعروف بابن حجة الحموي، تحقيق: عصام شعيتو دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1987 ج1 ص22.

⁷ أبزون بن مهمرد الكراني، أبو علي الكافي العماني. شاعر فارسي الأصل، عماني المنشأ، مجوسي الديانة، عاش في القرن الخامس الهجري وتوفي سنة 430هـ اختلف كثيراً في اسمه واسم أبيه، عاش في جبل من جبال عمان، ويقول حاجي خليفة أنه كان يعيش في نزوى. ومن خلال شعره نرى أنه كان يتردد على العراق أحياناً، وفي شعره أيضاً إشارة إلى أيام له أمضاها بجرجايا، وهي بلدة من أعمال النهروان الأسفل بين واسط وبغداد وإلى ذلك ذهب أصحاب التراجم. ينظر: مصطفى بن عبد الله كاتب جلي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (المتوفى: 1067هـ) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون مكتبة

وقول المتنبي:

عَدُوُّكَ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَعْدَائِكَ الْقَمْرَانِ¹

وفي النسب:

أُتْرَاهَا لِكثْرَةِ الْعُشَاقِ تَحَسَّبُ الدَّمْعَ حِلْقَةً فِي الْمَاقِي²

وفي المراثي: قول أبي تمام

كَذَا قَلَّ يَجْلُ الحَطْبُ وَيُفْدَحُ الأَمْرُ وَلَيْسَ لِعَيْنٍ لَمْ يَفِضْ مَاؤُهَا عُذْرُ³

وقد اختار الخطيب القزويني استفتاح التابغة السابق واستفتاح أبي الطيب:

أَتَظُنُّنِي مِنْ زَلَّةٍ أَتَعَتَّبُ قَلْبِي عَلَيْكَ أَرْقُ بِمَا تَحَسَّبُ⁴

6-1-1- أضرب الابتداء في الشعر:

النمط الاستفهامي والنمط الندائي نمطان إنشائيان قد حققا شرعيتهما في الابتداء بطبيعتهما التنبهية الإثارية المتجسدة تنغيما على نحو مخصوص.

6-1-1- الاستفهام:

الأصل في الاستفهام هو طلب ما في الخارج أو تحصله في الذهن⁵

وهو ضرب من الاستهلال يوحى بإشراك المتلقي أو بدفعه إلى المشاركة في صنع الحدث الشعري على صعيد التأويل ويعكس في الوقت نفسه جانبا من التوتر والحيرة والاستغراب، فتحل المبهمات محلّ المعربات⁶ تعظيما للموقف وإيهاما بأن الحدث المعبر عنه ينبر عن التعبير، ولاشك أن

المتنى - بغداد) وصورتها عدة دور لبنانية، بنفس ترقيم صفحاتها، مثل: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية (تاريخ النشر 1941: م ص 772، يوينظر أيضا: ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي شهاب الدين أبو عبد الله: معجم البلدان دار صادر، بيروت، سنة 1993 ج 2 ص 54.

¹ أحمد بن الحسين الجعفي المتنبي أبو الطيب: ديوان المتنبي أبو الطيب؛ دار بيروت للطباعة والنشر، 1988 ص 475.

² ديوان المتنبي ص 236.

³ ينظر: تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزاري المعروف بابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب. وينظر محمد سعيد: براعة الاستهلال: مجلة صفة البلاغة العربية (الالكترونية) شبكة ضفاف، نشر المقال بتاريخ 2016/07/17 <http://www.dhifaaf.com>

⁴ ينظر الخطيب القزويني: الايضاح في علوم البلاغة ص 591-595 وللامانة البيت غير موجود في الديوان.

⁵ ينظر بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ج 2 ص 326.

⁶ المبهمات من الأدوات مالا يتحدّد في معناه بمفرده كأسماء الاستفهام والإشارة والأسماء الموصولة، أما المعربات ما استقلت بمعنى.

في هذا إشارة للمتلقى وإشراكا له في إنتاج الخطاب¹ والتركيب الاستفهامي يفضل التنعيم l'intonation يتمتع بمرونة كافية لتأدية أغراض تواصلية متنوعة.

وحظ الاستفهام كحظ غيره من أوجه الخطاب يخضع لسلطات السياق فيخرج عن إطاره الدلالي الذي وُجد من أجله في أصل الوضع وسواء عليه عدّ ذلك من باب المجاز باعتبار المنهل، أم عدّ ضربا من التعبير مستقلا، فإن العبرة بمخالفة الوضع جزاء ضغط دلالي لا تؤديه الحقيقة. وهذا هو واقع الاستفهام من الناحية الإجرائية.

وتأتي أغلب الابتداءات الاستفهامية لتأدية غرض دلالي غير حقيقي يبيّن الانفعال الحاصل بين المخاطب والموقف المعبر عنه وقد تُوزّع هذه الأنماط من التعبير بين التهويل والتعجب والتهكم والتعظيم والتفخيم والتحسّر لذلك أمكن القول أن التراكيب اللغوية على اختلاف أنواعها تتمتع بالقابلية للتعبير عن وظائف متعدّدة تقتضيها مقامات الحديث وهو ما يعكس البعد الاختزالي للغة الذي يعمد إليه المتكلم بصورة آليّة لاستثمار أدواته على أوسع نطاق.²

6-1-2- النداء:

يمثل النداء لونا من ألوان الابتداء الذي يؤثره المتكلم -عادة- لأسباب اتصالية بالدرجة الأولى، لذلك يظهر في العادات الكلامية موصولا بالتنبيه أو الإشارة وجلب الانتباه وقد يكون له إلى جانب ذلك أبعاد دلالية وجمالية بتوفر عوامل سياقية معينة.

وللنداء في مطالع القصائد وضع خاص باعتبار الإثارة وجلب الانتباه من ناحية التنعيم (الطبيعة الصوتية لأسلوب النداء) ضف إلى ذلك ما يؤديه النداء من دلالة سياقية تلتئم جوهريا مع الموضوع أو تهيئ إلى الاندماج فيه على أقل تقدير فقد أثر شعراء العربية استفتاح قصائدهم بالنداء للتنبيه غالبا، ونحسبهم فعلوا ذلك باعتبارهم إياه سنة جارية في القول الشعري كما هي الحال في المقدمة الطللية، وفواتح الخطب والرسائل وغيرها، حيث هياكل ذلك إلى استتباب النداء عرفا جاريا في التواصل، والجدير بالملاحظة أن استخدامه لم يكن لصريح النداء وإن كان التنبيه محصّلا فيه مهما كان غرضه لطبيعته الصوتية.

¹ ينظر رشيد شعلال، شعرية الاستهلال عند عبد الله البردوني مجلة كلية الآداب واللغات، العدد 08. جانفي 2011 (مقال).

² يمكن الاستشهاد في هذا المقام بالبيت الشهير لعنترة بن شداد العبسي: هَلْ عَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مُتْرَدِّمٍ أَمْ هَلْ عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوْهْمِ شرح ديوان عنترة للخطيب التبريزي قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: مجيد طرار، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1993، ص147.

وقد حظي أسلوب النداء في التراث العربي بنقاش طويل بين علماء العربية على اختلاف مشاربهم فقد لجأت بيئة النحاة إلى حصر أسلوب النداء في أحد أقسام الكلم على عاداتها في التقدير والتأويل.¹ بينما اتجه علماء المعاني إلى استقرار خطاب النداء وتأويله بحسب المقام، وكان النحاة يسعون إلى معاصرة الظواهر الأسلوبية بتكريس مبدأ القياس والخضوع إلى القاعدة حتى ولو أدى ذلك إلى بعض التعسف في التأويل والتقدير.

وكان علماء المعاني أكثر حرصاً في الاتكاء على السياق لتمثل المعنى باعتبار المسألة تتعلق في البدايات الأولى -يفهم النص القرآني وتدبره على الوجه الأليّف بطبيعته العقديّة.²

6-2- الاستهلال في الخطب:

جعلت للخطب في الاستهلال سنن قولية تبتدئ بها وصلت مكانة الواجبات الشرعية فتجد من يقول: "إن أهمية الاستهلال -بما ورد فيه من عناصر- بالنسبة لخطبة الجمعة بالتحديد ينطلق من المكانة الشرعية لهذا الاستهلال³ فلقد عرّف ابن قيم الجوزية -رحمه الله- في كتاب زاد المعاد مقصد الخطبة فقال: "هو الثناء على الله وتمجيده والشهادة له بالوحدانية، ولرسوله صلى الله عليه وسلم بالرسالة، وتذكير العباد بأيامهم، وتحذيرهم من يأسه ونقمته ووصيتهم بما يقرّ بهم إليه، وإلى جنانه، ونهيهم عمّا يقرّ بهم من سخطه وناره، فهذا هو مقصود الخطبة والاجتماع لها"⁴، ونرى جلياً في صدر هذا التعريف منزلة الاستهلال الذي يشتمل على عناصر ثابتة وهي:

¹ قسم النحاة الكلم إلى ثلاثة أقسام حاولوا بعد ذلك أن يصلوا إلى أوجه الاستعمال بها فلما جابتهم بعض الأساليب التي تنبؤ عن الانتظام المباشر في أحد أبوابهم النحوية تأولوا هذه الأساليب وأحقوها بأقرب باب نحوي يمكن أن تؤخذ عليه من باب التقدير، قال ابن يعيش "باب النداء من نحو يا زيد، قد نابت مناب أدعو، أنادي، وقد ذهب الاسم بعدها إنما هو لذلك لفعل لا لها. انظر شرح المفصل ج 8 ص 7.

² يستند جمهور علماء المعاني بشكل عام إلى المعنى المحصل في الذهن فخرّجوا أسلوب النداء تخريجاً ينسجم مع حال الحديث ولما كانت أساليب النداء تستخدم في سياق التنبيه والدعاء والاستغاثة والتعجب والندبة والتلهف والتأسّف والتلذذ... فقد كان لهم في تخريجها وجوه. ينظر مثلاً، ابن فارس الصاحبي ص 178-179.

³ د. عبد المحسن عبد الله الحزني: لطائف الأدب في استهلال الخطب ط 1 الإصدار 27 2012، مجلة الوعي الإسلامي مجلة كويتية شهرية تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية قطاع الشؤون الثقافية ص 10.

⁴ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 27 سنة 1994 ج 3 ص 48.

1- التحميد (الحمد لله)

2- الثناء على الله تعالى بما يستحقه وتمجيده جل وعلا

3- الشهادة له سبحانه بالوحدانية

4- الشهادة لنبية صلى الله عليه وسلم بالرسالة

وفي المقدمة المشهورة التي كان يستهل بها رسول الله خطبه خير شاهد ودليل، وقد أسماها العلماء "خطبة الحاجة" وهي كما يلي: "إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ تَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ"¹

ومما يعزز المكانة الشرعية لاستهلال الخطبة الذي يكون فيه الحمد والثناء (التحميد) أحد العناصر الرئيسية (أي للاستهلال) ما ورد في حديث رسول الله فيما يرويه أبو داود، وابن ماجه، وأبو عوانة الاسفراييني بتخريج الإمام مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال "كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ أَقْطَعُ"²، أما بالنسبة للتشهد في استهلال الخطبة _وهو عنصر رئيس فيها أيضا_ فقد روى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "كُلُّ حُطْبَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَشَهُدٌ فَهِيَ كَالْيَدِ الْجَذْمَاءِ"³ وأصل التشهد قول الخطيب أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، أما أصل الحمد والثناء (التحميد) فهو قوله (الحمد لله).

¹ أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري (المتوفى: 204هـ): (مسند أبي داود، تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر - مصر ط1، 1999 م الحديث رقم (1097) في باب الصلاة

² أقطع: مقطوع مبتور وفي رواية أخرى فهو أجذم من الجذام وهو القطع أو الإصابة بالمرض الذي تتأكل فيه أطراف المصاب فتقطع فتتفر منه الطباع. رواه الإمام أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ): (مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1421 هـ - 2001 م (329/14) ورواه آخرون كثيرون من أصحاب السنن والمسانيد.

³ الحديث رواه البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري) تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار طوق النجاة ط1، 1422 هـ ج2/334-335 من حديث عكرمة عن ابن عباس في الجمعة.

أما الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي عنصر أساسي من عناصر الاستهلال فقد ورد فيها الكثير من الأدلة يتوجها قول الله تعالى: " إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾"¹

ونقتصر من الأحاديث الكثيرة الواردة في هذا الباب على حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ وَحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ"²

أما السجع الوارد في استهلال الخطب فقد روعي فيه عدم التكلّف، وأن يكون مقبولاً خالياً من غريب الألفاظ وهجيتها. وهو الذي يوفر الحد الأدنى من معايير قبول الخطبة المالكية.

ومن هذه الأدلة جميعاً نستشعر أهمية الاستهلال وموقعه من الخطبة، فضلاً عن الأهمية البارزة من الناحية الفنية بشكل مطلق، كيف لا وهو يشدّ الانتباه للمتكلم ويلقي الأنظار إليه، ويمثل أداة تهيئة وتوطئة بين يدي قوله، فيضمن بذلك الخطيب التفات المخاطبين إليه، وإصغائهم لخطبته³.

وقد استخدم الخطباء والمتحدثون هذا الاستهلال واهتموا به، وصبغوه بالزينة الأدبية، من خلال السجع والمقابلات بين أجزائه بحيث يكون جرسه في الأذن جميلاً ووقعه على النفس سهلاً، فهو بجملته على المستمع يسير مقبولاً، فلا يدخل الخطيب في صلب موضوع الخطبة حتى يجد آذاناً صاغية⁴.

6-3- الاستهلال في مقدمات الكتب:

¹ الأحزاب 56.

² رواه أحمد بن حنبل عن عبد الله بن عمرو بن العاص: مسند الإمام أحمد، تحت رقم: (11587)

³ عبد المحسن عبد الله الخرازي: لطائف الأدب في استهلال الخطب، مجلة الوعي الإسلامي - الكويت سنة 201، ط1، ص12.

⁴ يمكن الاستشهاد في هذا المقام بخطبة القس بن ساعدة: "«أَيُّهَا النَّاسُ، اسْمَعُوا وَعُوا، مَنْ عَاشَ مَاتَ، وَمَنْ مَاتَ فَاتَ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ.. مطر ونبات وأرزاق وأقوات وآباء وأمّهات وأحياء وأموات جمع وأشتات، لَيْلٌ دَاجٍ، وَنَهَارٌ سَاجٍ، وَسَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ، وَأَرْضٌ ذَاتُ فِجَاجٍ، وَبَحَارٌ ذَاتُ أَمْوَاجٍ، وَمِهَادٌ مَوْضُوعٌ، وَسَقْفٌ مَرْفُوعٌ، وَنُجُومٌ تَمُورٌ، وَبَحَارٌ لَا تَغُورُ، وَنُجُومٌ تَزْهَرُ، وَبَحَارٌ تَزْخَرُ.. إِنَّ فِي السَّمَاءِ لِحَبْرًا، وَإِنَّ فِي الْأَرْضِ لَعِبْرًا، مَا بَأَلُ النَّاسِ يَذْهَبُونَ وَلَا يَجْعُونَ؟!، أَرْضُوا فَأَقَامُوا، أَمْ تُرْكُوا فَنَامُوا؟!، تَبّاً لَأَرْبَابِ الْغَفْلَةِ مِنَ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ وَالْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ. يا معشر إباد.. يا معشر إباد: أَيُّنَ الْأَبَاءِ وَالْأَجْدَادِ؟، وَأَيُّنَ الْفَرَاعِنَةِ الشِّدَادِ؟، أَلَمْ يَكُونُوا أَكْثَرَ مِنْكُمْ مَالاً وَأَطْوَلَ آجَالاً؟، طَحَنَهُمُ الدَّهْرُ بِكُلِّكَلِيهِ، وَمَرَّقَهُمُ بِنَطَاؤِلِهِ.. يقسم (قس) بالله قَسَمًا لَا إِثْمَ فِيهِ إِنْ لَلَّهِ دِينًا هُوَ أَرْضَى لَكُمْ وَأَفْضَلَ مِنْ دِينِكُمْ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ، إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ مِنَ الْأَمْرِ مِنْكَرًا" عبد القادر بن عمر البغدادي: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط4 سنة 1997، ج2 - الصفحة 80.

انتقل استهلال الخطب فيما بعد إلى استهلال الكتب بعد ازدهار حركة التدوين للعلوم الإسلامية المختلفة باسم التحميدات وكان من أوئل من استخدمها في فصول الكتب: عبد الحميد بن يحيى الكاتب وهذا ما يقرّره المسعودي مروج الذهب.¹

وإن كان التحميد مستخدماً في استهلال الكتب وفصولها قبل عبد الحميد، فإنه قلب صورته تماماً، إذ أطنب فيه من جهة، وتنمق فيه من جهة أخرى وكرّره في أثناء الكتاب الواحد من جهة ثالثة في فصول خاصة.

يقول د/محمد المقداد الباحث في تاريخ النشر العربي: "من الإنصاف لمن سبق عبد الحميد من الكتاب أن نثبت هنا أنهم سبقوه إلى تطويل التحميد وإلى تكراره في متون كتبهم غير أن ظاهرة التحميد أخذت مكانة سامية واهتماماً كبيراً حتى أصبحت أشبه بالموضوع الخاص المستقل ضمن الموضوعات الترسّلية الأخرى في أواخر العصر الأموي ممّا يستحقّ معه أن تنسب إليه خاصّة أنه أثر منها في آثاره حتى لفت إليها الأنظار واستأثر بها، فاتبعه فيها الكتاب التالون له على الأغلب... لأننا لم نجد لهذه المميزات المذكورة أنفاً للتحميدات أي أثر عند معاصريه فيما بين أيدينا اليوم من بقايا آثارهم."²

7- الاستهلال في النقد الحديث والمعاصر:

¹ أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت346هـ): مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: أسعد داغر، دار الهجرة سنة 1409هـ ج3 ص263.

² محمد المقداد: قراءات في أدب العصر الأموي (القسم الثاني جامعة دمشق 1993، ص187.

ويمكن الاستشهاد في هذا المقام بتحميد لعبد الحميد بن يحيى الكاتب كتب به بعد أحد الفتوح (الانتصارات). وهذا تحميد مشهور يسمع بعضه أحياناً في مقدمة خطبة يوم الجمعة: الحمد لله العليّ مكانه، المنير برهانه، العزيز سلطانه، الثابتة كلماته، الشافية آياته، الذي قدر على خلقه بملكه، و عزّ في سماواته بعظمته، و دبّر الأمور بعلمه، و قدرها بحكمه على ما يشاء من عزمه، مبتدعاً لها بإنشائه إياها و قدرته عليها و استصغار عظمها. . . لا تجري إلاّ على تقديره، و لا تنتهي إلاّ على تأجيله، و لا تقع إلاّ على سبق من حتمه، كلّ ذلك بلطفه و قدرته و تصريف وحيه، لا معدل لها عنه و لا سبيل لها غيره، و لا يعلم أحد بخفاياها و معادها إلاّ هو، فإنه يقول في كتابه الصادق «وَ عِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْعَلِيِّ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ، وَ يَعْلَمُ مَا فِي الْبَيْرِ وَ الْبَحْرِ؛ وَمَا تَسْفُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا، وَ لَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَ لَا رَطْبٍ وَ لَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ» الأنعام الآية 59. "عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط4 1981، ج1، الأدب القديم من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية. ص728.

يعد الاستهلال من أهم عتبات النص الموازي التي تحيط بالنص الأدبي خارجيا، وهو أيضا من أهم عناصر البناء الفني سواء في الشعر أو الرواية أو الدراما (المسرح والسينما).

وفي المسرح على وجه التحديد كان الاستهلال عنصرا يرتبط بالمرح المخرج المسرحي فهو صاحب السلطة العليا لاعتبار النص نصا تمثيلا في الأساس ، ومن تمّ تعتمد استهلالات المسرح على بث الصراع والإيحاء بالقضية من البداية، وفي تطور المسرح الحديث بدأت عملية الاستهلال تتخذ شكلا أكثر إثارة وأكثر ابتكارا.¹

ففي مسرحية برخت _أو برشت كما يسميه بعضهم_ طبول في الليل: تجد توجيهات للمخرج قبل الدخول في النص " (افريقيا)

في بيت آل بالكيه

(غرفة مظلمة، في النوافذ ستائر من التلّ ، وقت الغروب)

بالكيه : (يخلق دقنه أمام نافذة) مضت أربع سنوات منذ أن اعتبر مفقودا، لن يعود الآن ، لا ندرى ما يجتبه لنا المستقبل، الرجل يساوي الآن وزنه ذهبيا، وأنا منذ عامين كنت سأبارك ذلك لكن عاطفتك الأصيلة غلبتني على أمري، والآن عليّ أن أمشي على جثث.

السيدة بالكيه: (أمام صورة فوتوغرافية لكراجرل بزيّ جنديّ المدفعية، وهي معلقة على الحائط) لقد كان رجلا طيبا لطيفا، طفلا حقا.

بالكيه : إنّه يتحلّل الآن

آه لو عاد

لا أحد يعود من السماء

بحق السماء والقديسين في النعيم ستقذف ابنتنا آنا بنفسها حينئذ في الماء"².

حدّدت بداية المسرحية المكان (افريقيا في بيت آل بالكيه) والزمان (وقت الغروب) ومكان وقوف بالكيه (أمام النافذة) ومكان وقوف السيدة بالكيه (أمام الصورة الفوتوغرافية المعلقة على جدار

1 ينظر: كتاب الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي للمؤلف حسين النصير والصادر عن الهيئة العامة للقصور بالقاهرة، مقال بجريدة الأهرام ثورة أدب وثقافة بدون مؤلف، العدد: 19009 الاثنيون 06 ديسمبر 2016م، ص8.

2 برتولت برشت : طبول في الليل 8 حياة جاليليو، ترجمة وتقديم عبد الرحمن بدوي ضمن سلسلة المسرح العالمي التي تصدر كل شهرين عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب ، دولة الكويت، ط"2 سنة 2009 ص 29 .

البيت وعلى مقربة من زوجها بالكية)، كما تجدد تلميحا للجو النفسي الذي تسوده الكآبة، حيث كان بالكية يخلق لحيته دونما اكتراث بينما كانت امرأته ترثي زوج ابنتها، وفي هذه البداية توجيهات للمخرج بشأن وضعية الممثلين وبشأن السينوغرافيا الخاصة بالبيئة الإفريقية وتجسيد النافذة وتعليق الصورة على مقربة منها والإيحاء بجو الغروب.

أما الاستهلال في "البنية الغنائية الذاتية والتي تعتمد في بنائها على البوح أو التلميح أو الكثافة تتميز في البنية الاستهلالية لها بكثافة أسلوبية مركزة وبشيء من الابتهاال أو لنقل التجربة الذاتية الغائرة، وتتميز القصيدة الغنائية بعلو صوت الأنا بشكل ملحوظ لاعتباره المدخل لشرح مفرداته، ومن خلال صورة واحدة مكثفة تتداعى وتتولد الصور والأفكار في القصيد ككل، وقد يظهر هذا الاستهلال كبنية مغلقة لتمرز على "الأنا"¹

أما فاتحة الخطاب الروائي هي نص يسبق الأحداث ويعرّف بالرواية إذ يعدّ مدخلا أساسيا لولوج عالم الرواية الحكائي إذ يرتبط به من خلال علاقة تواصلية استراتيجية، فيسهم في استكناه النص الروائي تشكيلا ودلالة، "فهو يضطلع بمهمة التمهيد للأحداث والتقديم لعالم الرواية بغية تحفيز القارئ وتأطير الرواية وتحبيكها من جهة أخرى².

ومن أهم مقومات الاستهلال الروائي الحديث وفق د/ياسين النصير: "قوة الأشياء وحضورها الفاعل والعمل الميثولوجي للشعب، والبعد الأسطوري للحياة المعاصرة، والشاعرية الغامضة في الأسلوب، ووحدة الزمن الإنساني، واعتماد الحس التطوري في صياغة مشروعات الغد، والرؤية الشاملة للعالم والعمق الرمزي والكثافة الواقعية"³، وهذا النوع من الروايات لا ينجح الاستهلال فيه "إلا متى كانت الحاجة إلى مفرداته وأفكاره مستمرة داخل العمل، عندئذ يبنى كيانه اللغوي والمعرفي على شيء من تأريخية العلاقات الداخلية للنص، لا تأريخية المكان العامة أو جغرافيته"⁴.

ويقسّم جيرار جينيت الاستهلال إلى نوعين، أولهما تكون فيه الشخصية الروائية غير معروفة من القارئ أي مقدمة من الخارج ومن ثم يأتي تعريفها، وهو النوع الذي ساد تقريبا حتى نهاية القرن

1 المرجع نفسه، ص 8.

2 عبد الله العروي: أوراق (سيرة إدريس الذهنية)، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، ط2004، ص6، ص7.

3 الاستهلال، فن البدايات في النص الأدبي، ص160.

4 المرجع السابق، ص 129.

التاسع عشر، وثانيهما الذي يفترض أن الشخصية معروفة من القارئ بتقديمها باسمها الأول أو بالضمير، كما ويعدّ جينيت الضمير "أنا" حالة خاصة تجمع بين النوعين معا ما دمنا نعرف على الأقل أنه يدل على السارد¹.

وبناء عليه فأهمية الاستهلال متأية من كونه "عنصر له تأثيره الذي يتوزع على مدارين: الأول: نفسي استقبالي، على اعتبار النص الأدبي رسالة (مرويا) صادرة عن مرسل (راو) قاصدا (مستقبلا) مرويا له، وهذه هي أركان الرسالة الأدبية، فمن منظور الاتصال يتحتم النظر إلى أدبية القص أو شعرته (من خلال أركان الرسالة) وبين كل من المرسل والمستقبل سياق مشترك تقع الرسالة على مسافة منه، المسافة تشغل آليات تحويلية من السياق إلى المرسله فيما يخص المرسل إبداعيا، ومن المرسله إلى النص، عبر السياق فيما يخص المستقبل تأويليا²."

من ههنا "تبرز أهمية الاستهلال ودوره في الجذب، والاستقطاب اللذين يمارسهما تأثيرا في ذات المتلقي ووعيه وإدراكه وذوقه."³ وهي عند جيرار جينات تمس كل ما من شأنه الإسهام في فهم النص والتمهيد له فهو "كل ما يجعل من النص كتابا، يقترح نفسه على قراءه، أو بصفة عامة على جمهوره، فهو أكثر من جدار ذي حدود متماسكة نقصد به هنا العتبة أو البهو الذي يسمح لكل منا دخوله أو الرجوع منه... هو بمثابة السياج الذي يحيط بالكتاب من العنوان وشبه العنوان والعنوان الفرعي والمقدمة والملحق والتنبيه والتمهيد والحاشية والهوامش في أسفل الصفحة وفي آخر الكتاب، والتصدير والرسوم والإعلان عن إصدار جديد والرباط وجلدة الكتاب، وغير ذلك من المؤشرات التي يمكن أن يصطلح عليها بالميثاق الأجناسي."⁴

¹ جيرار جينيت، عودة إلى خطاب الحكاية، ترجمة محمد معتصم، عبد الجليل الأزدي وعمر حلي، ضمن المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، ط2، 1997م، ص 89-90.

² محمد فكري الجزار: العنوان وسيموطيقا الاتصال الادبي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1998، ط1، ص 111.

³ ناهضة ستار: بنية السرد في القصص الصوفي (المكونات والوظائف والتقنيات) من منشورات اتحاد الكتاب العربي، ص 85-86.

⁴ ينظر: خليل شكري هياس: فاعلية العتبات النصية في قراءة النص السيربي، السيرة الأدبية للربيعي أنموذجا، مؤلف جماعي بعنوان "أسرار الكتابة الإبداعية، عند عبد الرحمن مجيد الربيعي والنص المتعدد، إعداد وتقديم ومشاركة محمد صابر عبيد، دار صامد للنشر، صفاقص، تونس، ط& فيفري 2000 ص100.

القارئ لللائحة التي افترضها جيرار جينات جامعة للنصوص الموازية قد يجدها طويلة طولا مبالغا فيه ، ولكأنه استشعر ذلك (جيرار جينات) فراح يقسمها حسب انتماءها للنص فمنها ما هو محيط ومنها ما هو فوقى .

النص المحيط *teoperi tex*: هو ما يقع حول النص في فضاء النص ذاته وداخل سياجه ، مثل العنوان والمقدمة والعناوين الفرعية وصورة الغلاف وكلمة الناشر، وأكثر ما يهمننا هنا وهو الجملة البدئية والجملة الختامية.

النص الفوقى: *epi texte* وهو يقع خارج هيكل النص وفضاءه ويشمل كل ما تبقى في اللائحة السابقة، ويمكن أن يزيد.

نعود إلى أهم ما يهمننا في هذا المقام وهو الجملة البدئية.

الجملة البدئية: وهي الجملة التي يبدأ بها النص، ولها وظيفة: كأن تضع القارئ في جو النص فيستعد لعملية التلقي والتأويل حيث تقوم بإيقاظ المخيال وتهيئته لاستقبال النص، وقد تكون جملة أو فقرة أو صفحة تحمل المعنى العام الذى تدور حوله القصة وتؤثر على سير أحداث القصة فيما بعد وتسمى أيضا الاستهلال أو الفاتحة وهي "تضم مجموعة من التيمات التي تكشف عن قصة المؤلف ونواياه ومراميه الإيديولوجية التي تمثل إشارات وموجهات أساسية تقود القارئ إلى فهم أشمل وأدق للنص، وتجعله يمسك بالخيط ساسية للعمل المعروض"، وهي تأخذ طابعا عاما فقد تكون مثلا شعبيا، أو آية قرآنية أو بيتا شعريا أو مقولة فلسفية أو جملة من الرواية بحد ذاتها وفي الحالة الأخيرة يصعب تحديدها وحصرها¹.

وقد قدم الأستاذ منصور بويش مقالا حول العتبات في رواية يعقوبيان لعلاء الأسواني، ومن جملة ما درسه الجملة البدئية: "المسافة بين ممر بهلر حيث يسكن زكي بك الدسوقي ومكتبه في عمارة يعقوبيان لا تتعدى مائة متر لكنه يقطعها كل صباح في ساعة، إذ يكون عليه أن يجيى أصدقاءه في الشارع: أصحاب محلات الملابس والأحذية والعاملين فيها من الجنسين، الجرسونات والعاملين في السينما ورواد محل البنّ البرازيلي، حتى البوابيين وماسحيّ الأحذية والمتسولين وعساكر المرور، يعرفهم

¹ ينظر: منصور بويش: جمايات العتبات النصية في رواية يعقوبيان، لعلاء الأسواني: مجلة جيل للدراسات الأدبية والفكرية العام الثالث . العدد18. أبريل 2016 ص 128.

زكي بك بالاسم ويتبادل معهم التحيات والأخبار. "تمثل هذه الفقرة مدخلا يولج من خلاله القارئ قدميه إلى عالم هذه الرواية ويعرف جزءا من عمومياتها².

¹ علاء الأسواني : عمارة يعقوبيان، مكتبة مدبولي، مصر، ط1 يناير 2006

² منصور بويش جماليات العتبات النصية في رواية عمارة يعقوبيان لعلاء الأسواني، مجلة جيل للدراسات الأدبية واللغوية ص 128.

الفصل الأول

الفواتح المقطعة في القرآن الكريم

(ملحة عامة)

المبحث الأول

الاستفتاح في القرآن الكريم

- 1- تعريف الفواتح
- 1-2- الفواتح في الاصطلاح
- 2- أنواع الفواتح في القرآن الكريم
- 3- تعريف الحروف
- 4- قداسة الحرف العربي
- 5- الكتابة والحرف العربي
- 6- علاقة الصوت بالشكل
- 7- الحروف المقطعة
 - 7-1- القطع لغة
 - 7-2- الحروف المقطعة اصطلاحاً
 - 7-3- السور التي اختصها الله بالحروف المقطعة
 - 7-4- الحروف المقطعة في الفواتح
 - 7-5- السور المبدوءة بالحروف المقطعة مكية أم مدنية
 - 8-9- هذه الفترة الثانية للسور المكية برزت لها مميزات أهمها
 - 10- صيغ الحروف المقطعة

الاستفتاح في القرآن الكريم

1-تعريف الفواتح:

فواتح القرآن: أوائل السور، الواحدة فاتحة.

1-1-الاستفتاح لغة:

فاتحة كل شيء مبدؤه الذي يفتح به ما بعده، وأم الكتاب يقال لها: فاتحة القرآن، وسميت بذلك لأنه يفتح بها القرآن في الصلاة.

يقال: فتح فلان كذا أي ابتدأه، وفتح عليه كذا: أعلمه ووقفه عليه، قال تعالى: "قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾" ¹

والفتح: أن تفتح على من يستقر بك، وهو نقيض الإغلاق، يقال: فتحه يفتحه فتحا، وافتتحه وفتحه فانفتح وتفتَّح. والفتحة في الشيء الفرجة، والجمع فُتْح مثل: غرفة و غرف.

والاستفتاح: الانتصار، وهو طلب الفتح أو الفتح.

قال تعالى: "إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ ۗ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ۗ" ²

أي: إن طلبتم الظفر أو الفتح أي الحكم، أو طلبتم مبدأ الخيرات فقد جاءكم ذلك بمجي النبي صلي الله عليه وسلم ³

والسور: جمع سورة، وفي نطق السورة لغتان.

أولهما: السورة بالهمزة مشتقة من أسار و السور: البقية التي تبقي من شرب الشارب في الإناء، وسميت سورة كأن السورة بقية جملة القران و قطعة منه

ثانيهما: السورة - بدون همز - ومعناها في اللغة: المنزلة و الشرف وما طال من البناء و حسن والعلامة و سميت السورة سورة لارتفاعها و شرفها، وكونها علامة علي صدق من جاء بها، ودليلا علي أن هذا

القرآن من عند الله، وهي تشبه السور - سور المدينة- من وجهين:

الأول: أن السور له علو حسي، والسورة لها علو معنوي.

¹ - سورة البقرة:82

² - سورة الأنفال من الآية19.

³ أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني المتوفى(ت502هـ)، المفردات في غريب القرآن، تح محمد سيد كبلاني،

مطبعة البابي الحلبي مصر، ط1961، كتاب الفاء

الثاني: أن السور يقوم بناؤه علي لبنات بعضها فوق بعض، والسورة يقوم بناؤها علي آيات يتبع بعضها بغضا⁴، والجمع سور بفتح الواو، و يجوز أن يجمع على (سورات) بسكون الواو وفتحها⁵

1-2- الفواتح في الاصطلاح:

هي طائفة مستقلة من آيات القرآن ذات مطلع و مقطع. وسور القرآن مختلفة طولاً وقصراً، فأقصر سورة فيه سورة الكوثر وهي ثلاثة آيات قصار و أطول سورة وهي خمسة ثمانون ومائتا آية وآياتها من الآيات الطوال، ومرجع الطول والقصر والتوسط وتحديد المطلع والمقطع إلى الله و حده لحكم سامية⁶ ومعرفة سور القرآن الكريم من حيث بداية كل سورة و نهايتها توقيفي ، لا مجال للقياس فيه.

2- أنواع الفواتح في القرآن الكريم:

يقول جلال الدين السيوطي في الإتقان "اعلم أن الله تعالى افتتح سور القرآن بعسرة أنواع الكلام لا يخرج شيء من السور عنها."⁷ وقد حقق قوله فمن خلال التتبع في كتب اللاحقين لم نجد من يزيد على هذه العشرة وهي على التوالي:

2-1- الثناء عليه تعالى وهو قسمان:

2-1-1- إثبات لصفات المدح ونفي و تنزيه له من صفات النقص: فورد بصيغة التحميد في خمس سور وهي على التوالي: "الأنعام، الكهف، النبأ، فاطر، الفاتحة"⁸. وبالفعل تبارك في سورتين هما "الفرقان والملئك"⁹

⁴ فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي: دراسات في علوم القرآن الكريم- كليه المعلمين، الرياض، ط 11 سنة 2003 ص104.

¹⁰⁶. وينظر: الفيروز أبادي: القاموس المحيط مادة (سور) باب الراء ج 1 578. وينظر: ابن منظور: لسان العرب مادة سور ج 3 147.

⁵ أبو بكر الرازي: مختار الصحاح ، دار الحديث، القاهرة، باب السين، ص182.

⁶ محمد عبد العظيم الزرقاني / مناهل العرفان في علوم القرآن ، تحقيق أحمد بن علي ، دار الحديث ، القاهرة، 2001م ج1 ص295.

⁷ هنا يعترف السيوطي بأنه لخصها عن أبي الأصدع الذي أفرد لها مؤلفاً سماه الخواطر السوانح في أسرار الفواتح = الإتقان في علم القرآن، دار الفكر للطباعة والنشر. 2008 ص448.

⁸ تجدر الإشارة إلى أن: " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ آية في الفاتحة، بعدها يأتي التحميد، أما السور الأخرى: الأنعام: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۚ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾"، الكهف: " الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۗ ﴿١﴾"، سبا: " الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ

2-1-2- التسييح:

وذلك في افتتاح سبع سور، قال الكرمانى في تشابه القرآن¹⁰، التسييح كلمة استأثر الله بها فبدأ بالمصدر في بني إسرائيل لأنه الأصل ثم بالماضي في الحديد والحشر، لأنه أسبق الزمنين، ثم بالمضارع في الجمعة والتغابن، ثم بالأمر في الأعلى استيعاباً لهذه الكلمة من جميع جهاتها.¹¹

2-2- حروف التهجي في تسع وعشرين سورة.¹²

2-3- النداء في عشر سور:

2-3-1- خمس سور بندااء الرسول: الأحزاب والطلاق والتحریم والمزمل والمدثر.¹³

2-3-2- وخمس بندااء الأمة: النساء، المائدة، الحج، الحجرات والممتحنة.¹⁴

وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ ۗ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾"، فاطر: " الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مِّثْنَى وَثَلَاثٍ وَرُبَاعٍ ۗ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾".

⁹ الفرقان " تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾"، الملك " تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾".

¹⁰ سورة الإسراء: إذ بدأت بقوله تعالى: " سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا ۗ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾" "

¹¹ الحديد: " سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾" الحشر: " سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾" الجمعة: " يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾" التغابن: " يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ۗ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾".

¹² سيأتي بيانها.

¹³ الأحزاب: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾"، الطلاق: " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ۗ... ﴿١﴾"، التحريم: " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ۗ تَبَتَّغِي مَرْضَاتِ أَرْوَاجِكَ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾"، الزمّل: " يَا أَيُّهَا الْمُرْمَلُ ﴿١﴾"، المدثر: " يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾" "

¹⁴ النساء: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ الحج: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ۗ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾"، الحجرات: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾"، الممتحنة: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْفُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ... ﴿١﴾".

2-4- الجمل الخبرية:

وذلك نحو: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ" الأنفال، "بِرَاءةٍ مِنَ اللَّهِ" التوبة، "آتَى أَمْرُ اللَّهِ" النحل، "اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ" الأنبياء، "قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ" المؤمنون، "سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا" النور، "تَنْزِيلُ الْكِتَابِ" السجدة، "الَّذِينَ كَفَرُوا" الأنعام، "إِنَّا فَتَحْنَا" الفتح، "إِفْتَرَبَتِ السَّاعَةُ" الرحمن، "قَدْ سَمِعَ اللَّهُ" الحاقة، "سَأَلَ سَائِلٌ" "إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا"، "لَا أُقْسِمُ" في موضعين، "عَبَسَ"، "إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ". فتلک ثلاث وعشرون سورة¹⁵

2-5- القسم في خمس عشرة سور:

سورة أقسم الله فيها بالملائكة وهي الصفات¹⁶، وسورتان بالأفلاك البروج والطارق¹⁷، وست سور بلوازمها: فالنجم قسم بالثريا، والفجر قسم بمبدأ النهار، والشمس بأية النهار، والليل بشرط الزمان، والضحى بشرط النهار، والعصر بالشطر الآخر أو بجملة الزمان¹⁸، وسورتان بالهواء الذي هو أحد العناصر: الذاريات و المرسلات¹⁹، وسورة بالتربة التي هي منها أيضا وهي الطور²⁰، وسورة بالنبات وهي التين²¹، وسورة بالحيوان الناطق وهي النازعات²²، وسورة بالبهيم وهي العاديات²³.²⁴

¹⁵ السيوطي الإتقان ج 1 ص 449.

الرحمن "الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾"، "قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَسْتَكْفِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾" "المجادلة. الحاقة: ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾"، "سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾" "المعارج، "إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾" نوح، "لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾" القيامة، "لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾" البلد، عبس "عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾"، "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾" "القدر"، "لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾" البينة، الفارعة: "الْقَارِعَةُ ﴿١﴾"، "أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾" التكاثر، "إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾" الكوثر.

¹⁶ قوله تعالى: "وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾".

¹⁷ البروج "وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾"، الطارق "وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾".

¹⁸ النجم: "وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾" الفجر: "وَالْفَجْرِ" الشمس: "وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾"، الليل: "وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾"، الضحى "وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾"، العصر "وَالْعَصْرِ ﴿١﴾" إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾"

¹⁹ الذاريات: "وَالذَّارِيَاتِ ذُرْوًا ﴿١﴾"، المرسلات: "وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴿٢﴾"

"

- 2-6- الشرط في سبع سور وهي: الواقعة، المنافقون، التكوير، الانفطار، الانشقاق، الزلزلة والنصر²⁵
- 2-7- الأمر في سبع سور وهي: قل أوحى، اقرأ، قل يا أيها الكافرون، قل هو الله أحد، قل أعوذ²⁶
- 2-8- الاستفهام في ست سور: هل أتى عم يتساءلون، هل أتاك، ألم نشرح، ألم تر، أرأيت²⁷
- 2-9- الدعاء في ثلاث سور: ويل للمطففين، ويل لكل همزة، تبت.²⁸
- 2-10- التعليل: لإيلاف قريش²⁹

- 20 الطور: " وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ " .
- 21 التين: " وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ " .
- 22 النازعات: " وَالنَّازِعَاتِ غَرْاقًا ﴿١﴾ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ " .
- 23 العاديات: " وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ " .
- 24 الإتيان ج 2 ص 449.
- 25 الواقعة: " إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ " ، المنافقون: " إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ " ، التكوير: " إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ " ، الانفطار: " إِذَا السَّمَاءُ انفطرت ﴿١﴾ " ، الانشقاق: " إِذَا السَّمَاءُ انشقت ﴿١﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ " ، الزلزلة: " إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زُلْزَالَهَا ﴿١﴾ النصر: " إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ " .
- 26 الجن: " قُلْ أُوْحِي إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ " ، اقرأ: " اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴿١﴾ " ، الكافرون: " قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ " ، الإخلاص: " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ لمعوذتان: الفلق: " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ " ، الناس: " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ " .
- 27 الإنسان: " هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ " النبأ: " عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ " العاشية: " هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَاشِيَةِ ﴿١﴾ " ، الشرح: " أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ " ، الفيل: " أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ " ، الماعون: " أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ﴿١﴾ " .
- 28 المطففين: " وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ " ، الهمزة: " وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ " ، المسد: " تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ " .
- 29 سورة قريش: " لإيلاف قريش ﴿١﴾ " .

لمحة عن الحروف المقطعة

1- تعريف الحروف المقطعة:

1-1- لغة:

إن مادة (ح،ر،ف) أينما وقعت في الكلام يراد بها حد الشيء وحدته، من ذلك حرف الشيء؛ إنما حدته وناحيته.¹

تجد في أساس البلاغة قول صاحبه " انحرّف عنه وتحرف، وحرّف القلم، وقلم محرّف، وحرّف الكلام، وكتب بحرف القلم، وقعد على حرف السفينة، وقعدوا على حروفها... هو على حرف من أمره أي على طرف... وناقاة حرف التي انتقلت من هزال إلى سمن"².

ولعل هذا القول يحمل عددا من معاني الحرف المتعددة، فتجده في الأفعال بمعنى الميل؛ تقول: انحرّف الشيء؛ مال، وعلى وزن تفعيل يأتي بمعنى: التغيير قال تعالى: "مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ.." ³ ويأتي بمعنى تغيير الموضع والموقع، ورد مثل ذلك في قوله تعالى: "إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ"⁴

ويأتي بمعنى جانب كل شيء وطرفه، وليس باطنه وقلبه وهذا يستفاد من الآية الكريمة "ومن الناس من يعبد الله على حرف"⁵ ومنه أيضا الشك والاضطراب وعدم الاستقرار، ويأتي أيضا بمعنى اللفظ والكلام، وربما اللغة كما ورد في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنه: "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقروا ما تيسر منه"⁶

ويأتي بمعنى الشفا، كشفا الجمل، وشفا الحرف، وشفا السفينة، وشفا السطح، وهذا يدل أيضا على التزلزل وعدم الاستقرار.

¹ ابن جني سر صناعة الإعراب: تحقيق مصطفى السقا وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط1-1954، ج1، ص 15.

² الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق عبد الرحيم محمود، دار المعرفة بيروت لبنان، ص 81

³ سورة النساء من الآية 46.

⁴ سورة الأنفال من الآية 16.

⁵ سورة الحج من الآية 11.

⁶ رواه البخاري (2287) ومسلم (818) وفسرت الأحرف هنا بلغة قريش وهذيل وهوزان واليمن وغيرها.

1-2- الحرف في الاصطلاح:

لعل المعنى الاصطلاحي للحرف هو أول معنى يتبادر إلى الذهن قبل المعنى اللغوي، فالعلاقة بينهما كثيرة، مما يشير بعدم انفصالهما في الدلالة، وفي هذا قال الباحث عوض حمد القوزي " لو سمعت كلمة الحرف فسيتبادر إلى ذهنك معناه الاصطلاحي قبل معانيه اللغوية"⁷

ويمكن أن يكون ذلك سببا في خلط الشريف الجرجاني بين المفهومين فيقول: "الحرف من كل شيء طرفه وشفيره وحده، وواحد من حروف الهجاء. سميت حروف التهجي بذلك لأنها أطراف الكلمة، ويستعمل في معنى الكلمة، يقال (إذا) مثلا حرف أي كلمة."⁸

أما عند النحاة فلعل أدق تعريف نجده في كتاب سيبويه حيث يقول: "فالكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل"⁹، ومثّل للحرف بواو الضم، لام الإضافة، ثم سوف ونحوها.¹⁰

والملاحظ في تعريف سبويه أنه إطلاق عام، فهو لم يحدّد المعنى الذي جاء به الحرف، هل في نفسه أم غيره؟ وإذا أردت مزيدا من التفصيل عند من جاء بعده من النحاة فلن تجد المبرد (295 هـ) يزيد شيئا.¹¹

وحتى الفارابي (ت 350هـ) أو أبا علي الفارسي (ت 377هـ) فهما لم يضيفا شيئا في هذا المجال غير عبارة زادها الفارسي " الحرف هو ما جاء لمعنى في غيره"¹².

يبدو أنه لا سبيل لنا إلا العودة إلى تعريفات الشريف الجرجاني لعلنا واجدون بعض التفاصيل، حيث نجده يقول: " ما دلّ على معنى في غيره، والحرف الأصلي ما ثبت في تصاريف الكلم تلفظا

⁷ المصطلح النحوي، نشأته وتطوره حتى القرن الثالث الهجري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر - ط1-1983، ص 22.

⁸ علي بن محمد الشريف: التعريفات، تحقيق عبد المنعم العفيفي، دار الرشد، القاهرة، ص 97.

⁹ سبويه أبو الفتح عثمان قنبر: الكتاب تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت ومكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988، ج 1، ص 10.

¹⁰ سبويه مرجع سبق ذكره، ص 12، 9.

¹¹ المقتضب، تحقيق عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب بيروت، ج1، الحروف ص 28.

¹² ينظر: سيميائية الحرف العربي قراءة في الشكل والدلالة، الأستاذة مزور دليلة، الملتقى الثالث " السيماء والنص الأدبي والعلوم

الاجتماعية والإنسانية، جامعة محمد خيضر، ص 262.

وتديرا، والحرف الزائد ما سقط في بعض تصاريف الكلمة، وحرف الجر ما وضع لإفضاء الفعل أو معناه إلى ما يليه نحو: مَرَرْتُ بِبَيْدٍ، وَأَنَا مَارٌّ بِبَيْدٍ¹³.

هذا من الناحية اللغوية؛ أما من الناحية الفيزيائية: فإن الحرف هو بما يمتاز الصوت عن صوت آخر مثله في الحدة والثقل تميزا في المسموع، لا يقال عروض الكيفية للصوت يستلزم قيام العرض بالعرض، لأن نقول: " اللام في الصوت لأجل التبعية، فالمعنى أن الحرف كيفية تعرض الجسم بتبعية الصوت فلا يلزم ما ذكره"¹⁴.

2- قداسة الحرف العربي:

يذهب بعض المؤرخين أن الله لما خلق آدم: " بث فيه أسرار الأحرف ولم ييث في أحد من الملائكة، فخرجت الأحرف على لسان آدم بفنون اللغات فجعلها صورا له، ومثلت له بأنواع الأشكال"¹⁵.

وتجد قولاً يؤكد ذلك في كثير من البحوث المهمة بهذه القضية بأن أول من وضع الخط العربي والسرياني "آدم عليه السلام قبل موته بثلاثمائة سنة، كتبه في الطين ثم طبخه، فلما انقضى ما كان أصاب الأرض من الغرق وجد كل قوم كتابهم فكتبوا به وكذا إسماعيل عليه الصلاة والسلام وجد كتاب العرب"¹⁶. ولعل الغرق هنا إشارة إلى الطوفان الذي أصاب الأرض في عهد نوح عليه السلام. وروى عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم أن إدريس أول من خط بعد آدم صلى الله عليه وسلم، وعن ابن عباس أن أول من وضع الكتابة العربية إسماعيل ابن إبراهيم عليهما السلام، وكان أول من نطق بها فوضعت على لفظه ومنطقه¹⁷.

يبدو أن معظم هذه النصوص تشير إلى المسحة الإلهية على الحروف العربية، نطقا وكتابةً، وتومئ إلى توقيفية اللغة العربية من عند الله وأن الإنسان ورثها عن الأنبياء الذين علمهم الله إيها دوناً عن الملائكة.

¹³ ص 97.

¹⁴ أبو البقاء الكفوي: الكليات، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1993، ص 393.

¹⁵ كامل سليمان الجبوري: أصول الخط العربي، نشأته وتطوره ونماذجه، منشورات دار الهلال، ص 28.

¹⁶ ابن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ج4 ص 157-156.

¹⁷ المرجع نفسه ج 4، ص 157

3- الكتابة والحرف العربي:

تعرف الكتابة على أنها رموز مرتبة للأصوات اللغوية المسموعة، بينما الكلام المنطوق هو موجات صوتية مسموعة متعارف عليها بين أبناء مجتمع لغوي واحد أو بين عدد من المجتمعات ذات الأصل الواحد أو اللغة المشتركة.¹⁸

ويعرّف الفلاسفة الخط على أنه: "تصوير اللفظ بحروف هجائية، وعند الحكماء هو ما له طول، لكن لا يكون له عرض ولا عمق، وهو الذي يقبل الانقسام طولاً لا عرضاً ولا عمقاً، ونهايته النقطة واعلم أن الخط والسطح والنقطة أعراض غير مستقلة الوجود على مذهب الحكماء، لأنها نهايات وأطراف للمقادير عندهم، فإن النقطة عندهم نهاية الخط، وهو نهاية السطح وهو نهاية الجسم التعليمي"¹⁹.

ويذكر ابن خلدون أنها: "رسم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس، فهو ثاني رتبة من الدلالة اللغوية، وهو صناعة شريفة إذ أن الكتابة من خواص الإنسان التي يتميز بها عن الحيوان، وأيضاً فهي تطلع على ما في الضمائر وتتأدى بها من الأغراض إلى البلد البعيد، فتقضي الحاجات"²⁰.

فعن ابن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لما خلق الله النون وهي الدواة وخلق القلم فقال اكتب، قال وما أكتب، قال اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة"²¹، وهذا الدليل يؤيد رأي

18 حلمي خليل: مقدمة لدراسة علم اللغة، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ط3، 2003، ص 29.

19 الشريف الجرجاني: التعريفات، تحقيق عبد المنعم الحنفي، دار الرشد، القاهرة، ص 111.

20 ينظر خالد قطيش: الخط العربي وآفاق تطوره-ديوان المطبوعات الجامعية-الجزائر، دط، دت، ص 18.

21 هو حديث صحيح ورد من رواية جماعة من الصحابة، فعن عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ: اُكْتُبْ، قَالَ: يَا رَبِّ، مَا أُكْتُبُ؟ قَالَ: اُكْتُبِ الْقَدَرَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الْأَبَدِ". رواه أحمد في مسنده: وقال حسن صحيح: "22199 حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن الهيعة عن يزيد بن أبي حبيب أن الوليد بن عبادة بن الصامت قال أوصاني أبي رحمه الله تعالى فقال يا بني أوصيك أن تؤمن بالقدر خيره وشره فإنك إن لم تؤمن أدخلك الله تبارك وتعالى النار قال وسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول أول ما خلق الله تبارك وتعالى القلم ثم قال له اكتب قال وما أكتب قال فاكتب ما يكون وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة"، وحديث: "أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ ثُمَّ خَلَقَ النُّونَ وَهِيَ الدَّوَاةُ وَذَلِكَ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: "ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ" ثم قال له: اُكْتُبْ. قَالَ: وَمَا أُكْتُبُ؟ قَالَ: مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ مِنْ عَمَلٍ أَوْ أَتْرٍ أَوْ أَجَلٍ. فَجَرَى الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. ثُمَّ خَتَمَ عَلَى الْقَلَمِ فَلَمْ يَنْطِقْ وَلَا يَنْطِقْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ خَلَقَ الْعَقْلَ"

القائلين بأن اللغة توقيف من الله الذي ألهم الإنسان التكلم والتفكير ويؤيد هذا الكلام قوله تعالى: " وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾" ²² ولعل هذه المسحة من القداسة التي اكتسبتها الحروف العربية هي التي تجعلنا نهتم بها ونفكر آلاف المرات ولا يطاوعنا عقلنا للتسليم بأنها من المتشابه الذي لا يمكن تفسيره.

6- علاقة الصوت بالشكل:

إن طبيعة العلاقة بين الحرف والصوت لا يكفي إدراك أسرارها أو الوقوف على ماهية العلاقة بينهما، ما لم نستقرئ الدراسات العربية القديمة ونقف على ما قاله اللغويون في هذا المجال وما خلصوا إليه من رأي يثبتون به أو ينفون هذه العلاقة.

ولعل النص المروي عن أبي الأسود الدؤلي أقدم ما وصل إلينا من النصوص التي تربط بين الصوت والصورة للحرف فذكر المبرد، قال أبو الأسود: " إذا رأيتني لفظت الحرف فضممت شفتي فاجعل أمام الحرف نقطة، فإذا ضممت شفتي بغنة فاجعل نقطتين، فإذا رأيتني قد كسرت شفتي فاجعل أسفل الحرف نقطة، فإذا كسرت شفتي بغنة فاجعل نقطتين، فإذا رأيتني قد فتحت شفتي فاجعل على الحرف نقطة، فإذا فتحت شفتي بغنة فاجعل على الحرف نقطتين." ²³

وامتدادا لهذا العمل جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170هـ) لاستكمال الشكل فاشتق الحركات من الحروف، حيث يقول المبرد: " الشكل الذي في الكتب من عمل الخليل وهو مأخوذ من

فَقَالَ الْجَبَّارُ مَا خَلَقْتُ خَلْقًا أَعْجَبُ إِلَيَّ مِنْكَ. وَعَزَّيْتُ لِأَكْمَلَنَّكَ فِيمَنْ أَحَبَّبْتُ وَأَلْتَقِصَنَّكَ فِيمَنْ أَبْغَضْتُ) ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أَكْمَلُ النَّاسِ عَقْلًا أَطْوَعُهُمْ لِلَّهِ وَأَعْلَمُهُمْ بِطَاعَتِهِ. وَأَنْقِصُ النَّاسِ عَقْلًا: أَطْوَعُهُمْ لِلشَّيْطَانِ وَأَعْلَمُهُمْ بِطَاعَتِهِ". محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت1250هـ) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ص478. (موضوع) قال ابن عدي: باطل منكر آفته محمد بن وهب الدمشقي. قال في الميزان: صدق ابن عدي في أن هذا الحديث باطل وقد أخرجه الدارقطني في الغرائب من طريقه. علي بن سلطان محمد القاري مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، سنة 2002م ج1 ص168.

ملاحظة: تجد المسألة بإسهاب عند جلال الدين السيوطي في كتاب المزهري في علوم اللغة و أنواعها، تحقيق: محمد جاد المولى، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، المكتبة العصرية، مصورة عن طبعة عيسى البابي الحلبي ج2 ص282، 341. ²² سورة البقرة الآية 31.

²³ عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: 444هـ): المحكم في نقط المصاحف، تحقيق: د. عزة حسن، دار الفكر، دمشق، ط2، 1407 المحكم في نقط المصاحف ص6. محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (ت328هـ): إيضاح الوقف والابتداء، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، مجمع اللغة العربية بدمشق سنة 1390هـ، ص40-41.

صور الحروف، فالضمة واو صغيرة في أعلى الحرف لئلا تلتبس بالواو المكتوبة، والكسرة ياء تحت الحرف، والفتحة ألف مبطوحة فوق الحرف²⁴.

والجميع يعرف أن الكسرة التي هي خط أفقي قصير تحت الحرف إشارة إلى كسر الشفتين ووضعها، أما الألف المبطوحة فهي مصطلح وضعه المبرد ليبدل به على انبطاح الشفتين عند النطق بالحرف المفتوح.

وترى الباحثة دليلاً مزووزاً: " أن بعض أشكال الحروف لها علاقة منطقية بالصوت مثل الواو واللام والسين والألف، فالواو تنطق باجتماع الشفتين مشكلة دائرة صغيرة ثم تنفرجان، فينخفض الحنك الأسفل الذي هو دليل الواو أو الانحراف الممتد والذي يشبهه في شكله حرفي الراء والزاي، أما اللام وهو حرف مجهور، يتشكل على مرحلتين هما:

- المرحلة الأولى: تلتصق مقدمة اللسان بسقف الحنك قريباً من اللثة فينحبس الهواء فيشكل الخط العمودي²⁵.

- المرحلة الثانية: ينفك اللسان وينفلت النفس نحو الخارج فيتشكل الخط المنعرج أسفل اللام ويرى الدكتور عباس حسن أن طريقة النطق بصوت اللام تماثل الأحداث التي يستمر فيها الالتصاق مما يجيز تصنيفها في فئة الحروف الإيمائية التمثيلية وهي هنا لمسية²⁶.

7- الحروف المقطعة:

²⁴ أبو عمرو الداني: المحكم في نقط المصاحف ص 07.

²⁵ سيميائية الحرف العربي، قراءة في الشكل والدلالة: أعمال الملتقى الثالث للسيميائيات والنص الأدبي، ص 280.

²⁶ عباس حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، دراسة منشورات اتحاد الكتاب، دط، ص 94.

7-1- القطع لغة:

إبانة بعض أجزاء الجرم من بعض فصلا. قطعه يقطعه قطعاً وقطيعة وقوطوعاً²⁷.

7-2- الحروف المقطعة اصطلاحاً:

هي حروف من حروف الهجاء ذكرها القرآن في مطلع بعض السور، وذلك في تسع وعشرين سورة، تتكون من حرف أو أكثر، ينطق كل حرف بمفرده.²⁸

وعلى هذا فإن الحروف التي افتتحت بها بعض سور القرآن الكريم تسمى بـ: الحروف المقطعة، أو حروف التهجي، وتسمى أيضاً بالحروف التورانية.

7-3- السور التي اختصها الله بالحروف المقطعة:

سبقت الإشارة إلى أن الحروف المقطعة خاصة في بعض فواتح السور المكية حيث يقول الزركشي في البرهان "كل سورة فيها حروف المعجم فهي مكية إلا البقرة وآل عمران وفي الرعد خلاف"²⁹

²⁷ ابن منظور: لسان العرب ج 2 ص 417.

ينظر: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت ج 1 ص 165²⁸

²⁹ ج 1 ص 188، وورد مثل ذلك عند السيوطي في الإتقان ج 1 ص 50.

أما بالنسبة للخلاف في كون هذه السورة مكية أو مدنية تجد في روح المعاني: "جاء عن طريق مجاهد عن ابن عباس، وعلي بن أبي طلحة أنها مكية، وروي ذلك عن سعيد بن جبير، قال سعيد بن منصور في سننه: حَدَّثَنَا أَبُو عُوَاةَ عَنْ أَبِي بَشِيرٍ قَالَ: سَأَلْتُ إِبْنَ جُبَيْرٍ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: "...وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾" هَلْ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بِنُ سَلَامٍ؟ فَقَالَ: كَيْفَ وَهَذِهِ السُّورَةُ مَكِّيَّةٌ؟ وَأَخْرَجَ مجاهد عن الزبير وابن مردويه عن طريق العوفي عن ابن عباس، ومن طريق ابن جريح وعثمان بن عطاء عنه وأبو الشيخ عن قتادة: أَنَّهَا مَدِينِيَّةٌ إِلَّا أَنَّ فِي رِوَايَةِ الْأَخِيرِ إِسْتِثْنَاءُ قَوْلِهِ تَعَالَى: "وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمٌ بِهِ الْمَوْتَى ۗ بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَنبَأِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٣١﴾" بِأَنَّهَا مَكِّيَّةٌ، وَرُوي أَنَّ أَوْلَهَا إِلَى آخِرٍ: (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ) مَدِينِيَّةٌ وَبَاقِيهَا مَكِّيَّةٌ. وفي الإتقان يؤيد القول بأنها مدنية ما أخرجه الطبراني وغيره عن أنس: أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: "اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامَ وَمَا تَزْدَادُ ۗ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾" إِلَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: "وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ

والسور المكية المستهله بالفواتح على المشهور في ترتيب النزول القلم (ن)، ق، ص، الأعراف (المص)، يس، مريم (كهيعص)، طه، الشعراء (طسم)، النمل (طس)، القصص (طسم)، يونس وهود ويوسف والحجر (الر)، لقمان (الم)، غافر وفصلت (عم)، الشورى (حم عسق)، الزخرف والدخان والجنات والأحقاف (حم)، إبراهيم (الر)، السجدة والروم والعنكبوت (الم) ثم السور المدنية البقرة وآل عمران (الم) ثم الرعد (الر)³⁰

7-4- الحروف المقطعة في الفواتح:

الترتيب حسب النزول (فيما بينها)	السور	البداية	الترتيب في المصحف	ترتيبها حسب النزول بين جميع السور	تصنيف السور حسب مكان النزول
1	القلم	ن	68	2	مكية
2	ق	ق	50	34	مكية
3	ص	ص	38	38	مكية
4	الأعراف	المص	07	39	مكية
5	يس	يس	36	41	مكية
6	مريم	كهيعص	19	44	مكية
7	طه	طه	20	45	مكية

خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾ "نَزَلَ فِي قِصَّةِ أَرْبَدِ بْنِ قَيْسٍ، وَعَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ حِينَ قَدِمَا الْمَدِينَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" ثم قال: والذي تجمع بين الاختلاف أنها مكية، إلا آيات منها وهي ثلاث وأربعون آية.

³⁰ ينظر: عائشة عبد الرحمن: الإعجاز البياني للقرآن الكريم ومسائل ابن الأزرق، دار المعارف، مصر، مكتبة الدراسات الأدبية

مكية	47	26	(طسم)	الشعراء	8
مكية	48	27	(طس)	النمل	9
مكية	49	28	(طسم)	القصص	10
مكية	51	10	الر	يونس	11
مكية	52	11	الر	هود	12
مكية	53	12	الر	يوسف	13
مكية	54	15	الر	الحجر	14
مكية	57	31	الم	لقمان	15
مكية	60	40	حم	غافر	16
مكية	61	41	حم	فصلت	17
مكية	62	42	حم عسق	الشورى	18
مكية	63	43	حم	الزخرف	19
مكية	64	44	حم	الدخان	20
مكية	65	45	حم	الجاثية	21
مكية	66	46	حم	الأحقاف	22
مكية	72	14	الر	إبراهيم	23

24	السجدة	الم	32	75	مكية
25	الروم	الم	30	84	مكية
26	العنكبوت	الم	29	85	مكية
27	البقرة	الم	02	86	مدنية
28	آل عمران	الم	03	87	مدنية
29	الرعد	المر	13	94	مدنية

أتضح من خلال الجدول كل الحروف المقطعة الواردة في فواتح السور مع بيان السور الواردة فيها و تصنيف هذه السور حسب نزولها.

7-5- السور المفتحة بالحروف المقطعة مكية أم مدنية:

لعلّ هذا الترتيب في نزول السور يوضح جزئية مهمة، وهي أنّه لما كانت حروف التهجي خاصية في السور المكية فإن ظهورها في الزهراوتين (البقرة وآل عمران)، وكذلك الرعد إنما هو مواصلة لما بدأ في مكة، كون هذه السور هي أول ما نزل في المدينة من بين التسع والعشرين (29) سورة. والسور المذكورة أواخر ما نزل بمكة من بين الخمس والثمانين 85 سورةً المكية، وذلك ما صنّفه العلماء ضمن ما أسماه بالفترة الثانية للسور المكية.

ولعل الجدول التالي يفي بالغرض حيث تجد سور القرآن المائة والأربع عشر مرتبة حسب نزولها، رقم ترتيب النزول يمين السورة ورقم ترتيبها في المصحف يسارها . والسور المكية باللون الأصفر، والمدنية باللون البنفسجي، ، والسور المفتحة بالحروف المقطعة بلون من تدريجات لون مكان النزول.

26	العلق	1	75	القيامة	31	41	فصلت	61	60	الممتحنة	91
68	القلم	2	104	الهمزة	32	42	الشورى	62	4	النساء	92
73	المزمل	3	77	المرسلات	33	43	الزخرف	63	99	الزلزلة	93
1	المدثر	4	50	ق	34	44	الدخان	64	57	الحديد	94
74	الفاتحة	5	90	البلد	35	45	الجاثية	65	47	محمد	95
111	المسد	6	86	الطارق	36	46	الأحقاف	66	13	الرعد	96
81	التكوير	7	54	القمر	37	51	الذاريات	67	55	الرحمن	97
87	الأعلى	8	38	ص	38	88	الغاشية	68	76	الإنسان	98
92	الليل	9	7	الأعراف	39	18	الكهف	69	65	الطلاق	99
89	الفجر	10	72	الجن	40	16	النحل	70	98	البيينة	100
93	الضحى	11	36	يس	41	71	نوح	71	59	الحشر	101
94	الشرح	12	25	الفرقان	42	14	إبراهيم	72	24	النور	102
103	العصر	13	35	فاطر	43	21	الأنبياء	73	22	الحج	103
100	العاديات	14	19	مريم	44	23	المؤمنون	74	63	المنافقون	104
108	الكوثر	15	20	طه	45	32	السجدة	75	58	المجادلة	105
102	التكاثر	16	56	الواقعة	46	52	الطور	76	49	الحجرات	106
107	الماعون	17	26	الشعراء	47	67	الملك	77	66	التحريم	107

108	التغابن	64	78	الحاقة	69	48	النمل	27	18	109 الكافرون
109	الصف	61	79	المعارج	70	49	القصص	28	19	105 الفيل
110	الجمعة	62	80	النبأ	78	50	الإسراء	17	20	113 الفلق
111	الفتح	48	81	النازعات	79	51	يونس	10	21	114 الناس
112	المائدة	5	82	الانفطار	82	52	هود	11	22	112 الإخلاص
113	التوبة	9	83	الانشقاق	84	53	يوسف	12	23	53 النجم
114	النصر	110	84	الروم	30	54	الحجر	15	24	80 عبس
			85	العنكبوت	29	55	الأنعام	6	25	97 القدر
			86	المطففين	83	56	الصفافات	37	26	91 الشمس
			87	البقرة	2	57	لقمان	31	27	85 البروج
			88	الأنفال	8	58	سبا	34	28	95 التين
			89	آل عمران	3	59	الزمر	39	29	106 قريش
			90	الأحزاب	33	60	غافر	40	30	101 القارعة

من خلال الجدول اتضح كيف أن عدا سورة القلم فترتيب نزول السور قيد الدراسة ابتداءً من 34 إلى 89 باستثناء سورة الرعد التي اختلفوا في مكان نزولها وباستبعاد الزهراوتين التين نزلتا بالمدينة؛ فأخر السور المعنيّة ترتبها 85 وهذا ما اصطلح عليه بالفترة الثانية للسور المكية.

8- أهم مميزات الفترة الثانية للسور المكية:

8-1- التأكيد على مبدأ وحدانية الله تعالى الذي أصبح الموضوع الرئيس، وتضاعف في الوقت نفسه التعريض الساخر بالآلهة المزعومة³¹.

³¹ قال الله تعالى في سورة الأعراف: "وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾" وقال في سورة هود: "... وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَأَلَمْ يَسْتَجِيبُوا

- 8-2- جاء وصف يوم الجزاء والثواب والعقاب أقصر مما كان عليه في سور الفترة الأولى.
- 8-3- زخرت سور هذه الفترة بتفاصيل أكثر قوة وأشد قدرة على بعث الذعر في نفوس المرتابين عن طريق ذكر قصص الأمم السالفة التي رفضت الاستماع إلى الأنبياء المرسلين فعوقبوا، والتذكير بالنبوءات السابقة التي أعرض عنها المشركون مع تشابه في مظهر تلك القصص وأسلوبها.³²
- 8-4- أسلوب هذه السور تميز بهدوء اللهجة وميل الآيات إلى الطول مع احتفاظها بموسيقاها وإيقاعها على الرغم من هدوء فواصلها وانحصارها في مجموعات يطغى على أواخرها "ين" و"ون".³³
- 8-5- ظهور أسماء الله الحسنى المزدوجة: "الغفور الرحيم"، "العليم الحكيم"³⁴.
- 8-6- اختفاء التراكيب التي تحفل بها نصوص الفترة السابقة أمثال الطامة والصاحّة والقارعة وعوّضتها تراكيب أخرى من قبيل: "الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ" وهذا ما نلمسه في السور التالية: الأعراف، يونس، هود، الرعد، إبراهيم، مريم، الشورى...³⁵

لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ "وقال أيضا:" وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۚ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ " وأيضاً:" وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۚ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَعِفَرُوهُ ثُمَّ ثَابَرُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿٦١﴾ " وفي سورة طه:"... وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنْهَرِفْتَهُ ثُمَّ لِنَسِفْنَهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ " وفي القصص:" وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْخُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾".

³² سيأتي بيان ذلك في الفصل الثاني في باب المناسبات بين السور.

³³ سيتم توسيع هذه النقطة في الفصل الأخير عن طريق جداول خاصة بفاصل بعض هذه السور.

³⁴ قال الله تعالى في سورة الأعراف: "وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۚ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٧﴾" وقال في سورة يونس: "وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۚ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَ لِفَضْلِهِ ۚ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾" وفي سورة هود: "وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾".

³⁵ قال الله تعالى في سورة الأعراف: "وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۚ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ يونس:" إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۚ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا ۚ إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾" هود:" إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۚ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾" الرعد:" الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسُنَ مَا بَدَأَ ﴿٢٩﴾" إبراهيم:" وَأَدْخَلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۚ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾" مريم:" إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾" الشورى:" تَرَىٰ الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا

8-7- مجادلة المشركين وتسفيه أحلامهم³⁶.

8-8- كثرة القسم جريا على أساليب العرب³⁷.

9- صيغ الحروف المقطعة:

المتفحص للجدول السابق يمكنه أن يأخذ صورة موجزة عن صيغ الحروف المقطعة التي افتتحت بها السور التسع والعشرون من القرآن الكريم، حيث أن منها البسيط والمركب وإليك تفصيل ذلك حسب تأليفها.

9-1- المؤلف من حرف واحد وذلك في ثلاث سور:

9-1-1- ص: " ص َّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ " .

9-1-2- ق: " ق َّ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ " .

9-1-1- ن: " ن َّ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ " .

9-2- من هذه الفواتح عشر مؤلفة من حرفين، سبع منها متماثلة تسمى الحواميم:

كَسَبُوا وَهُوَ وَاقَعُ بِهِمْ َّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ َّ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ َّ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ "

³⁶ في سورة **يونس**: " قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ َّ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ " وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ " **يوسف**: " قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ َّ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي َّ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ " **الحجر**: " فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ " **القصص**: " وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ َّ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ َّ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ " **الروم**: " مُبِينًا إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ " **الشورى**: " شَرَعَ لَكُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى َّ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ َّ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ َّ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُبِيبُ ﴿١٣﴾ " .

³⁷ **يوسف**: " قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ " وقوله: " قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذَكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ " **القلم**: " إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ " .

³⁸ ينظر عهود عبد الواحد: السور المدنية دراسة أسلوبية وبلاغية، دار الفكر، بيروت، ط1، 1999 ص17-

- 9-2-1- غافر: "حم ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾".
- 9-2-2- فصلت: "حم ﴿١﴾ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾".
- 9-2-3- الشورى: "حم ﴿١﴾ عسق ﴿٢﴾ كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ.. ﴿٣﴾".
- 9-2-4- الزخرف: "حم ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾".
- 9-2-5- الدخان: "حم ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾".
- 9-2-6- الجاثية: "حم ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾".
- 9-2-7- الأحقاف: "حم ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾".
- 9-2-8- طه: "طه ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿٢﴾".
- 9-2-9- النمل: "طس ٥ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾".
- 9-2-10- يس: "يس ﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾".

9-3- الفواتح المؤلفة من ثلاثة أحرف يجدها القارئ في ثلاث عشر سورة:

ست بدايتها: الم

- 9-3-1- البقرة: "الم ﴿١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۚ فِيهِ ۚ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾".
- 9-3-2- آل عمران: "الم ﴿١﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾".
- 9-3-3- العنكبوت: "الم ﴿١﴾ أَحْسِبَ النَّاسَ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾".
- 9-3-4- الروم: "الم ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾".
- 9-3-5- لقمان: "الم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾".
- 9-3-6- السجدة: "الم ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾".

خمس بلفظ الر:

- 9-3-7- يونس: "الر ٥ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾".
- 9-3-8- هود: "الر ٥ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾".
- 9-3-9- يوسف: "الر ٥ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾".
- 9-3-10- إبراهيم: "الر ٥ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ... ﴿١﴾".
- 9-3-11- الحجر: "الر ٥ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾".

واثنان تأليفهما طسم:

9-3-12- الشعراء: " طسم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ ".

9-3-12- القصص: " طسم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ ".

9-4-4-سورتان مفتحتان بأربعة أحرف:

9-4-1-الأعراف: " المص ﴿١﴾ كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ ﴿٢﴾ ".

9-4-2-الرعد: " المر ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ ۗ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ ۖ ﴿١﴾ ".

9-5- سورة مريم هي السورة الوحيدة المبدوءة بخمسة حروف مقطعة: "كهيعص ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ ".

ولما كان القرآن الكريم، عربيا وأسلوبه عربي على طريقة العرب في فنون كلامهم، وتنوع أساليبهم وتصرفهم فيه على طرق شتى ومذاهب متنوعة؛ من هنا جاءت فواتح السور على هذه الصيغ المتنوعة جريا على عادتهم في أساليب الكلام. وبما أن كلماتهم على حرف وحرفين إلى خمسة أحرف - ولم تتجاوز ذلك - سلك بهذه الفواتح ذلك المسلك. وقد فُصد بها التحدي والإعجاز. إذ لو كانت على غير الأسلوب العربي من بنية تراكيب كلماتهم وأساليبهم المتنوعة؛ لكان ذلك مضعفا لإعجازها وتحديها للعرب، ولوجد المشركون فيها ثغرة يطعنون بها القرآن العزيز³⁹.

وأكثر الحروف ورودا هي الألف ثم اللام، لكثرة وقوعهما في تراكيب الكلم ، إذا جاء في ثبات عشرة افتتاحيات وأقل الحروف ورودا الكاف والنون⁴⁰.

11-أيُّ الفواتح آيةٌ وأيّها جزءٌ من آية ؟

من بين الأحكام الخاصة بهذه الفواتح كون بعضها آيات وبعضها أجزاء من آيات وفي ذلك يقول الزركشي: ⁴¹ "الأول أن البصريين لم يعدّوا شيئا منها آية، أما الكوفيون: فمنها ما عدّوه آية، ومنها ما لم يعدّوه آية، وهو علم توقيفي لا مجال للقياس فيه، كعرفة السور"

³⁹ الأمر لا يخلُ من بعض المحاولات التي سيّمت الوقوف عليها في مكانها وهو الفصل الثاني في مقام تفسيرها. لكن هذه المحاولات قليلة ولم تلق صدق ورواجا يعتد به.

⁴⁰ ينظر: سهام خضر: الإعجاز اللغوي في فواتح السور ص124.

والبصريون حسب صاحب العنوان في القرآت السبع⁴² هم: أبو عمرو بن العلاء⁴³ والرواة المشهورون عنه، أما الكوفيون من القراء هم عاصم بن أبي النجود الأسدي⁴⁴ وحمزة بن حبيب⁴⁵ والكسائي،⁴⁶ والرواة المشهورون عنهم.

"أما معنى توقيفي فهذا يعني أنه لا مجال للقياس فيه لأنها من عند الله تعالى"⁴⁷، ويواصل الزركشي "أما (الم) فأية حيث وقعت في السور المفتحة بها وهي ست⁴⁸، وكذلك (المص) آية، و(المز) لم تعد آية، (الر) ليست بآية من سورها الخمس و (طس) ليست بآية في سورتها، و (طه) و (يس) آيتان، و(طس) ليست بآية، و(حم) آية في سورها كلها و(حم عسق) آيتان (كهيعص) آية واحدة و(ص) آية و(ق) و(ن) لم تعد واحدة منها آية، وإنما عدّ ما هو في حكم كلمة واحدة آية كما عدّ (الرحمن)⁴⁹ لوحده آية و(مدهامتان)⁵⁰ وحدها آيتان على طريق التوقيف". كان هذا كلام الزركشي؛ لكن المتفحص للمصحف الشريف يجد: "مُدْهَامَتَان ﴿٦٤﴾" آية واحدة لا آيتين، لكن القول بأن (مدهامتان) وحدها آيتان على التوقيف قال به غير واحد من العلماء، وتكاد تجد قولاً مطابقاً لما قاله الزركشي وهو قول الزمخشري: فإن قلت ما بالهم عدوا بعض هذه الفواتح آية دون بعض؟ قلت: وهذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور، أما (الم) فأية حيث وقعت

41 البرهان في علوم القرآن ج1 ص170-171.

42 أبو الطاهر إسماعيل بن خلف: العنوان في القراءات السبع، تحقيق زهير زاهد، عالم الكتب، بيروت 1985، ج1 ص40.

43 هو أبو عمرو بن عمار بن العريان المازني النحوي القارئ، اسمه زيان، ثقة، من علماء العربية مات 154هـ، ينظر: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت 852هـ): تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، ط1، 1986 ص582.

44 عاصم بن بختة وهو ابن أبي النجود الأسدي الكوفي أبو بكر المقرئ (ت 127هـ)، انظر ابن حجر تقريب التهذيب ج5، ص35-36.

45 حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات القارئ أبو عمارة الكوفي التميمي كان من علماء زمانه بالقراءات (ت 156هـ)، ينظر ابن حجر تقريب التهذيب، ج3 ص24-25.

46 الكسائي هو علي بن حمزة بن عبد الله بن قيس بن فيروز الأسدي الكوفي أحد أئمة القراءات والتجويد في بغداد أخذ القراءة من حمزة الزيات، مذاكرة، توفي سنة 180هـ انظر ابن حجر تهذيب التهذيب ج7 ص275-276.

47 الزركشي: الإتيان في علوم القرآن ص181.

48 ذكرت سابقاً وهي البقرة، آل عمران، لقمان، السجدة، العنكبوت، الروم بغير ترتيب.

49 سورة الرحمن الآية الأولى.

50 سورة الرحمن : الآية 64 .

من السور المفتوحة بها وهي ستُّ وكذلك (المص) آية، و(المر) لم تعد آية و(الر) ليست بآية في سورها الخمس، و(طسم) آية في سورتها و(طه) و(يس) آيتان، و(طس) ليست بآية و(حم) آية في سورها كلها و(حم عسق) آيتان و(كهيعص) آية واحدة، و(ص)، (ق)، (ن) ثلاثتها لم تعد آية، هذا مذهب الكوفيين، ومن عداهم لم يعدوا شيئاً منها آية⁵¹.

وبالنسبة لمدهامتان تجده يقول: فإن قلت: فكيف عدّ ما هو في حكم كلمة واحدة آية؟ قلت كما عدّ (الرحمن) وحده و(مدهامتان) وحدها آيتين عن طريق التوقيف.⁵²

قال الواحدي في البسط في أول سورة يوسف: "لا يعدّ شيء منها آية إلا في (طه) وسرّه أنّ جميعها لا يشاكل ما بعده من رؤوس الآي، فلهذا لم يُعدّ آيةً بخلاف (طه)، فإنها تشاكل كل ما بعدها"⁵³. ومن الواضح أنه أراد قوله تعالى: "طه ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا تَذِكْرَةً لِمَنْ يَخْشَى ﴿٣﴾ تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ ... وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٣﴾"⁵⁴. إذ توالفت فاصلة ثلاث عشرة آية على مد الحرف الأخير ألفاً. وطه في الآية الأولى - على أنها منتهية بالهاء - تقرأ بمد الهاء بألف ساكنة وكذلك أغلب آيات السورة.

و الجدول التالي يصنف الحروف باعتبارها آيات أو أبعاض آيات⁵⁵

الحروف حكمها السورة

⁵¹ أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (538هـ): الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: اعتنى به وخرّج أحاديثه وعلّق عليه خليل مأمون شيخنا، دار المعرفة، بيروت ج1 ص35، ومثله عند الألوسي شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت1270)، روح المعاني تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني عني بنشره وتصحيحه محمود شكري الألوسي، الطباعة المنبرية، دار إحياء التراث العربي بيروت24، ج1، ص105.

⁵² الزمخشري: المرجع نفسه ج1 ص35.

⁵³ نقلاً عن الزركشي الإتيقان ج1، ص181.

⁵⁴ سورة طه الآيات من1 إلى13.

⁵⁵ هذا عن الكوفيين، أنظر تفصيل ذلك عند ابن خالويه الحجة في القراءات السبع تحقيق عبد العال سالم مكرم، دار الشروق،

بيروت (ط3) 1979 ج1، ص153.

الم	آية	البقرة- آل عمران- العنكبوت- الروم- لقمان-
		السجدة
المص	آية	الأعراف
طسم	آية	الشعراء
حم	آية	غافر- فصلت- الزخرف- الدخان- الجاثية-
		الأحقاف
حم عسق	آيتان	الشورى
طه	آية	طه
يس	آية	يس
كهيعص	آية	مريم
الر	جزء من آية	يونس- هود- يوسف- إبراهيم- الحجر
الم	جزء من آية	الرعد
طس	جزء من آية	النحل
ص	جزء من آية	ص
ق	جزء من آية	ق
ن	جزء من آية	القلم

المبحث الثالث

أحكام عامة تخص الحروف المقطعة

- 12- أسماء أخرى عرفت بها الحروف المقطعة
- 13- استثناء الحروف المقطعة باسم الفواتح
- 14- قراءة الحروف المقطعة
- 15- معنى التقطيع
- 16- الحروف المقطعة في كلام العرب
- 17- علاقة الحروف المقطعة بظاهرة الاجتزاء
- 18- أي الفواتح آية وأيها جزء من آية؟
- 19- الفرق بين الأحرف السبعة و الحروف المقطعة
- 20- إعراب الحروف المقطعة
- 20- 1- القول بأنها حروف معربة
- 20- 2- القول بأنها أسماء
- 21- ترجمة الحروف المقطعة

أسماء أخرى عرفت بها الحروف المقطعة:

علمنا أن الحروف المقطعة اشتهرت باسم الفواتح، لكن آخرين استعملوا أسماء أخرى وقصدوا بها الفواتح. تجدد السيوطي مثلاً يسميها بـ: "أوائل السور" تارة وبـ: "الفواتح" تارة أخرى، ومن ذلك قوله: "ومن المتشابه أوائل السور، والمختار فيها أيضاً من الأسرار التي لا يعلمها إلا الله تعالى. أخرج ابن المنذر وغيره عن الشعبي أنه سئل عن فواتح السور فقال: ¹ "ولعل هذا الاسم (أوائل السور) مرجعه إلى قول أبي بكر الصديق: "في كل كتاب سرّ وسرّه في القرآن أوائل السور"².

وقد أورد الدكتور صبحي الصالح ³ قولاً للسهيلي يقول: لعل عدد الحروف التي في أوائل السور مع حذف المكرر للإشارة إلى بقاء الأمة، وليس المقام هنا لتفسير قوله في دلالة هذه الحروف على بقاء الأمة أم لا؛ لكن حسبنا قوله: "أوائل السور" فهذه تسميتها عنده.

وهناك من سماها: "حروف التهجي"، كقول علي بن أبي طالب: "إِنَّ لِكُلِّ كِتَابٍ صَفْوَةً وَصَفْوَةٌ هَذَا كِتَابِ حُرُوفِ التَّهْجِيِّ".⁴ ولعلّ هذه الأسماء التي استعملها العلماء لما كانوا بصدد دراسة أو تفسير هذه الحروف لا تعتبر مصطلحات وإنما هي تسميات استعانوا بها عند غياب توحيد المصطلح.

وعلى الرغم من أن التسميات تعددت، لكن الحروف التي ابتدأت بها بعض السور في كتاب الله؛ تجدد من يقول بشأنها: "تسمى الحروف التي افتتحت بها بعض سور القرآن الكريم بـ: "الحروف المقطعة" أو: "حروف التهجي"، ويرجع تسميتها بـ: "الحروف المقطعة" إلى بعض الصحابة -رضوان الله تعالى عنهم- فقد روي عن عمر وعثمان وابن مسعود رضي الله عنهم أنهم قالوا: "الحروف المقطعة من المكتوم الذي لا يفسر"⁵.

¹ الإتيان في علوم القرآن، 22- ص 308.

² ينظر: صبحي الصالح: مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، ص 236.

³ صبحي الصالح: مباحث في علوم القرآن، ص 236

⁴ صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص 237. وحديث ابن عباس مرفوع لا تجده في كتب الصحاح بينما نجده في بعض كتب التفسير ومنها: مجمع البيان في تفسير القرآن: لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت548هـ) تحقيق إبراهيم شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1997، ج 1، ص 32.

⁵ د. إحسان طه ياسين: الحروف المقطعة في القرآن الكريم، دراسة تفسيرية (مجلة جامعة السابع من أبريل) العدد 6 سنة 2004، ص 165. "، والحديث مرفوع لا تجده في كتب الصحاح بينما نجدها في بعض كتب التفسير ومنها: مجمع البيان في تفسير القرآن: لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ج 1، ص 32.

ولعلّ كون هذا الاسم متوارث من عند الصحابة جعله ينال هذا الرواج إذ المصطلحات الخاصة بالنحو ظهرت في مرحلة لاحقة جاءت بعد تفشي هذا الاسم وانتشاره وذلك حال دون استخدام مصطلح خاص بها، حيث ابتكر الدكتور حسني خليفة الرميح اسما جديدا لها ، حيث سماها ب: "المركبات الفريدة"، ويرى أن الاسم الأول -الحروف المقطعة- غير مناسب لها حيث يقول:⁶ " معالجة الفواتح من جهة شكلها الكتابي على هيئة حروف يتجلى في شيوخ مصطلح "الحروف المقطعة" بين عدد من المفسرين، مع ملاحظة أن ما وقع في عبارات المتقدمين من التصريح بحرفيتها محمول على المسامحة... فإطلاق المصطلح على ما يقابل الاسم والفعل والحرف عرف جديد اخترعه أئمة الصناعة وإنما الحرف عند الأوائل ما يتركب منه الكلم من الحروف المبسوطة وربما يطلق على الكلمة أيضا تجوزا".

والملاحظ في كلامه أنه _هو المعترض على مصطلح الفواتح والحروف المقطعة_ لم يستطع الاستغناء عن المصطلحين، حيث أن ما اقترحه لا يعتبر بديلا بل إضافة؛ فرب ملاحظ ينظر إلى قوله: "معالجة الفواتح" والثفاته بسيطة إلى عنوان المقال تؤكد ذلك "المركبات الفريدة في مفتحات السور القرآنية" ولعله اختار مصطلح مفتحات عوضا عن الفواتح درءا للشبهة؛ لكن ذلك لا يغني عنه شيئا فلا فرق عندنا بين الاثنين.

وتجد الباحث تارة أخرى يخترع مصطلحا آخر لكنه هذه المرة خاضع لمعايير علمية دقيقة إذ يقول: " يؤكد نظام اللغة أننا بإزاء وحدات أكبر من الحروف _بالمعنى الاصطلاحي المضيق_ فما اصطلح على تسمية حروفا مقطعة مكوّن في جميع صورته من أسماء الحروف التي يتضمن الواحد منها عددا من الفونيمات -نستخدم الفونيم بمعنى الوحدة الصوتية الصغرى- وليس من أصوات الحروف التي قد يتضمن الواحد منها فونيم واحد".

وعلى الرغم من سلامة هذا القول؛ يبقى نجاح المصطلح مرتحن بشيوعه ورواجه، ولم ينل هذا المصطلح رواجاً بل ولم يشع التعامل مع النص القرآني بالمصطلحات الحديثة، فما غادر الشعراء من متردّم، ولا ترك علماء الأمة شيئا يُصطلح عليه بمصطلح حديثٍ إلا وكان لهم فيه باع يغني عن النظريات الحديثة ومصطلحاتها، ولعل هذا ما جعل الباحث يرتبك هذا الارتباك في ابتكار المصطلحات، ثم لم يجد بداً من الرضوخ للأمر الواقع والتسليم بالمصطلح القديم بل والانتصار له،

⁶ المركبات الفريدة في مفتحات السور القرآنية "مقاربة صوتية" (الم) نموذجاً - جامعة تكريت للعلوم - عدد 4 نيسان المجلد 19 - ص

فقال: ⁷ " ومن الأكيد أن العلماء الذين أطلقوا مصطلح الحرف؛ قصدوا أسماء الحروف على عادتهم في الاختصار الذي تسمح به أعراف العربية، يدل على هذه الحقيقة أن بعضهم استعمل أسماء الحروف -أحياناً- ولا يعني كون الفواتح الواردة في أوائل بعض السور أكبر من الحروف -بمعناها المضيق- أنها كلمات أو جمل بالضرورة؛ إذ لا تسري عليها مركبات فريدة لا يوجد لها نظير فيما تبقى من متون الرسائل السابقة، ولم تجر بمثلها أساليب البشر، فهي بمثابة التاج الذي يبعث في عين الرائي معاني الفخامة"، ولعلّه بعد هذا لم يترك لنا قولاً فختام قوله كان مسكاً.

13- استئثار الحروف المقطعة باسم الفواتح:

بالرغم من أن فواتح سور القرآن تنوعت إلى غاية العشرة إلا أنك قد تجد بعض العلماء إنما يقصد بفواتح الحروف المقطعة فتجد مثلاً الدكتور صبحي الصالح يعقد لها فصلاً في كتاب مباحث في علوم القرآن عنونه بـ "لمحة خاطفة من فواتح السور" ⁸، ويقصد بها الحروف المقطعة دون سواها. حيث يقول في مستهله: " من خصائص السور المكية -كما رأينا- حروف التهجي يفتح الله بها مواضع من كتابه، وأهمية هذه الفواتح تحملنا على دراستها في بحث خاص نحاول أن نصل قبله إلى الحكمة وجودها".

وَرُبَّ قائل فيقول بأن الدكتور صبحي الصالح يقر بوجود الفواتح الأخرى يبرز ذلك من خلال قوله: "حروف التهجي يفتح الله بها مواضع من كتابه"، فأقول أن الذين اعتنوا بدراسة الحروف المقطعة وحدها وأطلقوا عليها اسم الفواتح إنما ذكروا ذلك من باب تسمية الجزء بالكل وليس جهلاً منهم ببقية الفواتح أو إنكارها. حيث يقول أحد الدارسين: " اعلم أننا إذا أطلقنا كلمة الفواتح انصرف اللفظ إلى عدة أنواع من الفواتح، وقد يخطئ البعض حيث يطلق هذا اللفظ ويقصره على الحروف المقطعة" ⁹، فنرد عليه بأن الحروف المقطعة استأثرت باسم الفواتح لأنها مثلت نسبة أعلى من غيرها.

فلا تخطئ مثل بنت الشاطي في أمر كهذا حين قالت: " ولعل أول ما لفتني إلى سر الحرف والكلمة وقفني أمام فواتح السور وهي الحروف المقطعة التي افتتحت بها ست وعشرون سورة مكية وثلاث من السور المدنية المبكرة"، لأنها استدركت حين قالت: "وهذا هو المشهور في تسمية الفواتح،

⁷ حسني خليفة الريمح: المركبات الفريدة في مفتتحات السور القرآنية "مقاربة صوتية" (الم) نموذجاً ص 180.

⁸ ص 234.

⁹ عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن، رسائل ابن الأزرق، دار المعارف -مصر، دط، دت- ص 126.

وإن كان البلاغي المصري ابن أبي الإصبع مؤلف بديع القرآن؛ قد صنف كتاباً عنوانه: "الخواطر السوانح في أسرار الفواتح"، وعنى بالفواتح: أنواع الكلام في مفتتح السور القرآنية، وقد نسّقها في عشرة أنواع¹⁰. وراحت تسوق الأنواع العشرة وتتقصاها في كتب الأولين.¹¹

فهي إذن ليست في غفلة عن بقية الفواتح، إنما الحروف المقطعة هي الفواتح المشهورة، وكيف لا تشتهر وقد احتلت صدارة تسع وعشرين سورة من أصل مائة وأربعة عشر وهذا ما يعادل ربع الفواتح تقريباً بنسبة 25,43٪.

14- قراءة الحروف المقطعة:

لم يرد في كتب الحديث أو التاريخ أو غيرها اختلاف في طريقة قراءة الحروف المقطعة¹²، مما يدل على قراءتهم الصحيحة لها، ولكن ما معنى أن تتبع الحروف بـ(المقطعة)؟

يذكر الدكتور إحسان طه ياسين¹³ أن معنى "مقطعة" هو: "كل حرف ينطق بمفرده، لأن الحروف لها أسماء ولها مسميات.. فالناس حين يتكلمون ينطقون بمسمى الحرف وليس باسمه، فعندما نقول (كتب) تنطق بمسميات الحروف، فإذا أردت أن تنطق بأسمائها قلت: كاف _ تاء _ باء، ثم إننا نجد فواتح السور التي تبدأ بأسماء الحروف أنّ الحروف تنطق بأسمائها، ونجد نفس الكلمة مثلاً في آية أخرى افتتحت بها سور أخرى لكنها تنطق بمسمياتها لا بأسمائها، ف (ألم) في أوائل بعض السور أولها سورة البقرة تنطق بأسماء الحروف (ألف، لام، ميم) بينما تنطقها بمسميات الحروف في سورة الشرح قال تعالى: " أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ " وفي أول سورة الفيل " أَلَمْ نَرَكَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ ".

ويرى هذا الباحث أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي جعل قراءة هذه الحروف على هذه الطريقة حيث يقول: "والذي جعل قراءة (ألم) في سورة البقرة بأسماء الحروف لا بمسمياتها، وفي سورة الشرح والفيل بمسميات الحروف هو رسول الله"، ثم يستدرك فيضيف الذي سمعه من جبريل

¹⁰ عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن، رسائل ابن الأزرق، دار المعارف - مصر، دط، دت - ص 126.

¹¹ بدر الدين الزركشي: الإتقان في علوم القرآن، وجمال الدين السيوطي: البرهان في علوم القرآن.

¹² باستثناء قراءة عبد الله بن مسعود الذي تصنف قراءته ضمن القراءات الشاذة، ومع هذا فاختلافه مع القراء بخصوص قراءة الحروف المقطعة اختص بجزئيات بسيطة تتعلق بضبط آخر حرف وما يترتب عليه من إعراب ولم يشمل طريقة القراءة على العموم، نجد ذلك مفصلاً في جانب إعراب هذه الحروف.

¹³ إحسان طه ياسين: الحروف المقطعة في القرآن، دراسة تفسيرية، جامعة تكريت للعلوم، العدد 4 نيسان المجلد 19، ص 173.

عليه السلام، عن الله تبارك وتعالى هكذا، بمعنى أن القرآن الكريم أصله السماع فلا يجوز أن تقرأه إلا بعد أن تسمعه لتعرف أن هذه تقرأ (ألف، لام، ميم) والثانية تقرأ (ألم) مع أن الكتابة في العصر الأول واحدة في الاثنين.

لكن العبارة الأخيرة فيها ما يقال، لأن رسم (الم) لم يتغير في المصحف لا في العصر الأول ولا في الأخير، فهي تكتب على هذه الشاكلة في جميع العصور إذ الرسم العثماني مجمع على توقيفيتها. بغض النظر عن توقيفية الرسم العثماني من عدمه فإن القول الأول للدكتور إحسان طه ياسين يستند إلى نصّ نقليّ هو حديث النبيّ صلى الله عليه وسلم المروي عن ابن مسعود: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لَا أَقُولُ (الم) حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَا مٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ"¹⁴.

ولعل هذا أشهر حديث للنبي صلى الله عليه وسلم تناول فيه الحروف المقطعة، لكن على صغر هذا النص؛ إلا أنه أيقونة في هذا الموضوع، حيث يعترف الذي لا ينطق عن الهوى بحرفية هذه الفواتح، ويعلم الأمة طريقة قراءتها، ويبرر بأن كل حرف مستقل بذاته.¹⁵

15- معنى التقطيع:

معنى مقطعة هو أن كل حرف ينطق بمفرده "لأن الحروف لها أسماء ولها مسميات، فالتناس حين يتكلمون ينطقون بمسمى الحرف وليس باسمه، فعندما تقول (كتب) تنطق بمسميات الحروف، فإذا أردت أن تنطق بأسمائها تقول كاف وتاء وباء، فالألفاظ التي يتهجى بها أسماء، مسمياتها الحروف التي رُكّب الكلام منها، ولا ينطق بأسماء الحروف إلا من تعلم ودرس، أما ذلك الذي لم يتعلم فقد ينطق بمسميات الحروف ولكنه لا ينطق بأسمائها".¹⁶

¹⁴ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍِ الْحَنْفِيُّ ، حَدَّثَنَا الضَّحَّاكُ بْنُ عُثْمَانَ ، عَنْ أَيُّوبَ بْنِ مُوسَى ، قَالَ : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ كَعْبِ الْفَرَزِيِّ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ ، يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ، لَا أَقُولُ الْم حَرْفٌ ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَا مٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ " وَيُرْوَى هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، وَ رَوَاهُ أَبُو الْأَحْوَصِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، رَفَعَهُ بَعْضُهُمْ وَ وَقَفَهُ بَعْضُهُمْ ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ أَبُو عِيْسَى : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ ، سَمِعْتُ فُتَيْبَةَ بْنَ سَعِيدٍ ، يَقُولُ : بَلَغَنِي أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ كَعْبِ الْفَرَزِيِّ وُلِدَ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ يُكْنَى أبا حَمْرَةَ . محمد بن عيسى بن سورة، أبو عيسى الترمذي (ت279هـ) الجامع الكبير المعروف ب: سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، شرح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير : كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن.. (حديث مرفوع) رقم الحديث: 2854.

¹⁵ملاحظة: سيتم بيان قراءة كل فاتحة من هذه الفواتح المقطعة بالتفصيل المملد والوقف والضبط بالشكل في الفصلين المواليين.

¹⁶ د. إحسان طه ياسين، الحروف المقطعة في القرآن الكريم دراسة تفسيرية (ألم) نموذجاً ص 171.

من هنا ندرك الفرق بين أسماء الحروف ومسمياتها عند الدكتور إحسان طه فما اصطلاحنا على تسميته بـ "الحروف المقطعة" سماه هو "أسماء الحروف".

والمراد بالتقطيع: هو أن كل حرف ينطق بمفرده؛ لأن الحروف لها أسماء خاصة بها والناس حين ينطقون حرفاً واحداً فإنهم ينطقون باسمه لا بلفظه فيقولون عن حرف (ع) حين النطق به (عين)، وعن حرف (ح) يقولون (حاء)، وكذلك الحال بالنسبة للحروف الباقية على حد سواء، وسميت بفواتح القرآن، وفواتح السور لأن فاتحة كل شيء مبدؤه الذي يُفْتَحُ به ما بعده، يقال افتتح فلان كذا أي ابتدأه، وفتح عليه كذا أي أعلمه ووقفه عليه، قال تعالى: "...أَتَحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ.." 17.

ذكر الدكتور زكي مبارك عدداً من الصفات التي تفرّد بها القرآن الكريم عن الآثار الشريفة فكان منها الابتداء بهذه الحروف، إذ يقول: "إنّ هذا النوع من الابتداء لم نجده في النصوص الأدبية الجاهلية ولا الإسلامية.. ويواصل"..." يجب أن نأخذ هذه الحروف بمنظور التوفيقية في القراءة فهي مفتاح التفسير فأنت في نطقك ألف، لام، ميم كل حرف على حده، وهذا يمنع -من وجهة نظره- تفسير هذه الحروف مركبة بل مقطعة كما تنطقها ولما لا نقول أن هذه الحروف هي شفرة لكلمات طويلة كما نقول في علم الوراثة عن الحمض النووي (DNA) ولا ننطقه (دنا) بل كل حرف على حده لأنها اختصار لعبارة: "Deoxyribo Nucleic Acid". 18.

ويجدر التذكير بالغرض الأصلي لسوق نص الدكتور زكي مبارك وهو تفسير التقطيع اللفظي، إذ تعدّ في هذا المقام مسألة التفسير المقطّع على غرار القراءة المقطعة، ومسألة التشفير عن طريق الحروف المقطعة على غرار الـ: ADN _ على الرغم من أهميتها التفسيرية _ مسألة جانبية ليس المقام مؤاتياً لشرحها.

16- الحروف المقطعة في كلام العرب:

أحدثت ظاهرة الحروف المقطعة لغطاً كبيراً بين علماء اللغة بعد عصر النبوة، لكن الغريب في الأمر أن العرب لم يستهجنوها أيام نزولها ولم يذكر أنّهم استغربوا نزولها، حتى المشركون الذين كان بإمكانهم استغلالها لفتح باب الطعن في قرآنا الكريم لم يتعرضوا لها، وتقبلهم إياها -آنذاك- دليل

17 إحسان طه ياسين الحروف المقطعة في القرآن الكريم-ص 77.

18 عبد الحفيظ أحمد العمري، من أسرار الحروف المقطعة، دط.دص.دت.

على وجودها في كلامهم حتى وإن كانت النماذج قليلة. ولا يخفى على أحد قول ابن عباس الشهير: "إِذَا سَأَلْتُمُونِي عَنِ غَرِيبِ الْقُرْآنِ فَالْتَمِسُوهُ فِي الشِّعْرِ فَإِنَّ الشِّعْرَ دِيْوَانُ الْعَرَبِ".¹⁹ فلنعد إلى ديوان العرب إذن ونتقصى هذه الظاهرة. وهنا نكتشف:

1-16- علاقة الحروف المقطعة بظاهرة الاجتزاء:

الباحث عن وجود الحروف المتقطعة في الشعر لا يجدها ماثورة في دواوين الشعراء؛ لكنه يجدها ماثورة في كتب النحو كشواهد على ظاهرة الاجتزاء. وهي إحدى ظواهر علم الصرف، إذ تدور علتها حول الخفة والثقل في النطق.

والاجتزاء ضربان:

1-1-16- حذف حرفين من آخر الكلمة

1-2-16- حذف لا تنقص منه أحرف الكلمة إلا واحدا منها ويراد به لفظها.²⁰

ويسمى الضرب الثاني قطعاً عند النحاة القدماء، قال سيبويه بعد أن ذكر سماعه من العرب يقول: "ألا تا بلى فا"، وإنما أرادوا ألا تفعل وبلى فافعل، ولكنه قُطِع.²¹ وقال ابن جنى بعد أن ساق قول العرب الذي سمعه عن سيبويه: "فيكون على هذا، أي قد قطع وأغنى"²²، وسماه الزركشي اقتطاعاً، قال: "الاقتطاع وهو ذكر حرف من الكلمة وإسقاط الباقي".²³ وهاتان التسميتان (الاجتزاء/الاقتطاع) تتفقان والمعنى اللغوي للقطع إذ "القطع إبانة بعض أجزاء الحروف من بعض فصلاً"²⁴، وقد سمى العلماء الحروف الهجائية المجتزأ بها حروفاً مقطّعة.²⁵

¹⁹ قال ابن عباس: الشِّعْرُ دِيْوَانُ الْعَرَبِ فَإِذَا خَفِيَ عَلَيْنَا الْحَرْفُ مِنَ الْقُرْآنِ - الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ بِالْعَرَبِ - رَجَعْنَا إِلَى دِيْوَانِهَا ، فَالْتَمَسْنَا مَعْرِفَةَ ذَلِكَ مِنْهُ . ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْ طَرِيقِ عِكْرَمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : إِذَا سَأَلْتُمُونِي عَنِ غَرِيبِ الْقُرْآنِ فَالْتَمِسُوهُ فِي الشِّعْرِ ، فَإِنَّ الشِّعْرَ دِيْوَانُ الْعَرَبِ . وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ فِي فَصَائِلِهِ : حَدَّثَنَا هَشِيمٌ ، عَنْ حَصِينِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : أَنَّهُ كَانَ يَسْأَلُ عَنِ الْقُرْآنِ فَيُنْشِدُ فِيهِ الشِّعْرَ . عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ) الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتاب العربي، 1999م، ج1 ص390.

²⁰ إبراهيم محمد عبد الله: ظاهرة الاجتزاء ببعض الكلمة، مجلة جامعة دمشق، المجلد 20 العدد (403) 2004 - ص 89.

²¹ الكتاب سيبويه أبو بشر عثمان قنبر الكتاب - تحقيق عبد السلام هارون مؤسسة الأعلمي - بيروت (ط2-1387هـ)

²² ابن جنى، ويأتي الاجتزاء في الاسم المنادى المرخم وغير المرخم

²³ بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن

²⁴ لسان العرب ج 7 ص418 مادة قطع

²⁵ إبراهيم محمد عبد الله: ظاهرة الاجتزاء ببعض الكلمة، (مرجع سابق) ص 89.

وقال ابن منظور عن الاجتزاء: "اجتزأت بكذا وكذا وتجزأت به: اكتفيت".²⁶
ويكون الترخيم بحذف حرف واحد من آخر الاسم المنادى نحو: يا حار، يا فاطم، في حارث
وفاطمة، أو بحذف حرفين من آخر الاسم المنادى نحو: يا مَنْصُ ويا أَسْمُ ويا مَرُو في منصور وأسماء
ومروان، وهذان الوجهان قياسيان عند النحويين، وأجاز الكوفيون ترخيم الاسم المضاف إلى الاسم
المنادى، نحو قول زهير بن أبي سلمى:

حُدُوا حَظَّكُمْ يَا آلَ عِكْرِمَ وَاذْكُرُوا
أَوَاصِرَنَا وَالرَّحْمَ بِالْعَيْبِ تُذَكِّرُ²⁷

أراد عكرمة

فهذا البيت ورد كشاهد نحوي على ظاهرة ترخيم المضاف إلى منادى لكن الترخيم لا يوضح
ظاهرة الاقتطاع (الحروف المقطعة)، إنما يفيدنا النوع الثاني منه مثل اقتطاع حرفين من آخر الكلمة
وذلك نحو قول لبيد: دَرَسَ الْمَنَا بِمُتَالِعٍ فَأَبَانَ وَتَقَادَمَتْ بِالْحَبْسِ فَالسُّوبَانَ²⁸
أراد المنازل فحذف الزاي واللام.

وقول علقمة بن عبدة: كَأَنَّ إِرْبِقَهُمْ ظِيٌّ عَلَى شَرَفٍ مُقَدَّمٌ بِسَبَابِ الْكُتَّانِ مَلْئُومٌ²⁹

أراد: بسباب حذف الهمزة والباء.

وقول الطرماح: تَتَّقِي الشَّمْسَ بِمَدْرِيَّةٍ كَالْحَمَالِيحِ بِأَيْدِي التَّلَامِ.³⁰

وأراد التلاميذ.

وما نحن بصدده ما روي عن ابن عباس من أن قوله تعالى: (ألر) و (حم) و (ن) حروف
مقتطعة من اسم الرحمن ومنه أيضا الحديث المروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو: "كَفَى
بِالسَّيْفِ شَأً" أي شاهداً.³¹

²⁶ ابن منظور: لسان العرب، ج3 ص 314 مادة جزأ

²⁷ زهير بن أبي سلمى ربعة بن رياح بن قرّة بن الحارث بن إلياس بن نصر بن نزار، المزني، من مضر (ت609م): ديوان زهير بن أبي

سلمى، تحقيق: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، ط1، 1988 مبيروت، ص57.

²⁸ لبيد بن ربعة العامري (ت661م) ديوان لبيد، دار صادر، بيروت، دط، دت، 61 ص ومعناه: تماكنت المنازل بأبان والمتالع والحبس وهي
جبال بالبادية، والسوبان وإد لبني تميم .

²⁹ الأعلام الشنتمري: شرح ديوان علقمة بن عبدة الفحل، قدم له ووضع هوامشه وحواشيه د/حنا نصر الجي، دار الكتاب العربي،
بيروت، ط1، 1992م ص 46. وفيه يشبه الشاعر ساقيه بالضبي الذي ألجم بقطعة قماش في فمه كيلا يسقط من ريقه في الكأس.

³⁰ الطرماح بن حكيم بن الحكم بن نفر بن قيس الطائي: ديوان الطرماح: تحقيق: د/عزة حسن، دار الشرق العربي، ط2، ص1994م،
ومعناه: أنّ الظباء تتقي الشمس بمدريتها وهي قرونها التي تشبه الحماليح وهي منافخ الصاغة في أيدي تلاميذهم .

وأما ما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم "يا أبا هريرة" ³²، في ندائه أبا هريرة. فليس من باب الاقتطاع - إنما هو ترخيم للمنادى، فإذا الحاكم روى عن أبي هريرة أنه قال "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُونِي أبا هريرة، وَيَدْعُونِي النَّاسُ أبا هريرة".

31 "رُوي أَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ وُجِدْتُ مَعَ امْرَأَتِي رَجُلًا، أَمَهُلُهُ حَتَّى آتِي مَعِيَ بِأَزْوَاجِ شُهَدَاءِ؟ قَالَ: "كَفَى بِالسَّيْفِ شَأً"، أَرَادَ أَنْ يَقُولَ شَاهِدًا، فَقَطَعَ الْكَلِمَةَ، ثُمَّ قَالَ: "حَتَّى يَأْتِي بِأَزْوَاجِ شُهَدَاءِ"، عبد الرزاق في "مصنفه" عن معمر، عن كثير بن زياد، عن الحسن؛ أنه سُئِلَ عَنْ الرَّجُلِ يَجِدُ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا، فَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كَفَى بِالسَّيْفِ شَأً، يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ شَاهِدًا، فَلَمْ تَيَمِّ الْكَلِمَةَ". أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري البجلي الصنعاني (المتوفى: 211هـ): المصنف (تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، لمجلس العلمي، الهند، بطلب من: المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1403 ج9 ص434، كتاب العقول: باب الرجل يجد على امرأته رجلاً، حديث [17918]).

وعن معمر عن الزهري أنه ذكر قول سعد بن عبادَةَ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "يَأْتِي اللَّهُ إِلَّا الْبَيِّنَةَ"، وأصل الحديث في "صحيح مسلم" من حديث أبي هريرة: أن سعد بن عبادَةَ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: لَوْ آتَى وَجَدْتُ مَعَ امْرَأَتِي رَجُلًا، أَمَهُلُهُ حَتَّى آتِي بِأَزْوَاجِ شُهَدَاءِ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نَعَمْ...". ورواه أبو داود من حديث عبادَةَ بن الصامت ولفظه: قال ناس لسعد بن عبادَةَ: يا أبا ثابت، قد نزلت الحدود، فلو أنك وجدت مع امرأتك رجلاً، كيف كنت صانعاً؟ قال: كنت ضارهما بالسيف حتى يسكنا، فأنا ذاهب فأجمع أربعة شهداء؟ فإذا ذلك قد قضى الآخر حاجته وانطلق؟ فاجتمعوا عند رسول الله، فقالوا: ألم تر ما قال أبو ثابت؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كَفَى بِالسَّيْفِ شَاهِدًا" ثم قال: "لَأَخَافُ أَنْ يَتَّبَعَ فِيهِ السَّكْرَانُ وَالغَيْرَانُ"، وأحمد من حديث سعيد بن سعد بن عبادَةَ ولم أر قوله: "كَفَى بِالسَّيْفِ شَأً"، على الاكتفاء كما سبق، إلا في مرسل الحسن المتقدم. أخرجه مسلم [383/5 - نووي]، كتاب اللعان، حديث [1498/14]، وأبو داود [181/4]، كتاب الديات: باب في من وجد مع أهله رجلاً أيقنته؟ حديث [4532]، وابن ماجه [868/2]، كتاب الحدود: باب الرجل يجد مع امرأته رجلاً [2605]، والبيهقي [337/8]، كتاب الأشربة: باب الرجل يجد مع امرأته الرجل فيقتله [10/147]، كتاب الشهادات: باب الشهادة في الزنا. كلهم من طريق عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه

32 ونص الحديث: حدثني أبو نعيم حدثنا عمر بن ذر حدثنا مجاهد أن أبا هريرة كان يقول: اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنْ كُنْتُ لَأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْجُوعِ وَإِنْ كُنْتُ لَأَشُدُّ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الْجُوعِ وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِمُ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِشِبَعِي، فَمَرَّ يَوْمًا فَمَرَّ بِأَبِي الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَبَسَّمَ حِينَ رَأَيْتِي وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي وَمَا فِي وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ: يَا أبا هريرة؛ قُلْتُ: لَبَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الْحَقُّ، وَمَضَى فَتَبِعْتُهُ فَدَخَلَ فَاسْتَأْذَنَ فَأَدِنَ لِي فَدَخَلَ فَوَجَدَ لَبْنًا فِي قَدَحٍ فَقَالَ مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ قَالُوا أَهْدَاهُ لَكَ فُلَانٌ أَوْ فُلَانَةٌ، قَالَ: يَا أبا هريرة؛ قُلْتُ لَبَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الْحَقُّ إِلَى أَهْلِ الصَّقَّةِ فَادْعُهُمْ لِي قَالَ وَأَهْلُ الصَّقَّةِ أَصْبَافُ الْإِسْلَامِ لَا يَأْوُونَ إِلَى أَهْلِ وَلَا مَالٍ وَلَا عَالِي إِذَا أَنْتَهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَسَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا وَإِذَا أَنْتَهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا... قَالَ: يَا أبا هريرة؛ قُلْتُ: لَبَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ خُذْ فَأَعْطِهِمْ، قَالَ: فَأَخَذْتُ الْقَدَحَ فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرَوْى ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ فَأَعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ حَتَّى يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ حَتَّى أَنْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ رَوَى الْقَوْمُ كُلُّهُمْ فَأَخَذَ الْقَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ فَنَظَرَ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ فَقَالَ: يَا أبا هريرة؛ قُلْتُ: لَبَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: بَقِيْتُ أَنَا وَأَنْتَ، قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: افْعُدْ فَاشْرَبْ، فَفَعَدْتُ فَشَرِبْتُ فَقَالَ: اشْرَبْ فَشَرِبْتُ فَمَا زَالَ يَقُولُ: اشْرَبْ حَتَّى قُلْتُ لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَحَدٌ لَهُ مَسْلُكًا، قَالَ: فَأَرِنِي، فَأَعْطَيْتُهُ الْقَدَحَ فَحَمِدَ اللَّهُ وَسَمَى وَشَرِبَ الْفَضْلَةَ". محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي: صحيح البخاري: باب كيف كان عيش النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتخليهم من الدنيا حديث رقم 6087، ج 4، ص: 2371

ومنه أيضا ما أحدثه العرب على الاسم (أيمن) من حذف، إذ قالت فيه: أيم الله و مُ الله و م ربه، فتارة أبقته على حرفين وتارة على حرف واحد، قال ابن يعيش: "فقالوا مرة أيمن الله ومرة أيم الله بحذف النون ومرة أيم الله بالكسرة ومرة مُ الله ومرة م الله ومرة مُن ربي ومرة من ربي، فلما حذفوه هذا الحرف المفرط واختاروه مرة على حرفين ومرة على حرف كما تكون الحروف، قَوِيَّ شَبَهُ الحرف عليه ففتحوا أَلْفَهُ تشبيهاً بالهمزة الداخلة على لام التعريف".³³

وقال المبرد: "ومنهم من يحذف أي الاسم حتى يصير على حرف علما بأنه لا ينفصل بنفسه فيقول م الله لأفعلن"³⁴. وهذا هو الضرب الأول من ضرب الاجتزاء الواقع في غير ترخيم الاسم المنادى.

أما الضرب الثاني: الذي أُبقي فيه حرف من الكلمة أو الجملة وأريد به لفظهما، وهو ما سيأتي في الكلام عليه فيما سيأتي:

يحذف في هذا النوع من الاجتزاء أحرف الكلمة إلا واحدا منها، يوقف عليه ويستدل به على الكلمة بتمامها، فمما ورد عن العرب أنها وقفت على الحروف وأرادت به لفظ الكلمة التي هو منها وحذفت سائر الأحرف، قال سيبويه في الباب الذي سماه باب إرادة اللفظ بالحرف الواحد: "وسمعت من العرب من يقول: ألا تا، بلى فاء، فإنما أرادوا ألا تفعل، بلى فافعل، ولكنه قُطِع كما كان قاطعا بالألف في أنا، وشاركت الألف الهاء كشركتها في قوله: أنا بينها بالألف كتيبائهم بالهاء في هيئه، هُئِه، قال الراجز:

بِالْحَيْزِ حَيْرَاتٌ وَإِنْ شَرًّا فَآ
وَلَا أُرِيدُ الشَّرَّ إِلَّا أَنْ تَا

يريد: إن شرًّا فشرًّا، ولا يريد الشرَّ إلا أن تشاء.³⁵

³³ أبو البقاء محمد بن علي ابن يعيش (ت634هـ) شرح المفصل للزمخشري قدّم له إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2001، ج1، ص5، ج246. أَيْمُنُ اسْمٌ وُضِعَ لِلْقِسْمِ، هَكَذَا بَضَمَ الْمِيمِ وَالنُّونَ وَأَلْفَهُ أَلْفٌ وَصَلَّ عِنْدَ أَكْثَرِ النَّحْوِيِّينَ، وَمَ يَجِيءُ فِي الْأَسْمَاءِ أَلْفٌ وَصَلَّ مَفْتُوحَةً عَرَبِيًّا؛ قَالَ: وَقَدْ تَدَخَّلَ عَلَيْهِ الْأَلَامُ لِتَأْكِيدِ الْإِبْتِدَاءِ تَقُولُ: لَيْمُنُ اللهُ، فَتَذْهَبُ الْأَلْفُ فِي الْوَصْلِ وَرُبَّمَا حَذَفُوا مِنْهُ النَّونَ قَالُوا: أَيْمُ اللهُ وَإَيْمُ اللهُ أَيْضاً، بِكَسْرِ الْأُهمزة، وَرُبَّمَا حَذَفُوا مِنْهُ الْبَاءَ، قَالُوا: أُمُ اللهُ، وَرُبَّمَا أَبَقُوا الْمِيمَ وَحَدَّهَا مَضْمُومَةً، قَالُوا: مُ اللهُ، ثُمَّ يَكْسِرُونَهَا لِأَنَّهَا صَارَتْ حَرْفًا وَاحِدًا فَيَشَبُهَوْنَهَا بِالْبَاءِ فَيَقُولُونَ م اللهُ، وَرُبَّمَا قَالُوا مُنُ اللهُ، بَضَمَ الْمِيمِ وَالنُّونَ، وَمَنْ اللهُ بَفَتْحِهَا، وَمِنْ اللهُ بِكَسْرِهَا.

³⁴ أبو العباس محمد بن يزيد (ت285): المقتضب، تحقيق: حسن حمد، مراجعة: إميل بديع يعقوب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ج1، ص598.

³⁵ الكتاب: سيبويه أبو بشر عثمان قنبر الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون مؤسسة الأعلمي، بيروت (ط2-1387هـ ج2 ص35). وقد نسب البعض البيت للبيد، وغيرهم نسبه لزهير، لكنّ المرشحين يرون أنه للقيم بن أوس من بني أبي ربيعة بن مالك.

وهذا شاهد نحوي على أنّ (فاء الجزاء) الفاء الرابطة لجواب الشرط نزلت منزلة الحرف من الكلمة حيث حذفت شرّاً وتركت الفاء للدلالة على كلمة فشرّ.

ومن ذلك أيضاً ما رواه ابن جني عن أن العرب تجتزئ بحرف عن الكلمة لكنها تأتي باسم ذلك الحرف لا بلفظه وشاهده النحوي قول الراجز: " قُلْنَا لَهَا قَفِي قَالَتْ قَافٌ " أي وقفت، فأتى الراجز باسم الحرف (ق) لا بلفظه³⁶.

واصل ابن جني: "لو نقل إلينا هذا الشاعر شيئاً آخر من جملة الحال فقال مع قوله: قالت قاف وأمسكت بزمام بعيرها، أو عاجته علينا، لكان أبين لما كانوا عليه وأدّل على أنها أرادت وقفت وتوقفت، دون أن يُظنَّ أنها أرادت قفي لنا، أي يقول لي: قفي لنا متعجبة منه، وهو إذ شاهدها قد وقفت علم أن قولها: قاف إجابة له لا ردّاً لقوله وتعجب منه في قوله قفي لنا"³⁷.

وكلام ابن جني هذا يخفي عدم رضاه عن بعض مواضع استعمال هذا الحرف إذ لا بد له من قرائن مقاميه تخفي عند الكتابة.

ومما اكتفت فيه العرب بحرف واحد من الكلمة ما يروى عن الراجز:

مَا لِلظَّلِيمِ عَالٍ كَيْفَ لَا يَا يَنْقُدُ عَنْهُ جِلْدُهُ إِذَا يَا
نَادَوْهُمْ أَنْ الْجُمُوعُ أَلَا تَا قَالُوا جَمِيعاً كُلُّهُمْ أَلَا فَا

أراد كيف لا يأثم، و إذا يجري و ألا تركبون وزاد على اقتطاعه من كل كلمة حرفاً للدلالة عليها أنّ حذف جملة (اركبوا) وأبقى حرف الفاء فقال ألا فأي ألا فاركبوا.³⁸

ومما نحن فيه من الاجتزاء والخبر الذي رواه الطبري قال حدثني يعقوب بن إبراهيم قال: حدثنا ابن علي عن أيوب وابن عوف عن محمد قال: لما مات يزيد بن معاوية قال لي عبيدة: إني لا أراها إلا كائنة فتنّة، فافزع من ضيعتك والحق بأهلك، قلت فما تأمري؟ قال أحب إلي أن تكون تا- قال

³⁶ البيت للوليد بن عقبة بن أبي معيط أبو وهب الأموي القرشي: قُلْتُ لَهَا قَفِي فَقَالَتْ قَافٍ

لَا تَحْسَبِينَا قَدْ نَسِينَا الْإِيحَافِ

وقد تم جمع ديوانه وتحقيقه على يد: نبيلة عاكف نايف المقبل في رسالة ماجستير عنوانها: شعر الوليد بن عقبة (جمع وتحقيق)، إشراف: د/عمران الراميني، جامعة اليرموك، قسم اللغة العربية وآدابها، 2011، ص129.

³⁷ أبو الفتح عثمان ابن جني (ت392هـ): سر صناعة الإعراب: تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، وأحمد رشدي شحاتة، دار الكتب

العلمية، 1971م، ج1 ص97

³⁸ إبراهيم محمد عبد الله، ظاهرة الاجتزاء ببعض الكلمة ص87.

أيوب وابن عوف بيده تحت خده الأيمن يصف الاضطجاع- حتى ترى أمرا تعرفه: قال أبو جعفر: يعني ب تا-تضطجع، فاجتزأ بالتاء من تضطجع.³⁹

ذلك نوع من الاجتزاء بالحروف الهجائية وردت في العربية نظمها ورجزها ومنثورها، ولا أرى الكلام على هذه الحروف يقترب من شريف حقه إلا إذا اتصل بالحديث عن الحروف الهجائية التي افتتح بها غير سورة من سور القرآن الكريم وما قاله نفر من العلماء فيها.⁴⁰

ورأى ابن عطية أن الحروف المقطعة جاءت في العربية على لسان أهلها غير مستغربة ولا مستهجنة وأنها معهودة عندهم، وأن ما جاء في القرآن منها ينبغي أن يُفسَّر ويُوَّجَّه، قال: "والصواب ما قاله الجمهور أن تفسر هذه الحروف ويلتمس لها التأويل، لأننا نجد العرب قد تكلمت بالحروف المقطعة نظما لها ووضعها بدل الكلمات التي الحروف منها... والشواهد في هذا كثيرة، فليس كونها في القرآن الكريم مما تنكره العرب في لغتها فينبغي إذا كان من معهود كلام العرب أن يُطلب تأويله ويُلتَمَس وجهه".⁴¹

والمراد من إيراد هذا النص ليس تأويل الحروف المقطعة بقدر إيجاد الرابط بينها وبين ما سبق من أبيات شعرية وشواهد استعملت فيها العرب هذه الحروف، وبيان أنها كانت معروفة بغض النظر عن قبولها أو رفضها من طرف النقاد.

ويبدو أن القائلين بأن الحروف المقطعة رموز أو حروف مقتضبة من أسماء وصفات وأفعال، أو من كلم أو جمل، أخذت منها وحذفت بقيتها؛ استدلووا على ذلك بما يأتي:

أولا: ما ورد في لغة العرب من ذكر حرف يراد به كلمة، إذ تكلمت العرب بالحروف نظما لها ونثرا بدل الكلمات التي تكون الحروف منها، كقول زهير بن أبي سلمى:⁴²

بِالْحَيْرِ حَيْرَاتٌ وَإِنْ شَرًّا فَا وَلَا أُرِيدُ الشَّرَّ إِلَّا أَنْ تَا

فقد أراد الشاعر: وإن شرًّا فشرُّ، وأراد إلا أن تشاء⁴³، فاكتفى بالحرفين من الكلمتين.

39 الطبري محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل القرآن، حققه محمود محمد شاعر، دار المعارف، مصر، ج1، ص214.

40 الاجتزاء ببعض الكلمة، مجلة جامعة دمشق- ص 87.

41 ابن عطية محمد بن عبد الحق، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: فاروق الرحالي، طبعة قطر، ج1 ص101.

42 ذكره الطبري في جامع البيان ج1/ص9، وابن عطية في المحرر الوجيز ج1، ص 140 والقرطبي في الجامع الحاكم القرآن ج1 156،

لكن للأمانة البيت لا يوجد في الديوان مما يرجح قول من نسبه إلى القيم بن أوس.

43 ينظر فضل بن حسن الطبرسي(ت548هـ): مجمع البيان في تفسير القرآن ج1، ص45 تحقيق إبراهيم شمس الدين، منشورات محمد

علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 1997. ج1/91، والجامع لأحكام القرآن، ج1/177.

وهذا يمكن أن يجاب عنه بأمور منها:

- أ- إن دلالة الحرف الواحد على اسم من الممكن أن يدل على اسم آخر، من غير أن يكون أحدهما أولى من الآخر في التقدير أو الإضمار بوضع ولا بغيره فهذا مما لا يفهم إلا بتوقيف والمسألة مختلف فيها، وليس فيها إجماع حتى يحكم به، وما أنشدوه من الشواهد على صحة إطلاق الحرف الواحد على بقية الكلمة فإن في السياق ما يدل على ما حذف بخلاف هذا⁴⁴، أي بخلاف الحروف المقطعة.
- ب- إن الحروف المقطعة الواردة في بدايات بعض السور غير موضوعة في لغة العرب لإفادة المعاني التي ذكروها، فلا يجوز استعمالها فيه لأن القرآن إنما نزل بلغة العرب.
- ت- إن المعاني التي ذكروها متعارضة وليس حمل اللفظ على بعضها أولى ببعض، ولأنه لو فتح هذا الباب لانفتحت أبواب تأويلات باطنية بعيدة،⁴⁵ وكان هناك مجال واسع للمشركين من دون دليل أو قرينة، فمن الممكن أن يقول أحدهم في (الم) أن اللات أعلم، وهذا باطل قطعاً⁴⁶.

19- الفرق بين الأحرف السبعة و الحروف المقطعة:

نجد في الأحاديث الصحيحة المروية من طرق مختلفة ما يفيد أن الرسول صلى الله عليه وسلم صرح بنزول القرآن على سبعة أحرف، ومن أوضح هذه الأحاديث: ما رواه البخاري ومسلم: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: " سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِهِ فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُهَا عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لَمْ يَقْرَأْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكِدْتُ أُسَاوِرُهُ فِي الصَّلَاةِ فَاَنْتَظَرْتُهُ حَتَّى سَلَّمَ ثُمَّ لَبَيْتُهُ بِرِدَائِهِ أَوْ بِرِدَائِي، فَقُلْتُ: مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ؟ قَالَ أَقْرَأْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُلْتُ لَهُ: كَذَبْتَ فَوَاللَّهِ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْرَأَنِي هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرَأُهَا، فَاَنْطَلَقْتُ أَقُوْدُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تَقْرَأْنِيهَا، وَأَنْتَ أَقْرَأْتَنِي سُورَةَ الْفُرْقَانِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَرْسَلُهُ يَا عُمَرُ، إِقْرَأْ يَا هِشَامُ فَقَرَأَ هَذِهِ الْقِرَاءَةَ الَّتِي

⁴⁴ إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم ج1/ص 66.

⁴⁵ ينظر تفسير الكبير الرازي ج2/ 256-257.

⁴⁶ ينظر القول المصنف في تفسير سورة يوسف، البيلساني، ص 13.

سَمِعْتُهُ يَقْرَأُهَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "هَكَذَا نَزَلَتْ" ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، فَأَقْرَأُوا مَا تَيْسَّرَ مِنْهُ".⁴⁷

وعمارة الأحرف - وهي جمع حرف - الواردة في الحديث تقع على معان مختلفة، فقد تكون بمعنى القراءة كقول ابن الجزري: "كانت الشام تقرأ بحرف بن عامر"⁴⁸ وقد تفيد المعنى والجهة⁴⁹ كما يقول أبو جعفر محمد بن سعدان النحوي⁵⁰ ولكن القول بأن المراد منها القراءات - وهو رأي محكي عن الخليل بن أحمد - هو أضعف الأقوال.⁵¹

واختلاف العلماء في تحديد المراد من الأحرف المذكورة في الحديث آثار عددا من الأقوال المتضاربة في حقيقة الذي أقول فرأى فيه بعضهم خمسا وثلاثين وجها⁵² وبلغ بها آخرون أربعين⁵³ وأكثرها لا يؤيده عقل سليم ولا نقل منصوص عليه في الأثر.

وإذا لم يصح الاقتصار على أحد تلك الآراء السابقة فقد بدا لنا أن استقصاء الممكن منها - وهو الذي لا يعارض النقل والعقل - وربما كان أصوب الآراء وأبعدها عن الإفراط والتفريط: فالمراد من هذه الأحرف السبعة - والله أعلم - الأوجه السبعة التي وسع الله بها على الأمة بأي وجه قرأ القارئ منها أصاب، وقد كاد النبي صلى الله عليه وسلم يصرح بهذا كل التصريح⁵⁴ حين قال: "أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستعيده حتى انتهى إلى سبعة أحرف"⁵⁵، فاللفظ القرآني الواحد مهما يتعدد أدأؤه وتنوع قراءته لا يخرج فيه عن الوجوه السبعة الآتية:⁵⁶

⁴⁷ صحيح البخاري 185/6، مسند أحمد 24/1، رقم الحديث 158.

⁴⁸ طبقات القراء ج1، ص 296.

⁴⁹ البرهان، ج1، ص 224.

⁵⁰ هو أحد الرواة، بدأ بقراءة حمزة ثم اختار لنفسه قراءة تنسب إليه، توفي سنة 231، (انظر أنباء الرواة 104/2، طبقات القراء 143/2).

⁵¹ البرهان ج 214/1.

⁵² الإلتقان ج78/1.

⁵³ البرهان ج 212/1.

⁵⁴ انظر صبحي الصالح مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، ص 108.

⁵⁵ صحيح البخاري، 185/6.

⁵⁶ صبحي الصالح - مباحث في علوم القرآن، ص 109.

الأول: الاختلاف في وجوه الإعراب، سواء أ تغير المعنى أم لم يتغير، فمنها ما تغير فيه المعنى كقوله تعالى: "فتلقى آدم كلمات" ⁵⁷، فقد قرئ "فتلقى آدم من ربه كلمات"، ومنها ما لم يتغير فيه المعنى مثل قوله تعالى: "ولا يضار كاتب ولا شهيد" فقد قرئ "ولا يضار" ⁵⁸

الثاني: الاختلاف في الأسماء في إفرادها وتثنيها وجمعها وتذكيرها وتأنيثها ⁵⁹ مثل "وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾" ⁶⁰ فقد قرئ "الأماناتهم" بالإفراد ومن الواضح أنها رسمت في المصاحف العثمانية (لأمتهم)، بخلوها من الألف السالمة، ومؤدى الوجهين واحد، لأن في الإفراد قصدا للجنس وفي الجنس معنى الكثرة، لأن في الجمع استغراقا للإفراد وفي الاستغراق.

20- إعراب الحروف المقطعة:

يبدو أن مشكلة إعراب الحروف المقطعة في القرآن الكريم أثارت اختلافا كبيرا بين النحاة والمفسرين على حدّ سواء، كيف لا والإعراب مرتبط بالمعنى و بالقراءة واختلاف الإعراب يعزى إلى هذين السببين.

ويمكن تقسيم الآراء إلى قسمين يتشعبان إلى أربع:

20-1- أنها حروف: مبنية/ معربة

20-2- أنها أسماء: مبنية/ معربة

20-1-1- حروف مبنية:

وهو مذهب النحاة الذين أيّدوا من رأى من المفسرين بحرفيتها، ورد هذا الرأي عند أبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت338هـ) في كتابه إعراب القرآن ⁶¹؛ أثناء تفسير سورة البقرة رادا إياه للخليل وسيبويه ⁶²: "ومذهب الخليل وسيبويه في (الم) وما أشبهها أنها لم تعرب لأنها بمنزلة حروف التهجي فهي محكية ولو أعربت ذهب معنى الحكاية، وكان قد أعرب بعض الاسم. وقال

⁵⁷ - سورة البقرة أية 37، وانظر الإتيان ج1، ص 79.

⁵⁸ - سورة البقرة 282، وانظر الإتيان ج1، ص 79.

⁵⁹ - الإتيان ج1، ص 79.

⁶⁰ - سورة المؤمنون، الآية 7.

⁶¹ إعراب القرآن - دار المعرفة - بيروت، ط2 2008، ص16.

⁶² الكتاب ج2 ص 30.

الفرّاء: إنّما لم تعرب لأنك لم تُرد أن تخبر عنها بشيء، وقال أحمد بن يحيى: ⁶³ لا يعجبني قول الخليل فيها لأنك إذا قلت زايّ فليست هذه الزاي التي في زيد لأنك قد زدت عليها. قال أبو جعفر: هذا الرد لا يلزم لأنك لا تقدر أن تنطق بحرف واحد حتى تزيد عليه. وقال ابن كيسان: ⁶⁴ (الم) في موضع نصب بمعنى أقرأ (الم) أو عليك (الم)، ويجوز أن يكون موضعه رفعا، بمعنى هذا (الم) وهو أو ذاك. " في هذا القول الكثير من الكلام المحكي لكن ما يهمننا هنا هو كلام صاحب الكتاب أبو جعفر النحاس حيث أقحم اسمه كيلا تلتبس الأقوال ولعله أيضا استشعر حاجته إلى دليل يحتاج به غيره ممن قال بإعرابها فقال: "والدليل على السكت: أنك تقول فيها بالوقف مع الجمع بين ساكنين، كما تقول إذا عددت واحدا، اثنان، ثلاثة، أربعة، ولولا أنك تقدّر السكت لقلت: ثلاثة بالتاء كما تقول ثلاثا ياهذا، فتصير الهاء تاء مع التنوين واتصال الكلام." ⁶⁵

وهنا عقد موازنة بين الحروف المقطعة التي يقدر السكت عليها أيضا. ولعلّ هذه الموازنة مقنعة إلى حدّ ما، فالوقف مصطلح خاص بالقرآن الكريم. لكنّ تقدير السكت هو الفاصل في هذه القضية في رأيه حيث لولا هذا الأمر لقلنا ثلاثة أو ثلاثاً بالتنوين لا بالهاء الساكنة.

قَبِل سيبويه هذه المقارنة لكن بضوابط؛ حيث قال: "واعلم أن هذه الحروف إذا تهجّيت مقصورة لأنها ليست بأسماء، وأنها جاءت في التهجي على الوقف ويدلك على ذلك: أن القاف والصاد والdal موقوفة الأواخر، فلولا أنها على الوقف حُرّكت أو اخرهن... إلا أنك تقف عندها لأنها بمنزلة عدد فإن قلت: ما بالي أقول: واحد اثنان فأضم الواحد، ولا يكون ذلك في هذه الحروف؟ فلأن الواحد اسم متمكن، وليس كالصوت." ⁶⁶ فهي بحكم النصب بمعنى أقرأ (الم) يعني: أنها مفعول به منصوب لفعل محذوف تقديره أقرأ.

⁶³ أحمد بن يحيى العلامة المحدث، إمام النحو، أبو العباس أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني، صاحب "الفصيح" والتصانيف، ولد سنة مائتين وله كتاب: "اختلاف النحويين"، وكتاب "القراءات"، وكتاب "معاني القرآن". عمّر، وأصمّ، صدمته دابة، فوقع في حفرة، ومات منها في جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين ومائتين. ينظر: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2001م ج14 ص5_7.

⁶⁴ ابن كيسان: المعمر الثقة النحوي أبو محمد الحسن بن محمد بن أحمد بن كيسان الحربي. سمع من إسماعيل القاضي وإبراهيم الحربي، وجماعة. وعنه أبو علي بن شاذان، وأبو نعيم الحافظ. توفي في شوال سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، الحافظ الذهبي: سير أعلام النبلاء ج16 ص330.

⁶⁵ الزجاج: معاني القرآن وإعرابه ص 59.

⁶⁶ أبو ستر عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، كتاب سيبويه تحقيق وشرح عبد السلام هارز، مكتبة الخانجي، القاهرة 1992 ج3 ص

والرفع: بمعنى هذا (الم) خبر مرفوع لمبتدأ محذوف تقديره هذا أو ذاك. ونلمس هنا إعرابين مختلفين لذات المؤلّف ضف إليه الآراء التي حواها قوله والعائدة إلى علماء النحو المعروفين.

فلو عدنا إلى سيبويه نجد من بين القائلين باسمية هذه الحروف لاحتفيتها، ويحاول إثبات هذا الرأي بما أوتي من المنطق وما حفظ من كلام العرب شعرا أو نثرا. فما الذي جاء به إلى هذا الموضوع؟ نقول: -دفعاً لشبهة عدم التمييز بين الإعرابات - إنما ورود قول سيبويه هنا هو اشتراكه مع النحاس في القول بأنها معربة بغض النظر عن اسميتها أو حرفيتها.⁶⁷

أما بخصوص الفراء فرأيه غير واضح في هذه المسألة والالتباس وقع في قوله بجزمها على الوقف وليس بناؤها على الوقف كما قال الزجاج (311هـ)،⁶⁸ والقول بجزمها اعتراف ضمني بإعرابها سواء كان مبرراً أم لا. ورد ذلك في قوله: "الهجاء موقوف في كل القرآن، وليس بجزم يسمى جزماً، إنما هو كلام جزمه نية الوقوف على كل حرف منه، فافعل ذلك بجميع الهجاء فيما قل أو أكثر."⁶⁹

فإن قلت ماذا يقصد بالوقف لأن الرأي كله يتوقف على هذا المعنى؟ فنقول أن الزجاج استشعر خصوصية المصطلح فقال شارحاً إياه: "ومعنى قولنا (مبنية على الوقف) أنك تُقَدِّرُ أن تسكت على كل حرف منها، فالنطق: ألف، لام، ميم، ذلك والدليل على أنك تُقَدِّرُ السّكت عليها جمعك بين ساكنين في قولك: (لَمْ) وفي قولك: (مِمْ)"⁷⁰.

لكن الوقف يختلف في سورة آل عمران؛ إذ يُنوي بما بعد (الم) الاستئناف. ولذلك قرأت القراء "الم الله" ففتحوا الميم لأن الميم كانت مجزومة لنية الوقف عليها؛ وإذا كان الحرف يُنوي به الوقف نُوي بما بعده الاستئناف فكانت القراءة: "ال م الله" فتركت العرب همزة الألف من "الله" فصارت فتحتها في الميم لسكونها، ولو كانت الميم جزماً مستحقاً للجزم لكسرت كما في "قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ" ⁷¹ وأوشى بالميم الموجودة في آل عمران فقط من باب المقارنة لذا يأتي تفصيلها في بابها ولا هذا باب إعراب حروف التهجي جملة لا تفصيلاً لكن مذهب العلماء -أكثرهم لا كلهم-

⁶⁷ أبو بشر محمد بن عثمان قنبر الكتاب تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي -القاهرة 1992 ج3، ص 256.

⁶⁸ معاني القرآن وإعرابه، أبي إسحاق إبراهيم بن السري تحقيق وشرح د. عبد الجليل عبده شليب عالم الكتب ط1 1988 ج1 ص59.

⁶⁹ أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء 207هـ معاني القرآن عالم الكتب ط-د، ج1 ص09.

⁷⁰ معاني القرآن الكرم وإعرابه ج1، ص59.

⁷¹ الفراء معاني القرآن ج1، ص09 والآية سورة يس من الآية26.

إعراب الم البقرة ثم إذا جاء إلى سورة أخرى لتضمن فاتحتها هذه الحروف أحالوا إلى سورة البقرة ولم يزيدوا شيئاً⁷² أو يعربون لجميع أنواع الحروف المقطعة في باب إعراب الم البقرة ثم يتجاوزونها في غيابها.

20-1-2- القول بأنها حروف معربة:

يبدو أن العلماء ممن قال بحرفيتها لم يثبتوا على رأي بخصوص بنائها أو إعرابها فتجد الواحد منهم يقول بالاثنين ولعلّ المشكل يكمن في مصطلح الإعراب عامة؛ والإعراب الذي يقابل البناء فَعَسَّرَ تميزنا مراد العلماء منه أحياناً، فتجد الزجاج⁷³ يقول: "حقها من الإعراب أن تكون سواكن الأواخر، زعم سيبويه أنك أردت أن حروف المعجم حروف يحكى بها ما في الأسماء المؤلفة من الحروف فجرى مجرى ما يحكى به نحو: (غاق)، و(غاقٍ يافتى)، إنما حكى صوت الغراب، والدليل أيضاً أنها موقوفة قول الشاعر⁷⁴:

أَقْبَلْتُ مِنْ عِنْدِ زِيَادٍ كَالْحَرْفِ
تَخَطُّ رِجَالِي بِحَطِّ مُخْتَلِفِ
تَكْتَبَانِ فِي الطَّرِيقِ لَامَ أَلِفِ

كأنه قال لام ألف بسكون (لام) ولكنه ألقى حركة همزة (ألف) على الميم ففتحتها. ولعله بالعودة إلى كتاب سيبويه نجد النص المقصود: "واعلم أن هذه الحروف إذا تهجيت مقصورة، لأنها ليست أسماء، وإنما جاءت في التهجي على الوقف، ويدلك على ذلك أن القاف والصاد والذال موقوفة الأواخر، فلولا أنّها على الوقف حرّكت أواخرهن، ونظير الوقف هاهنا الحذف في الياء وأخواتها. وإذا أردت أن تلفظ بحروف المعجم قصرت وأسكنت، لأنك لست تريد أن تجعلها أسماء، ولكنك أردت أن تقطع حروف الاسم، فجاءت كأنها أصوات يُصوّت بها، إلا أنك تقف عندها لأنها بمنزلة عدد"⁷⁵

⁷² فعل ذلك الشنقيطي معجم إعراب آيات القرآن الكريم.

⁷³ معاني القرآن وإعرابه ج1، ص60.

⁷⁴ والبيت معروف وهو للشاعر: أبي النجم العجلي يصف حالة سكر له، وقدمه من عند صديقه الذي شرب عنده، يريد أنه كان يتمايل فتخط رجلاه في الطريق ما يشبه (لام ألف) وأبو النجم هو الفضل بن قدامة. من بني بكر وائل كان نجاراً وشاعراً أوصف من الحجاج وكان معاصراً له، ينظر: ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج6 ص347. أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ج9، ص77 وكثير من كتب اللغة النحو .

⁷⁵ الكتاب: ج3، ص265.

وتجد سيبويه بدوره يستشهد برأي الخليل حيث يقول: "واعلم أنّ الخليل كان يقول إذا تهجّيت بالحروف حالها كحالها في المعجم والمقطّع، تقول لام ألف، وقاف لام. قال: تكتبان في الطريق لام ألف"⁷⁶.

بغض النظر عن أن صاحب البيت كان يصف مشيته أثناء سكره، والمقام هنا إعراب الحروف المقطعة في القرآن؛ فالبيت لا يعدو كونه شاهداً نحوياً يدلّ على حركة السكون في نهاية الحرف. ولكيلاً يخلط بين كلامه (سيبويه) واستشهاداته بأقوال العلماء يقول: "قال أبو إسحاق: وشرح هذه الحروف وتفسيرها أنها ليست تجري مجرى الأسماء المتمكنة، والأفعال المضارعة التي يجب لها الإعراب، وإنما هي تقطيع الاسم المؤلف الذي لا يجب الإعراب فيه إلا مع كماله، فقولك "جعفر" لا يجب أن تعرب الجيم ولا العين ولا الفاء ولا الراء دون تكميل الاسم، وإنما هي حكايات وضعت على هذه الحروف، وإن أجريتها مجرى الأسماء وحدثت عنها قلت: هذه كافٌ حسنة وهذا كافٌ حسنٌ، وكذلك سائر حروف المعجم، فمن قال هذه كافٌ أنت لمعنى الكلمة، ومن دكّر فلمعنى الحرف، والإعراب وقع منها لأنك تخرجها من باب الحكاية."⁷⁷

ولعل الزجاج هنا وضع يده على موضع الداء والدواء معاً فالإعراب علامة الأفعال المضارعة والأسماء المتمكنة، وإعراب حروف المعجم إنما وقع لإخراجها من باب حكاية تقطيع الاسم المؤلف، فتصبح الحروف مؤنثة ومذكّرة مثل الأسماء وتنعت بهذا وهذه.

قال الشاعر: كَافاً وَمِيماً وَسِيناً طَاسِماً.⁷⁸

وقال أيضاً: أَهَاجَكَ أَبَانَ قَدِيمُهَا كَمَا بَيْنَتْ كَافٌ تَلُوحٌ وَ مِيمُهَا

"دكّر طاسماً لأنه جعله صفة للسين، وجعل السين في معنى الحرف وقال تلوح، فأنت الكاف

ذهب بها مذهب الكلمة. قال الشاعر يهجو النحويين وهو يزيد بن الحكم.

إِذَا اجْتَمَعُوا عَلَى أَلْفٍ وَ وَاوٍ وَيَاءٍ لَاحَ بَيْنَهُمَا جِدَالٌ"⁷⁹.

⁷⁶ الكتاب ج 2، ص 266.

⁷⁷ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه ج 1 ص 60.

⁷⁸ سيبويه الكتاب ج 2 ص 31، ذكره الزجاج في إعراب القرآن ج 1 ص 61.

⁷⁹ يزيد بن الحكم الثقفى أسلم يوم فتح الطائف وقد احتضن سليمان بن عبد الملك ولكنه انشق على الأمويين وانظم إلى يزيد بن المهدي

الأغاثي ج 11 ص 96 ونسب في الخزانة إلى عيسى بن عمر رواه عنه الأصمعي ج 1، ص 535.

إذا كان إخراج هذه الحروف عن الحكاية يجعلها معربة فما بال السّيرفي يقول بينائها ويشدّد على ذلك؟: "اعلم أن حروف التهجيّ إذا أردتّ التهجيّ مَبْنِيَّاتٌ، لأنّ حكاية الحروف التي في الكلمة. والحروف في الكلمة إذا قَطِّعتْ؛ كل حرف منها مبنيّ، لأن الإعراب إنّما يقع في الاسم بكماله، فإذا قصدنا إلى كل حرف منها بنيانه، وهذه الحروف التي ذكرها من الباء إلى الفاء، إذا بنيها فكل واحد منها على حرفين الثاني منهما ألف، فهي بمنزلة لا و ما، فإذا جعلناهم أسماء مددنا فقلنا: باء وتاء كما نقول: لاء وماء إذا احتجنا إلى جعلها أسماء، وتدخلها الألف واللام فتعرّف، وتخرج عنها فتتنكّر.⁸⁰

ويبدو هذا الرأي أقرب إلى الحقيقة والاعتدال فالحروف كلها مبنية والله أعلم.

20-2-1- القول بأنها أسماء:

وهو رأي أكثر العلماء، قال بها الزمخشري في الكشاف لما كان بصدد تفسير (الم): "أسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها رُكبت الكلم، فقولك: ضاد، اسم سميّ به ضه من ضرب إذا تهجّيته، وكذلك را، با اسمان لقولك: ره، به، وقد روعيت في هذه التسمية لطيفة وهي أن المسميات لما كانت ألفاظاً كأسمائها وهي حروف وحدان_ والأساس عدد حروفها مرتق إلى الثلاثة، اتجه لهم طريق إلى أن يدلّوا في التسمية على المسمّى فلم يغفلوها وجعلوا المسمى صدر كل اسم منها كما ترى إلّا الألف فإنّهم استعاروا الهمزة مكان مسماه لأنّه لا يكون إلا ساكناً".⁸¹

نرى أن الزمخشري تفادى وصفها بالحروف كأنه يدفع شُبّهةً، وقد تحرّر من ذلك بدا ذلك واضحاً في قوله: "إنّ المسميات لما كانت ألفاظاً... فقابل الأسماء بالمسميات تفادياً لنعتهها بالحروف وحجته في ذلك أن النطق بها يتجاوز ثلاثة أحرف، وبذلك ترتقي لتصبح ألفاظاً هو يراها أسماءً. ويقول أيضاً: "جعلوا المسمى صدر كل اسم".

وهو يقصد بالمسمى الحرف المعني وجعله صدر الاسم (أي أنه الحرف الأول) مثل: صاد واستثنى من هذه القاعدة الألف الذي يستعير الهمزة للنطق به.

⁸⁰ السيرافي نقلاً عن عبد السلام هارون هامش تحقيق تفسير الفخر الرازي الشهير بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين الشهير بخطيب الدين ت544، ط1 1981، دار الفكر.

⁸¹ الزمخشري: الكشاف ج1 ص30، وينبغي الإشارة هنا إلى أن الفخر الرازي استعار رأي الزمخشري دون الإشارة إلى مصدره وتفصيله ج2، ص2-3 لكن يصعب معرفة صاحب الرأي بمخايفه والتعبير الأصلي لتقارب تواريخ الوفاة. الكتاب لسبويه ج3، ص ص 264-265.

أما بالنسبة لضبطها من آخرها فقال: "حكّمها ما لم تلها العوامل أن تكون ساكنة الأعجاز موقوفة كأسماء الأعداد، فيقال ألف، لام، ميم، كما يقال: واحد، اثنان، ثلاثة".⁸²

إذن فالزخشي يراها أسماء (ساكنة الأعجاز موقوفة) لكن له شرطا في ذلك وهو: (مالم تلها العوامل). وماذا يحصل إذا تلتها العوامل؟

يتابع الزخشي: "إذا وليتها العوامل أدركها الإعراب. تقول هذه ألف وكتبت ألفاً ونظرت إلى ألفٍ، وهكذا كل اسم عمدت إلى تأدية ذاته فحسب قبل أن يحدث فيه بدخول العوامل شيء من تأثيراتها فحقك أن تلفظ به موقوفاً" لكن الزخشي لا يقصد بالوقف البناء فقد سبق تفسير معنى الوقف لكن مقابلتها للإعراب توحى بذلك حقاً!؟

لكن هذا لم يستبعد عن منطق الزخشي المعروف بأسلوب القنقلة. "فإن قلت من أي قبيل هي من الأسماء؛ معربة؟ أم مبنية؟ قلت: بل هي أسماء معربة، وإنما سكنت سكون زيد وعمرو، وغيرهما من الأسماء، حيث لا يمسه إعراب لفقد مقتضيه وموجبه. والدليل على أن سكونها وقف وليس ببناء، إنها لو بنيت لحذيت بها حذو كيف، والدليل على أن سكونها وقف وليس ببناء، أنها لو بنيت لحذيت بها حذو كيف وأين، وهؤلاء، ولم يقل: ض، ق، ن، مجموعاً فيها بين الساكنين⁸³، فإن تسلمنا بكل ماقاله حتى الآن لكن أسماء الحروف وإعرابها أو بناؤها كانت عامة عند أغلب العلماء ممن سيقت آراؤهم حتى من قالوا بحرفيتها؛ فما وجه علاقة الحروف المقطعة في القرآن بكل ما قيل!؟

ردّ الزخشي على هذا الانشغال: "فإن قلت: فما وجه وقوعها على هذه الصورة في فواتح السور؟! قلت: فيه أوجه: "أحدها: وعليه إطباق الأكثر أنها أسماء السور، وهي في ذلك على ضربين، أحدهما ما لا يتأتى فيه إعراب نحو: كهيعص و المر، والثاني: ما يتأتى فيه الإعراب وهو إما أن يكون اسماً فرداً ك: (ص)، و(ق)، و(ن) وأسماء عدّة مجموعها على زنة مفرد ك: (حم)، و(طس)، و(يس) فإنها موازنة لقابيل وهابيل وكذلك طسم، يأتي فيها أن تفتح نونها وتصير ميماً مضمومة إلى (طس) فيحتمل اسمها واحداً كداربجرد، فالنوع الأول محكي ليس إلا والنوع الثاني فسائع فيه الأمران الإعراب والحكاية".⁸⁴

⁸² الزخشي: الكشف: ج 1 ص 30.

⁸³ المصدر نفسه ج 1، ص 31.

⁸⁴ الزخشي ج 1 ص 31.

وصاحب الكشف هنا لم يأت بشيء من عنده إنما لخص ما جاء به سيبويه في باب أسماء السور وهو لا ينكر ذلك بل يشير إليه ويرشدنا إلى بابه فلعلنا بالعودة إليه مفصلاً ندرك مراده أحسن ففي باب أسماء السور في كتاب سيبويه تجده يقول: "أما حم فلا ينصرف، جعلته اسماً للسورة أو أضيفت إليه، لأنهم أنزلوه بمنزلة اسم أعجمي، نحو: هاييل وقايل وقال الشاعر وهو الكميت:

وَجَدْنَا لَكُمْ فِي آلِ حَامِيمٍ آيَةً تَأْوَلَهَا مِنَّا فَقِيهٌ وَمُعْرَبٌ

وقال العماني: أَوْ كُتِبَتْ بَيْنَ مَنْ حَامِيمًا قَدْ عَلِمَتْ أَبْنَاءُ إِبْرَاهِيمَا

وكذلك طاسين وياسين واعلم أنه لا يجيء في كلامهم على بناء حاميم وياسين، وإن أردت في هذا الحكاية تركته وقفا على حاله⁸⁵.

وُزود مثل هذه التفاصيل في باب أسماء السور ليس بالأمر الغريب على الرغم من أن الحروف المقطعة في القرآن ليست في الغالب أسماء للسور إلا (ص) و(ق). لكن الناس تعارفوا على تسمية السور المبدوءة بـ:(الم) بالميمات، و(الر) - بالراءات والمبدوءة بـ:(حم) الحواميم، وتجد الطواسين أيضاً لذلك لم يكن سيبويه مبتدعاً في ذلك ولا آخر هؤلاء فتجد مثلاً فصلاً في إعراب أسماء السور عند جلال الدين السيوطي (ت 911هـ) في الإتيان يقول: "وكما سُميت السورة الواحدة بأسماء سميت سور باسم واحد كالسور المسماة بـ:(الم) و(الر) على القول بأن فواتح السور أسماء لها، وإن كان أكثر من حرف فإن وزن الأسماء الأعجمية كـ:(طس) و(حم) وأضيفت إليه سورة أم لا فلك الحكاية والإعراب ممنوع لموازنة قايل وهاييل، وإن لم يوازن فإن أمكن فيه التركيب كـ(طسم) وأضيفت إليه سورة فلك الحكاية والإعراب إمّا مركّباً مفتوح النون كـ:(حضر موت) أو مسرب النون مضافاً لما بعده ومصروفاً وممنوعاً على اعتقاد التذكير والتأنيث، وإن لم تضاف إليه سورة فالوقف على الحكاية والبناء كـ:(خمسة عشر) والإعراب ممنوع"⁸⁶.

لابد من التنويه هنا أن السيوطي بدأ كلامه بالسور المبدوءة بحرف واحد لكن التقديم والتأخير في كلامه كان لأجل غاية موازنته مع كلام سيبويه وملاحظة الاتفاق التام في الحكم غير أن كلام سيبويه أوضح، حيث أن الحروف إذا وزنت الأسماء الأعجمية وهي على وزن فاعيل مثل هاييل وقايل - ويلاحظ أن هذا المثال متداول في أغلب الكتب - فإنه لا يعرب أو كما قال السيوطي أنه ممنوع الإعراب أو لا

⁸⁵ سيبويه الكتاب ج 3 ص 257 والبيت الأول لا وجود له في ديوان الكميت لكنه موجود في الخزانة ج 2 ص 209 والبيت الثاني لأبزون العماني (سبق تعريفه) ينظر المقتضب للمبرد ج 1، ص 238 وقوله في بني هاشم، وأراد بآل حاميم السور التي أولها حم، فجعل حاميم اسماً للكلمة ثم أضاف السور إليها إضافة النسب إلى القرابة كما تقول آل فلان.

⁸⁶ السيوطي: الإتيان ج 1 ص 80-81.

ينصرف على حدّ قول سيبويه أمّا المركّبات المزجّية كطسم ففيها الحكاية والإعراب ونظير ذلك في كلام سيبويه: "أما طسم فإن جعلته اسماً لم يكن بدّ من أن تحرك النون وتصيرَ ميماً كأنك وصلتها إلى طاسين، فجعلتها اسماً واحداً بمنزلة دراب جرّد وبعلبك وإن شئت حكيت وتركت السواكن على حالها".⁸⁷

إذن يجوز فيها الاثنان البناء والإعراب موازنة لها ببعلبك وحضرموت ولأن سيبويه فارسيّ أضاف دراب جرّد. والحروف التي لا ينبغي مزجها مثل (كهيعص) و (المر) فلا يَكُنّ إلّا حكاية، وإن جعلتها بمنزلة طاسين لم يجز، لأنهم لم يجعلوا طاسين كحضرموت، ولكنهم جعلوها بمنزلة هاييل وقابيل وهاروت.⁸⁸

ولا بأس هنا من سَوِّق رأيٍ للزجاج نقله عن الأخفش قال: "قال أبو الحسين الأخفش يجوز أن يكون صادَ وقافَ ونونَ أسماءٍ للسور منصوبة إلا أنّها لا تصرف كما لا تصرف جملة أسماء المؤنث والقول الأول أعفى الحروف من التقاء الساكنين، والفتح والكسر من أجل التقاءها أقيسُ لأنه يزعم أنه ينصب هذه الأشياء كأنه قال: أذكر صادَ وكذلك يجيز في (حم) و (طس) النصب و(ياسين) على أنّها أسماء للسور"⁸⁹، فعلى الرّغم من أن الزجاج من القائلين بحرفية الحروف المقطعة لكنه هنا يقر باسميتها لكن ليس هذا موضوعنا الآن لكن ما يهمننا هو رأيه في الحواميم والطواسين وياسين فلو كان يبدو لنا مخالفاً أن رآها منصوبة لكنه قال أنّها لا تصرف فهذه موافقة إذن؛ وبخصوص الحروف المفردة فانطلاقاً من عند الزجاج - مادمنّا بصدده- فهو يرى بنصبها دون صرفها ولسنا ندري إن كان يقصد بذلك البناء، والسيوطي يراها موقوفة لا إعراب فيها: "ماسمي منها باسم فإن كان من حروف الهجاء وهو حرف واحد وأضفت إليه سورة؛ نجد ابن عصفور يقول أنه موقوف لا إعراب فيه"⁹⁰ ولعل كلام الزجاج السابق يذكرنا نص الزمخشري "فإن قلت: فما وجه قراءة من قرأ: ص وق و ن مفتوحات؟ قلت: الأوجه أن يقال ذاك نصب وليس بفتح وإنما لم يصيغه التنوين لامتناع الصرف على ما ذكرت، وانتصابها بفعل مضمر نحو اذكر... ويجوز أن يقال حرّكت لالتقاء الساكنين".⁹¹ ولا خلاف عند سيبويه فهو يقول: "أما (صاد) فلا تحتاج إلى أن تجعله اسماً أعجمياً لأن هذا البناء والوزن من كلامهم، ولكنه يجوز أن يكون اسماً للسورة فلا نصرّفه".⁹²

⁸⁷ سيبويه الكتاب ج3، ص258

⁸⁸ سيبويه الكتاب ج3 ص258.

⁸⁹ الزجاج معاني القرآن وإعرابه ج1، ص65.

⁹⁰ الإتيان ج1، ص80.

⁹¹ الزمخشري الكشاف ج1، ص32.

⁹² سيبويه الكتاب ج3، ص258.

THE HOLY QURAN (KORAN English Translation of the Meanings by Abdullah Yusuf Ali 4	Le Noble coran et la traduction en langue françaises de ses sens 3	LE SAINT QURAN (KORAN) Interprétation Française des Signifi- cations Format- age de William B. Brown2	Le Noble Coran et la traduction en langue française 1	Qur'an NVIGATEUR :http : //Tanzil .net https://quran.com/ THE NOBLE QUR'AN	الفواوح ذات الحروف المقطعة
A. L. M. ⁵ Alif, Lam, Mim. ⁶	Alif. Lām. Mīm	Alif, Lam, Mim.	Alif. Lām.Mîm.	Alif, Lam, Meem	الم
Alif, Lam, Mim, Sad	Alif. Lām. Mīm. Şād.	Alif, Lam, Mim,Sad	Alif. Lām.Mîm . Cād	Alif, Lam, Meem, Sad	المص
A. L. R.	Alif Lām Rā	Alif, Lam, Ra.	Alif. Lām. Rā	Alif, Lam,Ra	الر
A. L. M. R	Alif. Lām. Mīm. Rā	Alif, Lam, Mim, Ra	Alif. Lām. Mîm . Rā	Alif, Lam, Meem, Ra	المر
Kaf. Ha.Ya.'Ain. Sad	Kāf. Hā. Yā. 'Ain. Şād.	Kaf, Ha, Ya, Ain,Sad	Kāf. Hā. Yā. 'Ain.Cād	Kaf, Ha, Ya,'Ayn, Sad	كهيعص

1 Translation of the meaning ofThe Noble Qu'ran. Dr/Muhammad Taqi-ud-Din Al-Hilali &Dr/Muhammad Muhsin Khan.King Fahd comlex for the printing of the holy qur'an madina.K ,S,A 1419 ,

2-Voire aussi Al Quran Color-coded Arabic English Translation Marmaduke Pickthall Syed Abul Aala Maududi Muhsin Khan -Taqiud Din AlHilaliJan,2008 Hafiz Khan Web Address www.quranpda.com-Voire aussi Qoran traduction dans le Navigateur du Coran :http : //Tanzil .net

3Le Noble coran et la traduction en langue françaises de ses sens selon la lecture de hafis réalisées par Dr/Mohamed El-Mokhtar Ould Bah &de la part du complexe par Dr/ Bello Mana. complexe roi fahd pour l'impression du noble coran .son excellence Cheikh Saleh Ibn MuhamMed Al-As-saikh ministre des Affaires Islamiques. Des Waqfs de l'apele et de l' orientation et superviseur général du complexe . & voire aussi le Saint Coran Texte arabe et traduction françaises ; publié sous les auspices de hadrat Mirza Masroor Ahmad cinquième calif du messie promis et Cef Suprêmes de la communauté Islamique Ahmadiyya .Edition revue avec apports nouveaux.2012 Islam International publications Ltd.

4-THE HOLY QURAN(KORAN) English Translation of the Meanings by Abdullah Yusuf AliFrom a version revised by the Presidency of Islamic Researches, IFTA, Call and Guidance. Published and Printed by the King Fahd Holy Quran Printing Complex in 1987. Formatting by William B. Brown & QURAN(KORAN)English Translation of the Meanings and Verse Notes by Abdullah YusufAli Formatting By William B. Brown & QURAN(KORAN) English Translation of the Meanings and Commentary Notes by Abdullah Yusuf Ali Formatting By William B. Brown

5 - SURA 29. Ankabut, or the Spide 1. A. L. M.

6 - SURA 30. Rum, or The Roman Empire/SURA 31.Luqman(the Wise)SURA 32.Sajda,or Adoration/1.Alif,Lam, Mim.

Ta-Ha.	Ṭā Hā	Ta-Ha	Tâ. Hâ	Ta, Ha	طه
Ta. Sin ⁷	Ṭā. Sîn	Ta, Sin.	Tâ. Sîn	Ta, Seen	طسم
Ta. Sin. Mim ⁸	Ṭā. Sîn. Mîm	Ta, Sin, Mim.	Tâ. Sîn. Mîm	Ta, Seen, Meem	طس
Ya Sin	Yā. Sîn	Ya-Sin	Yâ. Sîn	Ya, Seen	يس
Sad	Ṣād	Sad	Sâd	Sad	ص
Ha Mim	Hā. Mîm	Ha, Mim	Hâ. Mîm	Ha, Meem	حم
Ha-Mim.'Ain. Sin. Qaf	Hā. Mîm 'Ain. Sîn. Qāf	Ha, Mim. 2. Ain, Sin, Qaf	Hâ. Mîm' Aîn. Sîn. Qâf	Ha, Meem.'Ayn, Seen, Qaf.	حم اعسق
Qaf	Qāf	Qaf	Qâf	Qaf	ق
Nun	Nūn.	Noun	Noun	Nun	ن

اتضح من خلال الجدول أن من المترجمين من اعتمد قاعدة القراءة و منهم من اعتمد قاعدة الكتابة ولكل واحد منهم وجهة نظر. قد لا نستطيع الفصل فيها أو ترجيح واحدة عن الأخرى، لكن المشكل في من أمسك العصا من الوسط، فلم يستتب على رأي، فتارة يتتبع طريقة كتابتها في المصحف العربي، وتارة أخرى يستعير طريقة القراءة. وقد لوحظ هذا الارتباك حتى في الفاتحة الواحدة؛ فقد سجل اختلاف في ترجمة (الم) بين سورتي البقرة وآل عمران، كما أن طس سقطت مرة من سورة النمل وثبتت في نسخة أخرى لذات المترجم. وإذا تتبعنا قاعدة النطق فكيف يتكرر ذات المقطع الصوتي للفاتحة الواحدة بين لغتين مختلفتين على الرغم من وجود فوارق صوتية في قراءة الصوائت حتى بين اللغات المشتركة الأم كالفرنسية والانجليزية. وبالنسبة إلى اقتفاء طريقة الكتابة في الرسم العثماني في المصحف العربي (على شكل حروف لا مقاطع صوتية) فإنها قد كتبت في المصحف العربي على شكل كلمات (بدون فواصل بين الحروف) بينما فصل بينها في النسخة الأجنبية بنقاط. ولعل ذلك يومية إلى النظريات التفسيرية المتبئات من طرف المترجمين. وما الترجمة سوى نوع من التفسير؟

7- SURA 27. Naml, or the Ants 1. These are verses of the Qur'an,-a book that makes [things] clear بدون طس

لكنه استدرکها في .: QURAN(KORAN) English Translation of the Meanings and Commentary Notes

8 - SURA 28. Qasas, or Narration 1. Ta. Sin. Mim.

الفصل الثاني

حروف القرآن المقطعة دراسة دلالية

المبحث الأول

أقوال العلماء في الحروف المقطعة

تمهيد

1- القول الأول

الحروف المقطعة سر الله في القرآن، وهي من المتشابه الذي انفرد الله تعالى بعلمه، ولا يجب أن يتكلم فيها، ولكن نؤمن بها كما جاءت

1-1- الدليل النقلى

1-1-1- الوجه الأول

1-1-2- الدليل العقلى

2- القول الثانى

أن المراد من الحروف المقطعة معلوم، ويجب أن يتكلم فيها، ونلتمس الفوائد التى تحثها والمعانى التى تتخرج عليها، وهو قول جمهور العلماء

2-1- الدليل النقلى

2-2- الدليل العقلى

أقوال العلماء في الحروف المقطعة

تمهيد:

ذكرنا فيما سبق عدم ورود ما يفصح عن حقيقة معنى الحروف المقطعة سواء كان ذلك في الكتاب العزيز أو في السنة النبوية، لذلك ذهب المفسرون في معناها مذاهب كثيرة، يمكن تصنيفها ضمن قولين رئيسيين:

1- القول الأول:

الحروف المقطعة سر الله في القرآن، وهي من المتشابه الذي انفرد الله تعالى بعلمه، ولا يجب أن يتكلم فيها، ولكن نؤمن بها كما جاءت.

وهذا القول مروى عن بعض الصحابة، وكذلك قول الإمام الشعبي والثوري وجماعة من المحدثين. قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: "فِي كُتُبِ كِتَابِ سِرِّ، وَالسِّرِّ فِي الْقُرْآنِ أَوَائِلُ السُّورِ".¹ وروى عن عمر وعثمان وابن مسعود- رضي الله عنهم- أنهم قالوا: "الْحُرُوفُ الْمُقَطَّعَةُ مِنَ الْمَكْتُومِ الَّذِي لَا يُفَسَّرُ".²

ومن المحدثين قال الإمام أبو زهرة³: "والمعنى الذي تدل عليه الحروف غير معلوم على وجه اليقين والله أعلم بمراده منها، ولا يستطيع عالم يعتمد على الحقائق العلمية أن يقرر المراد من هذه الحروف، والمعنى المحرر لها، و أقصى ما ذكره العلماء لها حكم يدل عليها ذكرها".

ويقول الشيخ محمد متولي الشعراوي -رحمه الله- " هنالك سر في هذه الحروف، وهذا السر هو من أسرار الله تعالى التي يريدنا أن ننتفع بقراءتنا دون أن نفهمها... وعدم فهمنا لا يمنع أن نستفيد من أسرار الله في كتابه فهمناها أم لم نفهمها... فلا يصح أن نجهد أذهاننا لفهم هذه الحروف... فالله

¹ - الحديث مقطوع سبق تخريجه. د. غانم قدوري حمد: علوم القرآن الكريم، مطبعة دار الحكمة- بغداد-1990م. ص225.

² - نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري (ت728): غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ضبط وتخرجه زكريا عميرات، دار الكتاب العلم: بيروت ط1، 1416-1996م. ج1 ص 129.

³ - الإمام محمد أبو زهرة: زهرة التفاسير، دار الفكر العربي ص 1098.

سبحانه وتعالى شاء أن يبقى معناها في الغيب عنده... وإذا كنا لا نفهم هذه الحروف، فوسائل الفهم والإعجاز في القرآن الكريم لا تنتهي"⁴.

فمجمّل هذه الأقوال هو أن الحروف المقطعة من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه ولم يفسره، وقد ذكر هذا القول كثير من المفسرين. واحتج القائلون بهذا القول بأدلة من النقل والعقل .

1-1-1- الدليل النقلی:

الظاهر أن أصحاب هذا القول قد تمسكوا بالآية السابعة من سورة آل عمران وهي قوله تعالى: " هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ " ⁵.

وذهب الأكثرون⁶ إلى أن الواو في قوله: "وَالرَّاسِخُونَ" واو الاستئناف فيكون مبتدأ وتم الكلام عند قوله: " وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ " والجملة من قوله: " يَقُولُونَ... " خبر المبتدأ⁷، فالوقف عندهم على لفظ الجلالة: " اللَّهُ " واجب لوجوه:

1-1-1- الوجه الأول: أن قوله تعالى: " وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ " لو كان معطوفاً على

قوله: "إِلَّا اللَّهُ" لبقی: " يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ " منقطعاً عنه، وأنه غير جائز لأنه وحده لا يفيد، لا يقال أنه حال، لأننا نقول حينئذ يرجع إلى كل ما تقدم، فيلزم أن يكون الله تعالى قائلاً: " يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا ۗ " وهذا كفر⁸.

1-1-2- الوجه الثاني: أن تأويله لو كان مما يجب أن يعلم لما كان طلب ذلك التأويل ذمًا، لكن

الله قد جعله تعالى ذمًا حيث قال: " فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ

⁴ - محمد متولي الشعراوي (ت1418): خواطر حول القرآن الكريم، مطابع أخبار اليوم، سنة 1997 ج1 صص 109، 107.

⁵ - ابن الجوزي (ت597هـ) فنون الأفيان في علوم القرآن ، تحقيق محمد حسن دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط1/2001 والآية هي السابعة (07) من سورة آل عمران .

⁶ - سيد قطب (ت1378هـ) في ظلال القرآن، دار الشروق-بيروت، ط3، سنة 1977، ج1، ص38.

⁷ - فرج توفيق الوليد: قواعد التلاوة وعلم التجويد، دار سعيد ابن جبير، ط1/1426هـ. ص44.

⁸ - محمد طه البيلساني القول المصنف في تفسير سورة يوسف، مطبعة وزارة الأوقاف والشؤون الدينية-بغداد-العراق ص 21.

وَإِتِّغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ⁹، وبهذا فلا يجوز تأويل المتشابه، إذ أن الوقوف في الآية على لفظ الجلالة يفيد بأنه لا يعلم تأويل المتشابه إلا الله، فلا يجوز الخوض فيه بعد أن ذم سبحانه الذين يتبعون تأويله، ووصفهم بأن في قلوبهم زيغ، فمن ابتغى تأويل المتشابهات فهو زائغ عن الحق.¹⁰

وقد ورد في الحديث الشريف الذي روته السيدة عائشة، رضي الله عنها: "قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ: " هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۗ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ"¹¹ قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فَإِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ"¹².

9- أبو محمد بن عمر الزمخشري (ت548) الكشاف عن حقائق التنزيل، دار إحياء التراث العربي. ج1ص1، 10من الآية 7 من آل عمران
10- حفص بن علي بن عادل الحنبلي (ت880هـ) : اللباب في علوم الكتاب، تحقيق عادل أحمد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان ط1/ 1419-1998 ج 1 ص251.
11- سورة آل عمران من الآية 07.

12- أما عن تخریج الحديث فقد ورد في صحيح مسلم: "حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنُ قَعْبَةَ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ التَّمِيمِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مَلِيكَةَ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ عَائِشَةَ قَالَتْ: " تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۗ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ " قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فَإِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ" مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه والنهي عن الاختلاف في القرآن، رقم الحديث/2665/ 4817 ص2053: وقد شرح الإمام النووي -رحمه الله- هذا الحديث في باب النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه والنهي عن الاختلاف في القرآن. قولها: "تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات إلى آخر الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم قد اختلف المفسرون والأصوليون وغيرهم في الحكم والمتشابهة اختلافا كثيرا...و إذا لم يرد التوقيف في تفسيره فينبغي أن يفسر بما يعرفه أهل اللغة. ويناسب اللفظ من حيث الوضع. ولا يناسب قول من قال: المتشابهة الحروف المقطعة في أوائل السور، والحكم ما سواه. ولا قولهم: الحكم ما يعرفه الراسخون في العلم، والمتشابهة ما انفرد الله تعالى بعلمه. ولا قولهم: الحكم الوعد والوعيد، والحلال والحرام، والمتشابهة القصص والأمثال. فهذا أبعد الأقوال. قال: بل الصحيح أن الحكم يرجع إلى معنيين: أحدهما المكشوف المعنى الذي لا يتطرق إليه إشكال واحتمال، والمتشابهة ما يتعارض فيه الاحتمال. والثاني أن الحكم ما انتظم ترتيبه مفيدا إما ظاهرا وإما بتأويل، وأما المتشابهة فالأسماء المشتركة كالقرء وكالذي بيده عقدة النكاح، وكاللمس. فالأول متردد بين الحيض والطهر، والثاني

واحتجوا بما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال: "إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله فإذا نطقوا به أنكروه أهل الغرة بالله"¹³، ولأن القول بأن هذه الفواتح غير معلومة مروية عن أكابر الصحابة فوجب أن يكون حقاً لقوله عليه الصلاة والسلام: "أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ بِأَيْهِمْ إِقْتَدَيْتُمْ إِهْتَدَيْتُمْ"¹⁴.

بين الولي والزوج ، والثالث بين الوطاء واللمس باليد ، ونحوها . قال : ويطلق على ما ورد في صفات الله تعالى مما يوهم ظاهره الجهة والتشبيه ، ويحتاج إلى تأويل . واختلف العلماء في الراسخين في العلم هل يعلمون تأويل المتشابه؟ وتكون الواو في الراسخون عاطفة أم لا ؟ ويكون الوقف على وما يعلم تأويله إلا الله ، ثم يتدنى قوله تعالى : والراسخون في العلم يقولون آمنا به وكل واحد من القولين محتمل ، واختاره طوائف ، والأصح الأول ، وأن الراسخين يعلمونه لأنه يبعد أن يخاطب الله عباده بما لا سبيل لأحد من الخلق إلى معرفته ، وقد اتفق أصحابنا وغيرهم من المحققين على أنه يستحيل أن يتكلم الله تعالى بما لا يفيد . والله أعلم . بحيي بن شرف أبو زكريا النووي، شرح صحيح مسلم، دار الخير سنة 1996م حديث رقم: 2665. ص 115/ 116.

¹³ - بكسر القاف مخففاً من حد ضرب: "عالمًا آتاه الله علماً فإن الله لم يحقره إذا آتاه العلم". قال العراقي: رواه أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمى في الأربعين التي جمعها في التصوّف من رواية عبد السلام بن صالح عن سفيان بن عيينة عن ابن جريج عن عطاء عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله عز وجل فإذا نطقوا به لا ينكره إلا أهل الغرة بالله عز وجل" ومن طريق السلمى رواه الديلمي في مسند الفردوس وعبد السلام بن صالح أبو الصلت الهروي وهو ضعيف جداً . وأورده السيوطي في اللآلئ المصنوعة فقال: أخرجه الطيبي في ترغيبه فقال: أخبرنا القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن أبو علي حامد بن محمد الرفاء أخبرنا نصر بن أحمد حدثنا عبد السلام بن صالح فساقه وزاد بعد قوله: إلا أهل الاغترار بالله؛ أن الله جامع العلماء يوم القيامة في صعيد واحد فيقول إني لم أودعكم علمي وأنا أريد أعضدكم وأورده كذلك في كتابه تأييد الحقيقة العلية وتشديد الطريقة الشاذلية من هذه الطريق إلا أن فيها إلا أهل الغرة بالله عز وجل كما عند السلمى ، ثم قال وهذا إسناد ضعيف وعبد السلام بن صالح كان رجلاً صالحاً إلا أنه شيعي وهو من رجال ابن ماجه وقال السيوطي فالحاصل أن حديثه في مرتبة الضعيف الذي ليس بموضوع قال وقد أورد القطب القسطلاني هذا الحديث في كتاب له في التصوّف وقال إن له شاهداً من مرسل سعيد بن المسيب، قال العراقي: وأما آخر الحديث فرواه أبو عبد الله الحسين بن فنجويه الدينوري في كتاب المعلمين من رواية كثير بن سليم عن أنس فذكر حديثاً طويلاً فيه ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "إن الله عز وجل يقول لا تحقروا عبداً أعطيته علماً فإني لم أحقره حين وضعت ذلك العلم في قلبه" وكثير بن سليم ضعيف الرواية ، قلت: وأخرجه ابن عدي في الكامل في ترجمة طلحة بن زيد من حديث أبي موسى الأشعري ورفعته: "إن الله تبارك وتعالى يقول: لا تحقروا عبداً آتيته علماً فإني لم أحقره حين علمته"، وطلحة بن زيد متروك الرواية. تخريج أحاديث إحياء علوم الدين،: العراقي (ت 806 هـ)، ابن السبكي (ت 771 هـ)، الزبيدي (ت 1205 هـ) استخراج: أبي عبد الله محمد بن محمد الحدّاد (1374 هـ) دار العاصمة للنشر - الرياض الطبعة: الأولى 1987 ج 1 ص 102.

¹⁴ - هذا الحديث رواه أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463 هـ) جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط 1، 1994م ج 1 ص 895. وأورده ابن حزم في الإحكام: "من طريق سلام بن سليم، قال : حدثنا الحارث بن غصين ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ بِأَيْهِمْ إِقْتَدَيْتُمْ

1-2- الدليل العقلي:

أنكر المتكلمون القول بأن الحروف المقطعة من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله، وقالوا: لا يجوز أن يرد في كتاب الله ما لا يفهمه الخلق، لأن الأمر بتدبره، والاستنباط منه، وذلك لا يمكن إلا مع الإحاطة بمعناه، وعلى هذا جاء الاستدلال العقلي رداً على هذا الإنكار، وهو: أن جهلنا بالمراد من هذه الآيات لا يضر للأسباب الآتية:

1-2-1- الوجه الأول: أن من الأفعال التي كلفنا بها ما لا نعرف وجه الحكمة فيه، كرمي الجمرات، والسعي بين الصفا والمروة¹⁵.

1-2-2- الوجه الثاني: أن الإنسان إذا عرف المعنى وأحاط به سقطت هيئته من القلب، وإن لم يقف على المقصود منه على القطع بأن المتكلم به حكيم، فإنه يبقى متعلقاً به أبداً، وفي بقاء العبد ملتفت الذهن، منشغل الخاطر بذلك مصلحة عظيمة.¹⁶

ثم إن هناك معاني في ورود هذه الحروف في أوائل السور، منها إفهام للبشر أنهم مهما بلغوا من العلم فإنهم لم يطلعوا على كثير من الأسرار، ومنها معاني هذه الحروف، وكذلك فإن مجيء هذه الحروف بهذه الصورة ستكون دافعا إلى إعمال الفكر والنظر والاجتهاد في الوصول إلى حقيقتها، وهذا تشجيع على التأمل والحركة، لا تبقى جامدة أمام حقائق جاهزة، وغير داعية لأدنى نظر وفكر وتأمل.¹⁷

2- القول الثاني:

إِهْتَدَيْتُمْ"وسلام بن سليم - ويقال ابن سليمان- :متروك متهم. قال ابن معين : ليس حديثه بشيء ، وقال ابن حبان : يروى عن الثقات الموضوعات كأنه كان المعتمد لها أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ. الإحكام في أصول الأحكام تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر قدم له :الأستاذ الدكتور إحسان عباس الناشر :دار الآفاق الجديدة، بيروت، ج6، ص 244. والديلمي ج 4 ص 75 من طريق سليمان ابن أبي كريمة عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا بلفظ : (إن أصحابي بمنزلة النجوم في السماء، فأبها أخذتم به اهتديتم ، واختلاف أصحابي لكم رحمة(وهذا إسناد ضعيف جدا : سليمان بن أبي كريمة ضعيف، وجويبر هو ابن سعيد الأزدي ، متروك ، كما قال الدارقطني والنسائي وغيرهما ، وضعفه ابن المديني جدا.

¹⁵ - عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني (ت1425هـ) معارج التفكير ودقائق التدبر، دار القلم دمشق ط1-2000م.ص45.

¹⁶ - أبو جعفر أحمد بن محمد بن محمد بن إسماعيل النحاس: معاني القرآن، تحقيق محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى مكة ط1-1409هـ. ج1 ص55.

¹⁷ - ينظر د.عبد المحسن عبد الحميد/ د.قحطان عبد الرحمن الدوري تطور تفسير القرآن، - ص 56.

أن المراد من الحروف المقطعة معلوم، ويجب أن يتكلم فيها، ونلتمس الفوائد التي تحثها والمعاني التي تتخرج عليها، وهو قول جمهور العلماء.¹⁸

أنكر البعض -ومنهم المتكلمون- القول الأول، وقالوا: لا يجوز أن يرد في كتاب الله ما لا يكون مفهوماً للخلق واحتجوا على ذلك بالآيات والأخبار والمعقول.

2-1-1-الدليل النقلي: احتج المتكلمون بأربعة عشر دليلاً وهي:¹⁹

2-1-1-1- قوله تعالى: " أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ " ²⁰ إذ أمرهم بالتدبر في القرآن، ولو كان غير مفهوم فكيف يأمرهم بالتدبر فيه؟

2-1-1-2- قوله تعالى: " أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ۗ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ " ²¹ فكيف يأمرهم بالتدبر فيه لمعرفة نفي التناقض والاختلاف مع أنه غير مفهوم للخلق؟

2-1-1-3- قوله تعالى: " وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ " ²²

2-1-1-4- قوله تعالى: " وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۗ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ " ²³، والاستنباط منهلا يمكن إلا مع الإحاطة بمعناه.

2-1-1-5- قوله تعالى: " وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ۗ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ ۗ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ " ²⁴ وقوله: " وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ ۗ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ " ²⁵

18- أبو حيان ينظر البحر المحيط، ج1/35، ابن عطية المحرر الوجيز 82/1، الشوكاني فتح القدير ج1 ص 56.

19- ذكر الإمام الرازي هذه الأدلة في كتابه التفسير الكبير ج2-ص 250-251.

20- سورة محمد- آية 24.

21- سورة النساء الآية 82.

22- سورة الشعراء الآيات 192-195

23- سورة النساء من الآية 83.

24- سورة النحل آية 89.

25- سورة الأنعام الآية 38.

2-1-6- قوله تعالى: "وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾".²⁶ وقوله: "ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۚ فِيهِ ۚ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾"²⁷ وغير المعلوم لا يكون هدى.

2-1-7- قوله تعالى: "حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ۗ فَمَا تُغْنِ النَّذْرُ ﴿٥﴾"²⁸ وقوله: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾"²⁹ وكل هذه الصفات لا تحصل في غير المعلوم.

2-1-8- قوله تعالى: "يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ۗ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾"³⁰.

2-1-9- قوله تعالى: "أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾" وكيف يكون الكتاب كافيا؟ وكيف يكون ذكرى مع أنه غير مفهوم؟

2-1-10- قوله تعالى: "هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَيَلْعَلُّوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾"³¹ فكيف يكون بلاغا وكيف يقطع الإنذار به مع أنه غير معلوم وقال في آخر: "هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَيَلْعَلُّوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾"³²، وإنما يكون كذلك لو كان معلوما.

2-1-11- قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾"³³ ووجه الدلالة أن ما كان غير معلوم لا يكون برهانا ونورا مبينا.

²⁶ - سورة البقرة الآية 185.

²⁷ - سورة البقرة الآية 2.

²⁸ - سورة القمر آية 5

²⁹ - سورة يونس آية 57.

³⁰ - سورة المائدة آية 15.

³¹ - سورة إبراهيم آية 52.

³² - سورة إبراهيم آية 52.

³³ - سورة النساء آية 174.

2-1-12- قوله تعالى: "قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۗ فَأَمَّا يَا تَبِيبُكُمْ مَنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾" ³⁴، ووجه الدلالة أن ما لم يكن معلوما لا يمكن اتباعه والإعراض عنه.

2-1-13- قوله تعالى: "وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمِّيِّ عَن ضَلَالَتِهِمْ ۗ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾" ³⁵، ووجه الدلالة أن ما لم يكن معلوما لا يكون هاديا.

2-1-14- قوله تعالى: "أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۗ كُلُّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۗ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۗ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾" ³⁶ والطاعة لا تمكن إلا بعد الفهم، فوجب كون القرآن مفهوما.

وروي عن النبي محمد- صلى الله عليه وسلم قوله: "تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ" ³⁷، فلا يمكن التمسك به وهو غير معلوم.

وعن علي -رضي الله عنه- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أَلَا إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةً فَقُلْتُ: مَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأُ مَا كَانَ قَبْلَكُمْ وَحَبْرٌ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمٌ مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ فَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ اتَّبَعَى الْهُدَى فِي عَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينِ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذِي لَا تَرِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلُقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِئُهُ، هُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهِ الْجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ حَتَّى قَالُوا: إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَّمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" ³⁸

³⁴ - سورة طه آية 123-124.

³⁵ - سورة النمل الآية 81.

³⁶ - سورة البقرة آية 285.

³⁷ - أخرجه البيهقي في سنن البهقي الكبرى 114/10 رقم (20124). أما عن إسناده؛ قال ابن عبد البر رحمه الله: وَهَذَا مَحْفُوظٌ مَعْرُوفٌ مَشْهُورٌ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ ، شَهْرَةً يَكَادُ يُسْتَعْتَقُ بِهَا عَنِ الْإِسْنَادِ ، وَرُوي فِي ذَلِكَ مِنْ أَحْبَابِ الْأَحَادِيثِ مِنْ أَحَادِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَعَمْرُو بْنِ عَوْفٍ "والأسانيد أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ التمهيد لما في الموطأ من المعاني (تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري ،وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب 1387 :هـ التمهيد:ج24ص331.

³⁸ - أخرجه البيهقي في شعب الإيمان البيهقي 325/2 (1935). وإسناده: عَنْ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ مَرَرْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَدِيدًا النَّاسُ يَخُوضُونَ فِي الْأَحَادِيثِ فَدَخَلْتُ عَلَى عَلِيٍّ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَلَا تَرَى أَنَّ النَّاسَ قَدْ خَاضُوا فِي الْأَحَادِيثِ؟ قَالَ: وَقَدْ

2-2-2-الدليل العقلي: احتج القائلون بأنه لا يجوز أن يرد في كتاب الله ما لا يكون مفهوماً للخلق بالمعقول، وذلك من وجوه:

2-2-1-1- أنه لو ورد شيء لاسبيل إلى العلم به لكانت المخاطبة به تجري مجرى مخاطبة العربي في اللغة الزنجية، ولما لم يجز ذلك فكذا هذا.³⁹

2-2-2-2- أن المقصود من الكلام الإفهام، فلو لم يكن مفهوماً لكانت المخاطبة به عبثاً وسفهاً، وهذا لا يليق بالحكيم.⁴⁰

2-2-3-2- أن التحدي وقع بالقرآن وما لا يكون معلوماً لا يجوز وقوع التحدي به.⁴¹

فَعَلَوْهَا، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: أَلَا إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةً فَقُلْتُ: مَا الْمَحْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأُ مَا كَانَ قَبْلَكُمْ...مستقيم"

³⁹- الرازي: التفسير الكبير ج2ص215.

⁴⁰- المصدر نفسه2ص215.

⁴¹- المصدر نفسه2ص215.

المبحث الثاني التخريج الدلالي للحروف المقطعة

1- الآراء المعتدلة

1-1-1- أنها أسماء

1-1-1- أسماء للصور

1-1-2- أنها أسماء للقرآن الكريم

1-1-3- هذه الحروف أسماء لله تعالى

وقد تفرع عن هذا البعد الدلالي (أسماء الله تعالى) بعد دلالي آخر هو

1-1-4- الحروف المقطعة صفات لله تعالى

1-1-5- أن هذه الحروف بعضها يدل على أسماءه تعالى، وبعضها يدل على أسماء غير الله

1-1-6- هي حروف من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم أوصفاته أو هي من أسماء الصحابة:

1-1-7- أنها تشير إلى أسماء الأنبياء

2- هذه الحروف تدل على القسم

3- أن الله تعالى استغنى بذكر بعضها عن ذكرها جميعا

3- أن هذه الحروف جاءت للدلالة على انقطاع كلام واستئناف آخر

4- أن هذه الحروف سيقت لأجل قرع الأسماع والتنبيه:

6- القول العاشر: أنها تعليم للحروف المقطعة

7- هذه الحروف دليل على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

8- القول بأنها للتحدي والإعجاز

9- الاستعانة في تفسيرها بحساب الجمل

10- الاستعانة في تفسيرها بالإعجاز العددي

11- القول بأعجميتها وتقاطعها مع الكتب السماوية

التخريج الدلالي للحروف المقطعة

تمهيد:

بعد كل ما مر بنا من آراء يمكن الاستنتاج أن المراد من الحروف المقطعة في القرآن الكريم -على قول الجمهور- معلوم، لكنهم ذكروا فيه أقوالاً مختلفة كثيرة متباينة منها ما هو مقبول قريب، إذ لا يعارض الشرع الصحيح، وما عليه إجماع أهل السنة، ولا عيب فيه إلا عدم الدليل. ومن هذه الأقوال ما هو بعيد وغريب، فوق أنه لا دليل عليه، بل وقد يصل إلى حد الشطط والتكلف.

والقارئ لا بد أن يجد هنا أغلب هذه الآراء مصنفة حسب هذا الاعتبار واعتبارات أخرى تتدخل في سياق عرض الآراء والأدلة؛ إذ البدء أولاً بالآراء المقبولة أو الصالحة أن تكون معنى لها دون الجزم التام بها، وهي يمكن أن تتوازي دون أن تتصادم، ويتم الاختتام بالبعيدة فالأبعد.

1- أنها أسماء: وفيه مذاهب وأقوال فمنهم من قال أنها:

1-1 أسماء للسور: (المقصود السور المبدوءة بها) وهو قول أكثر المتكلمين والنحاة اختاره الخليل وسيبويه فمن المتكلمين الزمخشري حيث ذكر هذا الرأي في أول جزء أثناء تفسيره ل (الم) البقرة وعندها عرض رأيه في جميع الفواتح وكان هذا ديدان أغلب المفسرين. فقال: "أحدها (أي أحد هذه الوجوه) وعليه إطباق الأكثر أنها أسماء للسور وأن سيبويه جعل عنوان الباب الذي خصّصه لها في حد ما لا ينصرف "باب أسماء للسور"¹.

وكأننا هنا بجار الله الزمخشري يحيل القارئ إلى كتاب سيبويه ويتشهد برأيه ولك العودة إلى الكتاب فأنت إذ ذاك واجدٌ هذا الباب بهذا الاسم وفيه تحدّث عن الحروف المقطعة على أنها أسماء للسور وبين أحكامها من ناحية قبول التنوين وغيره وعرض لإعرابها حيث سبق عرض آراءه في مبحث القراءات في الحروف المقطعة وتوجيهاتها الإعرابية (وهو مبحث سابق)².

¹ الكشاف ج 1 ص 31.

² الكتاب سيبويه أبو بشر عثمان فنيبر الكتاب - تحقيق عبد السلام هارون مؤسسة الأعلمي - بيروت (ط2-1387هـ

ج 2 ص 34-35.

وقد بين الإمام الزمخشري وجه تسمية هذه السور بهذه المسميات إنما هو للإشعار بأن القرآن الكريم والفرقان المبين ليس إلا كلمات عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الألفاظ فهو من جنس ما ينظمون به كلامهم¹.

وذكر الفخر الرازي في مفاتيح الغيب أن هذا الرأي هو "المختار عند أكثر المحققين واختيار الخليل بن أحمد وسيبويه"²، ليس هذا فحسب بل أفاض الإمام الرازي كثيراً في هذا الرأي واستفاض في الرد على منتقديه والدفاع عنه وعمله هذا شبيه بطريقة الزمخشري (والمتكلمين) في عرض الانتقادات ثم الردّ عليها فكانت بذلك مفاتيح الغيب مصدراً دسماً لمعرفة هذه الانتقادات والاستماتة في الردّ عنها. وسيأتي إن شاء الله بيانه.

ومن أدلة القائلين بهذا الرأي دليل نقلي من السنة النبوية وهو حديث وارد في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْجُمُعَةِ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ الْم تَنْزِيلِ السَّجْدَةِ وَهَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ"³. فقد عرف من هذا الاسم أن المسمى هي السورة الواقعة بين سورة لقمان وسورة الأحزاب، وغير هذا القول أن القائل إذا قال قرأت (المص) عرف السامع أنه قرأ السورة التي افتتحت ب (المص)⁴. وهذا حديث موقوف خرجه الإمام البخاري

¹ الكشاف ج1، ص36.

² أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت606هـ): التفسير الكبير المعروف ب: مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط3، 1420 هـ ج2، ص7.

³ رواه البخاري، د. أبو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم - صحيح البخاري - دار الفكر بيروت لبنان 1998، دط. كتاب الجمعة حديث رقم 851 حدثنا أبو نعيم قال حدثنا سفيان عن سعد بن إبراهيم عن عبد الرحمن هو ابن هرمز الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر الم تنزيل السجدة وهل أتى على الإنسان حين من الدهر" وحديث مسلم: أبو الحسين القشيري النيسابوري بن الحجاج: صحيح مسلم، دار إحياء الكتب العربية. دط. دت باب ما قرئ في يوم الجمعة حديث رقم 879 ج2، ص599.

⁴ جامع البيان عن تأويل القرآن وذكره ابن كثير في تفسيره تحقيق مصطفى السيد محمد وآخرون ط1، 1421-2000، مكتبة أولاد الشيخ للتراث. ج1 ص206

بسند من أبي هريرة رضي الله عنه، وهنالك من يرويه عن الحسن البصري¹. ويروى عنه أيضا أنه قال: "(الم) وَسَائِرُ حُرُوفِ التَّهَجِّي فِي الْقُرْآنِ أَسْمَاءٌ لِلسُّورِ²."

وحاول ابن قتيبة تفسير القول السابق: "إذا قال القائل قرأت (المص) أو (ص) أو (ن) دل ذلك على ما قرأ، كما تقول: لقيت محمداً، وكلمت عبد الله. فهي تدل بالاسمين على العينين، وإن كان قد يقع بعضها مثل: (حم) و (الم) لعدة سور، فإن الفصل قد يقع بأن تقول: (الم) السجدة- (الم) البقرة. كما يقع الوفاق في الأسماء فتدل بالإضافات وأسماء الآباء والكنى"³. ومن بين الأدلة المعاصرة لأصحاب هذا الرأي أيضا وقوع هذه الحروف في أوائل السور، فقد تكون هذه الحروف أسماء بالعلامة على تلك السورة وسميت بها.

لكن هناك مواقف من هذا الرأي أهمها أن أسماء السور توقيفية حيث قال السيوطي: "قد ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار"⁴

لهذا لا يجوز أن يطلق اسم على مسمى من غير أن يعرف المسمى به فإن قيل "فما وجه الاستدلال بالحديث الذي رواه الشيخان؟"، قيل إن جاز عدها اسما للسورة فتكون أسماء للسور التي نصت الروايات عليها دون غيرها.

واعترض أيضا باشتراك عدة سور في اسم واحد مما يؤدي إلى الاشتباه، فالاشتباه حاصل فيها بهذا الاشتراك، والمقصود من اسم العلم إزالة الاشتباه فلم يحصل هذا المقصود من التسمية بهذه الحروف.⁵

¹ عماد الدين أبي الحسن القاضي عبد الجبار بن أحمد (415هـ) تنزيه القرآن عن المطاعن، دار النهضة الحديثة. بيروت ص11. تجده أيضا عند الطوسي: تفسير البيان. تحقيق أحمد حبيب قيصر العالمي، منشورات الأعلمي مكتبة الأمين لبنان وبروايته عن الحسن البصري يصبح مرفوعا.

² الواحدي أبو الحسن بن علي بن أحمد (468هـ)، تحقيق وتقديم محمد أبو العزّ الزفيتي-القاهرة 1406. طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث، ج1، ص26.

³ تأويل مشكل القرآن ص300.

⁴ السيوطي: الإتقان ج1، ص75.

⁵ ينظر مفاتيح الغيب ج2، ص11.

وبعد أن عرض هذا الرأي (الرازي) هاهو يرد عليه بقوله "فمعنى هذا أن المقصود من التسمية إزالة الاشتباه، وهو حاصل بتمييز كل اسم منها بعلامة أخرى، كما أن هذا الاشتراك حاصل أيضا في أكثر الأعلام، فإن كثيرين يتسمون بمحمد، ولا ينافي هذا الاشتراك العَلَمِيَّة، ولا يبعد أن يوجد مع هذا الاشتراك في الاسم حكمة خفية."¹

فكأن القارئ يلمس نوعا من التناقض في كلام الرازي، وينبغي التنويه هنا إلى أنه كلام مستقطع غير متواصل، والمتفحص للقول الثاني على الرغم من بدايته التي تناقض خاتمة ما قاله في الأول. فنقول أن الرأي الأول ليس رأيه إنما ساقه لكامل الصورة، إنما رأيه أتى في الختام مدافعا وهذا التناقض سيق لحاجة في نفس يعقوب، وكذلك فعل الطبري حيث قال: "وإن أشكل معنى ذلك على امرئ فقال: وكيف يجوز أن يكون ذلك كذلك نظائر: (الم) و (الر) في القرآن جماعة من السور؟ وإنما تكون الأسماء أمارات إذا كانت مميزة بين الأشخاص، فأما إذا كانت غير مميزة فليست أمارات! قيل: إن الأسماء وإن كانت قد صارت، لاشتراك كثير من الناس في الواحد منها، غير مميزة إلا بمعان آخر معها من ضم نسبة المسمى بها إليها أو نعته أو صفته، بما يفرق بينه وبين غيره من أشكالهما، فأما وضعت ابتداء للتمييز - لا شك - ثم احتيج عند الاشتراك إلى المعاني المفرقة بين المسمين بها، فكذلك ذلك في أسماء السور، جعل كل اسم في قول قائل هذه المقالة، أمانة للمسمى به من السور" يواصل: "فلما شارك المسمى به فيه غيره من سور القرآن، احتاج المخبر عن سورة منهما أن يضم إلى اسمها المسمى به من ذلك، ما يفرق به السامع بين الخبر عنها، وعن غيرها، من نعت وصفة أو غير ذلك، فيقول المخبر عن نفسه أنه تلا سورة البقرة، إذا سماها باسمها الذي هو (الم): قرأت (الم البقرة)، وفي آل عمران: قرأت (الم آل عمران)، (الم ذلك الكتاب)، و {الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم}، كما لو أراد الخبر عن رجلين اسم كل واحد منهما، "عمرو"، غير أن أحدهما تيمي والآخر أزدي للزمه أن يقول لمن أراد إخباره عنهما: لقيت عمرا التيمي وعمرا الأزدي، إذا كان لا يفرق بينهما وبين غيرهما ممن يشاركهما في أسمائهما، إلا نسبتهما كذلك، فكذلك ذلك في قول من تأول في الحروف المقطعة إنها أسماء للسور"².

¹ مفاتيح الغيب ج2، ص11-12.

² جامع البيان ج1 ص211.

ولعلّ هذا الرأي هو أقرب الآراء إلى المنطق، إذ يُسمّى بالاسم غير واحد من الناس فإن اجتماعا فرقوا بينهما بالطول أو اللون أو النسبة والكنية، ونسبي أيضا كثيرا من الأشياء بالحروف الفوج: أ، الفوج: ب، الزاوية: هـ و ي، المثلث: أ ب ج، المربع: أ ب ج د وغيرها.

واعترضوا أيضا وكانت حجتهم عدم اشتها السور بهذه الأسماء كسورة البقرة وآل عمران، والأعراف ومريم فلو كانت أسماء لتواترت جيلا بعد جيل.

وأجاب الرازي بعد عرضه لهذا الرأي بأنه: ما أكثر أن يصير اللقب أكثر شهرة من الاسم الأصلي فكذا هاهنا.¹

ومجمل القول: أن هذه السور اشتهرت بهذه الأسماء لعدّة دواعي فالزهران (البقرة وآل عمران) نزلنا بالمدينة المنورة ومواجهة أهل الكتاب معروفة هنا إما بالحروف المقطعة أو بالقصص القرآني عن الأمم السابقة التي جاءت أخبارها في كتبهم. فالبقرة - أطول سور القرآن - لا تعدو أن تشغل جزئية من القرآن؛ لكنها أهم ما شغل بني إسرائيل، فإن قيل ذكر أيضا سيدنا موسى وهو أهم من بقرة بني إسرائيل عند الجميع؛ فالرد: أنه أكثر الأنبياء ذكرا في القرآن الكريم؛ فقد ذكر في كثير من السور. والتسمية تكون بالميزة والتفرد ولم تذكر البقرة سوى في هذه السورة؛ بينما ذكرت الحروف في غيرها. وكذلك الأمر بالنسبة لآل عمران أصل أهل الكتاب من يهود ونصارى معا.

وتجد نظير سورة البقرة، سورة النمل والعنكبوت، والنحل وفي سورة الحديد والجن.

1-2- أنها أسماء للقرآن الكريم:

روى الإمام ابن عطية عن قتادة قوله: "هُمَا أَسْمَاءٌ لِلْقُرْآنِ كَالْفُرْقَانِ وَالذِّكْرِ."² وقال ابن كثير هكذا قال قتادة وزيد بن أسلم.³ وكذلك ذكره الإمام ابن جرير الطبري بأسانيده عن قتادة ومجاهد

¹ مفاتيح الغيب ج2 ص12.

² المحرر الوجيز ج3، ص25.

³ تفسير ابن كثير ج1، ص251.

وابن جريح¹، ولعلمهم قصدوا قول قتادة الذي أخرج الصنعاني في تفسير القرآن عن قتادة "كل هجاء في القرآن فهو من أسماء القرآن"².

وقد ساق الإمام الطبري هذا القول وعقب عليه بتوجيهين:

أولهما: أنّ الذين قالوا أن الحروف المقطعة من أسماء القرآن أن يكونوا أرادوا أن (الم) اسما للقرآن كما الفرقان اسم له، كان قوله تعالى: "الم ﴿١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ" على معنى القسم كأنه قال والقرآن هذا الكتاب لا ريب فيه.

ثانيهما: أن يكونوا أرادوا أن يكون اسما من أسماء السورة التي تعرف به فيفهم من قول القائل: "قرأت (المص) و (ن) أي سورة الأعراف والقلم"³.

ويبدو أن الرأي الثاني يعيدنا إلى القول الأول بأنها أسماء للصور وعلى هذا يمكن التنازل عن القول الثاني، إذا كان كلاهما واحدا.

ورجح ذلك أيضا ابن كثير الذي رأى أن هذا الرأي مستنتج من معنى قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنه اسم من أسماء: "الم ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾"⁴ و "الم ﴿١﴾ أَحْسِبَ"⁵ لكنه لم يعقب⁶. ورفض هذا القول من المحدثين الطاهر بن عاشور ورمضان عبد التواب فرأى الأول أن: الذين رأوا بأن الحروف المقطعة من أسماء القرآن استنتجوا ذلك من ذكر الكتاب والتنزيل والقرآن مباشرة بعد هذه الحروف في السور الواردة فيها لكن لهذه القاعدة استثناء حيث شذت الروم والعنكبوت ومريم والقلم عن القاعدة، فلم يذكر الكتاب بعد الحروف المتهجاة فيها لا تصريحاً ولا تلميحاً فجاء بعد الحروف

¹ جامع البيان عن تأويل القرآن ج1، ص205 والآية الواردة في النص من سورة البقرة الآية 1 ومن الآية 2. وذكره الإمام الطوسي في تفسير البيان ج1، ص47، الميسر والطبرسي في مجمع البيان في تفسير القرآن ج1، ص45 تحقيق إبراهيم شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 1997.

² عبد الرزاق بن همام الصنعاني 211هـ، تفسير القرآن، تحقيق محمد مصطفى مسلم مكتبة الرشد- الرياض، ط1 1986، ج1، ص37.

³ انظر جامع البيان في تأويل القرآن ج1، ص211.

⁴ الروم: 1-2.

⁵ العنكبوت: الآية1 ومن الآية2.

⁶ تفسير ابن كثير: ج1، ص251.

في سورة مريم دعاء زكريا - عليه السلام - وفي العنكبوت عن الابتلاء وفي الروم أخبار عن انتصار الروم مستقبلا.

أما رمضان عبد التواب فرأى أنه لو سَلَّم بهذا الرأي ورأى أن هذه الحروف من أسماء القرآن حتى ولو لم تكن معروفة المعنى فقد يسمي شخص ابنه اسما دون أن يعرف معناه لكن المشكلة ليست هنا وإنما في تعويض الحروف بالقرآن في سورها فمثلا في سورة مريم: "كَهَيْعَص ﴿١﴾ ذَكَرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾"، وذلك لا يستقيم في رأيه². ومن جملة الرافضين أيضا: الدكتور عبد الجبار شرارة³ الذي اختار رأي الإمام ابن كثير (من القدماء) و الدكتور رمضان عبد التواب (من المحدثين) وزاد عليهما عدم توفر عنصر الشهرة بتسمية القرآن بهذه الحروف وانعدام الحكمة من هذه التسمية وهذا ما رآه د. رمضان عبد التواب في مقام الاعتراض على قول من رأى أن الحروف المقطعة من أسماء القرآن كحجة أولى.

وأضاف حجة ثانية هي: أن الحق -تبارك وتعالى- قد سمى القرآن بأسماء وأوصاف، جاءت في كثير من المواضع في القرآن الكريم منها على سبيل المثال لا الحصر: قال تعالى: "تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾"⁴ ومنها قوله تعالى: "نَا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾"⁵ ومنها قوله تعالى: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾"⁶ وقوله -عز وجل- "اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٢٣﴾"⁷، إلى غير ذلك من الأسماء والأوصاف التي سمى الله -عز وجل- بها كتابه المجيد وجاء ذكرها في آيات القرآن الحكيم.

¹ سورة مريم الآية 1-2.

² رمضان عبد التواب، حول فواتح سور القرآن الكريم مجلة كلية الآداب جامعة عين شمس، القاهرة، ج8/1963.

³ عبد الجبار محمد حسين شرارة، الحروف المقطعة في القرآن الكريم، الإرشاد -بغداد ط1980، ص30-31.

⁴ سورة يوسف الآية 1.

⁵ سورة يوسف الآية 2.

⁶ سورة الحجر: الآية 9.

⁷ سورة الزمر الآية 23.

وكذلك عنيت السنة النبوية المطهرة بأسماء القرآن الكريم وأوصافه، فمنها ما رواه الإمام مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ "1.

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن الحارث بن عبد الله قال مررت في المسجد فإذا الناس يَجُوضُونَ فِي الْأَحَادِيثِ فَدَخَلْتُ عَلَى عَلِيٍّ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَلَا تَرَى أَنَّ النَّاسَ قَدْ حَاضُوا فِي الْأَحَادِيثِ؟ قَالَ: وَقَدْ فَعَلُوهَا، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: أَلَا إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةً فَقُلْتُ: مَا الْمَخْرُجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأُ مَا كَانَ قَبْلَكُمْ وَحَبْرُ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الْهَدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْأَمْتِينَ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلُقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِئُهُ، هُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهِ الْجِنَّ إِذْ سَمِعْتَهُ حَتَّى قَالُوا: إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَأَمَّنَّا بِهِ، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ "2

ومن هذه الآيات والأحاديث نفهم أن الله تبارك وتعالى قد سمى القرآن الكريم بأسماء متعددة، ولو كانت هذه الحروف اسما من أسماء القرآن لكان الحق تبارك وتعالى دلنا عليها، ووضحها لنا النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.3

1-1-3- هذه الحروف أسماء لله تعالى:

1- أخرجه البيهقي في سنن البيهقي الكبرى 114/10 رقم (20124). أما عن إسناده؛ قال ابن عبد البر رحمه الله: وَهَذَا مُحْفُوظٌ مَعْرُوفٌ مَشْهُورٌ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ ، شُهْرَةٌ يَكَادُ يُسْتَعْنَى بِهَا عَنِ الْإِسْنَادِ ، وَرُوي فِي ذَلِكَ مِنْ أَجْبَارِ الْأَحَادِيثِ مِنْ أَحَادِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَعَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ "والأسانيد أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ التمهيد لما في الموطأ من المعاني (تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري ،وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب 1387 :هـ التمهيد:ج24ص 331.

2 السنن الكب ج 2ص325 رقم الحديث(1935)

3 الإعجاز اللغوي في فواتح السور، ص87.

أصحاب هذا الرأي لا يستقون من آية ولا من حديث إنما من قول علي بن أبي طالب أخرجه ابن ماجة في تفسيره من طريق نافع بن أبي نعيم القارئ، عن فاطمة بنت علي بن أبي طالب يقول: يا (كهيعص) اغْفِرْ لي، وَمَا أَخْرَجَهُ إِلَّا أَبِي حَاشِمٍ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ فِي قَوْلِهِ "كهيعص" قَالَ: يَا مَنْ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ".¹

وعلق الإمام ابن عطية - رحمه الله - على هذا الدعاء بأنه يحتمل أن يكون (كهيعص) اسما من أسماء الله، ويحتمل أن يكون عليّ أراد أن ينادي الله بجميع الأسماء التي تضمنها (كهيعص)، كأنه أراد أن يقول: يا كريم، يا هادي، يا عليّ، يا عزيز، يا صادق اغفر لي. فجمع هذا كله باختصار في قوله: (كهيعص).²

وقد تعقب الإمام البيضاوي قول الإمام علي - كرم الله وجهه - وأولّه بتقدير مضاف حيث قال: "ولعله أراد يا مُنْزَهَا".³

وهذا تقدير وارد خاصة أن هناك من تبني هذا الرأي من أمثال الشيخ محي الدين زادة الذي شرح تفسير البيضاوي بوضع حاشية عليه فكان معه في آرائه قلبا وقالبا فقال: "لم يرض الفاتحين المذكورتين من أسماء الله تعالى بل أولهما بتقدير المضاف بناء على أنه عَلِمَ بالاستقراء أن أسماء الله تعالى لا تخلو من أن تدل على تعظيم أو تنزيه ما يرجع إليها، والفواتح ليست كذلك".⁴

¹ أخرجه ابن جرير في تفسيره جامع البيان عن تأويل القرآن ج9 ص44، دار الفكر، بيروت-لبنان ط1408هـ- 1988م فقد أخرجه بسنده عن فاطمة ابنة علي قالت: كان علي يقول: "يا كهيعص اغْفِرْ لي" أخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب التفسير -باب تفسير سورة مريم ج3 ص403، وقد ذكره الإمام الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب ج7/2، وذكره أيضا البيضاوي في تفسيره ج1 ص142.

² المحرر الوجيز في الكتاب العزيز ج9/424.

³ ينظر تفسير البيضاوي بحاشية محي الدين شيخ زاده ج1/142.

⁴ حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي ج1/143، 142.

ويروى عن الإمام مالك أنه لم يجوز تسمية الأشخاص بهذه الحروف تحزّزا من أن تكون أسماءً لله تعالى، حين سئل: هل ينبغي أن يتسمى ب(يس)؟ فقال ما أراه ينبغي لقول الله تعالى: "يس ﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾" يقول هذا اسمي يس.¹

وقد علّق ابن عربي على هذا القول بأنّ: "العبد يمكن أن يسمّى باسم الرب إذا كان يتحلّى بجزء من معناه مثل العلم والقدرة فنقول عالم، قادر... وإتّما منع مالك ذلك في يس أننا لا نعرف معنى هذا الاسم فلربما تضمّن صفة خاصة به تعالى؛ ومنه لا يجوز للعبد أن يدّعي هذه الصّفة وإلاّ ادّعى الرّبوبيّة. واستثنى من اعتباراته الآية الكريمة "سَلَامٌ عَلَيَّ إِنْ يَأْسِينِ ﴿١٣٠﴾" فهي غير متهجاة²

لكن هذا الرأي لا ينتهي هنا بل له وجه آخر هو أن هذه الحروف ليست أسماء بل أبعاض أسماء، إذ روي عن سعيد بن جبیر أنّها أبعاض أسماء الله تعالى، فإن الر، حم، ن مجموعها اسم الرحمن لكننا لا نقدر على كيفية تركيبها في الجميع،³ وقد أخرج هذا القول الطبري -رحمه الله- بأسانيد عن أبي سعيد بن جبیر وعن ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرج أيضا عن ابن أبي حاتم عن عامر أنه سئل عن (الم، والر، وحم، ص) قال: "هي اسم من أسماء الله مقطعة بالهجاء، فإذا فصلتها كانت اسما من أسماء الله"⁴، وأخرج الإمام السيوطي عن سعيد بن جبیر أيضا في قوله (حم) قال: "الحاء اشتقت من الرحمن والميم اشتقت من الرحيم"⁵.

¹ المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ) الجامع

لآية من سورة يس الآيتان 1 و2.

² انظر أبو بكر بن عربي (ت 543هـ)، أحكام القرآن تحقيق محمد بن علي بجاوي دار الفكر - بيروت دط. دت، ج4، ص168. والآية 37 من سورة الصافات.

³ نقلا عن الرازي، مفاتيح الغيب ج1، ص06.

⁴ جامع البيان ج7، ص79.

⁵ انظر الإتيقان في علوم القرآن.

ومما يعضد هذا الوجه؛ ما روي عن الأئمة ابن عطية والقرطبي وأبو حيان في تفاسيرهم عن الإمام علي كرم الله وجهه وابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "الحروف المقطعة في القرآن هي اسم الله الأعظم، إلا أنا لا نعرف كيفية تأليفه منها"¹.

وقد تفرع عن هذا البعد الدلالي (أسماء الله تعالى) بعد دلالي آخر هو:

1-1-4- الحروف المقطعة صفات لله تعالى:

يعزى هذا الرأي لابن عباس رضي الله عنهما الذي روي عنه قوله في الم أن كل حرف منها مأخوذ من اسم من أسمائه سبحانه، فالألف من الله، واللام من لطيف، والميم من مجيد، أو الألف من آلائه والميم من مجيد²، وإليه ينسب القول في كهيعص أن الكاف من كافٍ والهاء من هادٍ، والياء من حكيم، والعين من عليهم، والصاد من صادق، وقال الكلبي هو كتاب كافٍ هادٍ حكيم عالم صادق³. وفي معرض تفسيره لسورة الأعراف عرض الألوسي قولاً للضحاك في معنى (المص) أنا الله الصادق، وعن محمد بن كعب القرني أن الألف واللام من الله والميم من الرحمن والصاد من الصمد وقيل المراد به (الم نشرح لك صدرك)⁴.

وتجد في سورة يونس " والمراد من (الر) على ما روى جماعة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنا الله أرى وفي رواية أخرى أنها بعض الرحمن وتماه (حم) و (ن). وعن قتادة أنها بعض الراحم وهو من أسماء القرآن" وفي هذا القول جمع الألوسي عدداً من الآراء.

- أنها أسماء لله، - وأنها أسماء للقرآن، - وأنها صفات لله.

فالنص على صغره كثيف ومركّز الشحنة الدلالية، "وفي معرض تفسيره لسورة الرعد تجد قوله (بسم الله الرحمن الرحيم المر) أخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن ابن عباس أن معنى ذلك: الله أعلم وأرى" وهو أحد الأقوال المشهورة في مثل ذلك⁵، وفي سورة مريم "بسم الله الرحمن الرحيم (كهيعص)"

¹ انظر الجامع لحكام القرآن ج1، ص173.

² نقلاً عن الزركشي: البرهان، ج1، ص173.

³ ابن قتيبة تأويل مشكل القرآن، ص299.

⁴ روح المعاني، ج8، ص74.

⁵ المصدر نفسه ج8، ص58.

أخرج ابن مردويه عن الكلبي أنه سئل عن ذلك فحدث عن أبي صالح عن أم هانئ عن رسول الله أنه قال: كاف من كريم، وها من هاد، ويا من حكيم وعين من عليم وصاد من صادق، وفي رواية أنه قال: كبير هاد أمين عزيز صادق¹، وفي الشعراء: "طسم: أخرج ابن أبي حاتم عن محمد بن كعب أنه قال في هذا: "الطاء من ذي الطول والسين من القدوس والميم من الرحمن".²، وفي صاد: "أخرج ابن جرير عن الضحاك قال: "(ص) صدق إليه"، وأخرج ابن مردويه عنه أنه قال: (ص) يقول إني أنا الله الصادق، وقال محمد بن كعب القرظي: هو مفتاح أسماء الله تعالى: صمد وصانع المصنوعات وصادق الوعد"³. وفي القلم: روى عن ابن عباس... فيما روي عنه في تعيين المراد به حتى أنه روي عنه أنه آخر حرف من حروف الرحمن وأن هذا الاسم الجليل فرق في (الر) و (حم).

وجاء في الإتيان حكي الكرمانى في قوله (ق) إنه حرف من اسمه قادر، وقاهر، وحكى غيره في قوله: (ن) إنه مفتاح اسمه تعالى: نور وناصر"⁴. وقد ذكر الإمام الرازي هذا الوجه لكنه قسمها بتقسيمات مختلفة لكن ما يهمنا هنا أنه اعتبر المراد من الحروف المقطعة إذ تدل على اسم أو أكثر

¹ المصدر نفسه ج16، ص57. (حديث موقوف) عن ابن عباس وليس عن النبي وسندحدثنا حدثنا أحمد بن يونس، ثنا هشيم، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس، قال: "كاف من كريم، وعين من عليم، وياء من حكيم، وها من هاد، وصاد من صادق، وحتي إن علي بن أبي طالب كان يُجملها، فيقول: يا كهيعص اغفر لي، كما يقول: يا الله، اغفر لي". وينظر: شرح معنى حروف (كهيعص) حدثنا الشيخ أبو بكر بن إسحاق، أنبا يعقوب بن يوسف القزويني، ثنا عبد الرحمن بن عبد الله الدشتكي، ثنا عمرو بن أبي قيس، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قوله عز وجل: (كهيعص) قال: كاف من كريم، وها من هاد، ويا من حكيم، وعين من عليم، وصاد من صادق" أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري المستدرک على الصحيحين دار المعرفة 1998 م حديث رقم: 1330/ 3457 ص123.

² المصدر نفسه، ج19، ص58. وينظر أيضا الإكليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام النسفي: "طسم الشعراء الآية 1: قيل إن الطاء من ذي الطول والسين من القدوس والميم من الرحمن، وكذا (حم عسق) النمل الآيتان 1-2 الحاء والميم من الرحمن والعين من العليم والسين من القدوس والقاف من القاهر وكذا (ن) القلم أنه مفتاح اسمه نور وناصر وكذا (ق) الآية 1 أنه مفتاح اسمه قادر وقاهر وكذا القياس في البواقي". محمد بن عبد الحق بن شاه الهندي الحنفي (ت1233هـ) اعتنى به وضبطه الشيخ محي الدين البيرقدار، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2 ص334.

³ الألوسي: روح المعاني، ج23، ص160.

⁴ الإتيان في علوم القرآن، ج3، ص22-23.

أو صفة من صفات الذات أو الأفعال لله تعالى، باعتبار كل حرف منها مفتاحاً لاسم من أسمائه تعالى أو صفة من صفاته.¹

ولعل ما يهمنا هنا البعد الدلالي لهذه الحروف ومن هنا استنتجنا أن في هذا التوجيه عدة أبعاد فهذه الحروف تشير إلى أسماء ذات تارة وإلى أسماء صفات تارة وإلى أفعال تارة أخرى، مثل قول الألوسي في حم عسق الشورى "قيل: إن (حم) اسم من أسماء الله تعالى. و(ع) إشارة إلى عذاب يوم بدر وسين إشارة إلى قوله تعالى: "وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ" و(ق) قارعة من السماء تصيب الناس وروي ذلك بسند ضعيف عن أبي ذر والذي يغلب على الظن عدم ثبوت شيء من الروايتين"². ولعله قصد الحديث المنقطع الذي يروى عن عمر بن الخطاب والذي أجمع كل من ذكره من المفسرين على ضعفه ونصه: "صَعِدَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْمُنْبَرِ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، هَلْ سَمِعَ مِنْكُمْ أَحَدٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُفَسِّرُ "حَم ﴿١﴾ عَسَق ﴿٢﴾" [الشورى: 1-2]؟ فوثبَ ابنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ: أَنَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {حَم} اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: ف(عَيْنٌ)؟ قَالَ: عَايَنَ الْمُشْرِكُونَ عَذَابَ يَوْمِ بَدْرٍ، قَالَ: ف(سَيْنٌ)؟ قَالَ: فَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ، قَالَ: ف(قَافٌ)؟ قَالَ: فَجَلَسَ فَسَكَتَ، فَقَالَ عَمْرٌ: أَنْشُدْكُمْ بِاللَّهِ، هَلْ سَمِعَ أَحَدٌ مِنْكُمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُفَسِّرُ: "حَم ﴿١﴾ عَسَق ﴿٢﴾" [الشورى: 1-2]؟ فوثبَ أَبُو ذَرٍّ فَقَالَ: أَنَا، فَقَالَ: {حَم}؟ فَقَالَ: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ، قَالَ: (عَيْنٌ)؟ فَقَالَ: عَايَنَ الْمُشْرِكُونَ عَذَابَ يَوْمِ بَدْرٍ، قَالَ: ف(سَيْنٌ)؟ قَالَ: سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ، قَالَ: ف(قَافٌ)؟ قَالَ: قَارِعَةٌ مِنَ السَّمَاءِ تُصِيبُ النَّاسَ."³

¹ ينظر مفاتيح الغيب ج 1 ص ص 6-10.

² روح المعاني، ج 25، ص 10. و الآية من سورة الشعراء من الآية 227.

³ ينظر: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي (المتوفى: 840هـ): إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، تقديم: فضيلة الشيخ الدكتور أحمد معبد عبد الكريم، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم النشر: دار الوطن للنشر، الرياض الطبعة: الأولى، 1999 م ج 6 ص و 265 وابن كثير: تفسيره: ج 7 ص 177 خلاصة حكم المحدث: إسناده ضعيف جداً ومنقطع. وكذلك محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ): فتح القدير دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت الطبعة: الأولى - 1414 هـ ج 4 ص 735. خلاصة حكم المحدث: موضوع مكذوب.

وعن الصاد قيل هو إشارة إلى صدود الكفار عن القرآن¹. وعلى الرغم من أن هذه الصيغة أتت على هيئة المصدر لكن المصدر لا يخلو من الإشارة إلى الفعلية وكذلك اسم الفاعل والمفعول صدود، قارعة، منقلب...

والألوسي لم يكن متفردا بالاهتمام بهذا النوع من التخريجات إذ رأينا فيما سبق آراء الفخر الرازي، فقد فعل مثل صنيع المفسرين الذين ذكروا كل ما عندهم حول هذه الفواتح عندما كانوا بصدد تفسير (الم) للبقرة، حيث استفاض فيها فهو يعرض هذه الروايات بأسانيدها ويوازن بينها وينفذها دون إهمال ثلاثية الأسماء والصفات والأفعال ففي سورة البقرة نقل رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في (الم) "الألف إشارة إلى أن الله تعالى أحد، أول، آخر، أزلي، أبدي، واللام إشارة إلى أنه لطيف، والميم إشارة إلى أنه مالك مجيد منان."²

وعن تفسير (كهيعص) مريم قال: "إن كل واحد منها دل على اسم من أسماء الله تعالى على نفسه، والكاف يدل على كونه كافيا والهاء يدل على كونه هاديا، والعين يدل على العالم والصاد على الصادق، واستعار رواية عن ابن عباس من ابن جرير الطبري فقال: ذكر ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه حمل الكاف على الكبير والكريم والياء على أنه يُجبر والعين على العزيز والعدل"، ولم يفته نقد الرواية بعد أن روى غيرها عن الشخص ذاته (ابن عباس) والحروف ذاتها (كهيعص) فقال: "والفرق بين هذين الوجهين أنه في الأول خصص (ابن عباس) كل واحد من هذه الحروف باسم معين وفي الثاني ليس كذلك"³.

¹الألوسي: المصدر السابق، ج23، ص161.

² مفاتيح الغيب ج1، ص7.

³ مفاتيح الغيب ج2، ص7-8-9. أما ما ورد عند الطبري: "اختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى ذكره: كاف (من) كهيعص (فقال بعضهم: تأويل ذلك أنها حرف من اسمه الذي هو كبير، دلّ به عليه، واستغنى بذكره عن ذكر باقي الاسم، ذكر من قال ذلك: حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس، عن إسماعيل بن راشد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في هذه الآية) كهيعص (قال: كبير، يعني بالكبير: الكاف من) كهيعص... حدثنا أبو كريب، قال: ثنا جابر بن نوح، قال: أخبرنا أبو روق، عن الضحاک بن مزاحم في قوله: كهيعص (قال: كاف: كاف... وقال آخرون: بل هو حرف من حروف اسمه الذي هو كرم... حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عمرو، عن عطاء، عن سعيد بن جبير) كهيعص (قال: كاف من كرم... وقال الذين فسروا ذلك هذا التفسير الهاء من كهيعص: حرف من حروف اسمه الذي هو هاد... حدثني أبو حصين، قال: ثنا عبثر، قال: ثنا حصين، عن إسماعيل بن راشد، عن سعيد بن جبير عن

الياء > ؟	الهاء > هادٍ	الكاف > كافٍ
يجير	؟؟	الكبير، الكريم
	الصاد > صادق	العين > العالم
	!؟	العزیز - العدل

ورب ملاحظ أن الروائتين توازيتا إذ الهاء مفقودة في الثانية والياء مفقودة في الأولى والصاد في الثانية ولعل نقص حرفين من الثانية جعله يرجح نقصانها على الأولى، على الرغم من نقصان كليهما؟! كليهما؟!

ولا أحسبني مغادرة هذا النوع من التخريج قبل التنويه بجهود ابن جرير الطبري الذي تبنى هذا التفسير واهتم بنقل هذه الروايات فكان مصدرا لغيره وأغلب هذه الروايات ذكرها عندما كان بصدد تفسيره ل(الم) البقرة شأن أغلب المفسرين (أقول أغلبها لا جميعها)، ومن بين هذه الروايات: "روي عن علي كرم الله وجهه أنه كان يقول: يا كهيعص يا حم عسق، وسكت عن الحروف المفردة فيرجع بها إلى ما يناسبها أن تندرج تحته من الأقوال"¹، لكن صاحب التحرير والتنوير عارض هذا الرأي (ردّ الحروف المفردة إلى المركبة مثل (الصاد) تعود في سورة (ص) إلى الصاد في (كهيعص) مريم، و (المص) الأعراف و(القاف) في سورة (ق) يتم إرجاعها إلى معنى القاف في (حم عسق) الشورى لكن النون لم تذكر في غير سورة القلم مفردة دونما تركيب، إذ قال - بن عاشور-: "ويبطله عدم الارتباط بين بعضها وبين ما بعده لأن يكون خيرا أو نحوه عن اسم الله مثل (الم ذلك الكتاب) و (المص كتاب أنزل إليك)"²

لكني لا أجد مسوغا لإتيانه بمثال (الم) إذ ليس هنالك حروف مفردة في السور ركبت فيها بينما الأمر واضح بالنسبة ل(المص) ففيه إشارة إلى صاد سورة (ص).

ابن عباس، قال: "يا" (من) كهيعص (ياء يمين... وقال آخرون: بل هو حرف من حروف اسمه الذي هو حكيم. حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عمرو، عن عطاء، عن سعيد بن جبير) كهيعص (قال: يا: من حكيم... وقال آخرون: بل هي حروف من قول القائل: يا من يجير... حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عمرو، عن عطاء، عن سعيد) كهيعص (قال: عين من عالم. جامع البيان، ج 8 ص 305).

¹ جامع البيان ج 9، ص 41.

² محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393 هـ): التحرير والتنوير: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر - تونس، سنة 1984 هـ ج 1، ص 211.

ومن بين الانتقادات التي وجهت إلى هذا التخريج الدلالي؛ التحكم والافتقار إلى قاعدة مضطردة. فقولته تعالى: (المص) مثلا ليس هنالك ما يؤكد حمله على تفسير ابن عباس السابق دون أن نقول مثلا: "أنا الله أفصل أو أصور والميم من (الم) ربما كانت من المجيد والماجد..."¹، وجل الاعتراضات من هذا القبيل فلو ثبتوا على ذات الأسماء لكان الأمر لكنتك تجد روايات مختلفة تضم تخرجات مختلفة للمركب الحرفي الواحد، وفي كثير من الأحيان تعود إلى راوٍ واحد ولنقد الرواية رجالها الذين يضعفونها أو يحسنونها ويرجعون إحداها على الأخرى -ولسنا منهم- فعلم الجرح والتعديل علم قائم بذاته، وبما أن هذا تفسير بالمأثور ليس لنا أن نقصي روايات عن الصحابة الكرام الذين قال النبي عنهم: "أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم"²، فالتضعيف ضوابط أيضا. ولا تغادر هذه الجزئية حتى نقف على نوع خاص يندرج ضمن هذه التأويلات.

1-1-5- أن هذه الحروف بعضها يدل على أسماءه تعالى، وبعضها يدل على أسماء غير الله وتستند هذه الوجهة الدلالية إلى ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما -والضحاك في قوله: "الم) الألف من الله واللام من جبريل والميم من محمد كانه قيل: أنزل الله الكتاب على لسان جبريل إلى محمد -عليهما الصلاة والسلام-"³.

وقد عارض هذا الرأي لا لدخول أسماء غير أسماء الله والقرآن في تفسير هذه المركبات -كالعادة- لكن بسبب لام جبريل إذ اقتصر على الحرف الأول من الله (ا) ومن محمد (م) لكن تغيرت القاعدة في جبريل فأخذ منه الحرف الأخير (ل) وهذا يدل على عدم الاضطراد في القاعدة، وتحفظوا على هذا القول تحرزا وخوفا من إساءة الحديث عن كلام الله تعالى.

لكن التحفظ هنا ليس ضروريا- ما لم يكن له داع غير ما ذكر- لأن ذلك جائز في اللغة وهو ما يسمى بالاختطاع أو القطع ومنهم من يسميه الاجتراء وسماه المحدثون بالاختصار اللغوي إذ يبيح اللغويون فيه الاختصار على الحرف الأخير من الكلمة قال د. إبراهيم محمد عبد الله: "إذ الحرف المجتزأ

¹ عدنان زرزور: علوم القرآن: مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه، المكتب الإسلامي سنة: 1981، ص154-155.

² سبق تخرج هذا الحديث.

³ الرازي: مفاتيح الغيب، ج2، ص8. لكنك لا تجد تخريجا لهذا الحديث الموقوف حتى في تفسير ابن عباس نفسه (تنوير المقباس) ولسنا ندري من أين يأتون بها؟

به عن الكلمة جائز أن يكون من أولها أو من وسطها أو من آخرها، وأن يكون منزلاً منزلاً ما هو من أحرفها وحينئذ يدلّ على جملة في أكثر الأحيان".¹ وبهذا لا يرى طائل من الاعتراض على هذا الرأي لكن الأمر لا يخلّ من بعض التحرّز والتوجّس إذ لا رأي يعدّ مؤكداً في هذه القضية، حتى محاولة تفسيرها تعدّ من المتشابهات.

ومن بين التخريجات التي قيلت أيضاً :

1-1-6- هي حروف من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم أوصفاته أو هي من أسماء الصحابة:

فقد قيل أن (ص) في (المص) ترمز إلى الصديق أبي بكر رضي الله عنه، فالميم إشارة إلى سيدنا محمد والصاد إلى الصديق وفيه إشارة إلى مصاحبة الصاد الميم وإنها تابعة لها كمصاحبة الصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم ومتابعته له"²، وانتقد هذا الرأي بشدة لأنه من التخريجات الواهية التي لا تستند إلى عقل ولا إلى نقل وفتحت أبواب القول في هذه الحروف بالظن والوهم والتخمين. وقد يعدّ من أغرب التخريجات الدلالية المتفرعة عن كون هذه الحروف إشارات إلى أسماء؛ التخريج الموالي:

1-1-7- أنها تشير إلى أسماء الأنبياء:

حيث يشير الكاف في (كهيعص) إلى زكريا، والهاء إلى إبراهيم والياء إلى يحيى، والعين إلى عيسى، ويظهر الهاء أيضاً في طه رمزاً إلى هارون لوروده فيها أكثر من غيرها³.

¹ ظاهرة الاجتزاء في اللغة العربية، مجلة جامعة دمشق - المجلد 20 العدد 437، 2004 ص 110، قسم اللغة العربية كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة دمشق، وقد سبقت الإشارة في الفصل الأول إلى هذه العلاقة بين الاجتزاء والحروف المقطعة ولا ضير من التذكير بذلك هنا. وفي تعريفه قال (صاحب المقال): "ظاهرة الاجتزاء ببعض أحرف الكلمة يتغى بها التخفيف، وتتمثل في حذف حرف أو حرفين من آخر الكلمة، وفي الاجتزاء عن الكلمة بحرف من أحرفها، وعن الجملة بحرف منزّل منزلة حرف من أحرفها، وإرادة الكلمة أو الجملة بالحرف المجتزأ به" المرجع نفسه ص 77.

² ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن ج 1 ص 170.

³ استنتج هذا التخريج بعد عمل إحصائي درس فيه عدد ورود أسماء الأنبياء في القرآن الكريم فوجد الأنبياء ذكروا في 49 سورة منها 18 سورة وردت فيها بشكل لافتي هي البقرة، وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس وهود ويوسف ومريم وطه والأنبياء والشعراء والنمل والقصص والعنكبوت والصفوات و ص ومنها 3 مسماة بأسماء الأنبياء يونس وهود ويوسف وخمس لا تبدأ بحروف وعشر إذا رتبنا تاريخياً ظهرت في ثلاث مجموعات كالتالي: الأولى: ص - المص - كهيعص، الثانية: طه - طسم - طس، الثالثة: الم، وبالدراسة المتأنيّة نستنتج أن حرف الصاد هو للدلالة على ورود

واستبعد الطاهر بن عاشور هذا التخريج¹، وكذلك فعلت بنت الشاطي²، لكن عندنا الذي يقبل بتخريج أنها تدل على جبريل عليه السلام وعلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم. فما الذي يمنعه من قبول هذا الرأي؟ ولعل من قال بذلك الرأي ارتكز على أساس مأثور، وهو حديث موقوف عن ابن عباس ترجمان القرآن الذي دعا له النبي بتعلم التأويل.

وهناك غيره - الدكتور علي حلمي موسى - وحجته رقمية وقد جعل الله عدتها فتنة للبشر إذ أن الإعجاز العددي للقرآن كان بابا دخل منه كثير من المدعين أصحاب العقول الفاسدة كالبهائيين وغيرهم... والله أعلم.

ولا بأس في ختام هذا النوع من التخريجات الدلالية أن نقول ما قالته الدكتورة سهام خضر "وهذه الأوجه التي ذكرت كلها راجعة إلى قول واحد وهو أنها حروف مقطعة كل حرف منها مأخوذ من اسم من أسماء الله تعالى أو صفة من صفاته، فهذه الوجوه كلها ترجع إلى ما هو معلوم في لغة الضاد من الاكتفاء ببعض الكلمة عن كلها، فهو معهود في العربية، فهذه الحروف المقطعة دالة على كلمات أخذت منها وحذفت بقيتها وهو ما أشار إليه ابن قتيبة ووضحه بأن مثل ذلك هو الاكتفاء ببعض الكلمة عن كلها وإنما هو فن من اختصار العرب، فهو معهود في كلامهم واستعمالاتهم موضحا ما أشار إليه بأمثلة من استعمال العرب في كلامهم مما يشعر بأنه قد اطمأن إلى هذا الرأي فأخذ يثبت أن انتحاء القرآن هذا النحو ليس شيئا غريبا أو شاذًا في لغة العرب وهو أول من دافع عن هذه المختصرات"³، كيف لا وقد أشار النبي إلى إمكانية شطر الكلام في حديثه الذي رواه أبو

أسماء الأنبياء". الدكتور علي حلمي موسى جريدة الأهرام 1993/03/3م، ص 13 نقلا عن د. سهام خضر الإعجاز اللغوي في فواتح السور ص 195 وقد عدت إلى أرشيف الأهرام ولم أعث على الصفحة لأن الأهرام منها الأسبوعي ومنها الشهري ومنها المحلي والدولي

¹ التحرير والتنوير ج 1، ص 207.

² الإعجاز البياني ومسائل ابن الأزرق ص 129-137.

³ الإعجاز اللغوي في فواتح السور، ص 196، وقد سبقت دراسة الاكتفاء أو الاجتزاء فيما سبق وتم عرض أغلب الأمثلة التي عرضها ابن قتيبة وغيره في هذا المجال.

هريرة: "مَنْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ لَقِيَ اللَّهَ مَكْتُوبًا بَيْنَ عَيْنَيْهِ آيسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ" وقال سفيان بن عيينة: هُوَ أَنْ يَقُولَ (أُقِ) بِمَعْنَى لَا يُؤْتِي كَلِمَةً أُقْتَلُ¹.

والمقرون بوجود فن كهذا في العربية اشترطوا عليه الوقف²، وذلك متوفر في جميع هذه الحروف وقد مر بنا تفصيل ذلك في باب القراءات في الحروف المقطعة لكن المعترضين لهذه التأويلات أن ما ورد في الحديث وفي كلام العرب له ما يعاضده من السياق فيمنع عنه كثرة التأويلات ويوجهه إلى المراد لكن في الآيات يختلف الأمر واحتج بعضهم بأن ما ورد من هذه الأمثلة في الشعر وكذلك عدم الاستقرار الدلالي لكل حرف فالألف يدل على الآلاء تارة وعلى الله تارة وعلى الضمير أنا تارة أخرى... لكن هناك من رأى هذا الرأي ومنعه الإيمان بعمل الصحابة كمصدر تشريع، فالنصوص الواردة في كتب السنة فأخذوا العصا من الوسط وجعلوا لقبوله شروطا ومنهم ابن خلدون حيث اشترط أن يكون بنقل صحيح³.

ومثله تحرّز صاحب المنار فاشترط أن تكون مع هداية القرآن، (يعني أن يدل عليه السياق القرآني) لكنه توخّى أن يقال أنها ما أراد الله تعالى⁴.

وهذا يعني أنه لا يجزم بهذا التأويل جزما تاما ويحمله محمل الظنية، وبهذا يتفادى شبهة تجاوز آراء الصحابة رضوان الله عنهم - وذلك خطير - ويأمن الدخول في متاهة الأحاديث الموضوعية والتفسيرات الوهمية التي أشار إليها صبحي الصالح عندما قال: "ومن المؤكد أن مثل هذه التخريجات في تفسير أوائل السور لا تنتهي ولا تقف عند حدّ وما هي إلا تأويلات شخصية مردّها هوى كل مفسر وميله"⁵. لذا كان ينبغي أن تكون بعض هذه التخريجات في مكانها المخصّص لها وهو

¹ رواه ابن ماجة في الديات - باب التغليظ في قتل مسلم ظلما تحت رقم 2620.

² ينظر إبراهيم محمد عبد الله: الاجتزاء ببعض الكلمة، ص 102.

³ ينظر ابن خلدون المقدمة، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر تحقيق د. علي عبد الواحد وافي، ط 1 1960 لجنة البيان العربي مصر.

⁴ ينظر: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ): تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة 1990: م ج 8، ص 264.

⁵ مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين بيروت - ط 16 - 1985، ص 240، وما بعدها.

التخريجات المفروضة. لكن تعالفا فيما بينها جعل المهمة تبدو صعبة فتركت على حالها-مع إظهار بعض التحفظ-.

2- هذه الحروف تدل على القسم:

وأغلب من قال هذا القول دجه مع القول بأنها أسماء لله تعالى -وفي ذلك وجهة نظر- فالقسم تعظيم للمقسم به وليس أعظم من الله مقسما به. وممن قالوا بذلك: ابن جرير بأسانيدته عن ابن عباس قال: "هو قسم أقسم الله به وهو من أسماء الله"¹.

وعلى الرغم من أن الطبري ينسبه إلى ابن عباس فإنك لا تجد في تفسيره تنوير المقباس سوى الجزء الأول من العبارة أي أنها قسم أقسم الله به فقال في (الم البقرة) ويقال ألف قسم أقسم به"²، وفي آل عمران: "ويقال قسم أقسم به أن الله واحد لا ولد له ولا شريك له"³، ولعل الطبري قصد فقط الجزء الأول من العبارة أما الجزء الثاني فتوجيه منه لهذا التخريج.

وبيان ذلك أن بعض العلماء قالوا أن الله أقسم بهذه الحروف لإظهار شرفها وفضلها؛ القائلون بذلك: عبد الله بن عباس⁴ وعكرمة⁵ والأخفش¹ والزركشي² حيث قال الأخير: أن "الله أقسم بهذه

¹ جامع البيان، ج1، ص 206-207. وبالنسبة لتخريج الحديث فقد ورد في الأسماء والصفات (للبهقي): أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البهقي (المتوفى: 458هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، مكتبة السوادني، جدة - المملكة العربية السعودية، ط1993، ص1: "أخبرنا أبو زكريا بن أبي إسحاق، أنا أبو الحسن الطرائفي، ثنا عثمان بن سعيد، حدثنا عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما أنه قال في قوله تعالى: {كهيعص} [مریم: 1] وطه، وطس، وطسم، ويس، وص، وحم عسق، وق، ونحو ذلك، قسم أقسمه الله تعالى، وهي من أسماء الله عز وجل" حديث رقم 163 ح 1 ص 230.

² عبد الله بن عباس: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس دون تحقيق. دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992م، ج1، ص4.

³ ابن عباس: تفسيره ص55، وورد مثل ذلك في تفسير (المص) الأعراف "ويقال قسم أقسم به" ص162 ومثل ذلك في (الر) يونس ص218.

⁴ عزاه إليه النسفي في تفسيره ج1 ص39.

⁵ عزاه إليه السيوطي في الدر المنثور ج1 ص54. وهو عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام المخزومي القرشي من صناديد قريش في الجاهلية والإسلام، أسلم بعد فتح مكة وحسن إسلامه فشهد الوقائع واستشهد في اليرموك سنة 13هـ

الحروف بأنّ الكتاب الذي يقرؤه محمد هو الكتاب المنزل لاشكّ فيه، وذلك يدلّ على جلالته قدر هذه الحروف إذ كانت مادة البيان وما في كتب الله المنزلة باللغات المختلفة وهي أصول كلام الأمم، بما يتعارفون، وقد أقسم الله تعالى بـ(الفجر) و(الطور) فكذلك شأن هذه الحروف في القسم بها³.

ومما استدل به بعضهم على هذا القول ما أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في قوله تعالى: " (كهيعص) و(طه) و(طسم) و(يس) و(ص) و(حم عسق) و(ق) ونحو ذلك قسم أقسمه الله تعالى وهي من أسماء الله عز وجل"⁴

وذكر هذا القول ابن جرير بأسانيد عن ابن عباس وعن عكرمة قال: " (الم) قسم"⁵.

وبما أن القسم من بين الأمور التي يرجع فيها إلى النحو فإنك لواجدٌ رأياً للأخفش والذي يرى الحلف بها لذاتها لا لتقدير كونها أسماء لله تعالى وذلك في تفسير الرازي: "أقسم الله تعالى بالحروف المعجمة إظهاراً لشرفها وفضلها من حيث إنها مبادئ كتبه المنزلة بالألسنة المختلفة ومباني أسمائه الحسنى وصفاته العلى وأصول كلام الأمم، بما يتعارفون ويذكرون الله تعالى ويوحدونه ثم إنه تعالى اقتصر على ذكر بعضها والمراد هو الكل كما تقول: "قرأت الحمد لله، وقل هو الله أحد" وتريد السورتين بتمامهما، فكأنه تعالى قال أقسم بهذه الحروف أن هذا الكتاب هو ذلك الكتاب المثبت في اللوح المحفوظ"⁶.

ولعل هذا القول يجمع بين تخريجين دلاليين الأول هو هذا الذي نحن بصدده وهو القسم بها والثاني هو الموالي:

وعمره 62 سنة، ينظر: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي دمشقي (المتوفى: 1396هـ) الأعلام، دار العلم للملايين ط 15- أيار مايو 2002 م ج4 ص244.

¹ الأخفش الأوسط: أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي: معاني القرآن، تحقيق الدكتور فائز مسعد، دار البشير، ط3/1401هـ-1981م) ج1 ص20.

² الزركشي: البرهان ج1، ص173.

³ الزركشي: م نفسه: ص173.

⁴ أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ: البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت 1420 هـ ج1 ص58.

⁵ جامع البيان ج1، ص207.

⁶ عزاه إليه الفخر الرازي في مفاتيح الغيب ج2، ص9.

3- أن الله تعالى استغنى بذكر بعضها عن ذكرها جميعا: وأثبت القائلون بهذا التخريج أن هذا البعض ليس بعضا إذ هو النصف وسيأتي بيانه في حينه.

كما جمع ابن قتيبة أيضا بين هذا التخريج الدلالي وتخريج سيأتي ذكره وهو ذكر هذه الحروف على سبيل التعليم لهذه الحروف. كما أشار إلى قضية نحوية دلالية بلاغية هي قضية الاجتزاء أو الاقتطاع مما يدرس ضمن ظواهر الاقتصاد اللغوي حاليا؛ والأمر لا يخلو من مثال، كل ذلك في نص واحد حيث قال: "وإن كانت أقساما، فيجوز أن يكون الله عز وجل أقسم بالحروف المقطعة كلها، واقتصر على ذكر بعضها من ذكر جميعها فقال (الم) وهو لا يريد تعليم هذه الأحرف الأربعة دون غيرها من الثمانية والعشرين، ولكنه لما طال أن يذكرها كلها، اجتزأ بذكر بعضها...إلا أن الناس يدلون بأوائل الأشياء عليها.. -هذا الأكثر- وربما دلّوا بغير الأول أيضا أنشد الفراء: لما رأيت أنها في حطّي أخذت منها بقرون شُئطٍ يريد في أبي جاد "فدل بحطّي كما دل غيره بأبي جاد".

وقد تم توضيح قضية الاجتزاء ضمن التخريج الدلالي الخاص بأسماء الله تعالى وهو تخريج سابق لا ضرورة للعودة إليه. أما بالنسبة إلى تعليمية هذه الحروف فسيأتي بيانها ومعرفة القائلين بها. كما سبق الوعد بدرس التخريج القائل بأن الله اكتفى بذكر نصف الحروف للدلالة على النصف الآخر في الجانب الصوتي لأن تفصيلاتها تخص مخارج وصفات الحروف.

ولعل ابن قتيبة استشعر ناقدا يقول أن: الاجتزاء يكون بأوائل الحروف. فأقول أن ذلك عندما يكون الأمر متعلقا باسم أو فعل أو مركّب (جملة). لكن الأمر هنا متعلق بمجموعة حروف ليس هناك اتفاق كامل في ترتيبها فيعرف الأول من الآخر، فمن الترتيبات الشهيرة ترتيب العين وهو الذي ابتدعه الخليل بن أحمد، والترتيب الألفبائي والترتيب الأقدم وهو الأبجدي والمعروف بعدّ أبي جاد، وردّ ابن قتيبة بأن استعمال الأوائل للدلالة على البقية هو الأشهر لكن يمكن التمثيل بغير الأول واستدل ب(حطّي) التي تسبقها أبجد هوز في الترتيب الأبجدي¹

ورب متسائل عن وجه اختصاصها بالقداسة فيتوفر الداعي لأن يقسم بها؟ فلا نجد خيرا من الإمام الزركشي يردّ على هذه المسألة فيقول: "إن الله أقسم بهذه الحروف بأن هذا الكتاب الذي يقرؤه محمد هو الكتاب المنزل لا شك فيه، وذلك يدل على جلاله قدر هذه الحروف إذ كانت مادة البيان؛

¹ الترتيب الأبجدي على النحو التالي: أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ.

وما في كتب الله المنزلة باللغات المختلفة، وهي أصول كلام الأمم بما يتعارفون، وقد أقسم الله تعالى بالفجر والطور فكذلك شأن هذه الحروف في القسم¹.

ومن جملة المعترضين على هذا القول بعض أهل اللغة لا أهل التفسير - بما أن هذا التأويل من عند بعضهم - كما أن حجتهم جاءت لغوية لا شرعية فلا غرو إذن أن تجد من يقول: أن عد هذه الحروف ليست معهودة في القسم عند العرب، ولم تجرِ على ألسنتهم، ويدل على بطلان هذا القول أيضا أنه لا يوجد ما يعضده ويشهد لصحته في القرآن أو السنة الصحيحة، وأما ما نقل عن ابن عباس فهو ضعيف²، ويؤازرهم القرطبي في قوله: "لا يصح أن يكون قسما لأن القسم معقود على حروف مثل: إن وقد ولقد وما، ولم يوجد ها هنا حرف من هذه الحروف فلا يجوز أن يكون يمينا"³، والجواب - من لدن الزمخشري - أن يقال: "موقع القسم في قوله تعالى (لا ريب فيه) فلو أن إنسانا حلف فقال: والله هذا الكتاب لا ريب فيه، لكان الكلام سديدا، وتكون (لا) جواب القسم، فثبت أن قول الكلبي وما روي عن ابن عباس سديد صحيح"⁴.

ورأى الأنباري أن جواب القسم يمكن أن يكون محذوفا تقديره وحروف المعجم... وإنما حذف لعلم المخاطبين به، ولأن قوله (الم ذلك الكتاب لا ريب فيه) دليل على الجواب. ولعل ذلك ما تحفظ عليه الإمام البيضاوي بأنه لا مانع من كون هذه الحروف مقسما بها لكن ذلك يوجب إلى إضمار ما ليس هنالك دليل على وجوده⁵.

وقد تحرّز الفخر الرازي من القول بأنها مقسم بها فقال: "ثبت أن الحلف لا يصح بهذه الحروف وما مائلها من ظواهر بل الحلف بإله هذه الأشياء فيكون التقدير: وربّ حم وربّ الكتاب المبين"¹.

¹ بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 173.

² أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات، البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، الأسماء والصفات، 2 مج، تحقيق عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة (ط1/ 1413هـ-1993م) (1: 230) وسأشير إليه فيما بعد: البيهقي، الأسماء والصفات والأثر إسناده ضعيف فهو من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وذكر ابن حجر أن علي بن أبي طلحة أرسل عن ابن عباس ولم يره أنظر ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي، تقريب التهذيب، 1 مج مؤسسة الرسالة-بيروت، (ط1/ 1416هـ-1996م) (ص 341) وسأشير إليه فيما بعد: ابن حجر، تقريب التهذيب.

³ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (1: 156).

⁴ الكشاف: ج1، ص33.

⁵ ينظر تفسير البيضاوي بحاشية محي الدين زاده، ج1، ص129.

ويبدو أنّ الرازي هنا يشير إلى قاعدة البصريين التي تفيد امتناع حذف القسم إلا مع اسم الجلالة.

أما عن سبب امتناع صاحب الكشاف عن اعتبارها قسما هو كراهة الجمع بين قَسَمِينَ في بعض الآيات مثل (ن والقلم) و (حم والكتاب المبين) لكنه ذكر قاعدة النحاة في اجتماع قسمين لتعرب الواو الثانية واو عطف قياسا على قول الخليل في قوله تعالى: " وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ " 2

فكأن الزمخشري كعادته سدّ باب الانتقاد فذكر حجته وحجة منتقديه ليضيع رأيه بين الاثنين فلا تستطيع له طلبا. لكن تكرار القسم وارد في كلام العرب حيث ذكر الطاهر بن عاشور بيتا للنابغة:

وَاللّٰهُ وَاللّٰهُ لَنِعْمَ الْفَتَىٰ إِذْ أَعْرَجَ لَا النَّكِسُ وَلَا الْحَامِلُ³

ولعل خير ما نختم به هذا التخريج قول صاحب التحرير والتنوير أن هاته الحروف أقسم الله تعالى بها كما أقسم بالقلم تنويها بها لأن مسمياتها تألفت منها: أسماء الله تعالى وأصول التخاطب والعلوم. قاله الأخفش فكأنه استعار لسان الأخفش- كأحد علماء النحو- ليردّ على غيره من المفسرين الذين استعاروا لغة النحو في هذا الموقف كيف لا والمقام يقتضي ذلك فنحن أمام قضية نحوية (القسم) وربّ ناقد يلتفت إلى قيمة القسم العقديّة الغائبة عن هذه التفسيرات فنستعير لسان صاحب التنوير تارة أخرى لأن ليس غيره من يجيب على مثل هذه التدايعات: "فإن قيل ما لحكمة في القسم من الله تعالى، وكان القوم في ذلك الزمان على صنفين: مصدّق ومكذّب، فالمصدق يصدق بغير قسم، والمكذّب لا يصدق مع القسم؟ قيل له: القرآن نزل بلغة العرب، والعرب إذا أراد بعضهم أن يؤكّد كلامه أقسم بالله تعالى أراد أن يؤكّد عليهم الحجة فأقسم أن القرآن من عنده." 4

¹ مفاتيح الغيب ج 27، ص 236-237.

² ينظر جار الله الزمخشري ج 1، ص 35. والآيات هي على التوالي: القلم الآية 1، سورة الزخرف أو الدخان الآية 1-2 (كون لهما البداية ذاتها)، ثم الليل الآية 1-2.

³ ينظر التحرير والتنوير ج 1 ص 217. النابغة الذبياني: أبو أمامة زياد بن معاوية (ت 18ق هـ) ديوان النابغة، شرح وتعليق حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي، بيروت ط 1 سنة 1991م ص 90.

⁴ التحرير والتنوير، ج 1، ص 212.

ولعل ذلك يحيل إلى قوله تعالى: "... وَلَيَحْلِفَنَّ إِنَّ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ١٠٧ " 1 وقوله: " وَلَا تُطْعَ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ١٠ " 2 وقوله تعالى في سورة النور: " وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعٌ شَهِدَتْ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ٨ " 3.

3- أن هذه الحروف جاءت للدلالة على انقطاع كلام واستئناف آخر:

ذهب بعض العلماء إلى أن هذه الحروف تدل على انقطاع كلام واستئناف كلام آخر ومعنى ذلك أنه افتتح بها ليُعلم أن السُّورة التي قبلها قد انقضت وأنه قد أخذ في أخرى. فجعل هذا علامة انقطاع ما بينهما.

من الذين قالوا بذلك: مجاهد⁴ وأبو عبيدة⁵ والأخفش⁶ ولعل جميع الحلقات ترجعنا إلى قول الإمام مجاهد - رضي الله عنه - أنه قال: (الم) و (حم) و (المص) و (ص) فواتح افتتح الله بها القرآن⁷. وهذا القول - على بساطته - أحدث جدلا في أوساط المفسرين إذ يعلم العام والخاص أنها فواتح افتتح الله بها بعض السور. لكن الفائدة المترتبة عن هذا القول؛ انتهاء السورة التي قبلها وبداية السورة الجديدة. فإن قيل أن "ذلك واضح في المصحف". يكون الرد: أن ذلك في المصاحف الحالية. لكن إذا تعلق الأمر بالمصاحف القديمة تغير الأمر. لأن الصحابة تحزروا في بداية التدوين من كتابة ما ليس من القرآن (كاسم السورة) بل تحزروا حتى من نقاط الإعجام؛ حذرا لأن لا تكون من القرآن. أما المصاحف الحديثة فتحتوي على أسماء السور وتحديد الآيات وعلامات الوقف وعلامات خاصة بالتجويد، وألوان دالة على المدود والتفخيم والترقيق والقلقلة.. بل وتجدد من يجيز استعمال الرسم الحديث للخطوط.

1 التوبة من الآية 108

2 القلم الآية 10.

3 النور الآية 08.

4 نسبه إليه الطبري في جامع البيان، ج1، ص67، ومجاهد بن جبير هو أبو الحجاج المكي مولى بني مخزوم تابعي، مفسر من أهل مكة شيخ القراء والمفسرين، أخذ التفسير عن ابن عباس، ولد سنة 21هـ وتوفي سنة 104هـ ينظر الزركلي: الأعلام ج5 ص278.

5 أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي مجاز القرآن، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط2، 1981، ج1، ص28.

6 الاخفش: معاني القرآن، ج1، ص21.

7 ينظر تفسير الطبري جامع البيان ج1 ص205.

لكننا هنا لا ننسى البسملة التي تحدّد بها بداية 113 سورة إلا التوبة التي بدأت ببراءة فكفى بها دليلاً على بداية السور- بوجود الحروف المقطعة أو من دونها- قال ابن كثير: "هذا ضعيف لأن الفصل حاصل بدونها- فيما لم تذكر فيه، وفيما ذكرت فيه- بالبسملة تلاوة وكتابة"¹.
إن كانت كل هذه مترتباتٍ عن العبارة البسيطة التي قالها مجاهد -رضي الله عنه- فما هو قول الأخفش -وهو عالم نحو معروف-؟

يمكنك العثور على نص الأخفش في كتابه معاني القرآن² "الحروف التي هي فواتح السور حروف استفتح الله بها كلامه. فإن قيل هل يكون شيء من القرآن ليس له معنى؟ و معنى هذا أنه ابتداءً بما يعلم أن السورة التي قبلها قد انقضت، وأنه قد أخذ في أخرى، فجعل هذا علامة انقطاع ما بينهما وذلك موجود في كلام العرب، ينشد الرجل منهم الشعر فيقول: "بَلْ وَبَلْدَةٌ مَا الْإِنْسُ مِنْ أَهْلِهَا". ويقول: "أَلَا بَلْ مَا هَاجَ أَحْزَانًا وَشَجْوًا قَدْ شَجَا" ف(بل) ليست من البيت، ولا تعدّ في وزنه، ولكن يقطع بها كلاماً ويستأنف آخر، ولعل الطبري قد استمات في الردّ على هذا القول وتخطيء صاحبه حين قال: "وأما الذي زعم من النحويين أن ذلك نظير (بل) في قول المنشد شعراً: "بَلْ مَا هَاجَ أَحْزَانًا وَشِعْرًا قَدْ شَجَا". وأنه لا معنى له، وإنما هو زيادة في الكلام معناه الطرح؛ فإنه أخطأ من وجوه شتى"³ وذكر ثلاثة وجوه.

أولها: "أنه وصف الله تعالى بأنه خاطب العرب بغير ما هو من لغتها وغير ما هو في لغة أحدٍ من الآدميين"⁴. فخطورة قول الأخفش لا تكمن في مقارنة الآيات بالشعر إنما في كونه جرّد هذه الحروف من المعنى في جميع لغة الآدميين (وليس في العربية وحدها) ويمكن الإشارة هنا أنه بهذا نفى حتى قول القائلين أنها إن لم تكن من العربية فلها تخرجات في اللغات السامية الأخرى كالعبرية والسريانية والآرامية، -مما سيتمّ التعرض له في مكانه- وليس الآدميين فقط بل تعدها إلى لغة

¹ تفسير ابن كثير، ج1 ص37.

² أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (المتوفى: 215هـ: معاني القرآن، تحقيق: الدكتور هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1990 م ج1، ص21.

³ جامع البيان ج1، ص223. والبيت لرؤية العجاج لكنه غير موجود في الديوان ولا في شرحه مجموع أشعار العرب وهو مشتمل على ديوان رؤية بن العجاج وعلى أبيات مفردات منسوبة إليه، اعتنى بتصحيحه وترتيبه: وليم بن الورد البرونسي، دار ابن قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، د ط، دت.

⁴ جامع البيان في تفسير القرآن، ج1، ص223.

المخلوقين حيث قال: "لأن ذلك لو كان معدولا به عن سبيل لغاتهم ومنطقهم كان خارجا عن معنى الإبانة التي وصف الله عز وجل بها القرآن فقال تعالى ذكره: " نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ " وأنى له أن يكون مبينا مما لا يعقله ولا يفهمه أحد من العالمين: في قول قائل هذه المقالة (يقصد الأخفش) ولا يعرف في منطق أحد من المخلوقين في قوله؟"¹

وقوله المخلوقين تعدى البشر ليشمل الحيوان والنبات والجماد وحتى الجن، والقرائن في القرآن لا تنفي ذلك إذ سمع وتكلم الحيوان في القرآن ، النمل: " حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ " الهدد " وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدَىٰ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾... ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحِطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ "³، وتسمع الجمادات وتسبح، الرعد: " وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ... ﴿١٣﴾ "⁴ الجبال: " لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ "⁵ والجن: " قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ "⁶ و خاطب الله تعالى الجن والإنس بقوله: " يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَعْظَمْتُمْ أَن تَنْفُذُوا... ﴿٣٣﴾ "⁷ وقوله: " يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَفْصُحُونَ... ﴿١٣٠﴾ "⁸

ومن هنا تسلل كثير من الدجالين والسحرة الذين أولوا هذه الحروف تأويلات تخص الغيبيات وجعلوها طلاسماً في جداولهم لاستحضار الجن وممارسة السحر، وسيتم التعرض لها في النوع الثاني من التخریجات.

¹ البيان في تفسير القرآن ، ص224، والآية من سورة الشعراء الآية 193-195.

² سورة النمل من الآية 18.

³ سورة النمل الآيات 20،21،22.

⁴ سورة الرعد من الآية 13.

⁵ سورة الحشر الآية 21.

⁶ سورة الجن الآية 1.

⁷ سورة الرحمن الآية 33.

⁸ سورة الأنعام من الآية 130.

نعود إلى الطبري والاعتبار الثاني الذي من أجله رفض كلام الأخفش: "والوجه الثاني من خطئه في ذلك: إضافته إلى الله جل ثناؤه أنه خاطب عباده بما لا فائدة لهم فيه ولا معنى له، من الكلام الذي سواء الخطاب فيه وترك الخطاب به (أي: يستوى فيه الخطاب وتركه)، وذلك من إضافة العبت الذي هو منفي في قول جميع الموحدين عن الله - تعالى ذكره-"¹

ولعل هذا الوجه لا يقلّ سوءاً عن الأول إذ إنهم الله تعالى باللغو -حاشاه أن يفعل- واتهم القرآن بقلة الفائدة. ولعلّ الخطورة في هذا الزعم لا تكمن في الفواتح -على أهميتها- لكن الأمر يمكنه أن يتسرب ويكون باباً يتسلل منه المدعون على كتاب الله في آيات وسور أخرى.

ولا ننسى أن نوهها هنا إلى أن إفراغ الأخفش لهذه الحروف من الدلالات المعجمية لا يُعدّ إفراغاً لها من الدلالات الصوتية وما يترتب عليها من دلالات نفسية. وقد اتجه هذا الاتجاه غير واحد من العلماء -دون أن يُهاجموا مثل هذا الهجوم-.

"الوجه الثالث من خطئه: أن "بل" في كلام العرب مفهوم تأويلها ومعناها. وأنها تدخل في كلامهم رجوعاً عن كلام قد انقضى كقولهم: ما جاءني أخوك بل أبوك، وما رأيت عمراً بل عبد الله، وما أشبه ذلك من الكلام، كما قال أعشى بني ثعلبة:

وَلَا شُرَيْبَةَ ثَمَانِيًا وَثَمَانِيًا وَثَلَاثَ عَشْرَةَ وَاثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعًا

ثم قال: بَلْ عُدَّ هَذَا قَرِيضٌ غَيْرُهُ وَادُّكُرُ فَنَّى سَمَحَ الْخَلِيقَةَ أَرْوَعًا

فكأنه قال: دع هذا وخذ في قريض غيره، (بل) إنما يأتي في كلام العرب على هذا النحو من الكلام. فأما افتتاحها للكلام ابتداءً بمعنى التطويل -الزيادة- والحذف، من غير أن يدلّ على معنى، فذلك مما لا نعلم أحداً ادّعه من أهل المعرفة بلسان العرب ومنطقهم سوى الذي ذكرت قوله، فلا يكون ذلك أصلاً يشبهه به حروف المعجم التي هي فواتح سور القرآن التي افتتحت بها لو كانت مشبهة، فكيف وهي من الشبه به بعيد"².

ويعزى مثل هذا الرأي إلى قطرب: الذي رأى الإتيان بها لأمرين: الدلالة على الانقطاع والدلالة على الاستئناف دون أن يكون لها معنى في نفسها لكن الإمام البيضاوي جعل دلالتها على الاستئناف كافياً دون اقتضاء أن يكون لها معنى في حيزها وتكون بذلك مزبدة لا معنى لها قياساً لها

¹ الطبري، جامع البيان، ج1، ص224.

² المصدر نفسه ج1 ص224.

على فصل الخطاب من نحو: أما بعد وهذه بل أنه من دواعي كونه دالا على الانتهاء والاستئناف وإفراغه من محتواه المعجمي النحوي والاكتفاء بدلالته التركيبية.¹

وهذا الرأي يبدو مقنعا إذ لا يعيب القرآن أن يكون فيه حروف خالية من الدلالة المعجمية مفعمة بالدلالة التنسيقية الاتساقية الانسجامية. إذ دلالة البدء والانتهاء دلالة مرحلية استئنافية وتكفي هذه الشحنة الكثيفة لهذه الحروف الصغيرة الكبيرة، كما أننا تعودنا كثيرا في العبادات مثل هذه التمهيدات كدلالة على الاستئناف مثل تكبيرة الإحرام المستأنفة للصلاة التي تسبقها الإقامة ولبيك اللهم لبيك حجًا، ولبيك اللهم عمرة، والسلام عليكم الدالة على انتهاء إحرام الصلاة التي تختلف عن سلام التحية والتحلل من إحرام الحج والعمرة وتبئيت نية الصيام ودعاء الإفطار، وقول بسم الله والانتهاء بالحمد لله، والتعوذ من الشيطان الرجيم قبل بسملة القراءة والانتهاء بصدق الله العظيم. وهذه المقدمات أو الاستهلالات والخواتم معروفة في عادات وعبادات المسلمين وإن لم تكن وجهها للمقارنة إلا أنها تبدو متفقة من ناحية المبدأ.

وبما أن هذا التفسير كان خاصا باللغويين أدلى فيه النحاة بدلوهم - كيف لا وللتفسير علاقة مباشرة مع الإعراب-. إذ نجد ابن جني يستدل -على كونها فواصل بين السور- بقراءة ابن عباس وابن مسعود لبداية سورة الشورى (حم سق) بدون عين فلو أنها كانت أسماءً لله لم يجز تحريف شيء منها، وبهذا ضرب عصفورين بحجر فأثبت تفسيراً ونفى آخر بحجة يراها قاطعة.²

ومن بين المحدثين الذين أعادوا التفسير السابق إلى الواجهة محمد رشيد رضا في تفسير المنار "إن عدم إعرابها يرجع إلى أنّ حكمة افتتاح بعض السور المخصوصة بها للتنبيه لما يأتي بعدها مباشرة من وصف القرآن والإشارة إلى إعجازه"³ والعام والخاص يعلم أن إعرابها يعني تفسيرها وخلوها من المعنى يقصدها من دائرة الإعراب، وقد استفاض كثيرا في هذا التفسير كونه اختاره وارتضاه لهذه الحروف فتبناه ودافع عنه: "والمختار عندنا أن حكمة افتتاح هذه السورة وأمثالها بأسماء حروف ليس لها معنى مفهوم غير مسمى تلك الحروف التي يتركب منها الكلام هي تنبيه السامع إلى ما سيلقى إليه هذا الصوت من الكلام حتى لا يفوته منه شيء فهي كأداة الافتتاح (ألا) و(هاء) التنبيه وإمّا خصت

¹ تفسير البيضاوي، ج1، ص137، والتصرف خاص وخالص.

² انظر المحتسب في تبين وجوده شواذ القراءات والإيضاح عنها ج2، ص249 نقلا عن سهام خضر إعجاز القرآن في فواتح السور، ص213.

³ ج8 ص261.

سورٌ معيَّنةً بالطول هن المثنائي والمفصل بهذا الضرب من الافتتاح لأن النبي (ص) كان يتلوها على المشركين بمكة لدعوتهم إلى الإسلام وإثبات الوحي والنبوة وكلها مكية إلاّ الزهراوين البقرة وآل عمران وكانت الدعوة فيهما موجهة إلى أهل الكتاب¹، ولصاحب المنار دفاعات أخرى عن تفسيرات أخرى مما يبين عن عدم التصادم أو التعارض بين التفسير وأن هذه التفسير يمكن أن تتوازي ولا تتعارض.

4- أن هذه الحروف سيقّت لأجل قرع الأسماع والتنبيه:

هذا التفسير لا يعدو أن يكون نابعا من الذي قبله فهو متفرّع عنه ومن المفسرين من جعلهما واحدا لأتهما يشكلان امتدادا والقائلون بهذا جعلوا هذا التنبيه على وجهين:

الأول: تنبيه الناس ➤ مؤمنين ➤ مسلمين
مشركين ➤ أهل الكتاب

الثاني: تنبيه النبي لأنه بشر ويمكن أن يكون مشغولا بأمور الدنيا أو مهام الرسالة.

ولعل صاحب التنوير والتحرير كفانا مهمة تأصيل هذا الرأي فأوعزه دونما عناء لنا "إنها حروف قصد منها تنبيه السامع مثل النداء المقصود به التنبيه في قولك يا فتى، لإيقاظ ذهن السامع، قاله ثعلب، والأخفش وأبو عبيدة"²

هذا القول كنظيره السابق مستقى من آراء النحاة الذين كان ذلك دأبهم حيث ارتأوا الهاء للتنبيه في أسماء الإشارة واختلاف النداء بين القريب والبعيد وغير ذلك واستعمال أيها يحذفه.

وتبناه من المفسرين الفخر الرازي إذ قال في تفسير سورة العنكبوت: "إن الحكيم إذا خاض من يكون محلّ الغفلة أو من يكون مشغول البال يقحم على الكلام المقصود شيئا غيره ليلتفت المخاطب بسببه إليه، ويقبل بقلبه عليه، ثم يشرع في المقصود، فقد يكون ذلك المقدم كلاما له معنى مفهوم كقول القائل اسمع، وقد يكون ذلك المقدم على المقصود صوتا غير مفهوم كمن يصقّر خلف إنسان ليلتفت إليه وقد يكون ذلك الصوت بغير الفم كما يصفق الإنسان يديه ليقبل السامع عليه"³.

¹ تفسير المنار، ج8، ص 261-262 وذلك عند تفسيره لسورة الأعراف

² الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج1، ص214.

³ مفاتيح الغيب، ج 13، ص27.

ولعل قول الرازي أخطر ما قيل في هذا التخريج الدلالي لأنه شبه هذه الحروف بالتصفيق والصفير المستعمل من قبل البشر للفت الانتباه وإسماع الغافل، وبما أن القرآن جاء على لغة العرب فإن العرب استعملت كلمات مفهومة مثل: اسمع وكذلك النداء وورد مثل ذلك في القرآن: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا..."¹، " قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾"²...وعوض التصفيق والصفير عند البشر استعمل مثل هذه الحروف التي تفرع السمع وحسبنا أن الصفير والتصفيق يستعمل للتنبيه عن الأخطاء غالباً. إذ يسمح حتى للمحرمة بالصلاة استعمال التصفيق إذا تنبعت إلى خطر محقق ولم يستطع التحلل من إحرام الصلاة إذ تصفق لإعلام المحيطين بما ممن ليسوا في إحرام الصلاة ليزيحوا ذلك الخطر الذي غفلوا عنه وأدركته هي. وحتى أنه يؤذن للمصلين وراء الإمام أن تصفق النساء أو يتنحج الرجال أو يسبحوا تنبيهاً للإمام على خطأ في قراءة الآيات مثلاً، أو السهو عن سجدة تلاوة مثلاً، وطريقتهم في ذلك قول: "سبحان الله"³، أو: "يردد صوتاً داخلياً أخفت من السعال احم احم" لكنها لا ترقى إلى

¹ في سورة البقرة وحدها وردت في 11 موضع من الآيات: 104، 183، 178، 172، 153، 208، 254، 264، 267، 278، 282.

² سورة الكافرون الآية 1.

³ يباح للمصلي فعل أمور منها: التنحج عند الاضطرار إليه، والاستفتاح على الإمام والتسبيح له إن سها" ينظر: أبو بكر جابر الجزائري: منهاج المسلم، دار الفكر، بيروت ط1999، ص1، 173 وأساس هذه الفتوى (حديث مرفوع) سنن النسائي الصغرى: "أَخْبَرَنَا قُتَيْبَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلَغَهُ أَنَّ بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ كَانَ بَيْنَهُمْ شَيْءٌ فَحَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمْ فِي أَنَسٍ مَعَهُ فَحَبَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَانَتِ الْأُولَى فَجَاءَ بِلَالٌ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ حَبَسَ وَقَدْ حَانَتِ الصَّلَاةُ فَهَلْ لَكَ أَنْ تَتَوَمَّ النَّاسَ قَالَ: نَعَمْ إِنْ شِئْتَ فَأَقَامَ بِلَالٌ وَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَكَبَّرَ بِالنَّاسِ وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْشِي فِي الصُّفُوفِ حَتَّى قَامَ فِي الصَّفِّ وَأَخَذَ النَّاسُ فِي التَّصْفِيْقِ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ لَا يَلْتَفِتُ فِي صَلَاتِهِ فَلَمَّا أَكْثَرَ النَّاسُ التَّفَتُّ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَشَارَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُهُ أَنْ يُصَلِّيَ فَرَفَعَ أَبُو بَكْرٍ يَدَيْهِ فَحَمِدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَرَجَعَ الْقَهْقَرَى وَرَأَاهُ حَتَّى قَامَ فِي الصَّفِّ فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَلَّى بِالنَّاسِ فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَا لَكُمْ حِينَ نَابَكُمْ شَيْءٌ فِي الصَّلَاةِ أَخَذْتُمْ فِي التَّصْفِيْقِ إِنَّمَا التَّصْفِيْقُ لِلنِّسَاءِ مَنْ نَابَهُ شَيْءٌ فِي صَلَاتِهِ فَلْيُثَلِّ سُبْحَانَ اللَّهِ فَإِنَّهُ لَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ حِينَ يَقُولُ سُبْحَانَ اللَّهِ إِلَّا التَّفَتُّ إِلَيْهِ يَا أَبَا بَكْرٍ مَا مَنَعَكَ أَنْ تُصَلِّيَ لِلنَّاسِ حِينَ أَشْرْتُ إِلَيْكَ ". قَالَ: أَبُو بَكْرٍ مَا كَانَ يَنْبَغِي لِابْنِ أَبِي قُحَافَةَ أَنْ يُصَلِّيَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت 303هـ): المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي - تحقيق: عبد الفتاح أبوغدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب ط1986، 2. كتاب الإمامة رقم حديث: 776.

أصوات الحروف¹، وهذا يعيدنا إلى قول الله تعالى في بداية الحواميم، أو الحاميمات (حم) لكنها تنطق حاميم، لكن هذا لا يعدو أن يكون تعليقا وموازنة للأشباه مع النظائر غير متجزيين على كتاب الله، و معاذ الله أن نفعل هذا الصنيع، ونستغفر الله كثيرا إن فعلناه غير عامدين.

ويواصل الرازي استنتاجاته قائلا²: "ثم إن موقع الغفلة كلما كان أتم والكلام المقصود كان أهم كان المقدم على المقصود أكثر، فاختر الحكيم أن يقدم على الكلام المقصود حروفا هي كالمنبهات، ثم إن تلك الحروف إذا لم تكن بحيث يفهم معناها تكون أتم في إفادة المقصود الذي هو التنبية من تقديم الحروف التي لها معنى، لأن تقديم الحروف إذا كان لإقبال السامع على المتكلم إسماع ما بعد ذلك، فإذا كان ذلك المقدم كلاما منقوصا وقولا مفهوما فإذا سمعه السامع ربما يظن أنه كل المقصود ولا كلام له بعد ذلك، فيقطع الالتفات عنه، أما إذا سمع منه صوتا بلا معنى يقبل عليه لا يقطع نظره عنه ما لم يسمع غيره ليجزم بأن ما سمعه ليس هو المقصود". وإذا بدأنا من حيث انتهى هذا القول نجد محاولة الرازي إثبات الحكمة من فراغ هذه المركبات الحرفية من المعنى ذلك يكمن في قيمتها الدلالية التي تحيل إلى أهمية ما سيأتي بعدها. حيث أقام موازنة بين المواضع التي تستعمل فيها التنبهات المعروفة المعنى والتنبهات الفارغة المحتوى من المعنى فنجد أن في الأولى قد يستمع السامع إلى البداية فقط ثم يعود إلى السهو أو اللهو ظنا منه أنه كل المقصود وإذا حاولنا التمثيل لذلك نجد كثيرا من هذه النماذج في القرآن الكريم: "أَفَلَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾"³، "فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾"⁴، "إِنَّا سَأَلْنَاكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾"⁵ لكن كلامه لا يتضمن هذا المعنى فقط فإذا سعدنا إلى بداية القول وجدنا أخطر من ذلك إذ يربط عدد الحروف المقطعة بجانبين:

الأول: مقدار الغفلة ونسبتها.

الثاني: أهمية المحتوى الدلالي للسورة المفتوحة بها.

¹ نَحَّخَ: في المعجم الوسيط: رَدَّدَ فِي جَوْفِهِ صَوْتًا كَالسُّعَالِ اسْتِرْوَا حَا. نَحَّخَ الرَّجُلُ: تَرَدَّدَ صَوْتُهُ فِي حَنْجَرَتِهِ كَالْكُحَّةِ اسْتِرْوَا حَا. إبراهيم أنيس - عبد الحلیم منتصر - عطية الصوالحي - محمد خلف الله، مجمع اللغة العربية - مكتبة الشروق الدولية 2004 مدخل (نحخ)

² مفاتيح الغيب: ج 13، ص 27.

³ سورة يس من الآية 68.

⁴ سورة الحشر من الآية 2.

⁵ سورة المزمل الآية 5.

ولعل ذلك ما نستنتجه من قوله: "ثم إن موقع الغفلة كلما كان أتم والكلام المقصود كان أهماً كان المقدم على المقصود أكثر فاختر أن يقدم على الكلام المقصود حروفاً هي كالمنبهات".
فأهمية هذه الحروف لا تنحصر في الشحنة الدلالية الموجودة في فحوى الرسالة القرآنية الموجودة في الآيات التالية. بل لها دلالة صوتية أيضاً مزيتها ربط أذن السامع بالوقع الموسيقي الذي تمهد له. وتجد له أشباهاً ونظائر داخل السورة مما يؤمن الارتباط السمعي وعدم الغفلة: "الحروف تنبيهات قدمت على القرآن ليبقى السامع مقبلاً على استماع ما يرد عليه، فلا يفوته شيء من الكلام الرائق والمعنى الفائق"¹.

لنقل الآن أننا سلّمنا بالتنبيه. يبقى علينا الآن معرفة المنبّه لأنه المنبّه معروف وهو الله تعالى جلت قدرته.

يقول الشيخ محمد رشيد رضا: "...وإنما كان التنبيه أولاً وبالذات للمشركين في مكة ثم لأهل الكتاب في المدينة لدعوتهم إلى الإسلام وإقامة الحجج عليهم به إذ كان المؤمنون يتوجهون بكلّ قواهم إلى ما يتلوه الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم وكله عندهم سواء، فهم مقصودون بهذا التنبيه بالدرجة الثانية"². إذن فالمنبهون عنده درجتان:

المنبهون من الدرجة الأولى: جمع الشيخ محمد رشيد رضا في هذه الدرجة صنفين بتفاوت معين، فجعل المشركين أولاً ثم أهل الكتاب، ولعل جعله المشركين على رأس قائمة المنبهين لا يعود إلى درجة غفلتهم إنما لاعتبار آخر ذكره الزرقاني في مناهل العرفان³: "معروف أن أعداء الإسلام في صدر الدعوة كان يقول بعضهم لبعض: "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ" ﴿٢٦﴾"⁴ فلما أنزلت السور المبدوءة بحروف الهجاء، وقرع أسماعهم ما لم يألفوا التفتوا وإذا هم أمام آيات بينات استهوت قلوبهم واستمالت عقولهم فأمن من أراد الله هدايته وشارف الإيمان من شاء الله تأخيرها، وقامت الحجة في وجه الطغاة المكابرين وأخذت عليهم الطرق فلا عذر لهم في الدنيا ولا يوم الدين".

¹ الفخر الرازي مفاتيح الغيب، ج28، ص146.

² تفسير القرآن المعروف بتفسير المنار، ج8، ص267.

³ محمد عبد العظيم الزرقاني (ت1367هـ): مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3 ج1، ص230-231.

⁴ سورة فصلت الآية 26.

وهذا فعلا ما أراه صاحب المنار إذ قال كلاما مشابها وهو: "أن الكفار لما قالوا: " لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾" وتواصلوا بالإعراض عنه أراد الله تعالى لما أحب من صلاحهم ونفعهم أن يورد عليهم ما لا يعرفون ليكون سببا لإسكاتهم لما يريد عليهم من القرآن فأنزل الله عليهم هذه الحروف: فكانوا إذا سمعوا قالوا كالمعتقين: اسمعوا إلى ما يجيء به محمد: فإذا أصغوا هجم عليهم القرآن، فكان ذلك سببا لاستماعهم وطريقا إلى انتفاعهم¹. تجد من يشير إلى هذا الكلام من غير المفسرين الزركشي² والسيوطي³ ومن المفسرين ابن جرير⁴ الذي انتقده ابن كثير⁵. إذ رأى الأول منهما (المفسرين) أن "هذه الحروف نزلت لاستدراج نفوس المشركين ليستغربوها فيفتحوا لها أسماعهم فيسمعوا القرآن بعدها، فتجب عليهم الحجة"⁶. فقال ابن كثير في مناقشة هذا القول: "إنه ضعيف لأنه لو كان ذلك لكان في جميع السور لا يكون بعضها، بل غالبها ليس كذلك، ولو كان كذلك أيضا لابتداء بها في أوائل الكلام معهم سواء كان في افتتاح سورة أو غير ذلك، ثم إن هذه السورة والتي تليها مدنيتان ليستا خطابا للمشركين فانتقض ما ذكره بهذه الوجوه"⁷.

و ردّ هذا التفسير كان بسبب:

— وجود هذه الفواتح في بعض السور التي تشكل نسبة منخفضة — مقارنة بمجموع السور — تقدر بالربع: 25,43%

— لو كان ذلك خاصا بخطاب المشركين لكانت هذه الحروف متصدرة لكل خطاب لهم حتى لو كان ذلك في متن السور وليس في بدايتها فقط!

— أن هذه السورة التي هي البقرة — بما أنه كان بصدد تفسيرها — والتي تليها (يعني آل عمران) مدنيتان، وبهذا الخطاب فيهما ليس للمشركين إذ أن أهل المدينة اعتنقوا الإسلام في بيعة العقبة، والبقية من سكانها من أهل الكتاب وليسوا من المشركين.

¹ محمد رشيد رضا: تفسير المنار، ج8، ص175. و الآية هي من سورة فصلت رقم26.

² ينظر البرهان في علوم القرآن، ج1، ص175.

³ ينظر الإتيان في علوم القرآن، ج2، ص17.

⁴ جامع البيان، ج1، ص69.

⁵ تفسير ابن كثير، ج1، ص37.

⁶ الطبري: جامع البيان، ج1، ص69.

⁷ تفسير ابن كثير، ج1، ص37.

ومن هنا ندخل إلى الصنف الثاني الذي ذكره صاحب المنار وهو أهل الكتاب:

وبهذا الصدد قال د. صبحي الصالح: "ومن المعلوم أن هذه السور كلها مكية إلا البقرة وآل عمران فأما المكية فلدعوة المشركين إلى إثبات النبوة والوحي وأما الزهراوان المدنيتان فلمجادلة أهل الكتاب والتي هي أحسن وكانت تلك الفواتح كفيلة بتنبية هؤلاء وهؤلاء وأولئك إلى ما كان يلقي عليهم حتى لا يفوتهم شيء ويزداد هذا الرأي وضوحاً إذا سلّمنا بأن الزهراوين كانتا من أوائل السور نزولاً في المدينة - كما هو مشهور - وبنزولهما مفتحتين بهذه الحروف المقطعة تمت الحكمة الإلهية من تنبيه اليهود إلى الدعوة وإثارة اهتمامهم بها، فلم يعد في استمرار الافتتاح بتلك الحروف بعد الزهراوين حكمة ظاهرة باهرة"¹. و لعله لذلك نزل الوحي بعدهما خالياً من تلك الفواتح؛ ولم تعد هنالك ضرورة للتسليم بصحة الاعتراض الذي وجهه ابن كثير في تفسيره إلى هذا القول بسبب مدنية البقرة وآل عمران وكونهما ليستا خطاباً للمشركين لأن الحكمة من تخصيص الزهراوين بهذه الفواتح تكون على ما بينه صبحي الصالح - في نظرنا - بالغة دامغة.

إذا كان ذلك كل ما يخص جانب أهل الكتاب وجانب المشركين فماذا بخصوص أهل

الإيمان؟

المتفحص للقول السابق لصاحب المنار تجده ينزه المؤمنين عن الغفلة - حتى لا تفسر إهمالاً من جانبهم أو تقليلاً منهم لشأن القرآن وعدم إعطائه الأهمية اللازمة أثناء الاستماع للقرآن - إذ كان المؤمنون يتوجّهون بكل قواهم إلى ما يتلوه الرسول صلى الله عليه وسلم. لكنه يقرّ أنهم معنيون من الدرجة الثانية بهذا التنبيه فما وجه احتياجهم إياه؟

نقول أن قوله يحوي كلمة مفتاحية "وكله عندهم سواء"، مفادها أنهم لم يفرّقوا بين الأهمّ والمهمّ فجاءهم بهذه الحروف للتنبيه على الأهمية ومزيد العناية في السمع والوعي فاستحقوا التنبيه واستحقت السور تمييزها بهذه المنبهات.

لكن المؤمنين من مسلمين وأهل كتاب، وحتى المشركين يشتركون في صفة البشرية، ويفتقرون إلى صفة النبوة والعصمة. فكيف يغفل النبي؟! فقد كانت "تغلب الروحانية على طبعة الشريف بمجرد نزول الروح الأمين عليه ودنوّه منه"².

¹ صبحي الصالح: مباحث في علوم القرآن، ص 245-246.

² محمد رشيد رضا. المنار: ج8، ص 303.

لكن غير واحد من العلماء الموثوقين ارتضى هذا التفسير ضف إلى ذلك أن الغفلة ليست مما يعيب النبي فهو بشر أولاً وأخيراً، وقد ثبتت في حق المؤمنات في مقام المدح: "إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾"¹.

كان الفخر الرازي ممن رأى اختصاص النبي بالتنبيه -مع إظهار بعض التحفظ- فقال: "إذا ثبت هذا فنقول: إن النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان يقظان الجنان لكنه إنسان يشغله شأن عن شأن، فكان يحسن من الحكيم أن يقدم على الكلام المقصود حروفا هي كالمنبهات"²، وقريب من هذا القول تجده في كتاب الإلتقان عزاه إلى الجويني الذي جوز "أن يكون الله قد علم في بعض الأوقات كونه صلى الله عليه وسلم في عالم البشر مشغولاً، فأمر جبريل بأن يقول عند نزوله (الم) و(الر) و(حم) ليسمع النبي صوت جبريل، فيقبل عليه ويصغي إليه"³.

من خلال هذا القول تتبدى لنا أمور كثيرة منها:

- أن الرازي ليس صاحب الأصلي لهذا التخريج الدلالي كونه قال: "إن ثبت هذا" كونه نقل الكثير من التخريجات -وذلك من باب الأمانة العلمية ذكر رأي أغلب أصحاب التفاسير المعروفة وللقارئ الاختيار لكن الأمر لا يخل من بعض التوجيهات ومثله فعل الطبري وابن كثير.
- أن النبي بشر وعلى الرغم من روحانية طبعه الشريف إلا أن مسؤولياته كثيرة ويمكن أن ينشغل بأمور دون أمور -نظراً لطاقته البشرية المحدودة مقارنة مع صلاحياته- ولعلنا نتذكر هنا قصة عبد الله بن أم مكتوم والوفد المائل عند حضرة النبي -صلى الله عليه وسلم-: "وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَى ﴿٩﴾ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ﴿١٠﴾"⁴ على أن لا تحسب كنقطة ضد النبي بل كدليل على بشريته الخالصة -رغم العصمة-.

¹ سورة النور الآية 23.

² الرازي مفاتيح الغيب، ج 22، ص 26.

³ السيوطي: ج 2، ص 18. تجد النص ذاته عند الرازي: ج 22، ص 26.

⁴ سورة عبس الآيات 8_9_10. ومن شواهد بشريته صلى الله عليه وسلم سهوه في الصلاة بنص الحديث التالي: "حَدَّثَنِي عَمْرُو النَّاقِدُ وَرُهَيْبُ بْنُ حَرْبٍ جَمِيعًا عَنْ ابْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ عَمَّرُو حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ قَالَ سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ سِيرِينَ يَقُولُ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ صَلَّى بِنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِخْدَى صَلَاتِي الْعَشِيِّ إِذَا الظُّهْرُ وَإِنَّمَا الْعَصْرَ فَسَلَّمَ فِي رُكْعَتَيْنِ ثُمَّ أَتَى جِدْعًا فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ فَاسْتَنَدَ إِلَيْهَا مُغْضَبًا وَفِي الْقَوْمِ أَبُو بَكْرٍ وَعَمَرَ فَهَابًا أَنْ يَتَكَلَّمَا وَخَرَجَ سَرْعًا النَّاسُ فُصِرَتِ الصَّلَاةُ فَقَامَ ذُو الْيَدَيْنِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفُصِرَتِ الصَّلَاةُ أَمْ نَسِيتَ فَنَظَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمِينًا وَشِمَالًا فَقَالَ مَا يَقُولُ ذُو الْيَدَيْنِ قَالُوا صَدَقَ لَمْ تُصَلِّ إِلَّا رُكْعَتَيْنِ فَصَلَّى رُكْعَتَيْنِ وَسَلَّمَ ثُمَّ كَبَّرَ ثُمَّ سَجَدَ

- أما بالنسبة لقول جبريل الم، الر، حم عند نزوله ليشعر النبي بوجوده ويسمع صوته فذلك أمر حساس. لكون جبريل ملاكا لا يراه الناس لكن النبي كان يراه وذلك ثابت بالقرآن والسنة، والإشعار بوصوله بتهجي هذه الحروف تحيل إلى عادة العرب في الإشعار بوجود غريب وأصحاب المكان في غفلة من أمرهم بإصدار مثل هذه الأصوات التي لا معنى لها كنوع من الاستئذان ويكون ذلك بالنحنحة وهي قول احم-احم، أو الطرق وحاليا تجد الجرس أو تحريك أدوات معدنية أو زجاجية مصممة للإشعار بالحركة توضع أعلى المداخل، أو الطرق بالنقود المعدنية على طاولة المحل(الدكان)، وقد تُروى الأماكن العامة والخاصة بأجهزة ذكية تقوم بذلك عوضا عن الناس. لكن هل يجوز أن يكون مثل ذلك في القرآن الكريم؟!

هذا ما لا نستطيع الجزم به! ضف إلى ذلك أنه إذا ثبت مثل هذا هل تعتبر مثل هذه الأصوات من صميم السورة؟ لكننا سرعان ما نتذكر الحديث النبوي الشريف عن فضل تلاوة القرآن. روى الترمذي من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: أَلَمْ حَرْفٌ بَلْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَا مٌ حَرْفٌ وَلَا مٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ".¹

فلو لم تكن هذه الحروف من صميم السور ما اتخذها مثلا وله في المئة والأربعة عشر سورة الكثير من الأمثلة فكان يستطيع تجاوزه والاستدلال بأخر لكنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

ولم يتبق لنا الآن من هذا التخريج الدلالي إلا شيء واحد ووحيد وهو قضية الوحي التي تكفلت السنة النبوية بأنواعها الثلاثة تسليط الضوء على نواح من كيفية مجيئه إلى النبي: "حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ قَالَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ الحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الجُرْسِ وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ فَيُفْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعْيِي مَا يَقُولُ

¹ ثُمَّ كَبَّرَ فَرَفَعَ ثُمَّ كَبَّرَ وَسَجَدَ ثُمَّ كَبَّرَ وَرَفَعَ وَسَلَّمَ" صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة: باب السهو في الصلاة والسجود له، رقم الحديث: 573 .

⁴ سورة يوسف الآية 24. ينظر تفسير ذلك

¹ رواه الترمذي وصححه: سنن الترمذي ج 3 حديث رقم 2327.

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَقْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا¹ وقد شرح الإمام النووي هذا الحديث فقال: "الصلصلة - بفتح الصادين - وهي الصوت المتدارك يسمعه ولا يثبت أول ما يقرع سمعه حتى يفهمه من بعد ذلك والحكمة في ذلك أن يتفرغ سمعه صلى الله عليه وسلم، ولا يبقى فيه ولا في قلبه مكان لغير صوت الملك، ومعنى (وعيت) جمعت وفهمت وحفظت لأن الملك يفارق على أن يعود ولا يفارقه مفارقة قاطع لا يعود."²

وفي فتح الباري: "في رواية مسلم" في مثل صلصلة الجرس "والصلصلة بمهملتين مفتوحتين بينهما لام ساكنة: في الأصل صوت وقوع الحديد بعضه على بعض، ثم أطلق على كل صوت له طنين، وقيل: هو صوت متدارك لا يدرك في أول وهلة، والجرس الجلجل الذي يعلق في رءوس الدواب، واشتقاقه من الجرس بإسكان الراء وهو الحس، وقال الكرماني: الجرس ناقوس صغير أو سطل في داخله قطعة نحاس يعلق منكوسا على البعير، فإذا تحرك تحركت النحاسة فأصابت السطل فحصلت الصلصلة."³

إذن فقدوم جبريل لا يحتاج حروفا تدل عليه إذ أن مجيئه يدخل النبي في حالة تستحوذ على سمعه وبصره وتعزله عن الدنيا بأسرها بل تؤثر حتى على من حوله حتى لا يذكر أن راحلته لتبرك إذا كان راكبها وفي الحديث: "حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدِ الرَّهْرِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ أَنَّهُ قَالَ رَأَيْتُ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ فَأَقْبَلْتُ حَتَّى جَلَسْتُ إِلَى جَنْبِهِ فَأَخْبَرَنَا أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَلَى عَلَيْهِ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ فَجَاءَهُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَهُوَ يَمْلُهَا عَلَيَّ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَسْتَطِيعُ الْجِهَادَ لَجَاهَدْتُ وَكَانَ رَجُلًا أَعْمَى فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَخِذُّهُ عَلَى فَخِذِي فَثَقُلْتُ عَلَيَّ حَتَّى

¹ حديث مرفوع رواه البخاري: باب بدء الوحي: رقم 2.

² صحيح مسلم بشرح النووي، تحقيق عصام الصباطي وآخرون، دار الحديث، ط4، 1422هـ-2001م.

³ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة - بيروت، 1379 رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز رقم 2.

خَفْتُ أَنْ تَرْضَ فَخِذِي ثُمَّ سُرِّي عَنْهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ غَيْرَ أُولِي الضَّرْرِ" ¹ إذ كان زيد بن ثابت الصحابي الجليل لاحظ الحالة النفسية والجسمية للنبي وأصابه شيء منها فكيف أهل بيته؟
ففيما تروي عائشة رضي الله عنها: " وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يُنَزَّلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَقْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا " ²

بعد كل هذه الإشارات على نزول جبريل لا يمكن القول بسهو النبي ولا غفلته، فنزول الوحي يأتي على مراحل تخرج النبي وتفصله عمّن حوله، ثم تأتيه الآيات وأذنه لا تسمع سواها من الأصوات المحيطة؛ حتى أن النبي كان يباليغ في الحرص الشديد على اليقظة لخوفه من أن يسقط منه شيء من كلام الله الذي يأتيه عن طريق جبريل فيردد بعد جبريل، حتى طمأنه الله تعالى بأن الله حافظ كتابه من عنده، فحسب النبي اتباع قراءة جبريل قال الله تعالى: "لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ" ³ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ⁴ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ قَاتِبْ قُرْآنَهُ ⁵ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ⁶ ﴿١٩﴾" ³

6- القول العاشر: أنها تعليم للحروف المقطعة:

ذهب بعض العلماء إلى أن هذه الحروف تعليم للحروف المقطعة، حتى إذا وردت عليهم بعد ذلك مؤلفة كانوا قد علموها كما يتعلم الصبيان الحروف المقطعة ثم يتعلمونها مركبة، ومن قال ذلك عبد العزيز بن يحيى. ⁴ حيث قال: "إن الله تعالى إنما ذكرها وفي التقدير كأنه قال: "اسمعوها مقطعة حتى إذا وردت عليكم مؤلفة كنتم عرفتموها قبل ذلك، كما أنّ الصبيان يتعلمون هذه الحروف أولاً مفردة ثم يتعلمون المركبات". ⁵ ويعزي هذا الرأي الزركشي في البرهان إلى أبي بكر التبريزي الذي رأى أن هذه الحروف ذُكرت لتدلّ على أن القرآن مؤلف من الحروف التي هي: أ، ب، ت، ث... فجاء بعضها

¹ صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير: باب قول الله تعالى لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله حديث رقم: 2677 .

² رواه البخاري: (سبق تخريج الحديث)

³ سورة القيامة الآيات 16-19 .

⁴ هو عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز الكناني المكي، فقيه مناظر، كان من تلاميذ الإمام الشافعي، قدم بغداد في أيام المأمون، له تصانيف عديدة، توفي سنة 240هـ، انظر الزركلي، الأعلام (4: 29).

⁵ الرازي، تفسير الرازي، (2: 8).

مقطعا، وجاء تمامها مؤلفا، ليدل القوم الذين نزل القرآن بلغتهم أنه بالحروف التي يعقلونها وبينون كلامهم منها¹

وقد عورض هذا القول بأن ليست جميع الحروف في فواتح السور بل نصفها، قال: المفسر الطاهر بن عاشور: "يبعد هذا القول عدم وجود جميع الحروف في فواتح السور بل الموجودة نصفها"². وكذلك فإن القرآن ليس كتابا لتعليم القراءة أصلا، فإن الذي سيقروه إما أمي وإما قارئ، فإن كان قارئاً فهو قد تعلم الحروف، وإن كان أمياً فإنه لا ينفعه تسمية حروف لا يعلم كتابتها أصلا.

ومن جهتنا فإنه لا ضير من هذا القول بل فيه وجهة نظر لأن أول آية نزلت تحث على القراءة "قُرْأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾"³ بل قد جعل النبي تعليم القراءة والكتابة فدية لمن لا مال له من أسرى بدر فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس قال: "كَانَ نَاسٌ مِنْ الْأَسْرَى يَوْمَ بَدْرٍ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِدَاءٌ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِدَاءَهُمْ أَنْ يُعَلِّمُوا أَوْلَادَ الْأَنْصَارِ."⁴ ولعل ما يعزز هذا التخريج الدلالي تخريج آخر هو أن:

7- هذه الحروف دليل على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم:

ينبغي التحديد هنا بأن حجّية صدق النبي من خلال هذه الحروف خاص بالمشركين وبأهل الكتاب، ولم يكن المسلمون بحاجة لأدلة أكثر مما عندهم على صدق دعوته. ومفاد هذا الرأي: أن النطق بالحروف أنفسها معتاد لكل أحد. يستوي فيه الأميون وغيرهم، بخلاف النطق بأسامي الحروف؛ لأنه يختص به من خطّ وقرأ. فلما أخبر محمد -صلى الله عليه وسلم- بها في أوائل السور من غير سبق تعلّم؛ كان دليلاً على أنّه استفاد ذلك من الوحي. وعُدّ ذلك شاهداً على صدق نبوته.

ورد ذلك عند الزمخشري في قوله: "الوجه الثالث أن ترد السور مصدّرةً بذلك ليكون أول ما يقرع الأسماع مستقلاً بوجه من الإعراب وتقدمة من دلائل الإعجاز، وذلك أنّ النطق بالحروف أنفسها

¹ بدر الدين الزركشي: البرهان ج1، ص175.

² التحرير والتنوير، (1: 214).

³ سورة العلق الآية 1.

⁴ أحمد عن ابن عباس (2216)، وقال شعيب الأرنؤوط: حسن، وقال الهيثمي: رواه أحمد عن علي بن عاصم وهو كثير الغلط والخطأ ووثّقه أحمد، مجمع الزوائد 4/172.

كانت العرب فيه مستوية الأقدام الأميون منهم وأهل الكتاب، بخلاف النطق بأسامي الحروف فإنه كان مختصا بمن خط وقرأ وخالط أهل الكتاب وتعلم منهم ، وكان مستغربا مستبعدا من الأمي التكلم بها استبعاد الخط والتلاوة. كما قال عز وجل: "وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ۖ إِذَا لَأَزْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾" فكان حكم النطق بذلك مع اشتهار أنه لم يكن ممن اقتبس شيئا من أهله حكم الأفاصيص المذكورة في القرآن التي لم تكن قريش ومن دان بدينها في شيء من الإحاطة بها في أنّ ذلك حاصل له من جهة الوحي وشاهد بصحة ثبوته، وبمنزلة أن يتكلم بالرتانة من غير أن يسمعها من أحد¹.

وعلى الرغم من منطقية هذا الرأي فإنك لا تجد من يردده من العلماء ممن أتى بعد الزمخشري فلا أحد تبناه وبقي هذا التّخريج حكرا على صاحبه الزمخشري - والله أعلم -.

7- القول بأنها للتحدي والإعجاز:

ومفاد هذا التّخريج أن هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها إنما جاءت لبيان الإعجاز القرآني وأن الخلق ليس لهم قدرة على معارضته، على الرغم من تركيبه من الحروف التي يتخاطب بها².

قال الزمخشري: "ورود هذه الحروف مسرودة على نمط التعديد كالإيقاظ وقرع العصا لمن تُحَدِّي بالقرآن وبغرابة نظمه، وكالتّحريك للنظر في أنّ هذا المتلوّ عليهم - وقد عجزوا عنه من آخرهم - كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم، ليؤدّبهم النّظر إلى أن يستيقنوا أن مقدرتهم تتساقط دونه، ولم تظهر معجزتهم عن أن يأتوا بمثله - بعد المراجعات المتطاولة - وهم أمراء الكلام، وزعماء الحوار، وهم الحُرّاص على التّساجل في اقتضاب الخطب، والمتهاكون على الافتتان في القصيد والرجز"³.

ولعلّ هذا الكلام يحيلنا إلى الآية الكريمة: "وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾"⁴، وهم عرب بل ويتبارزون في الفصاحة ويضعون منابر للشعراء في سوق عكاظ، لكنهم عاجزون عن

¹ الكشاف، ج1، ص33/34. والآية من سورة العنكبوت الآية 48.

² ينظر ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج1، ص178.

³ الكشاف، ج1، ص33

⁴ سورة الشعراء الآيات: 192_195.

معارضته رغم إعلان التحدي في قوله تعالى: " وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾" ¹ ومع ذلك ما استطاعوا الإتيان بسورة من مثله، وقد حاولوا لكن محاولاتهم باءت بالفشل فالعام والخاص يعرف محاولات مسيلمة الكذاب الذي جعل من نفسه أضحوكة العرب بادعائه النبوة: "قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا" ² لكن من يحترمون أنفسهم من فصحاء العرب والعجم " فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا" ³.

¹ سورة البقرة الآية 23.

² سورة الإسراء الآية : 88

³ سورة يوسف الآية: 80

ومن قصص معارضة القرآن: أرسل الطبرسي عن هشام بن الحكم مولى بني كندة قال: اجتمع أبو شاعر عبد الله الديصاني الزنديق، وعبد الكريم بن أبي العوجاء، وعبد الملك البصري وصاحبه عبد الله بن المقفع عند بيت الله الحرام (في الموسم) يستهزئون بالحجاج! فقال لهم ابن أبي العوجاء: إن في نقض القرآن إبطال نبوة محمد، وفي إبطال نبوته إبطال الإسلام وإثبات ما نحن عليه! فتعالوا ينقض كل واحد منّا ربع القرآن، فاجتمع من قابل في هذا الموضع وقد نقضنا القرآن كله! فاتفقوا على ذلك وافترقوا. فلما كان من قابل... فلعله عام 140 هـ اجتمعوا عند بيت الله الحرام فقال ابن أبي العوجاء: أما أنا فمنذ افترقنا أفكر في هذه الآية: " فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا" فما أقدر أن أضم إليها في فصاحتها وجميع معانيها شيئاً، فشغلتنني هذه الآية عن التفكير فيما سواها، فقال عبد الملك: وأنا منذ فارقتمكم مفكر في هذه الآية: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِّثْلٌ فَاستَمْعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْفِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ" فلم أقدر على الإتيان بمثله، فقال أبو شاعر: وأنا منذ فارقتمكم مفكر في هذه الآية: " لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا" فلم أقدر على الإتيان بمثله. فقال ابن المقفع: يا قوم إن هذا القرآن ليس من جنس كلام البشر، فأنا منذ فارقتمكم مفكر في هذه الآية: "وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَفْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَىٰ الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" فلم أبلغ غاية المعرفة بها ولم أقدر على الإتيان بمثله. فبينما هم كذلك إذ مرّ بهم الصادق عليه السلام فقرأ عليهم: "قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا". فنظر القوم بعضهم إلى بعض ثم تفرقوا مقرّين بالعجز. ينظر موسوعة التاريخ الاسلامي، الجزء السابع تحقيق و تأليف: محمد هادي اليوسفي الغروي مجمع الفكر الاسلامي، ط1431 هـ، صص 262-264. والآيات هي: الآية 73 من سورة الحج، ومن الآية 22 من سورة الأنبياء، والآية 44 من سورة هود.

وقد ناصر هذا الرأي كثير من علماء التفسير القدماء منهم ابن كثير¹، والبيضاوي²، وابن تيمية³... ومن المحدثين أصحاب: التنوير⁴ و ظلال القرآن⁵ و صفوة التفاسير⁶... كما انتصر لهذا التخريج الدلالي من أهل اللغة: قطرب⁷، والفراء⁸، والمبرد¹.

¹ ينظر تفسير القرآن العظيم: ج1، ص256-257.

² ينظر: القاضي البيضاوي (ت685هـ): حاشية محي الدين محمد بن مصلح الدين القوجوي الحنفي (ت951هـ) على تفسير القاضي البيضاوي، ضبطه وصححه وخزج آياته: محمد عبد القادر شاهين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص119-120.

³ ينظر: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت728هـ): مجموع فتاوي ابن تيمية تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ/1995م، ج12، ص448.

⁴ ينظر: الطاهر بن عاشور: ج1، ص212-213.

⁵ ينظر: سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، 1993 ج1، ص38. ج3، ص364.

⁶ ينظر: محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت - ط1 1981. القسم الأول، ص18-19.

⁷ قال قطرب وغيره: هي إشارة إلى حروف المعجم كأنه يقول للعرب إنما تحدّ يتكلم بنظم هذه الحروف التي عرفتم، فقوله (الم) بمنزلة قولك: أ، ب، ت، ث لتدل بها على التسعة والعشرين حرفاً. ينظر القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت671هـ) في الجامع لأحكام القرآن تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش دار الكتب المصرية - القاهرة، ط2 1964 م ج1، ص173.

⁸ عزاه إليه القرطبي الجامع لأحكام القرآن ج1 ص173. لكن للأمانة لم نجد لهذا الرأي أثراً في كتاب الفراء: معاني القرآن رغم أن فيه آراء عن معاني هذه الحروف وما يترتب عليها من إعراب لكن كونها أتت للإعجاز فهذا الرأي غير مذكور في هذا الكتاب وقد تمّ تقليب صفحاته يمينا وشمالا لكن لا مناص ينظر: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: 207هـ): معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف النجاشي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشليبي، الدار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، ط1 وفيه أجزاء ثلاثة. وقد نقل الأنباري عن الفراء قوله (طه) بمنزلة (الم) ابتداء الله عز وجل بها مكتفيا بها من جميع حروف المعجم ليدلّ العرب على أنه أنزل القرآن على نبيه باللغة التي يعقلونها، كي لا تكون لهم على الله حجة" أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن الأنباري المقرئ النحوي (ت304هـ) الأضداد-تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية-لبنان، ط1407هـ، ص404-405. لكنك لا تجد ذلك عند الفراء في مقام إعرابه لظه معاني القرآن: ج2 ص174. لكن في بداية إعراب سورة الأعراف تجد جزءا من القول الذي نقله الأنباري لكنه لا يصل إلى القول بأنها واردة في مقام التحدي. ج1 ص368 ولعل الأنباري أخذ عنه هذا الرأي من كتاب آخر والله أعلم.

وميزه هذا التخرّيج أنه اختيار غالبية العلماء الذين خاضوا في تأويل هذه الحروف بل ورجّحه أكثرهم ممن قالوا بتعدّد التأويلات مثل الطبري والرازي والزمخشري وغيرهم، كما سلم من الانتقاد فلم يرده أحد من العلماء إلا الشيخ محمد شلتوت -على ما يبدو- فهو لم يعدّ الفواتح من باب الإعجاز وذلك في قوله: "إن القول بأنّه للتنبية على أنّ هذا القرآن من مادة الكلام الذي ألفوه وقد عجزوا مع ذلك عنه؛ قول يعتمد على قضيتين يقصدهما القائلون به من الواقع التاريخي لموقف العرب من القرآن، ومن طبيعة هذه الحروف:

1- إحداهما: أن هذه من حروف التهجي المعروفة عند العرب التي يتركب منها كلامهم، وأن القرآن مؤلف منها.

2- والأخرى أنهم مع ذلك قد عجزوا عن الإتيان بمثله.

وما كان للعرب أن يجهلوا أو يغفلوا عن أن القرآن الذي يتلوه عليهم محمد صلى الله عليه وسلم هو من هذه الحروف، أما عجزهم عن الإتيان بمثله فهو أمر يعرفونه من أنفسهم، ويعرفه التاريخ عنهم وقد سجله القرآن عليهم بالعبارة الواضحة البينة، فليس الأمر في القضيتين بمحتاج إلى استخدام رمز كهذا الرمز البعيد الذي لا يستند إلى نقل صحيح ولا فهم واضح.²

وليس الشيخ محمد شلتوت ممن لا يُعتدّ برأيه -حاشا لله- لكنه يمثل ففة نادرة إن لم نقل أنه وحده الذي عكس هذا التيار.³ وربما نجد السيد قطب ينحو عكس ما نحاه الشيخ شلتوت فقد اختار من بين كل التفسيرات تفسيراً واحداً هو: القول بإعجازها، ولم يذكر في ذلك التفسير الضخم سوى هذا التفسير إذ تجاوز كل التخرّيجات التي قيلت أو يمكن أن تقال وليس ذلك من باب الجزم لكنه وجد ذلك يتناسب مع جميع السور المبدوءة بالفواتح المقطعة فرجحه، ففي سورة البقرة كانت

¹ عزى إليه هذا الرأي القرطبي في جامع الأحكام القرآن ج1، ص173. وقد تعذر العثور على نسخة إعراب القرآن للأخفش للوقوف على رأيه كاملاً.

² محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، دار الشروق، 2004 ط12 القاهرة، ج1، ص56.

³ قد تجد قولاً لحسن يونس عبيد أنه لا يلزمه ذكر القرآن ووصفه بعد هذه الفواتح، أن يكون المراد من الفواتح ما ذكره من الإشارة إلى التحدي والإعجاز، إذ لا مانع من أن يكون المراد منها كونها أسماء القرآن، أو السورة، أو الله تعالى الذي أنزله، أو غير ذلك، ولا يخفى مناسبة الحديث عن القرآن بعده لمثل ذلك أيضاً، فلا يتعين ما ذكره والدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال. لكن سرعان ما يعود في رأيه ويقول في موضع آخر من كتابه: "ولا مانع من وجود حكم أو فوائد تعرف من هذه الفواتح كأن يتحقق بها الإعجاز للمخاطبين" كأنه نسي ما قاله من قبل، مختصراً البيان في فواتح سور القرآن - مركز الكتاب للنصر - القاهرة 1413، ص19 ثم ص95.

الإشارة تتضمن التحدي الذي ورد في السورة بعد ذلك: "وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾" ¹

فأما هذا في سورة آل عمران فتبدو مناسبة أخرى لهذه الإشارة هي أن هذا الكتاب منزل من الله الذي لا إله إلا هو، وهو مؤلف من أحرف وكلمات شأنه في هذا شأن ما سبقه من الكتب السماوية التي يعترف بها أهل الكتاب -المخاطبون في السورة- فليس هناك غرابة في أن ينزل الله تحدي هذا الكتاب على رسوله بهذه السورة!

ولعلني ادّخرت قول السيد قطب² ليكون ختام كل ما قيل في هذا التخريج: "وقد وردت في تفسيرها وجوه كثيرة، نختار منها وجها أتمّ إشارة للتنبيه إلى أن هذا الكتاب مؤلف من جنس هذه الأحرف، وهي في متناول المتخاطبين به من العرب، ولكنه مع هذا هو ذلك الكتاب المعجز، الذي لا يملكون أن يصوغوا من تلك الحروف مثله، الكتاب الذي يتحداهم مرة ومرة أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور مثله، وبسورة مثله فلا يملكون لهذا التحدي جواباً! والشأن في هذا الإعجاز هو الشأن في خلق الله جميعاً، وهو مثل صنع الله في كل شيء وصنع الناس، وهكذا القرآن حروف وكلمات يصوغ منها البشر كلاماً وأوزاناً، ويجعل منها الله قرآناً وفرقاناً، والفرق بين صنع البشر وصنع الله من هذه الحروف والكلمات، هو الفرق ما بين الجسد الخامد والروح النابض، هو الفرق ما بين صورة الحياة وحقيقة الحياة".

ومن أين لنا بأحسن من قول صاحب الظلال روحاً وجسداً ولعنا لا نجد داعياً لمعارضة الأقوال المعتدلة التي قيلت حتى الآن إذ أنّها تتوازي ولا تتصادم فيما بينها، إذ رأينا العالم من هؤلاء يقول أكثر من رأي دون أن يجد في نفسه حرجاً أو يشعر بشيء من التناقض لكن الأمر لا يخل من ترجيح رأي على آخر فرأينا الواحد منهم يستमित في الدفاع عن رأي له دون سائر الآراء التي ساقها، رغم تبنيه إياها -حتى وإن أخذها عن غيره-، وإن كنا فاعلين مثل صنيعهم فالأولى في نظرنا ترجيح رأي السيد قطب ولعل هذا كان سبباً في جعلنا إياه خاتمة لكل التخريجات. فإن قيل: إن كنتم ترجحون هذا الرأي فهلاً جعلتموه على رأس قائمة التخريجات؟ قلنا: أنّ العبرة بالخواتيم والكلام ينسي آخره أوّله.

¹ سورة البقرة الآية 23.

² سيد قطب (ت1378هـ) في ظلال القرآن، دار الشروق-بيروت، ط3، سنة 1977، ج1، ص38.

1-1- الحروف المقطعة في حساب الجمل:

لظالما استعمل أهل الكتاب الحروف المقطعة - وإن اختلف استعمالها عما هو وارد في القرآن - فكانت عند النصارى رموزا لاستعمالات محددة بدل الكلمات والحروف، وقد أشير إلى هذه القضية في كتب التفسير الإسلامية ويشتهر بحساب الجمل أو عدّ أبي جاد أو أبجد¹.

¹ حساب الجمل: عرّفه الخالدي بأنّه: "حساب يقوم على أن لكل حرف من العربية رقما حسابيا، ومجموع حساب حروف الكلمة أو الجملة يدل على الأعمار والأحداث المستقبلية - كما يزعمون"، وعرفه الطاهر بن عاشور بأنه "جعل أعداد لكل حرف من حروف المعجم من آحاد وعشرات ومئات وألف واحد، فإذا أريد خط رقم حسابي وضع الحرف عوضا عن الرقم، وقد كان هذا الاصطلاح" تهذيب تفسير الطبري، الهامش 1 ص 99 قديما ووسمت به عدة أناشيد من كتاب داود، واشتهر ترقيم التاريخ به عند الرومان، ولعله نقل إلى العرب منهم أو من اليهود" الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير 1 ص 208.

طريقته: تعتمد طريقة حساب الجمل على تركيب حروف الهجاء الأصلي القديم وهو الترتيب الأبجدي الموافق لترتيب حروف اللغات السامية القديمة¹ (أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت، ثخذ، ضطغ). وقد أعطي كل حرف قيمة عددية كالتالي:

يقول الشوكاني عن أهل الكتاب: "فهموا عند سماع (الم) أن الحروف المذكورة رمز إلى ما يصطلحون عليه من العدد الذي يجعلونه لها.¹ ويقول الطاهر بن عاشور عن حساب الجُمَّل: ² "لَعَلَّ نُقِلَ إِلَى الْعَرَبِ عَنِ الرُّومَانِ أَوْ الْيَهُودِ"³.

ويقول الدكتور بسام الجرار عن حساب الجُمَّل "فرجال الدين اليهودي يستخدمونه كثيراً."⁴ ويؤكد على ذلك الدكتور صلاح الخالدي: "هو حساب يهودي"⁵. ويقول الزرقاني "إن اليهود والنصارى كان لهم رموز وكانت رموز اليهود هي حروف الجمل"⁶.

قال صاحب الإتيقان: "وقد استخراج بعض الأئمة من قوله تعالى: "الم ﴿١﴾ غَلَبَتْ الرُّومُ ﴿٢﴾" أن البيت المقدس يفتحة المسلمون في سنة ثلاثة وثمانين وخمسمائة ووقع كما قاله... علل عدد الحروف التي في أوائل السور مع حذف المكرر للإشارة إلى مدّة بقاء هذه الأمة. قال ابن حجر: وهذا باطل لا يعتمد عليه فقد ثبت عن ابن عباس رضي الله عنه الزجر عن أبي جاد، والإشارة إلى ذلك من جملة السحر، وليس ذلك ببعيد فإنه لا أصل له في الشريعة."⁷

أ	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط	ي
ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص	ق	
ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ	
1	2	3	4	5	6	7	8	9	10
20	30	40	50	60	70	80	90	100	
200	300	400	500	600	700	800	900	100	

¹ الشوكاني، فتح القدير ج1 ص 49.

² الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج1 ص 208

³ الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، الحاشية ج1 ص 208

⁴ جرار بسام، إرهافات الإعجاز العددي في القرآن الكريم، جزء واحد، نون للدراسات والأبحاث القرآنية (ط1/1998م) (ص51) وسأشير إليه فيما بعد: جرار، الإعجاز العددي.

⁵ صلاح عبد الفتاح الخالدي: تهذيب تفسير الطبري، دار القلم-دمشق (ط1/1997م) ج1 ص 99

⁶ الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، 2 مج، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان (ط1/1409هـ-1988م) ج1 ص 232

⁷ السيوطي: ج2 ص 311. والنهي عن تعلّم حروف أبي جاد ثبت عن ابن عباس موقوفاً، قال ابن حجر في كتاب "فتح الباري" ج11 ص 351: "وقد ثبت عن ابن عباس الزجر عن عدّ أبي جاد"، وهذا بيانه: قال عبد الرزاق في كتاب "المصنف" (ح19805): : عن معمر، عن ابن طاووس، عن أبيه، عن ابن عباس قال: "إِنَّ قَوْمًا يَحْسِبُونَ أَبَا جَادٍ وَيَنْظُرُونَ فِي التُّجُومِ، وَلَا أَرَى لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْ خَلْقٍ" أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي: فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة - بيروت، 1379 رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه

1-2- مستند من فسر الحروف المقطعة بحساب الجمل:

قال الطبري في تفسيره: "وأما الذين قالوا هن حروف حساب الجمل -دون ما خالف ذلك من المعاني- فإنهم قالوا: لا نعرف للحروف المقطعة معنى يفهم سوى حساب الجمل وسوى تهجي قول القائل: "الم"، وقالوا غير جائز أن يخاطب الله جل ثناؤه عباده إلا بما يفهمونه ويعقلونه عنه، فلما كان ذلك كذلك، وكان قوله: (الم) لا يعقل لها وجه توجه إليه إلا أحد الوجهين اللذين ذكرنا فبطل أحد وجهيه وهو أن يكون مراداً بها تهجي (الم) صحّ وثبت أنه مرادٌ به الوجه الثاني (وهو حساب الجمل) لما يلي:

1-2-1- لأن قول القائل (الم) لا يجوز أن يليه من الكلام ذلك الكتاب لاستحالة معنى الكلام وخروجه عن المعقول إذا ولي (الم) ذلك الكتاب.

1-2-2- واحتجوا لقولهم ذلك أيضا بما روي وأخرجه ابن إسحاق والبخاري في "تاريخه"، وابن جرير بسند ضعيف عن ابن عباس، عن جابر بن عبد الله بن رثاب قال: مر أبو ياسر بن أخطب في رجال من يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو فاتحة سورة (البقرة): "الم ذلك الكتاب"، فأتى أخاه حبي بن أخطب في رجال من اليهود فقال: تعلمون-والله- لقد سمعت محمدًا يتلو فيما أنزل عليه: "الم ذلك الكتاب؟" فقالوا: أنت سمعته؟ قال: نعم! فمشى حبي في أولئك النفر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: قد جاءك بهذا جبريل من عند الله؟ قال: نعم، قالوا: لقد بعث الله قبلك أنبياء ما نعلمه بين نبي منهم ما مدة ملكه وما أجل أمته غيرك فقال حبي بن أخطب: وأقبل على من معه: الألف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون فهذه إحدى وسبعون سنة، أفندخلون في دين نبي إنما مدة ملكه وأجل أمته إحدى وسبعون سنة، ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد هل مع هذا غيره؟ قال: نعم، قال: وما ذاك؟ قال: المص قال: هذه أثقل وأطول؛ الألف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون والصاد تسعون فهذه إحدى وستون ومائة سنة، هل مع هذا يا محمد غيره؟ قال: نعم، قال: وما ذاك؟ قال: الر قال: هذه أثقل وأطول؛ الألف واحدة واللام ثلاثون والراء مائتان فهذه إحدى

وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز. وقال أبو بكر بن أبي شيبة في كتاب "المصنف": حدثنا زيد بن الحباب قال: حدثني يحيى بن أيوب قال: حدثنا عبد الله بن طائوس، عن أبيه، عن ابن عباس قال: "إن قوماً ينظرون في النجوم وفي حروف أبي جاد. قال: أرى أولئك قوماً لا خلاق لهم."

وَتَلَاثُونَ وَمِائَتَا سَنَةٍ، فَهَلْ مَعَ هَذَا غَيْرُهُ؟ قَالَ : نَعَمْ الْمَرْقَالَ : فَهَذِهِ أَثْقَلُ وَأَطْوَلُ، الْأَلِفُ وَاحِدَةٌ وَاللَّامُ ثَلَاثُونَ وَالْمِيمُ أَرْبَعُونَ، وَالرَّاءُ مِائَتَانِ فَهَذِهِ إِحْدَى وَسَبْعُونَ سَنَةً وَمِائَتَانِ، ثُمَّ قَالَ : لَقَدْ لُبِسَ عَلَيْنَا أَمْرُكَ يَا مُحَمَّدُ حَتَّى مَا نَدْرِي أَقَلِيلًا أَعْطَيْتَ أَمْ كَثِيرًا، ثُمَّ قَامُوا، فَقَالَ أَبُو يَاسِرٍ لِأَخِيهِ حُبَيْبٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْأَخْبَارِ : مَا يُدْرِيكُمْ لَعَلَّهُ قَدْ جُمِعَ هَذَا لِمُحَمَّدٍ كُلُّهُ، إِحْدَى وَسَبْعُونَ وَإِحْدَى وَسِتُونَ وَمِائَةٌ، وَإِحْدَى وَثَلَاثُونَ وَمِائَتَانِ، وَإِحْدَى وَسَبْعُونَ وَمِائَتَانِ، فَذَلِكَ سَبْعُمِائَةٍ وَأَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ، فَقَالُوا : لَقَدْ تَشَابَهَ عَلَيْنَا أَمْرُهُ، فَيَزْعُمُونَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ نَزَلَتْ فِيهِمْ: "هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ".¹

وينبغي التنويه هنا أن إيراد الطبري لهذا الرأي ليس ترجيحاً له إنما ذكره من باب الأمانة العلمية في نقل جميع التاويلات والتخریجات التي وصلت إليه؛ ثم يهتم هو بالرد عليها وترجيحها. وهي عادة العلماء المنفتحين - غير المتحيزين - الذين تزودوا بأسلحة الفلسفة (من عرض القضية ونقيضها ثم الترجيح) فاستحقوا بذلك احترام العالم في كل العصور وسخط المسلمين في عصرهم وتكفيرهم إياهم. قال الطبري في الرد على هؤلاء (القائلين بأنها من حساب الجمل): "لو أراد الله بذلك أو بشيء منه الدلالة على معنى واحد مما لا يحتمله ذلك دون سائر المعاني غيره لأبان ذلك لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إبانةً غير مُشكَّلة"². وأما احتجاجهم بالحديث، فهو احتجاج باطل ولا يجوز الاستناد في تفسير القرآن إلا بالصحيح.

يقول ابن كثير في الرد عليهم: "وأما من زعم أنها دالة على معرفة المدد وأنه يستخرج من ذلك أوقات الحوادث والفتن والملاحم فقد ادعى ما ليس له وطار في غير مطاره وقد ورد في ذلك حديث ضعيف وهو مع ذلك دل على بطلان هذا المسلك من التمسك به على صحته"³.

¹ الطبري: جامع البيان ج1 ص71 وحديث جابر أخرجه البخاري في التاريخ الكبير وأشار إلى هذه الرواية وأشار إلى اختلاف آخر في الحديث فأخرجه عن سلمة عن ابن إسحاق ثم روى عن شيخه علي بن المديني أنه قال: ماخرجنا من الري حتى رمينا بحديث سلمة، ينظر البخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله: التاريخ الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان ج2 ص208 وهو حديث مقطوع السند ضعيف جدا برأي ابن الجزري محمد بن أحمد: كتاب التسهيل لعلوم التنزيل: تحقيق محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية 1995. ص99

² الطبري، جامع البيان (1: 73).

³ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (1: 38).

كما لا ننسى القول السابق لابن حجر: "وهذا باطل لا يعتمد عليه، فقد ثبت عن ابن عباس رضي الله عنه الزجر عن أبي جاد والإشارة إلى ذلك من جملة السحر وليس ذلك ببعيد فإنه لا أصل له في الشريعة."¹

وقال ابن خلدون في مقدمته: "إن دلالة هذه الحروف على تلك الأعداد ليست طبيعية ولا عقلية وإنما هي بالتواضع والاصطلاح الذي يسمونه حساب الجمل، نعم إنه قديم مشهور، وقدم الاصطلاح لا يصير حجة، وليس أبو ياسر وأخوه حي ممن يؤخذ برأيه في ذلك ولا من علماء اليهود."²

ومن جملة المعترضين أيضا على القول في الحروف المقطعة بقول اليهود في أبي جاد: الزرقاني حيث قال: "لا نسبة بين الرموز التي في أوائل السور وبين الجمل عند اليهود ورموز النصارى إلا كالنسبة بين علم الرجل العاقل والصبي أو بين علم العلماء وعلم العامة"³.

وقال بعد أن أورد رأيا في الحروف المقطعة أنها حروف مقتطفات من أسماء الله قال: "ويرجع الأمر إلى أنها أسماء مرموز لها بالحروف كما تقدم عن الأمم السالفة من النصارى في إسكندرية ورومة، ولكن لا بد أن يكون هناك ما هو أعلى وأجل"⁴، ويقصد بذلك أن القرآن لم يستعمل حساب الجمل إنما جاء على طريقته فقط في ذكر الحروف ليأخذ الناس في فهمها كل مذهب ويتصرف الفكر فيها.

لكن من العجب بعد كل هذا الزجر عن مثل هذه التأويلات أن تجد من المحدثين من يدافع عن هذا التخريج ويحاول الانتصار له بشتى الطرق ومن هؤلاء: الدكتور بسام جرار حيث يقول: "يمكن لنا بالاستقراء أن نثبت أن القرآن الكريم ادّخر بعض الأسرار في كلمات أو جمل، أي أن القرآن الكريم استخدم هذا الاصطلاح الذي تواطأت عليه اللغات السامية، وما الذي يمنع ذلك وقد نزل القرآن الكريم باللسان العربي؟ وكما يدل اللسان على المعاني، فليس هناك مانع أن يدل على القيم الرياضية"⁵. ثم راح الرجل يبسط أدلته التي اخترنا منها ما يلي:

¹ علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي: فتح الباري شرح صحيح البخاري رقم 1379.

² ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، 1 مج دار الفكر، لم تذكر رقم الطبعة وسنة الطبع ص333.

³ الزرقاني، مناهل العرفان ج1 ص232.

⁴ الزرقاني، مناهل العرفان ج1 ص232.

⁵ ينظر بسام الجرار: الإعجاز العددي ص54.

فاتحة سورة النمل (طس) وترتيبها في المصحف هو (27) وعدد آياتها (93) وقد وجدنا أن تكرار حرف (ط) في السورة هو (27) بينما كان تكرار حرف (س) في السورة هو (93)، وعليه يكون مجموع تكرار (ط، س) هو (120)، وهو أيضا كما لاحظنا مجموع (ترتيب السورة+عدد آياتها) واللافت للانتباه أن جُمِّل كلمة نمل هو (120).

وخلاصة القول أنّ حساب الجُمَّل موجود ومستعمل من طرف واليهود وبعض الشيعة ويمكن تعلمه من باب المعرفة أو اقتضاء المناظرة؛ فمن تعلّم لغة قوم أمن شرّهم، والجُمَّل جمع بين الحساب واللغة بطريقة عجيبة من غير المنصف إنكارها لكن تطبيق ذلك النوع من الحساب على القرآن الكريم منهّي عنه بنص حديث حيي بن أخطب! قلنا أنّ الحديث ضعيف، وإن صحّ؛ فيكون تطبيقه حكرا على اليهود الذين أمر النبي بمخالفتهم وتعهد بذلك - حتى في صيام عاشوراء - فكيف بتفسير القرآن؟

2- القول بأنها من الإعجاز العددي:

ينبغي التنبيه إلى أن الإعجاز العددي ليس تفسيرا وإنما هو لطائف حسابية تدل على أن هذا القرآن ليس من تأليف البشر قال الله تعالى: "أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ۗ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾".¹ ويرى الدكتور دريد موسى الأعرجي: أن اسم الإعجاز العددي مبالغ فيه بالنسبة لهذه اللطائف وإنما الأولى تسميته بالتوافق أو التناسق العددي.² وتجدد الإشارة في هذا المقام إلى أن البحث في التناسق من الفنون المستحدثة في الملة ومما عزز ظهورها انتشار الحواسيب الإلكترونية والبرامج الخاصة بحساب القرآن الكريم. ويمكن أن يكون ذلك سبب تأخر تطور هذا العلم -رغم توفر بوارده في القديم-³ ومن الذين كتبوا في هذا الموضوع: حلمي

¹ سورة النساء الآية: 82

² دريد موسى الأعرجي: تناسق الأعداد في القرآن الكريم، مجلة مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، العدد 2 كانون الأول 2012 ج 2 ص 31.

³ روى الزركشي: "أن الحجاج بن يوسف الثقفي بعث إلى قراء البصرة فجمعهم واختار مجموعة من القراء وقال: عدوا حروف القرآن، فبقوا يعدون بالشعير أربعة أشهر، فأجمعوا على أن عدد كلمات القرآن (77439) كلمة، وعدد حروفه (323015)

موسى¹ وعبد الرزاق نوفل² و فاضل صالح السامرائي³ وعبد الله جلغوم⁴، وبسام الجرار⁵ ورشاد خليفة⁶.

¹ نشر حلمي موسى في مقال له خلاصة بحثه في هذا المجال معجزة القرآن العددية ، مجلة الدوحة القطرية، العدد 20 شهرآب 1977م ابتداء من ص 67. أهم نتائجه : عدد مفردات القرآن 51899 و 557 منها أسماء أنبياء ، والألفاظ ذات الجذر الثلاثي تمثل 51175. عدد المبدوءة بالهمزة 8170 وهي الأعلى نسبة ثم بالقاف: 4079 والحرف الأدنى استعمالا في بداية الجذور وهو الراء 253 استخدم القرآن أكثر من 40 % من الجذور العربية. ينظر دريد موسى الأعرجي: تناسق الأعداد في القرآن ص 37

² ألف عبد الرزاق نوفل كتابا سماه الإعجاز العددي في القرآن في ثلاثة أجزاء وكتبا آخر سماه : معجزة الأرقام والترقيم في القرآن الكريم ، ومن نتائج بحثه أن: كل الأعداد موجودة في القرآن، وأن قد ورد في القرآن كل النظام المؤوي عشرة عشرون ثلاثون..، ورد في القرآن كسور مثل: النصف والثلث والرابع..، ورد في القرآن النظام الترتيبي أول، ثاني، ثالث... ومما اكتشفه أيضا التوازن بين الكلمات المتقابلة كالملائكة والشيطان 88 الحياة والموت 140 الصالحات والسيئات 167 أما الأضداد فعلاقتها الضعف والأبرار ضعف الفجار 6 السر ضعف الجهر 16 المغفرة ضعف الجزء 117 كما وردت شهر 12 مرة. ووردت كلمة يوم 365 مرة وبصيغة المثني والجمع 30 مرة.. المعجزة العددية ص 34-47 نقلا عن دريد موسى الأعرجي تناسق الأعداد في القرآن ص 38-39 وينظر أيضا أحمد مصطفى متولي : الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية ، دار ابن الحوزي القاهرة ط 1 2006، ص 522. لكنه لم يذكر بأنها لعبد الرزاق نوفل.

³ فاضل صالح السامرائي: التعبير القرآني، جزء واحد، دار عمار-عمان ط 1 سنة 1998م، ص 9 وما بعدها

⁴ نشر الباحث إبراهيم عبد الله جلغوم كتابا بعنوان: أسرار ترتيب القرآن قراءة معاصرة تكلم فيه عن دقة تناسق السور. -وفيه ما يقال- لكن من حسنات هذا البحث النتائج التالية: في القرآن 60 سورة عدد آياتها زوجي و 64 سورة عدد آياتها فردي والعددان متقاربان لكن التوافق ليس هنا إنما في أن نصف السور الزوجي عدد آياته؛ رقم ترتيبها زوجي. والنصف الآخر فردي من ناحية أرقام ترتيبه في المصحف. و الأربعة والستون الفردي عدد آيتها سبع وعشرون 27 سورة منها أرقام ترتيبها في المصحف فردية والنصف أو السبع والعشرون سورة (27) الأخر أرقام ترتيبها في المصحف زوجي. أسرار ترتيب القرآن، جزء واحد دار الفكر-الأردن ط 1 سنة 1994م . نقلا عن بسام نهاد الجرار ، إرهاصات الإعجاز العددي ، دار النور، ط 1 سنة 1988 ص 29.

⁵ كتب عن ذلك في: إرهاصات الإعجاز العددي. وقد سبقت الإشارة إليه، وكتاب عجيبة تسعة عشر بين تخلف المسلمين وضلالات المدّعين، جزء واحد، مؤسسة الاعتصام-الخليل ط 1 سنة 1990م. وما يرد في هذا الكتاب محاولة ربط هذه الأرقام بالعدد 19

⁶ كتب رشاد خليفة مؤلفين حول الإعجاز العددي القرآني الأول رسالة صغيرة بعنوان (عليها تسعة عشر) والثاني كتاب بعنوان دلالات جديدة في القرآن فَصَّلَهَا فِيهِمَا نَظَرْتُهُ فِي الإعجاز ولفَت انتباهه رقم 19 تسعة عشر وحاول تقليب أرقام الآيات والسور يمينا ويسارا لتوافق هذا العدد وغالى في ذلك حتى خرج عن المعقول في استعمال هذا العدد للدفاع عن

2-1- دليلهم على مشروعيته: استدل القائلون به بالآية الكريمة. "عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشْرٍ"¹، قالوا إن المقصود بها البسملة لأن عدد حروفها تسعة عشر حرفاً.²

وتم الاعتراض على الاستشهاد بهذه الآية لأن لفظ تسعة عشر يدل بصريح نص الآية على الزبانية الموكل إليهم تسعير نار جهنم في قوله تعالى: "سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ" ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوْ آخِذَةٌ لِلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشْرٍ ﴿٣٠﴾³ وأن ما بعد هذه الآية يدل على ذلك أيضاً وهو قوله تعالى: " وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۗ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ۗ وَلَا يَزَاتَبَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ "4، وأصحاب النار هم الزبانية التسعة عشر. ونقول أن الله قد تولى الإجابة عن هؤلاء المغالين بهذا الرقم 19 في الآية ذاتها. قال الله تعالى: " وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۗ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ۗ وَلَا يَزَاتَبَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ۗ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۗ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۗ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۗ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ "5 ولعل الإعجاز وقع هنا لأن هذه الآية نزلت قبل قرون لتنبئ عن قدوم قوم يفتنون بالعدد 19. وهو عدد الزبانية الذين لا يؤمن البهائيون بوجودهم، ولا بوجود أي نوع آخر من الملائكة، بل ولا يؤمنون بوجود جهنم ولا بالعذاب، فذلك من أهم معتقدات دينهم⁶. كما أن لعد الحروف ثلاث طرق معروفة إما صوتية

المعتقد البهائي وترسيخ قواعده. ولأن الله جعل العدّ فتنة للبشر اتبعه كثير من الباحثين المغالين في التوافق العددي ينظر: صلاح عبد الفتاح الخالدي، البيان في إعجاز القرآن 368-369. وينظر: فضل حسن عباس، وثناء فضل، إعجاز القرآن الكريم جزء واحد، دار الفرقان-عمان، دون طبعة وسنة طبع، ص353.

¹ سورة المدثر الآية 30.

² رشاد خليفة: معجزة القرآن الكريم، جزء واحد، دار العلم للملايين-بيروت ط1 سنة1983م ص9.

³ سورة المدثر الآيات: 27 - 30 ومن الآية 31.

⁴ سورة المدثر من الآية 31.

⁵ سورة المدثر الآية 31.

⁶ تشير الكتب البهائية إلى أنهم لا يؤمنون بالعذاب والثواب المادي بعد الموت، بل بالعذاب الروحي، كما أنهم لا يؤمنون بالجنة أو النار، ولا يؤمنون باستمرار الحياة الجسدية أو المادية للفرد بعد الموت، كما أنهم لا يؤمنون بالملائكة والجن. ويرى البهائيون الديانات على أنها دين واحد وبهاء الله أحدث الحلقات في تعاقب هؤلاء المرين الإلهيين. ولكنه ليس آخرهم، فالبهائيون يعتقدون بدوام حاجة البشر إلى التربية الإلهية ويعتقدون بمجيء رسل آخرين في المستقبل، ولكن

عن طريق النطق بها، إما خطية عن طريق الرسم العثماني أو الحديث وهو لم يعتمد واحدة من هذه الطرق¹..

2-2- الأمثلة التي أوردتها القائلون بالإعجاز العددي مما يتعلق بالحروف المقطعة:

السور التي تبدأ بهذه الأحرف تتكرر فيها هذه الأحرف بمقدار مضاعفات التسعة عشر ومنها:

2-2-1 سورة القلم افتتحت بحرف (ن) وورد هذا الحرف في السورة 133 مرة، من مضاعفات رقم $19 \times 7 = 133$

2-2-2 سورة (ق) افتتحت بحرف ق وقد ورد فيها 57 مرة، وهذا من مضاعفات رقم $19 \times 3 = 57$.

2-2-3 سورة يس افتتحت باثنين من الحروف المقطعة الياء والسين، ورد حرف الياء فيها (237) مرة، وورد حرف السين فيها 48 مرة فمجموع ورود الحرفين هو 285 مرة، وهو من مضاعفات رقم $19 \times 15 = 285$.

وقد تكفل المستشار حسين ناجي محمد محي الدين وبسام نهاد الجرار بالرد على رشاد خليفة زعيم فرية 19. في كتاب لكل منهما: تسعة عشر ملكا للأول وإعجاز الرقم 19 مقدمات تنتظر النتائج⁴ ولعل كل مسلم معتدل يحكم العقل الذي لم يسبق له التعارض مع النقل يمكنه إدراك أن هذا النوع من التخريجات الدلالية قائم على التخمين البحث، وليس له أسس يمكن ضبطها أو الاستناد إليها. فهو لا يعدو أن يكون نوعا من هذه التأويلات الرمزية وهي متنوعة متداخلة في كل اتجاه دونما أسس واضحة تقوم عليها.

بعد ألف سنة على الأقل من ظهور الرسالة السابقة. أميرة عبد السلام: ماهي الديانة البهائية الاثنتين:

<https://www.youm7.com/story/2009/4/13>

¹ صلاح عبد الفتاح الخالدي: البيان في إعجاز القرآن، ص 374-375.

² فاضل صالح السامرائي: التعبير القرآني، ص 9-10.

³ ينظر بسام نهاد الجرار: عجيبة تسعة عشر بين تحلف المسلمين وضلالات المدعين، جزء واحد، مؤسسة الاعتصام الخليل ط 1990، م 1، ص 73. نقلا عن: دريد موسى الأعرجي، تناسق الأعداد في القرآن الكريم. ص 42 و الجدير بالذكر أن الإعجاز العددي ليس مقتصرًا على العدد 19 بل يظهر في غير هذا العدد وشواهد كثيرة، قمثلا نجد الأستاذ عبد الله جلغوم ذكر مظاهرا للإعجاز العددي في غير هذا العدد، فقد أعطى له صورا في الأعداد (13 و 29 و 17 و 46) عبد الله جلغوم: أسرار القرآن، ص 79-137. ونجد الأستاذ عبد الرازق نوفل في كتابه الإعجاز العددي لم يتطرق إلى العدد 19 إلا في جزئية بسيطة لا تتعدى السطرين، وسواء تجلى الإعجاز العددي في رقم 19 أو 13 أو 29 أو غيرها فإننا نستطيع القول أن هذه الأقوال خالية من الأدلة إذ مبناها الاستدلال الظني الذي لا يعول عليه.

⁴ دريد موسى الأعرجي: تناسق الأعداد في القرآن ص 47.

ولعل من اطلع على كل هذا يمكنه استنتاج أن الإعجاز العددي موجود في القرآن-على ما يبدو- لكن تسميته بالإعجاز مسألة فيها نظر. ولعل من الأفضل أن نسميه بالتناسق العددي، والبحث فيه يتطلب حذرا شديدا إذ لا ينبغي الاعتقاد بقدسية النتائج بعد اتباع الرسم العثماني وإحدى القراءات المتواترة، ومما لا ينبغي إغفاله هو أن هنالك إثباتات فعلية تؤكد على وجود التناسق العددي في القرآن؛ وهي قائمة بحيث لا تدع مجالا لأحد بإنكارها.

3- آراء المستشرقين:

يقول الأستاذ الدكتور عبد الله خضر حمد¹: "إن الحرية الفكرية والدعوة إلى التأمل والتفكير التي أرسى دعائمها الإسلام قد تركت المجال فسيحا للبحث في سر هذه الألفاظ العجيبة وتولد من خلالها آراء شتى.... لكنها في الحقيقة ظاهرة تتطلب في دراستها إلى التأمل العقلاني والاستدلال المنطقي، أما ما يشطح به أصحاب النظرة المادية دون أساس قوي ومتين فهذا لا يتفق مع المنطق العقلي السليم" وقد صدق صبحي الصالح عندما قال: "ومن المؤكد أن مثل هذه التخريجات في تفسير أوائل السور لا تتناهى ولا تقف عند حدّ وما هي إلا تأويلات شخصية مردّها هوى كل مفسر وميله."²

ومن بين أبرز المستشرقين تيودور نولدكه Noldeke وهانز بور Hans Bauer وإدوارد جوسنز Eduard goosens فكتب الأول كتابه تاريخ الإسلام سنة 1919 والثاني ترتيب السور والرموز الغامضة في القرآن نشر في مجلة ZDM6 والثالث أنجز بحثا نال به درجة الدكتوراه تحت عنوان أصل الرموز القرآنية ومعناها نشرته مجلة الإسلام الألمانية Derislam سنة 1923 ج13. وفي هذه الأعمال بثوا آراءهم حول الحروف المقطعة وهي آراء خطيرة

وهذا الرأي-في عمومه صادر عن: نولدكه، وشفالي، وهيرشفليد وغيرهم بتفاصيل متفاوتة .

¹ القرآن الكريم وشبهات المستشرقين: دار الكتب العلمية، بيروت ص 220.

² مباحث العلم في القرآن، دار العلم للملايين بيروت-ط16- 1985، ص595، وما بعدها.

فنولدكه¹ مثلاً يرى أن أصحاب النسخ أنفسهم قد قاموا بهذه الاختصارات ، لكن غفلة زيد بن ثابت هي التي جعلته يعتقد أن هذه الاختصارات من نصوص الوحي فأضافها إليه²؛ وعليه: (الر) اختصار للزبير و(الم) اختصار للمغيرة و(طه) اختصار لطلحة بن عبيد الله و(حم) اختصار من عبد الرحمن..

ولعلنا قد أشرنا -فيما سبق من التخريجات- إلى أنّ بعض التخريجات قد لا تبدو خطيرة للوهلة الأولى، لكن خطورتها تتكشف بعد أن تُتخذَ باباً لولوج ضعاف النفس فيجعلونها ذريعة يسوقون عليها الأشباه والنظائر فتتمدد وتتوسع وتصل إلى مواطن لا يمكن العودة منها. والتخريج الذي ذهب إليه نولدكه -وغيره- ليس غريباً -من منطلقه- بل هو في أساسه التخريج القائل بأنها أسماء ثم تفرع عنه أسماء للسور، ثم أسماء للصحابة الذين شاركوا في كتابة نسخ القرآن. فنولدكه إذن لم يزد إلا أنه فصلها عن القرآن، ولم يجعلها من صميم آية! وما ذلك بالأمر الهين!

¹ نولدكه مستشرق ألماني ولد في 1836/03/02م، كان كثير الإطلاع والإلمام باللغات السامية فأتقن العربية والعبرية والسريانية وتركزت مؤلفاته حول هذه اللغات، توفي سنة 1930 ينظر عبد الرحمان بدوي : موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، ط3 سنة 1993م ص595.

² ينظر صبحي الصالح: مباحث في علوم القرآن، ص241. ورد في كتاب القرآن الكريم وشبهات المستشرقين: "زعم الباحث الألماني نولدكه في كتابه قصة القرآن 1860 إلى أنّ هذه الفواتح هي اختصارات إلى أسماء مدوني القرآن(الم الزبير والم المغيرة -حم عبد الرحمن)" وذكر في مرجع آخر أن: "المستشرق الألماني(تيودور نولدكه: 1832، 1930م) يرى أن الحروف المقطعة هي الحروف الأولى أو الأخيرة مأخوذة من أسماء بعض الصحابة الذين كانت عندهم نسخ من سور قرآنية معينة، فالسين من سعد بن أبي وقاص، والميم من المغيرة ابن شعبة، والنون من عثمان بن عفان، والهاء من أبي هريرة، وهكذا)(تاريخ القرآن، تيودور نولدكه: 303، مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح: 239، موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي: 595" نقلاً عن الشيخ ليث عبد الحسين العتايي: آراء المستشرقين مقال في مجلة الولاية العدد: 85. 04 فبراير 2016 لكن العائد إلى موسوعة المستشرقين لا يجد فيها سوى سيرة هذا الرجل التي اختصرنا مراحلها في التعريف أعلاه، وبالنسبة لكتاب صبحي الصالح فليس فيه زيادة على ما ذكرناه في متن الصفحة السابقة وما ذكرناه للتو في قول العتايي؛ سوى أنّ كتاب تاريخ القرآن مؤلف مشترك بين نولدكه وشفاليه & Noldeke & schwally. وذلك فيه نصيب من الحقيقة فكتاب تاريخ القرآن قد قام شفاليه بتعديله في طبعة لايتسغ سنة 1909 وقد أعيد طبعها رابع طبعة من الدار نفسها سنة 1938. وهي الطبعة المعتمدة في الترجمة إلى العربية من طرف د-جورج تامر وفريق عمله المتكون من: زوجته د-عبلة معلوف ود-خير الدين عبد الهادي ود-نقولا مراد وأخرجت الأجزاء الثلاثة في مجلد واحد، نشرته دار جورج ألمز، هيلد سهيام- زيوريخ-نيويورك، بإذن دار نشر ومكتبة ديتريش-فيسبادن، ط1 بيروت 2004 كونراد أدناور. Konrad Adenaver

وهو لا ينكر ذلك فهو يقول: "فالعلماء المسيحيون في الغرب طوروا بواسطة الصدفة أو الاستعارة كثيرا من الآراء التي هي نفسها آراء التراث الإسلامي أو تشبهها، وحتى حين سلكوا دروبا خاصة بهم لم يتوصلوا دائما إلى تفسير أفضل من التفسير الإسلامي.."¹

كما أن نولدكيه يضع على الجرح ملحا ويضغط عليه عندما يثير مسألة كنا نتحرج من إثارتها فلسنا في حاجة إلى من يزايد على إيماننا وهي قضية الشواهد النقلية التي ارتكز عليها المفسرون المسلمون لمحاولة إثبات صحة ما ذهبوا إليه من تخريجات لهذه الحروف: "بذل المسلمون الكثير من الجهد للكشف عن سر هذه الحروف، ويرجع كثير من التفاسير المقدمة إلى ابن عباس وغيره من مشاهير القرن الأوّل، وحتى إلى صحابة النبي الذين يصلحون ليكونوا موضع ثقة، لكن أحاديثهم -شأنها شأن الروايات التفسيرية في مجملها- تتعرض للشكّ الملحاح بأنها من وضع اللاحقين لتكون تصديقا لأرائهم الخاصة، ما يدفعنا إلى الاعتماد في نقدها على أسباب مضمونية فقط."²

ولعل عدم شعور هذا الرجل بقداسة هؤلاء الصحابة - نظرا لعدم إسلامه - بل ولنقل - كما قال غيرنا - بأنه يضمّر العدائية نحوهم - رغم ادعائه المصدقية أو المضمونية كما سماها - جعله ينظر إلى شواهد المفسرين بنوع من الحيادية فرأى أنها موضع شكّ.

ولسنا بحاجة إلى من يكفّرنا إذا ما قلنا بأنه على نسبة من الصواب، فقد قمنا بتخريج هذه الشواهد المروية عن الصحابي الجليل عبد الله بن عباس ورأينا بأن أغلبها أحاديث إما موقوفة وإما مرفوعة أو ضعيفة، وليس منها واحد صحيح متصل السند إلى النبي صلى الله عليه وسلم. ولعل من تفادى تفسيرها وجعلها من المتشابه كان أسلم، ولم يجعل رأيه ذريعة يتوكأ عليها مثل هؤلاء الملحدين للطنن في القرآن الكريم ومصدقائه.

ولا شأن لنا بالجزء الأخير من قوله الذي يمس فيه بمصدقية المفسرين لكنه قد ينطبق على أصحاب ما سيأتي من التأويلات الفاسدة ممن فتحوا الباب على مصراعيه لمثل هؤلاء المترصدين يتسللون من خلال تلك الهنات. وليت الأمر وقفا على نولدكه الذي "انتهى من دراسته على أنها كانت رموزا على أسماء أصحاب المصاحف لكنها اعتبرت بطريق الخطأ قرآنا ثم أضيفت فيما بعد إلى

¹ تاريخ القرآن ص 300.

² تاريخ القرآن ص 300.

المصحف.¹ بل تعدى الأمر المستشرقين وربما وصل إلى العرب المسلمين حيث يذكر أنه: "من الذين ذهبوا إلى هذا الرأي طه حسين الأديب المصري الذي يقول أن هذه الحروف لصقت بالقرآن على مرور الزمان، وأخذ هذا الرأي من المستشرق (رود ويل) حيث ظن هذه الحروف المختلفة رموزاً إلى جامعي القرآن ف(حم) رمز إلى مصحف ابن عباس، و(طس) رمز إلى مصحف ابن عمر وهكذا.²" وعلى الرغم أن آراء الأديب طه حسين حول القرآن لم تكن -في عمومها- تتسم بالبراءة؛ غير أننا لا نستطيع الجزم بما ادعاه صاحب المقالة ما دمنا لم نضع أيدينا على نص صريح له، فنحن لا نعرف حتى المستوى المعرفي لهذا الرجل ضف إلى ذلك كونه من العلويين ولا يخل نصه من التحيز المذهبي والمغالطة، حيث احتوى مقاله على فضيحة معرفية تكمن في رده التالي على هذه الشبهة: ". أن اللغو والأجواء العدائية التي كان المشركون يثيرونها أمام النبي (صلى الله عليه وآله) إنما هي في مكة بينما يغلب على السور التي اشتملت على هذه الحروف الطابع المدني، وهذه الأجواء لم تكن مثارة في المدينة؛ لأن المشكلة لم تكن مطروحة هناك، فهذا الرأي باطل، ولا يصمد أمام التحقيق والنقد الموضوعي.³" وهذه مغالطة شرعية تاريخية -إن لم نقل أنها جهل- إذ أن العام والخاص يعلم أن السور المفتوحة بالحروف المقطعة مكية باستثناء الزهراوين وفي الرعد خلاف.

وقبل مغادرة نولدكه لا بد من التعرّيج على رأي آخر له -عدل به عن رأيه الأول- مفاده: "أنّ محمداً أراد بهذه الحروف أن يشير بصورة سرية إلى الأصل السماوي للقرآن، فلا بد من أنّ حروفاً كهذه كانت ذات وقع مهمّ في أذن رجل لم يتعرّف إلى الكتابة إلاّ بقدر يسير جداً، فبدت له عجباً، واختلف وقعها لديه عن وقعها في آذاننا"⁴.

وعلى الرغم من قصر هذا النص إلا أنه أيقونة كثيفة مثقلة بالمعاني، أهمها :

- أن النبي -صلى الله عليه وآله- هو مؤلف القرآن . وذلك موجود في رأيه الأول -على كل حال-

¹ محمد السواعده : سلسلة الرد على المستشرقين (دعوى نولدكه في ترتيب القرآن والأحرف المقطعة) مقال على الموقع التالي: <http://sawadeh.rigala.net/t7-topic> تاريخ النشر، 2018/05/28.

² الشيخ مصطفى أبو الطابوق: الحروف المقطعة في القرآن الكريم مقال بمجلة الولاية مجلة إلكترونية صادرة عن العتبة العلوية المقدسة قسم الإعلام شعبة: الصحافة بتاريخ: 06/أبريل/2017 على الموقع:

<http://alwelayh.com>

³ مصطفى أبو الطابوق المرجع السابق.

⁴ نولدكه: تاريخ القرآن، 306 .

- أن هذه الحروف يمكن أن تشير إلى الله لكننا لسنا ندري كيف ذلك؟ ونرجح استعادته لنظرته السابقة في اختصار الأسماء .

- الجرس الصوتي - كي لا نقول الإعجاز- لهذه الحروف في وسط أمي أكسبها مسحة غيبية توحى بمصدرها السماوي. ولعلنا هنا نستحضر الرأي الذي شبّهها بسجع الكهان، والسداجة العربية التي اعتادت الانبهار بمثل تلك الطلاسم اللغوية؛ كيف لا وهي من لوازم السحر؟

وهذا الرأي في صميمه يحوي تناقضا أبسط ما نستطيع القول عنه هو أنه فادح. فبينما ينسب القرآن للنبي وينفي مصدره الإلهي؛ يصف النبي بالبعد عن الكتابة إلى غاية الاندهاش من سماع الحروف! ولنقل أن هذه الجزئية الأخيرة صحيحة، فكيف يستقيم الأمران؟ وكيف لهذا الأمي البعيد عن الكتابة إلى حدّ التعجب من سماع الحروف أن يؤلف مثل هذا الكتاب الذي جمع أخبار وعلوم السابقين واللاحقين وسن القوانين ورتب حياة الناس؟

ولعل هذا الرأي ألعن من سابقه لكنه غير مستغرب من مستشرق مترصد، ضف إلى ذلك كون مجمل هذين الرأيين مأخوذ عن مفسرين عرب مسلمين فماذا تركوا للكفار والملحدين؟!

ولعلنا لا نستطيع مغادرة هذا الرأي قبل أن يدي Hirschfeld هيرشيفلد¹ بدلوه فيه، فهو يصر على الموقف الذي سبق لنولدكه أن اتخذه -مع إجراء تعديل عليه يتطابق بحسبه كل حرف مفرد من المختصرات واسما معينا- وهو يصل إلى المطابقات التالية:- وهي ظنون وحسب وهو لا يجد حرجا في الاعتراف بذلك-²

ال التعريف	ر(ز) الزبير	ن عثمان	ح حذيفة
م المغيرة	ك أبو بكر	ط طلحة	ع عمر أو علي أو ابن عباس أو عائشة
ص حفصة	ه أبوهريرة	س سعد بن أبي وقاص	القاسم بن ربيعة

من خلال الجدول تبين كيف أن هذا المستشرق التبست عليه الأمور في حرف واحد وهو العين وهو حرف مفرد فكيف السبيل إذا ركبه فهو لم يأتي مفردا في الفواتح! وعلى أي مستند يرجح أن الحاء لحفصة والعين لعائشة؟ فاحتفاظ حفصة-رضي الله عنها- بالمصحف له ما يبرره؛ وهو معرفتها بالقراءة والكتابة فما هو مبرر وجود اسم عائشة-رضي الله عنها-؟

¹ Hirshfeld /New reseaches into thencimposition of the

Qorane.London.1902 p-p141.143 نقلا عن نولدكه تاريخ القرآن ص308.

² ينظر فريديريك شفالييه : تعليقه على رأي هيرشيفلد ، في كتاب تاريخ القرآن لتيودور نولدكه ص 308.

وقد شهد شاهد من أهلها باعتبارية هذه النسب وعدم ثباتها، يقول شفالييه في تعليق له: "القي هذا الرأي قدرا كبيرا من الاستحسان، مما يؤيده أن الحروف لا توجد على رأس سور، لا تشكل بالأصل وحدة متكاملة، أما ربط الحروف بأسماء معينة؛ فهو أمر اعتباطي، شأنه في ذلك شأن التفسير الذي تقدمه المصادر الإسلامية، ويتسبب تفسير المختصرات الأطول من سواها مثل (جمعسق) و (كهيعص) بصعوبات لا يمكن التغلب عليها"¹. وقد لوحظ الارتباك نفسه على نولدكه حين قال: "أما في (كهيعص) فقد يعني الحرف الأوسط (بن) والحرفان الأخيران (العاص) الخ. لكن إمكانية اختلاف القراءة تجعل الأمر بمجمله غير أكيد."²

وما عسانا نضيف بعد اعتراف صاحب الرأي الأول - شخصيا - بعدم اقتناعه بما يقول؟! وشفالييه أيضا ينفي عن زيد بن ثابت الغفلة في أكثر من موضع من كتاب نولدكه الذي تولى تعديله لكنه لا ينفي ادعاء نولدكه ببشرية وضع الرموز المقطعة، بل يؤيد بشرية القرآن كله، لكنه يوحد مصدرها وهو النبي لكنه لا يجزم بذلك: "ولا بد من استبعاد افتراض أن الحروف قد تسربت إلى النسخة الرسمية بسبب الإهمال فقط. فمن غير المعقول أن يحصل ذلك لرجل خبير مثل زيد الذي استطاع أن يتحكم مرتين بشكل النص."³ ويؤيد رأي لوث والرأي الأخير لنولدكه بقوله: حين يذكر لوث وحديثا أيضا نولدكه أن محمد هو واضع هذه الحروف، فهما يتفقان في ذلك مع التراث الذي يجعل الاختصارات جزءا من التنزيل ولم يكن زيد بخبرته ليضمم هذه الكتابات الغريبة إلى رواية القرآن النهائية، لو لم يكن مستندا إلى سلطة النبي المرجعية، لكن إذا كان محمد هو بالفعل صاحب هذه الاختصارات، فلا بد أنه أيضا محرر السور التي تبدأ بها"⁴.

من هذا المنطلق ندرك أن هذا الرأي لا يتعدى مجرد تخمينات بشهادة أصحابها وهي لا تعلق على التفسيرات الإسلامية التي تم انتقادها بل هي تركز عليها في الأساس، ولن نكون متحيزين إذا قلنا بأنهم قد شوّهوا التخریجات الأصلية بالادعاء على الصحابي الجليل زيد بن ثابت بالغفلة والادعاء على النبي بالدجل حينما أُلّف القرآن ونسبه إلى الله واستعار سجع الكهان ليوهم بسماوية مصدره.

و قام المستشرق Eduard Goosens إدوارد جوسنز بدراسة تقدم بها للحصول على درجة الدكتوراه في خريف سنة 1920 تحت عنوان: " أصل الرموز القرآنية ومعناها " وتم نشرها بعد ذلك في مجلة الإسلام Der Islam التي تصدر في ألمانيا وذلك سنة 1923 ج 13 ابتداء

¹ نولدكه: تاريخ القرآن ص 303. 304.

² المصدر نفسه ص 304.

³ المصدر نفسه ص 303.

⁴ المصدر نفسه ص 307.

من الصفحة 191. فزعم أنها اختصارات للأسماء القديمة لسور القرآن¹. .. وزعم المستشرق (جوسنز): "أن هذه السور التي تحمل رموزا كانت ذات يوم منفصلة عن باقي السور الأخرى في يد أحد جماع القرآن جمعها في مجموعة صغيرة، وقد فرق ذلك الجامع بوضوح بين الأسماء التي كانت مستعملة حينذاك للسور، وبين نص السور، بأن اختصر هذه الأسماء إلى مثل: ن، ق، ص... لأنها كانت بالنسبة له أمرا ثانويا، ولا تخدم غرضه الأصلي، وهو جمع النصوص، ثم جاء الشخص الذي جمع القرآن الجمع الأخير بصورته الحالية، فلم يفهم أنّ هذه الاختصارات لأسماء السور، فأضافها إلى النص نفسه بعد البسملة، واخترع للسور أسماء أخرى."²

ونشر المستشرق Hans bauer (هانز بور) دراسة تحت عنوان (ترتيب السور والرموز الغامضة في القرآن) (في مجلة DZMG ج 1 ص 85 وما بعدها)³ و قد أضاف أن لهذه الحروف علاقة بترتيب السور دون أن يفصل في ذلك لكن العام والخاص يعرف تأثر أغلبية المستشرقين بالترتيب الكرونولوجي الذي اقترحه نولدكه عوضا عن الترتيب المعروف وترتيب السور في ترجماتهم للقرآن تؤكد ذلك.

وإذا عدنا إلى تلك الأسماء الرمزية وجدنا الرجلين وقد حاول كل واحد منهما متعسفا تكملة ما سماه اختصارا ف(يس) اختصار ل(يسعى) في الآية 20 و(ص) اختصار للصافات في الآية 31، و(ق) اختصار لقريته في الآية 23-27، و(حم عسق) اختصار الحميم، و(لعل الساعة قريب) في الآية 17.⁴ و"لما لم يجد جوسنز في بعض السور تكملة مناسبة للرمز الموجود في أولها ارتكب حماقة

¹ ينظر: عبد الجبار شرارة: الحروف المقطعة في القرآن الكريم، 35، مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح: 240.

ينظر أيضا عبد الله خضر حمد: القرآن الكريم وشبهات المستشرقين (قراءة نقدية) ص 223.

² عبد الجبار شرارة: الحروف المقطعة في القرآن الكريم 37

³ ينظر سهام الخضر: الإعجاز اللغوي في فواتح السور ص 205.

⁴ والآيات هي: على التوالي حسب ذكرها في الأعلى: "وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾" وقوله في سورة ص: "إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِرَاتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾" وقوله في سورة وفي سورة ق قوله تعالى: "وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ ... قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾" وقوله: "وَأَنْذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينٍ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾" وقوله "فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ" ﴿غافر: ٧٢﴾ وقوله "وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ" ﴿فصلت: ٣٤﴾ وقوله: "كَعَلَى الْحَمِيمِ ﴿الدخان: ٤٦﴾" وقوله: "ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ

كبيرة، فافتراض أن سورتين كانتا في القديم متحدتين ثم انفصلتا فيما بعد كما يفترض أن آيات معينة نقلت من مكانها القديم إلى مكان آخر إلى غير ذلك من الحماقات التي لم يكن لها مبرر سوى الهوى والغرض¹.

و من الأقوال المتعددة التي فسر بها المستشرق لوث O – Loth الذي انطلق للبحث في مثل هذه المواضيع من خلال ترجمته لتفسير الطبري إلى الإنجليزية: Tabari's Koran commentar. ZDMG ;35(1881) ذهب هذا المستشرق إلى أن النبي مدين بفكرة الفواتح لتأثير أجنبي.² وبمجرد الاطلاع السطحي على هذا القول نرى أن ذريته قابلة للسدّ فاتصال النبي بيهود المدينة كان في مرحلة متأخرة من وصوله إلى المدينة وهذه السور – حقيقة كما قال وقلنا في الفصل الأول من هذا البحث – من خواتيم مكة وبواكير المدينة لكن بواكير المدينة لا تنطبق سوى على الزهراوين (البقرة وآل عمران) وهما تبدآن بالفاحة (الم) التي سبق وأن بدأت بها: الروم والسجدة ولقمان في مكة – وهو في منأى عن هذه الشبهة – وينتقد شفاليه هذا الرأي بحجة – أقل ما نقول عنها – دامعة وهو أن الفكر التصوفي اليهودي نشأ بعد الإسلامي بقرون.³

وإذا تأملنا رأي لوث وجدناه في جوهره مزيجاً من آراء متأصلة عند المسلمين ممن رأى بتفسيرها بحساب الجمل – وسيأتي بيانه في مكانه – أو من رأى بأن هذه المركبات الحرفية عبارة عن كلمات أو عبارات عبرية أو سريانية وهو رأي أصيل يعود إلى الصحابي الجليل عبد الله بن عباس وهو موجود في تفسير الطبري في معرض تفسير بداية طه، ويعتبر أيقونة فجرت هذه القضية الشائكة في تاريخ التفسير القرآني عند المسلمين والمستشرقين على حدّ السواء.

جاء في تفسير الطبري⁴: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿١﴾ طه ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾" قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ : اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ

عَدَابِ الْحَمِيمِ ﴿الدخان ٤٨﴾ و قوله في الشورى: "اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾"

¹ رمضان عبد التواب، بحث في فواتح بعض سور القرآن الكريم، مجلة منبر الإسلام العدد 10، ص 60-62 نقلا عن د. سهام خضر: الإعجاز اللغوي في فواتح السور، ص 2007.

² ينظر: عبد الحسين العتايي: آراء المستشرقين، مجلة الولاية: مجلة فكرية سياسية ثقافية. العدد 85، 02/04/2016.

³ تاريخ القرآن ص 306.

⁴ مجمع البيان: ج 18 ص 266، 267، تجد نظير ذلك عند الألوسي: روح المعاني ج 16 ص 148.

قَوْلُهُ: " طه " فَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَعْنَاهُ يَا رَجُلُ
ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ :

- حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو ثُمَيْلَةَ ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ وَاقِدٍ ، عَنْ يَزِيدَ
النَّحْوِيِّ ، عَنْ عِكْرِمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ طه : بِالنَّبَطِيَّةِ : يَا رَجُلُ

- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، قَالَ : ثنا عَمِّي ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ
عَبَّاسٍ ، قَوْلُهُ طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (فَإِنَّ قَوْمَهُ قَالَوا : لَقَدْ شَقِيَ هَذَا الرَّجُلُ بِرَبِّهِ ، فَأَنْزَلَ
اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ) طه (يَعْنِي : يَا رَجُلُ) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى

- حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنا حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
مُسْلِمٍ ، أَوْ يَعْلَى بْنُ مُسْلِمٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ أَنَّهُ قَالَ : طه : يَا رَجُلُ بِالسُّرْيَانِيَّةِ . قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ :
وَأَخْبَرَنِي زَمْعَةُ بْنُ صَالِحٍ ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ وَهْرَامٍ ، عَنْ عِكْرِمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، بِذَلِكَ أَيْضًا قَالَ ابْنُ
جُرَيْجٍ ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ ذَلِكَ أَيْضًا

- حَدَّثَنَا عِمْرَانُ بْنُ مُوسَى الْقَزَّازُ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ عُمَارَةُ عَنْ عِكْرِمَةَ ، فِي قَوْلِهِ
طه قَالَ : يَا رَجُلُ ، كَلَّمَهُ بِالنَّبَطِيَّةِ

- حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا يَحْيَى بْنُ وَاصِحٍ قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ ، عَنْ عِكْرِمَةَ ، فِي قَوْلِهِ طه
قَالَ : بِالنَّبَطِيَّةِ : يَا إِنْسَانُ

- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ عَنْ قُرَّةَ بْنِ خَالِدٍ ، عَنِ الضَّحَّاكِ ، فِي قَوْلِهِ طه قَالَ : يَا
رَجُلُ بِالنَّبَطِيَّةِ

- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ قَالَ : ثنا سُفْيَانُ عَنْ حُصَيْنٍ ، عَنْ عِكْرِمَةَ فِي قَوْلِهِ طه
قَالَ : يَا رَجُلُ

- حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَوْلُهُ طه (قَالَ : يَا رَجُلُ ، وَهِيَ
بِالسُّرْيَانِيَّةِ حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ وَالْحَسَنِ فِي

وينظر : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي فتح الباري شرح صحيح البخاري ، رقم كتبه وأبوابه
وأحاديثه : محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه : محب الدين الخطيب ، عليه تعليقات
العلامة : عبد العزيز بن عبد الله بن باز دار المعرفة - بيروت ، 1379 ، ج 8 ص 294 .

قَوْلِهِ) طه (قَالَ يَا رَجُلُ

حَدَّثْتُ عَنِ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مُعَاذٍ ، يَقُولُ : أَحْبَبْنَا عُبَيْدًا ، يَعْنِي ابْنَ سُلَيْمَانَ ، قَالَ : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ) طه (قَالَ : يَا رَجُلُ).

كما يفتح الألوسي موضوعا مطولا استشهد فيه بآراء العلماء كالأنباري والزمخشري والسيوطي وأبو حيان وحتى صاحب اللسان (ابن منظور) بين رافض وموافق للمسألة خلافية¹. لكن إن ثبتت صحة الأحاديث بسند متصل إلى النبي فلا يخاف المرء لومة لائم .

وبالنسبة ل(يس) أخرج سعيد بن منصور والبيهقي عن حسان بن عطية أن رسول الله قال: "سورة يس تدعى في التوراة المعمة تعم صاحبها بخير الدنيا والآخرة وتكابد عنه بلوى الدنيا والآخرة وتدفع عنه أهويل الدنيا والآخرة وتدعى المدافعة القاضية تدفع عن صاحبها كل سوء وتقضي له كل حاجة."²

وعن (ن) ورد في روح المعاني: قال ابن عطية يحتمل أن يكون لغة لبعض العرب أو لفظة أعجمية عربية.³ وفي معاني القرآن للزجاج: "ولم تنصرف لأنها اسم للسورة وجواب ثان أن تكون لم تنصرف لأنها اسم أعجمي."⁴

وفي (حم) قال سيبويه: "وأما (حم) فلا ينصرف جعلته اسما للسورة أو أضفته إليه لأنهم أنزلوه منزلة الأعجمي نحو: هاويل وقاويل."⁵ وورد مثل ذلك في يس من جهة علماء النحو: "ويجوز أن يكون مجرورا بإضمار القسم وهو ممنوع من الصرف"⁶ وما الداعي لمنعه من الصرف غير شبهة العجمة؟¹

¹ روح المعاني ج 16. ص 148.

² مصادر الحديث وتخريجاته: هو حديث مرفوع عن مجاهد عن عائشة، أورده القرطبي في "الجامع لأحكام القرآن" عن عائشة ج 5، ص 15، والخطيب البغدادي رواه عن أنس كما في "الدر المنثور" للسيوطي ج 7 ص 38، وابن الضريس وابن مردويه والخطيب والبيهقي عن أبي بكر الصديق كما في "فتح القدير" للشوكاني ج 4 ص 509، وسعيد بن منصور عن حسان بن عطية كما في "روح المعاني" للألوسي ج 22 ص 209.

³ الألوسي ج 29 ص 23.

⁴ إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: 311 هـ معاني القرآن وإعرابه). (المحقق: عبد الجليل عبده شلبي عالم الكتب - بيروت، ط 1، 1988 ج 3 ص 1180.

⁵ الكتاب ج 3 ص 283.

⁶ الألوسي: روح المعاني ج 29 ص 211.

وجود الغريب من غير لغة العرب في القرآن ليس موقوفا على الحروف المقطعة فالمسألة أثارت جدلا في التراث الإسلامي. جاء في دائرة المعارف الإسلامية² تحت عنوان "الكلمات الدخيلة" ما يلي: لم يجد المفسرون الأوائل حرجا في الإقرار بوجود عدد كبير من الكلمات الدخيلة (الأعجمية) في القرآن أو في مناقشتها. وقد جاء في الأثر أن ابن عباس ومجاهد وعكرمة كانوا يبدون اهتماما خاصا برصد أصولها وتحديد معانيها. لكن بعد ظهور المبدأ القائل بأن القرآن قديم ويتسم بالكمال، اتجه عدد من الفقهاء مثل الإمام الشافعي (ت 205 هـ) إلى الاعتقاد بأن لغة القرآن عربية نقيّة والدفاع عن

¹ ورد في بعض الفيديو ديوهات التي أصبحت تحقق نسبة عالية في المشاهدة فقد بلغها يوم 24-11-2018/ 1 282 932 مليون ومائتين واثنين وثلاثين ألف وتسعمائة واثنين وثلاثين مشاهدة وهي نسبة خطيرة إذا ما لاحظنا التعليقات الموافقة بل والمهورة بهذا الرأي الذي يدعي صاحبه أنه اعتمد على برامج ترجمة خاصة باللغة العبرية والآرامية في فك شيفرة الحروف المقطعة ويبدو جليا إتقانه للغتين ويدعي هذا الشاب أنه اكتشف تفسيراً لهذه الحروف عجز عنه العلماء لكن النتائج التي توصل إليها لا تعتبر في مجملها جديدة فهو لا يخرج عن التفسير المبيّن أعلاه ولا يضيف إليها سوى النزر القليل ولعل ذلك النزر موجود في كتب الأولين التي لم نل شرف وضع أيدينا عليها وملخص نتائجه:

- (الم) معناه صمنا فتكون الآية " الم ﴿١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ " صمنا ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين" وهذا الأسلوب كان يستخدمه الكهان في عصر محمد لإضفاء أهمية على كلامهم أو لأجل جلب الانتباه إليه كما ذكرت في المقدمة. ويذكر لؤي الشريف بأن النبي داود استخدم هذه الكلمة

- (الر) معناه تأمل، تبصر، فتكون الآية "الر ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ " تبصر تلك آيات الكتاب وقُرْآنٍ مُّبِينٍ "

- (طه) معناه يا رجل، فتكون الآية: "طه ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿٢﴾ "، يا رجل ما أنزلنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ "

- (كهيعص) معناه هكذا يعظ فتكون الآية "كهيعص ﴿١﴾ ذَكَرْ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ "، هكذا يعظ ذكر رحمة ربك زكريا

وللتذكير فاللغة الآرامية هي لغة منطقة العراق والشام قبل ان تتمحي امام مخطط التعريب بعد دخول العرب الى المنطقة في القرن السابع . واللغة الآرامية هي اللغة التي انزل بها كتب الله الأول والثاني أي التوراة والانجيل. وبعبارة أخرى فهي من اللغات المقدسة عند الله لأنها اول لغة تكلم بها الله تعالى في كتابيه التوراة والانجيل .

لؤي شريف على الرابط: <https://www.youtube.com/watch?v=CKS-s5z57CE>

² موجز دائرة المعارف الإسلامية تحرير: م. ت. هوتسما، ت. و. أرنولد، ر. باسيت، ر. هارتمان الأجزاء (أ) إلى (ع): (إعداد وتحرير/ إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتاوي، عبد الحميد يونس الأجزاء من (ع) إلى (ي): ترجمة / نخبة من أساتذة الجامعات المصرية والعربية المراجعة والإشراف العلمي: أ. د. حسن حبشي، أ. د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ، أ. د. محمد عناني مركز الشارقة للإبداع الفكري الطبعة: الأولى، 1418 هـ - 1998 مج 26 ص 8222 / 8224

هذا المبدأ¹، ومن ثمّ إلى إنكار وجود أية كلمات معارة من لغات أخرى. ولكن عددا من كبار علماء اللغة مثل أبي عبيدة (ت 224 هـ) لم يكفوا عن القول بوجود كلمات دخيلة (أعجمية) في القرآن. وهناك عدد من الباحثين قد تحرروا تماما من الاعتبارات الدينية في بحث هذا الموضوع مثل السيوطي (ت 911 هـ) الذي أبدى اهتماما خاصا بالكلمات الدخيلة في القرآن، إذ يخصّص فصلا في كتابه "الإتقان" للكلمات التي ليست بلغة الحجاز²، وفصلا للكلمات التي ليست بلغة العرب³. وتضيف الموسوعة أنه في دراسة مستقلة لجلال الدين السيوطي سماها: المتوكلي⁴؛ يقدم تصنيفا لعدد كبير من الألفاظ باعتبارها كلمات مستعارة من اللغة الأثيوبية، والفارسية، واليونانية، والهندية، والسريانية، والعبرية، والنبطية، والقبطية، والتركية، والزنجية، والبربرية. وتورد دائرة المعارف الإسلامية أمثلة ذكرها السيوطي عن العناصر الدخيلة في ألفاظ القرآن إذ قال: "الكلمات التي تعتبر غير عربية على الإطلاق ومن المحال ردها إلى جذور عربية مثل: استبرق (الديباج الغليظ).- الزنجيل.. الفردوس". وتذكر دائرة المعارف الإسلامية أن هناك نحو 275 كلمة بخلاف أسماء الأعلام اعتبرها العلماء كلمات أجنبية.

1 سورة يوسف: "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾" سورة طه: "وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾" سورة الزمر "قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾" سورة فصلت: "تَابَ فَصَلَّتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾" سورة الشورى: "وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۖ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾" سورة الزخرف: "إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾" سورة الأحقاف: "وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً ۗ وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾" سورة الشعراء "أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾" وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾" سورة النحل: "وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٠٣﴾".

2 الإتقان : ج 1 ص 133-135.

3 المصدر نفسه : ج 1 ص 141.135.

4 عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي (جلال الدين) ت 911 هـ - 1505 م عدد الأوراق 10: مصدر

المخطوط: المكتبة الأزهرية خاص (220) عام (6284) على الرابط التالي:

<https://www.alukah.net/library/0/109279/#ixzz5XoheywCS>

خلاصة القول أن التوافق والتداخل والاشتراك بين اللغات في بعض الكلمات، أمر شائع ومعروف ومؤلف، وهو أمر قد قرره دارسو علم اللغات أنفسهم قديماً وحديثاً؛ فاللغة العبرية تشتمل على عدد غير قليل من الكلمات التي أصلها عربي، ومع ذلك لا يقال عن الناطق بتلك اللغة: إنه لا يتكلم العبرية؛ ويحدث مثل ذلك في السريانية، التي تعد عند علماء اللسانيات شقيقة اللغة العربية في مجموعة اللغات السامية، وهي تشترك مع العربية في كلمات وعبارات وقواعد واشتقاقات كثيرة، ليس هذا مكان الخوض فيها. ومثل هذه الكلمات المشتركة والمتداخلة يوجد الكثير منها في لغات العالم، وخصوصاً بين الشعوب المتجاورة، وذات الأصل الواحد القريب لو تتبعنا الألفاظ المعربة التي وردت في القرآن؛ لوجدنا أن مجموعها لا يساوي شيئاً، قياساً بما تضمنه القرآن من كلام عربي مبين؛ والقليل النادر في حكم الشاذ: يحفظ ولا يقاس عليه، وإذا كان القليل النادر لا يُخرج الكثير الشائع عن حكمه وأصله؛ فهل يصح أن يدعي اليهود والمسيحيون بأفظالمهم على هذا الكتاب أو ينسبوا ماورد فيه من تعاليم وأخبار إلى رهبانهم و أحبارهم؟ خاصة أن هذا الرأي اتخذ أبعاداً إعلامية خطيرة في القنوات الفضائية المسيحية واليهودية وحتى الإسلامية الواقعية والافتراضية، ومواقع التواصل الاجتماعي.¹

4- رأي الصوفية (ابن عربي² ومن نهج منهجه)

¹ ينظر مثلاً: برنامج سؤال جريء 1 التأثير الآرامي السرياني على القرآن 2 القرآن واللغة الآرامية والسريانية، مع الفيولوجي اللبناني: كابرييل صوما على الرابط:

http://www.amazighworld.org/arabic/studies/index_show.php?id=4413

Foreign words in Quran - Hamza شبهة الكلمات الأعجمية في القرآن - حمزة ترورتزس
على الرابط: Tzortzis

<https://www.youtube.com/watch?v=nKzFWW4x6gk>

وثائقي مترجم عن الأصول السريانية للقرآن على الرابط:

<https://www.youtube.com/watch?v=nO3YWjiLoN4>

² هو محي الدين بن عربي (1165-1240 م، 560-638 هـ)، يعرف أيضاً باسم الشيخ الأكبر، وهو فيلسوف مسلم من أصل أندلسي ينتمي إلى الصوفية. ولد في موريسيا ولكن عائلته انتقلت فيما بعد إلى سيفلي. كانت حياة ابن عربي مقسمة بالتساوي تقريباً ما بين الشرق والغرب. وبعد أن جاب أنحاء شمال أفريقيا، تابع ترحله في رحلة روحانية منطلقاً من موطنه الأصلي أسبانيا. وصل إلى مكة في 1202م، حيث قضى هناك ثلاث سنوات. بعدها أمضى عدة سنوات في السفر ما بين الأقطار منها سوريا وفلسطين والعراق وتركيا. وتوفي في دمشق. أعماله الرئيسية في

في كتاب الفتوحات المكية خصص ابن عربي الباب الثاني من جزئه الأول للحروف شغل تسعا وخمسين صفحة عنوانه ب: معرفة مراتب الحروف والحركات من العالم وما لها من الأسماء الحسنی، ومعرفة الكلمات ومعرفة العلم والعالم والمعلوم¹. وردت فيه رؤياه حول هذه الحروف مفردة ومركبة . وبخصوص الحروف المقطعة قال ابن عربي: "فلنتكلم على (الم) سورة البقرة الآية 1، البقرة هي أول سورة مبهمة في القرآن كلاما مختصرا من طريق الأسرار وربما ألحق بذلك الآيات التي تليها... اعلم أن مبادي السور لا يعرف حقيقتها إلا أهل الصور المعقولة... وجعلها الله تبارك وتعالى تسعا وعشرين سورة وهو كمال الصورة: " وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ ﴿س: ٣٩﴾ " والتاسع والعشرون القطب الذي به قوام الفلك وهو علة وجوده وهو سورة آل عمران: "الم الله" ولولا ذلك ما ثبتت الثمانية والعشرون، وجملتها على تكرار الحروف ثمانية وسبعون حرفا فالثمانية حقيقة البضع، قال عليه السلام: "الإسلام بضع وسبعون حرفا"² ويواصل: " فهذه الحروف ثمانية وسبعون حرفا فلا يكمل عبد أسرار الإيمان حتى يعلم حقائق هذه الحروف في سورها... ثم إنّه جعل أولها الألف في الخط والهمزة في اللفظ ، وآخرها النون، فالألف لوجود الذات على كمالها لأنها غير مفتقرة إلى حركةٍ والنون لوجود الشطر من العالم وذلك نصف الدائرة الظاهرة لنا من الفلك والنصف الآخر النون المعقولة عليها التي لو انتقلت من عالم الروح لكانت دائرة محيطة، لكنه أخفى هذه النون الروحانية الذي بها كمال الوجود وجعلت نقطة النون المحسوسة دالة عليها."³

وإن كنا لا ندعي في العلم فلسفة ولا معرفة بآليات الخطاب الصوفي ولا نحسن تأويل رؤاه-فله رجاله- ولا نملك الجرأة ولا الأدلة على تكذيب مثل هذه الأقاويل. لكن العاقلان لا يختلفان في مسألة تجريدية هذا الرأي وبعده عن الواقع وسباحة صاحبه في الأجواء الروحانية بملكوت الله، لكننا قد نتجراً

الصوفية، الفتوحات المكية وهي موسوعة شاملة تتضمن 560 فصلاً. الموضوعات الرئيسية التي تتضمنها هي الميتافيزيقا وعلم الكونيات والانثربولوجيا الروحانية والعلاقة بين العلم والدين إضافة إلى علم النفس والتفسير الروحاني للشعائر الإسلامية والفقهاء. ينظر محمد إبراهيم الفيومي : الشيخ الأكبر ابن عربي صاحب الفتوحات المكية.الدار المصرية اللبنانية، صص 9-14.

¹ محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي المعروف بابن عربي (ت638هـ) : الفتوحات المكية، ضبطه وصححه ووضع فهارسه: أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية من منشورات علي بيضون، بيروت، صص 85-144.

² المصدر نفسه ص 96

³ ابن عربي: الفتوحات المكية ص 97/ 98.

على القول بأنّ نقطة النون من التحسينات التي أضيفت للخطّ ولم ينزل القرآن بنقاط الإعجام بل الأدهى أن الصحابة رفضوا إعجام القرآن - في بداية التدوين - خوفاً من أن يدخلوا إلى القرآن ما ليس منه.¹ لكنه يبيّن على هذه النون قبة كونية هائلة تشمل نصف ملكوت الرحمن. لكن الأمر لو وقف هنا لم نكن لندرجه ضمن هذا الباب. لكن ابن عربي لا يجعل لهذه الحروف حدوداً بل ويحمّل هذه الحروف شحنات غيبية تحيطها قوى عجيبة، وهو يشير إلى مثل ذلك في تفسيره الذي خالف فيه جميع المفسرين من عرب ومن عجم ولم يذهب أحد إلى ما ذهب إليه سوى تلاميذه ومن لفّ لفه ممن ادّعى ولاية الله والوصول إلى درجات الكشف التي لا يصل إليها غيرهم من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وإن لم نملك ردّ هذا التفسير فبوسعنا استغرابه والتعجب منه كحدّ أدنى مما يبرر إدراجنا إياه في هذا المكان .

و في الجدول الموالي بسط لتفسيره إياها وقد اتبعنا هذا النظام لتسهيل العرض.

<p>(المص) (ا) إشارة إلى الذات الأحادية، و (ل) إلى الذات مع صفة العلم كما مر، و (م) إلى التميمة الجامعة التي هي معنى محمد، أي: نفسه وحقيقته، و (ص) إلى الصورة المحمدية التي هي جسده وظاهره³.</p>	<p>(ألم) أشار بهذه الحروف الثلاثة إلى كل الوجود من حيث هو كل لأن (أ) إشارة إلى ذات الذي هو أول الوجود على ما مر. و (ل) إلى العقل الفعال المسمى جبريل، وهو أوسط الوجود الذي يستفيض من المبدأ ويفيض إلى المنتهى. و (م) إلى محمد الذي هو آخر الوجود تتم به دائرته وتتصل بأولها، ولهذا ختم وقال: ((إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض)). وعن بعض السلف أن (ل) ركبت من ألفين، أي: وضعت</p>
<p>(الر) إشارة إلى الرحمة التي هي الذات المحمدية لقوله تعالى: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين 107) [الأنبياء، الآية: 107]، و (ال) مر ذكرها⁴</p>	<p>بعض السلف أن (ل) ركبت من ألفين، أي: وضعت</p>

¹ ينظر صبحي الصالح مباحث في علوم القرآن ص 241.

³ تفسير ابن عربي ص 251.

⁴ م نفسه ص 300.

<p>(كهيصص) قد تقدم فيما سلف أن كل طالب ينادي ربه ويدعوه إنما يستحق الإجابة إذا دعاه بلسان الحال، وناداه باسمه الذي هو مصدر مطلوبه بحسب اقتضاء استعداده في ذلك الحال، علم أو لم يعلم، إذ العطاء والفيض لا يكون إلا بحسب الاستعداد، والاستعداد لا يطلب إلا مقتضى ذلك الاسم فيجيبه بتجلي ذلك الاسم الذي يجبر نقصه ويقضي حاجته بإفادة مطلوبه كما أن المريض إذا قال: يا رب، فمراده: يا شافي، إذ الحق يبريه بذلك الاسم عند إجابته. وكذا الفقير إذا ناداه أجابه باسمه المغني إذ هو ربه⁴.</p>	<p>بإزاء الذات مع صفة العلم اللذين هما عالمان من العوالم الثلاثة الإلهية التي أشرنا إليها، فهو اسم من الأسماء الله تعالى، إذ كل اسم هو عبارة عن الذات مع صفة ما. وأما (م) فهي إشارة إلى الذات مع جميع الصفات والأفعال التي احتجبت بها في الصورة المحمدية التي هي اسم الله الأعظم، بحيث لا يعرفها إلا من يعرفها. ألا تدري أن (م) التي هي صورة الذات كيف احتجبت فيها، فإن الميم فيها الياء، وفي الياء ألف. والسر في وضع حروف التهجي هو أن لا حرف إلا وفيه ألف، ويقرب من هذا قول من قال: معناه القسم بالله العليم الحكيم، إذ جبريل مظهر العلم، فهو اسمه العليم. ومحمد مظهر الحكمة، فهو اسمه الحكيم. ومن هذا ظهر معنى قول من قال: تحت كل اسم من أسماءه تعالى أسماء بغير نهاية. والعلم لا يتم ولا يكمل إلا إذا قرن بالفعل في عالم الحكمة الذي هو عالم الأسباب والمسببات، فيصير حكمة. ومن ثم لا يحصل الإسلام بمجرد قول: لا إله إلا الله، إلا إذا قرن: بمحمد رسول الله.¹</p>
<p>(طه) الطاء إشارة إلى الطاهر، والهاء إلى الهادي. وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم من شدة حنوه وتعطفه على قومه لكونه صورة الرحمة ومظهر المحبة، تأسف من عدم تأثير التنزيل في إيمانهم⁵</p>	<p>اسم من أسماءه تعالى أسماء بغير نهاية. والعلم لا يتم ولا يكمل إلا إذا قرن بالفعل في عالم الحكمة الذي هو عالم الأسباب والمسببات، فيصير حكمة. ومن ثم لا يحصل الإسلام بمجرد قول: لا إله إلا الله، إلا إذا قرن: بمحمد رسول الله.¹</p>
<p>(ط) إشارة إلى الطاهر و(س) إلى السلام و(م) إلى المحيط بالأشياء بالعلم⁶</p>	<p>الإسلام بمجرد قول: لا إله إلا الله، إلا إذا قرن: بمحمد رسول الله.¹</p>
<p>(ص) أقسم بالصورة المحمدية، والكمال التام المذكور بالشرف والشهرة، بأنه أتم الكمالات، وهو العقل القرآني الجامع لجميع الحكم والحقائق من الاستعداد التام المناسب لتلك الصورة</p>	<p>(يس) أقسم بالصفين الدالين على كمال استعداده كما ذكر في (طه)⁷.</p>

¹ ابن العربي محمد بن علي الحائمي (ت638هـ) تفسير ابن عربي الجزء: المجموعة: مصادر التفسير عند السنة تحقيق: ضبطه وصححه وقدم له الشيخ عبد الوارث محمد علي الطبعة: الأولى سنة 2001 ج 1 ص 31-32

⁴ م نفسه ج 2 ص 03 .

⁵ م نفسه ج 2 ص 15 .

⁶ م نفسه ج 2 ص 87 .

⁷ ج 2 ص 163 .

<p>الشريفة،¹</p>	
<p>حم عسق الحق ظهر بمحمد ظهور علمه بسلامة قلبه، فالحق محمد ظاهرا وباطنا، والعلم سلامة قلبه عن النقص والآفة أي: كماله وبروزه عن الحجاب إذ تجرد القلب ظهور العلم³</p>	<p>(حم): الحق المحتجب بمحمد فهو حق بالحقيقة، محمد بالخليقة، أحبه فظهر بصورته فكان ظهوره به²</p>
<p>(ن) هو النفس الكلية (والقلم) هو العقل الكلي والأول من باب الكناية بالاكْتفاء من الكلمة بأول حروفها، والثاني من باب التشبيه إذ تنتقش في النفس صور الموجودات بتأثير العقل كما تنتقش الصور في اللوح بالقلم⁵</p>	<p>(ق) إشارة إلى القلب المحمدي الذي هو العرش الإلهي المحيط بالكل كما أن (ص) إشارة إلى صورته على ما رمز إليه ابن عباس في قوله: (ص) جبل بمكة كان عليه عرش الرحمن حين لا ليل ولا نهار، ولكونه عرش الرحمن، قال: قلب المؤمن عرش الله وقال: لا يسعني أرضي ولا سمائي ويسعني قلب عبدي المؤمن. قيل: (ق) جبل محيط بالعالم وراء العنقاء لإحاطته بالكل وكونه حجاب الرب لا يعرفه من لم يصل إلى مقام القلب وإنما يطلع عليه من طلع هذا الجبل.⁴</p>

¹ ج2 ص 175.

² ج2 ص 198

³ ج2 ص 215

⁴ ج2 ص 262

⁵ ج2 ص 341

المبحث الثالث

المناسبات بين السور المفتحة بالحروف المقطعة

1-1- المناسبة لغة

1-2 المناسبة في الاصطلاح

2- فائدة معرفة المناسبات

3- أنواع المناسبات

4- المناسبات بين سور الفواتح

أ_ السور الموحدة المطالع

ب_ السور المختلفة المطالع

4-1- المناسبات بين اللامات (وهناك من يسميها الميمات)

4-2- المناسبات في الرءاءات

4-3- المناسبات في الطواسين

المناسبات بين السور المفتحة بالحروف المقطعة

تمهيد:

وضعت السور المفتحة في القرآن الكريم بترتيب خاص لا هي متوالية تماما ولا هي متباعدة تماما وقد سبقت الإشارة إلى ترتيب هذه السور في المصحف وفق ترتيب النزول في الفصل النظري، وعلمنا أيضا أن ترتيب سور القرآن الكريم توقيفي من عند الخالق، فلم يبق لنا هنا سوى محاولة الوقوف على الحكمة من هذا الترتيب وذلك عن طريق معرفة التناسب بين السور المفتحة بهذه المركبات الفريدة - المتوالية منها؛ وذات المركب الموحد - وللوقوف على ذلك؛ كان لزاما علينا التعرف على هذا العلم (المناسبات).

1-1- المناسبة لغة:

المناسبة في اللغة: المشاكلة، والنسب: القرابة، وفلان ناسب فلانا فهو نسيبه.¹

1-2 المناسبة في الاصطلاح:

المناسبة في اصطلاح المفسرين هي المناسبات بين آي القرآن. ويعنون بها وجوه الارتباط بين الآية والسورة، وبين السورة والسورة في القرآن الكريم.² ولعل السيوطي أفضل من وضع يده على فائدة هذا العلم، فهي -عنده³-: "جَعَلُ أجزاء الكلام بعضها آخذ بأعناق بعض. فيقوى بذلك الارتباط ويصير التآلف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء".

2-فائدة معرفة المناسبات:

قال الزركشي: "اعلم أن علم المناسبة علم شريف، تحرز به العقول ويعرف به قدر القائل فيما يقول"⁴. وأضيف فائدة هي معرفة نقاط التقاطع بين السور ذات المطلع الواحد. والحكمة من توالي بعض السور. ومعرفة توافق الفواتح مع الخواتم

3-أنواع المناسبات:

اتضح من خلال ما ذكر سابقا أن للمناسبة أنواعا:

¹ ينظر: الزبيدي: محب الدين أبو الفضل محمد مرتضى الحسيني الواسطي: شرح القاموس المسمى تاج العروس من جواهر

القاموس دار الفكر دت مادة (نسب) ج 1 ص 484. وينظر: ابن منظور: لسان العرب مادة (نسب) ج 1 ص 755.

² ينظر: فضل عباس صالح: الحروف المقطعة في أوائل السور، رسالة ماجستير إشراف: د محسن سميح الخالدي ود محمد السيد، فلسطين، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، 2003م

³ الإتيان في علوم القرآن ج 2، ص 452.

⁴ بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج 1 ص 36.

3-1- المناسبة بين الآية والآية.

3-2- المناسبة بين السورة والسورة.

3-3- المناسبة بين خاتمة السورة وفتحة السورة الموالية.

4- المناسبات بين سور الفواتح:

ما يخلصنا في هذه الدراسة نوعان فقط هما الثاني والثالث ولا يتحقق النوعان إلا بتفعيل النوع الأول إذ تناسب السور يستنتج عن طريق تناسب الآيات بين السورتين. ولعله من الأفيده هنا التمييز بين طائفتين من السور :

أ_ السور الموحدة المطالع : اللامات والراءات ثم الطواسين تليها الحواميم. ونخشى أن لا يكون عدم التوازن بين الفصول سببا مقنعا لاستثناء المجموعة الأخيرة (الحواميم) من الدراسة.

ب_ السور المختلفة المطالع: مثل يس، مريم، ق، ص والقلم... ولعل سبب تفرد مطالعها يعتبر كافيا لعدم دخولها دائرة الدراسة.

وينبغي التنويه هنا إلى أن سورة الأعراف ستضاف إلى مجموعة اللامات، والحجر إلى الراءات، كما أن سورة النمل من مجموعة الطاسينات - ذلك معروف- لكن ستضاف إليها طه لحاجة في نفس يعقوب. ورب متفحص يقول: كيف جعلت اللامات مجموعة واحدة في دراسة التناسب مع أنها ليست متوالية؟ فيكون الرد: في ذلك محاولة لإثبات وجود التناسب بين السور الموحدة المطالع حتى لو لم تكن متوالية.

يقول العلامة حسنة الطباطبائي

1: " ثم إنك إن تدبرت بعض التدبير في هذه السور التي تشترك في الحروف المفتوح بها مثل الميمات والراءات والطواسين والحواميم ؛ وجدت في السور المشتركة في الحروف من تشابه المضامين وتناسب السياقات ما ليس بينها وبين غيرها من السور"

ومن خلال ما قيل فهذه السور تتعلق ببعضها أكثر من غيرها لكن المطالع على كتب المناسبات يجد أن جميع السور بعضها أخذ بناصية بعض يشكلون تناسقا سماه البقاعي: نظم الدرر في تناسق الآي والسور، وسماه السيوطي تناسق الدرر في تناسب السور. لكن الأمر لا يخلو من أن تكون السور المتميزة باشتراكها في الافتتاح بهذه المركبات الفريدة؛ تشترك في نواحي أخرى -وإلا لما تميزت- ثم أن تكون السور الموحدة المطالع على علاقة مع بعضها وإلا لما توحدت. وصدق القائل: "إن فواتح السور هي بعض المفاتيح التي نتعرف بها على الرابطة بين

أقسام القرآن وبين مجموعات هذه الأقسام، وبين تسلسل السور ضمن القسم الأول شأن المجموعة الواحدة فهي من مفاتيح الوحدة القرآنية المعجزة.¹

4-1-1- المناسبات بين اللامات (وهناك من يسميها الميمات):

هي السور المبدوءة بـ(الم) وهي سورة البقرة وسورة آل عمران (متابعتان) ثم سور: العنكبوت، الروم، ولقمان والسجدة (متابعات) تفصل بين سورتي العنكبوت وآل عمران ست وعشرون سورة .

وينبغي التذكير ههنا أنه تمت الإشارة سابق إلى أن المتتبع هنا سيكون خطوات نوعين من المناسبات؛ المناسبات بين السور الموحدة المطالع والمناسبات بين فواتح وخواتم هذه السور بمزاوجة بين النوعين دون فاصل يفصلهما، نظرا لدواعي التكامل والتمازج اللامتناهي.

وللوقوف على الأهداف المنشودة في معرفة سر توالي السور على هذه الشاكلة كامن الضروري ربط فاتحة كل سورة مع خاتمة السورة التي قبلها حتى ولو لم تكن من تلك المصدرة بذات المطالع وحتى إن لم تكن مصدرية بالحروف المقطعة أصلا.

ونظير ذلك ما تجده بين سورتي البقرة والفاتحة:

تسمى سورة البقرة أيضا فسطاط القرآن ولعل ذلك لعظمها ولما جمع فيها من الأحكام التي لم تجمع في غيرها حتى قال بعض الأشياخ: "إن فيها ألف أمر وألف نهي وألف خير. قيل وفيها خمسة عشر مثلاً، ولهذا أقام ابن عمر رضي الله عنهما ثماني سنين على تعلمها، وورد في حديث المستدرك تسميتها سنام القرآن. وسنام كل شيء أعلاه... فيها آخر آية هي "واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله" وقد نزلت في حجة الوداع يوم النحر، ولا تخرج بذلك عن كونها مدنية- كما لا يخفى -".²

4-1-1-1- وجه مناسبة سورة البقرة لسورة الفاتحة:

يقول الألوسي: "وجه مناسبتها لسورة الفاتحة أن الفاتحة مشتملة على بيان الربوبية أولاً والعبودية ثانياً وطلب الهداية في المقاصد الدينية والمطالب اليقينية ثالثاً، وكذا سورة البقرة مشتملة على بيان معرفة الرب أولاً كما في: "يؤمنون بالغيب) وأمثاله وعلى العبادات وما يتعلق بها ثانياً وعلى طلب ما يحتاج إليه في العاجل والآجل آخراً، وأيضاً في آخر الفاتحة طلب الهداية وفي أول البقرة إيماء إلى ذلك يقوله: "هدى للمتقين" وما

¹ - سعيد حوى : الأساس في التفسير ، دار السلام ط2. 1989 ج 1 ص 79.

² - روح المعاني ج 1 ص 98.

افتتح سبحانه الفاتحة بالأمر الظاهر - وكان وراء كل ظاهر باطن - افتتح هذه السورة بما بطن سره وخفي إلا على من شاء الله أمره فقال سبحانه وتعالى: "بسم الله الرحمن الرحيم الم" ¹

سورة البقرة	سورة الفاتحة
قال الله تعالى: "الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ" ³	قال الله تعالى: "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" ^٥
تمثلت الربوبية في الإيمان بالغيب ومعظم أركان الإيمان غيبية أولها الله تعالى بعده الأنبياء السابقون والملائكة واليوم الآخر، وفصلت العبادة في الصلاة والزكاة.	
قال الله تعالى: "ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ٢ ... أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" ^٥	قال الله تعالى: "أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ٦
الافتتاح بما بطن سره وخفي إلا على من شاء الله: قوله تعالى: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" ^٢ ورب من يقول أن ذلك ليس أمراً من الناحية النحوية، فنقول أنه كذلك من ناحية المعنى العام والخاص يعرف أن مهناه سم الله واحد الرحمان. وهو ظاهر مقارنة ب(الم) التي خفي معناها إلا على من اختصهم الله بالعلم والحكمة.	الافتتاح بالأمر الظاهر في قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" ^٢ ورب من يقول أن ذلك ليس أمراً من الناحية النحوية، فنقول أنه كذلك من ناحية المعنى العام والخاص يعرف أن مهناه سم الله واحد الرحمان. وهو ظاهر مقارنة ب(الم) التي خفي معناها إلا على من اختصهم الله بالعلم والحكمة.

4-1-2-وجه تناسب الزهراوين:

عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "اقرأ القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما فزقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابهما، اقرأوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة" ².

لعل هذا الحديث يؤكد على العلاقة الوطيدة بين السورتين، ويجدر بالذكر هنا أن التسمية بالزهراوين إشارة إلى ارتباطهما فهما الوحيدتان من سور المدينة المنورة اللتان اختصتا بالافتتاح بالحروف المقطعة (لأنفي الرعد خلاف) وتسمآن عمران بالأمان والكنز والمغنية وسورة الاستغفار. ³

¹ - روح المعاني ج 1 ص 98.

² أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (261هـ): المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المشهور بصحيح مسلم، وقف على طبعه وتحقيق نصوصه وتصحيحه وترقيمه وعدّ كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلّق عليه ملخص شرح الإمام النووي، مع زيادات من أئمة اللغة: (خادم الكتاب والسنة) محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، سنة 1955، ص 553 رقم 804.

³ ينظر: الألويسي: روح المعاني ج 3 ص 73.

ويضاف إلى ذلك أن كثيرا من مجملات سورة البقرة شرحت في آل عمران. فسورة البقرة بمنزلة الحجة وآل عمران بمنزلة إزالة الشبهة.¹

و لما كانت سورة البقرة قد تحدثت عن اليهود وادعاءاتهم بشيء من البسط والتفصيل وتعرضت لشبهات النصرارى على وجه الإجمال؛ جاءت -بالمقابل- سورة آل عمران تواجه وتعالج شبهات النصرارى بشيء من التفصيل؛ لأن التوراة أصل، والإنجيل فرع لها، والنبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة دعا اليهود وجاهدهم وكان جهاده للنصارى في آخر الأمر. كما كان دعاؤه لأهل الشرك قبل أهل الكتاب في مكة.²

سورة البقرة	سورة آل عمران
تصديق الكتاب عن طريق نفي الريب: قال الله تعالى: "ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾"	تصديق الكتاب عن طريق الإثبات والوصف بالصدق: قال الله تعالى: "نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ... ٣"
ذكر الكتاب: قال الله تعالى: "ذَلِكَ الْكِتَابُ... ﴿٢﴾"	ذكر تفاصيل الكتاب: قال الله تعالى: "هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ... ٧"
ذكر الكتب بالإجمال: قال الله تعالى: "الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾"	ذكر الكتب السماوية بأسمائها: قال الله تعالى: "نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٣﴾"
ذكر مبدأ الخلق: قال الله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾"	تفاصيل عن الخلق: قال الله تعالى: "هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي أَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾"
ذكر في سورة البقرة مبدأ خلق الناس وفي آل عمران تصويرهم في الأرحام وفي ذلك مزيد من الدقة	
و قال الله تعالى: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا... ﴿٣١﴾"	و قال الله تعالى: "قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾... إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۗ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾"
في البقرة مبدأ خلق سيدنا آدم وفي آل عمران خلق سيدنا عيسى عليه السلام ثم إسقاط للقصتين وموازة بينهما في مبدأ الخلق فسيدنا آدم خلق من طين بلا أب ولا أم وسيدنا عيسى توفرت لديه الأم دون الأب لذلك سبق ذكر آدم في البقرة فهو أول الأنبياء وهي أول السور ولا بد أن يكون المثال سابق معروفاً لأن ذلك خطاب لليهود الذين اتهموا مريم فكان لا بد من إقامة الحجة عليهم .	

¹ ينظر المصدر نفسه ج3 ص 73.

² ينظر: جلال الدين السيوطي (911هـ): تناسق الدرر في تناسب السور، تحقيق: أحمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ، ص 63.

<p>و قال الله تعالى: "وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾"</p>	<p>قال الله تعالى: "وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾"</p>
<p>قال الله تعالى: "قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ۚ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾"</p>	<p>قال الله تعالى: "وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكُهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ٢٤٧"</p>
<p>قال الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾"</p>	<p>قال الله تعالى: "الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۚ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ٢٧٥٠٠٠ ﴿٢٧٥﴾"</p>
<p>جاء ذكر الربا في سورة البقرة على سبيل التحذير إيجازا وزيد عليه في آل عمران أضعافا مضاعفة</p>	
<p>قال الله تعالى: "وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حَكِيمٌ غَبِيرٌ ﴿٩٧﴾ سَبِيلًا ۚ ... ﴿٩٧﴾"</p>	<p>قال الله تعالى: "وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾"</p>
<p>قال الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾"</p>	<p>قال الله تعالى: "أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥٠﴾"</p>
<p>ابتدئت سورة البقرة بذكر الفلاح للمؤمنين واختتمت سورة آل عمران برجاء الفلاح لذات الفئة¹</p>	
<p>قال الله تعالى: "وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾"</p>	<p>قال الله تعالى: "فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۚ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾"</p>
<p>يبدو أنّ السورة الثانية توافقت الأولى بل وتكملها فلو نظرت إلى الآية من سورة آل عمران كأنها تنتم لها، قال تعالى: "وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾" أو كأن السورتين بمنزلة سورة واحدة²</p>	
<p>ومما يقوي التلازم بين السورتين الكريمتين أيضا أن خاتمة هذه مناسبة لفاتحة تلك تكشف ذلك من خلال موازنة الآيات التالية³ وهذا يندرج ضمن النوع الثاني من المناسبات وهو مناسبة الفواتح للخواتم -على الرغم من أن سورة آل عمران جاءت بعد سورة البقرة (في المصحف وفي النزول معا) وليس العكس - .</p>	
<p>قال الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾"</p>	<p>قال الله تعالى: "الْم ﴿١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۚ فِيهِ ۚ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾"</p>

¹ - ينظر وهبة الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج دار الفكر المعاصر. بيروت، لبنان، 1998 140 - 141.

² - ينظر: الألوسي : روح المعاني ج 3 ص 73.

³ ينظر الألوسي روح المعاني ج 3 ص 73.

هجرة المؤمنين سبقت هجرة النبي قلنا: في الآية أمر للنبي بالهجرة أما الهجرة الفعلية فكان النبي آخر من يهاج من المسلمين رفقة أبي بكر الصديق ولك أن تسقط اسم السورة على ما حدث أثناء الهجرة من تسخير الله للعنكبوت التي سدت مدخل غار ثور على الرغم من أن سبب تسميتها أتى صريحاً داخل السورة في قوله تعالى: "مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنَ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۗ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ۗ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾"

لنا الآن أن نعود إلى السورتين المقررتين وهما العنكبوت والروم : ويمكن تلخيص أوجه التناسب بين السورتين بما يلي :

سورة الروم	سورة العنكبوت
قال الله تعالى : "الم ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾"	قال الله تعالى : "الم ﴿١﴾ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾"
تشابهت السورتان في المطع فكل منهما ابتدأت ب(الم) غير مقترنتين بذكر الكتاب أو التنزيل أو القرآن خلافا عن القاعدة المعروفة التي لم يشذ عنها سواهما بالإضافة إلى سورة القلم.	
قال الله تعالى : "الم ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدٍ ۗ وَيَوْمَئِذٍ يُفْرِخُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ ۗ يَنْصُرُ مَن يَشَاءُ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾"	قال الله تعالى: "وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾"
لما اختتمت السورة الأولى بذكر الجهاد في سبيل الله ومدح المحسنين (المجاهدين) افتتحت الثانية بأخبار الغيب عن غلبة الروم فما وجه العلاقة ؟ رأى العلماء أن العلاقة هي أن المشركين 5 أعداء الله والمسلمين المجاهدين) كانوا يناصرون الفرس ويتبعون أخبار هذه الحرب فلما غلبت الروم من طرف الفرس فرح المشركون وتباهوا بمناصرتهم للفرس الغالبين وتأيدهم إياهم وراحوا يغيضون المسلمين (من باب الحرب النفسية التي ترافق المعارك) فكأثم يقولون: " انتصر إخواننا الأميون على إخوانكم أهل الكتاب" فنزلت السورة تزود المسلمين بأخبار غيبية عن تفوق الروم(أهل الكتاب) أيدها السنين وفرح المسلمون بنصر الله لا نصر الروم ويتحقق نبوءة محمد صلى الله عليه وسلم 1	

1 - ينظر : البقاعي نظم الدرر في تناسق الآي والسورج 5 ص 583- 584. لكن الألوسي يذكر هذه المناسبة لكنه يتحفظ عليها بقوله: "ولا يخفى أن قتال أهل الكتاب ليس من المجاهدة في الله عز وجل وبذلك تضعف المناسبة ، ومن وقف على أخبار سبب النزول ظهر له أن ما افتتحت به هذه السورة متضمنا نصرة المؤمنين بدفع شماتة أعدائهم المشركين وهم لا يزالون مجاهدين في الله تعالى ولأجله ولوجهه عز وجل ولا يضر عدم جهادهم بالسيف عند النزول ، وفي هذه المناسبة أوجه فيما أرى" روح المعاني ج 21 ، ص 17.
ويقول الدكتور وهبة الزحيلي: "إن الاستدلال في سورة الروم على أصول الاعتقاد وأهمها التوحيد جاء مفصلا للمجمل في السورة السابقة لها - العنكبوت- " التفسير المنير ج 21 ، ص 43.

قال الله تعالى: "فَكَرَّأَ أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾	قال الله تعالى: "فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۖ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَنَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٩﴾
قال الله تعالى: "وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۗ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾	قال الله تعالى: "فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ ۗ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾
قال الله تعالى: "وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾	قال الله تعالى: "وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْأَجْرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾
قال الله تعالى: "وَأَنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِمَّنْ قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾	قال الله تعالى: "فَأِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدِيرِينَ ﴿٥٢﴾ ۖ وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمَىٰ عَنِ ضَلَالَتِهِمْ ۗ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾
قال الله تعالى: "أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۗ إِنْ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾	قال الله تعالى: "مُنْيَبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾
قال الله تعالى: "فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۗ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۗ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۗ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾	قال الله تعالى: "إِنَّا عِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ أَرْضِي وَاسِعَةً فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾
قال الله تعالى: "وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾ ¹	قوله تعالى: "فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾" وقوله أيضا: "لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾"

4-1-4- المناسبات بين الروم ولقمان:

قال الله تعالى: "وَقَالَ الَّذِينَ أَوْثُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ ۖ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾	قال الله تعالى: "هُدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾
قال البقاعي: " لما ختمت الروم بالحث على العلم ، وهو ما تضمنه هذا الكتاب العظيم، والأمر بالصبر والتمسك بما فيه من وعد، والنهي عن الأطماع لأهل الاستخفاف في المقاربة لهم في شيء من الأوصاف وكان ذلك هو الحكمة، قال أول سورة لقمان (الم) مشيرا بها إلى أن الله الملك الأعلى القيوم أرسل جبريل عليه السلام بأداة البعد في قوله (تلك) أي الآيات التي هي من العلو والعظمة بمكان لا يناله إلا من جاهد نفسه حتى هذبها... (آيات الكتاب) الجامع لجميع أنواع الخير (الحكيم) بوضع الأشياء في مراتبها... " إذن فاليقين بالبعث هو لب اليقين وزيدته ولا يدركه إلا من اصطفاهم الله بالعلم والإيمان.	
قال الله تعالى: "وَأِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنْيَبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةٌ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ	قال الله تعالى: "وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَّجٌ كَالظَّلِيلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ

¹ موازنة الآيات بعد الآية الأولى جهد خاص يدوي وإحصائي باستعمال موقع tanzil.net

بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ٣٣	خَتَارِ كُفُورٍ ٣٢
حكى الله في السورتين ما عليه حال المشركين من القلق والاضطراب، إذ يتضرعون إليه في وقت الشدة، ويكفرون به وقت الرخاء ¹	

4-1-5- المناسبة بين سورتي لقمان والسجدة:

السجدة	لقمان
قال الله تعالى: "يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ٥"	قال الله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ٥"
لا بد أن القارئ قد لاحظ جليا كيف أن الآية في اليمين تشرح الآية في اليسار ولعل مما يؤكد ذلك قوله تعالى في سورة السجدة: " ذَلِكَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ٦"	
قال الله تعالى: "أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ٢٧"	قال الله تعالى: "... وَيُنزِلُ الْغَيْثَ ٣٣"
بقليل من الملاحظة يدرك الدارس سر تعلق الآيتين ببعضهما فتبارك الخلاق علام الغيوب	
قال تعالى: "الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ٨ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ٩"	قال الله تعالى: "... وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ٣٤"
توالت الآيات في سورة السجدة مذكرة الانسان بمراحل خلقه فهل يخفى عليه ما في الأرحام وهو الخالق الباري؟ الآيتان منفصلتان في المكان لكن يربطهما المنطق.	
قال الله تعالى: "يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ٥" وقوله تعالى: " وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هَدْيَهَا وَلَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ١٣"	قال الله تعالى: "... وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ٣٤"
رب ملاحظ يتنبه إلى التفصيل في آي السجدة، والذي يوازي باختصار في لقمان. فكان الآيات في الثانية من باب فذكر إن الذكرى تنفع المؤمنين. فإذا كان يخفى على النفس البشرية عالم الغيب؛ فالله تعالى مدبر كل شيء، وعليه لا تخفى خافية.	
قال الله تعالى: "وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ١٠ فَلْيَتَوَقَّعْ لَكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ١١"	قال الله تعالى: "... وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ٣٤"
ذكر الموت متلازم في الآي لكن بمزيد من التفصيل في سورة السجدة	

4-1-6- المناسبة بين الأعراف واللامات:

¹ ينظر : وهبة الزحيلي : التفسير المنير ج21 ص 125/124.

قد نحتاج في هذا المقام إلى التذكير بأن بداية سورة الأعراف مختلفة عن سابقتها من سور اللامات كونها تبدأ بـ"المص" بزيادة حرف الصاد. فلربما تنطبق هنا مقولة الزيادة في المباني زيادة في المعاني ولعلنا نستحضر هنا كلام الشيخ الطبرسي في هذا المقام: "ثم إن تدبرت بعض التدبر في هذه السور المشتركة في الحروف في الحروف من تشابه المضامين وتناسق السياقات ما ليس بينها وبين غيرها من السور... ويمكن أن يحس من ذلك أن بين الحروف المقطعة وبين مضامين السور المفتوحة بها ارتباطا خاصا، ويؤيد ذلك ما نجده أن سورة الأعراف المصدرة بـ"المص" في مضمونها كأنها جامعة بين مضامين الميمات و"ص" وكذا سورة الرعد المصدرة بـ"الم" في مضمونها كأنها جامعة بين مضامين الميمات والراءات.¹

ولكننا لغرض الوقوف على سر ترتيب السور المفتوحة بهذه الحروف وسبب توزيعها بهذه الطريقة في المصحف الشريف لا بد من المرور أولا على:

4-1-6-1- المناسبات بين سورتي الأعراف والأنعام:

سورة الأنعام	سورة الأعراف
ورد في روح المعاني: "ومناسبتها لما قبلها على ما قاله الجلال السيوطي عليه الرحمة أن سورة الأنعام لما كانت لبيان الخلق وفيها "هو الذي خلقكم من طين"... وكان ما ذكر على وجه الإجمال؛ جيء بهذه السورة بعدها مشتتلا على شرحه وتفصيله..." ²	وتفصيل ذلك في قوله تعالى: "وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۗ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾"
قال الألوسي "... وقال سبحانه في بيان القرون "كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ" وأشير إلى ذكر المرسلين وتعداد الكثير منهم وكان ما ذكر على وجه الإجمال جيء بهذه السورة بعدها مشتتلة على شرحه وتفصيله فبسط فيها قصة آدم وفصلت قصص المرسلين وأممهم وكيفيه هلاكهم أكمل تفصيل" ³	قال الله تعالى: "وَكَمْ مِّن قَرْنٍ أَهْلَكْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مَّذَرَّارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَا هُم بِدُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿١٦﴾ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤٤﴾"

¹ أبو علي الفضل الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي بيروت ط 1 سنة 1995م ج 1 ص 87.

² الألوسي: ج 8 ص 74.

³ روح المعاني: ج 8 ص 74.

<p>وتفصيل ذلك: "لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ ... فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا ۖ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ ... فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۖ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ۖ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٧٣﴾ ... فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ انْتَبِهْنَا إِنَّا كُنْتُمْ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَنَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا مِنْ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُنْبِئُونَ النَّاصِحِينَ ﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ ... وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۖ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ ... فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩١﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۖ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾"</p>	<p>ذكر الله تعالى للمرسلين وتكذيب أقوامهم وعاقبة ذلك على سبيل الإجمال: "وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوَدُّوا حَتَّىٰ آتَاهُمْ نَصْرُنَا ۖ وَلَا مَبْدِلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۖ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾" ثم قوله تبارك وتعالى: "وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومُنذرين ۖ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾"</p>
<p>وتفصيل ذلك تصدر السورة بخلق آدم عليه السلام الذي جعله الله خليفة: "وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾" وقال سبحانه في قصة عاد: "أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۖ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَرَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً ۖ فَادْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴿٦٩﴾" وفي قصة ثمود: "وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْجُسُونَ الْجِبَالَ بَيْوتًا ۖ فَادْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾"</p>	<p>قال الله تعالى: "وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلِغَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٥﴾"</p>
<p>وتفصيل ذلك قوله عز من قائل: "وَكَتَبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا إِلَيْكَ ۖ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۖ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾"</p>	<p>قال الله تعالى: "فَلْيَمَنْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُلْ لِلَّهِ ۖ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۖ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۖ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾" وقال في موضع آخر: "وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾"</p>

<p>قال الله تعالى في فاتحة هذه السورة: "المص ﴿١﴾ كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾"</p>	<p>قال الله تعالى في ختام هذه السورة: "وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾" وقوله تعالى: "وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾"</p>
<p>قال الله في افتتاح هذه السورة: "فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾" وفي الآية تفصيل للتنبيه</p>	<p>قال الله تعالى: "...كَذَٰلِكَ رَبَّنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثَمًّا إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾"</p>
<p>فبعد اطلاع البشر (مرسلين ومرسل إليهم) على أعمالهم في الكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة فما على كل نفس إلا أن تجادل عن نفسها وتتعرف بكل ما ورد فيه.</p>	
<p>قال الله تعالى: "وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾"</p>	<p>قال الله تعالى: "مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُم لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾"</p>
<p>فمن ثقلت موازينه (وهو من غلبت حسناته) فهو في عيشة راضية ، ومن خفت موازينه (وهو من غلبت سيئاته على حسناته) فأمه هاوية وما أدراك ما هي ؟ نار حامية.</p>	

المناسبة بين سورة الأعراف وبقية اللامات:

الأعراف	اللامات
<p>البقرة: قال الله تعالى: "وَلَمَن يَرْعَبْ عَن مَّلَةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ۚ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ۚ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾"</p> <p>آل عمران: "إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾"</p>	<p>قال الله تعالى: "قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾"</p>
<p>البقرة: "وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ... ﴿٢٥﴾"</p>	<p>قال الله تعالى: "وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾"</p>
<p>آل عمران: "وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾"</p>	<p>قال الله تعالى: "وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾"</p>
<p>الروم: "فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾"</p> <p>وقال: "لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾"</p>	<p>قال الله تعالى: "وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ الْجَنَّاتِ ۗ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾"</p>
<p>لقمان: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾"</p>	<p>قال الله تعالى: "وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ الْجَنَّاتِ ۗ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾"</p>

<p>السجدة: قال الله تعالى: "أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾"</p>	
<p>من بين نقاط التناسب بين السور المبتدئة بالألف واللام والميم وبين سورة الأعراف فضل الذين آمنوا وعملوا الصالحات وحسن جزائهم في الدنيا والآخرة.</p>	
<p>البقرة: قال الله تعالى: "وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾" وقال أيضا: "بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾"</p>	<p>قال الله تعالى: "قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْعُومًا مَذْخُورًا ۖ لِمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمَلًا جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾"</p>
<p>آل عمران: "خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾" السجدة: "فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ ۖ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾"</p>	<p>وقال أيضا: "وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾"</p>
<p>الخلود في جهنم هو الجزاء الأمثل الذي اختاره الله للطغاة المكذبين وقد كان همزة وصل بين هذه السور</p>	
<p>البقرة: "وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ ۖ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾" قال الله تعالى: "وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾"</p>	<p>قال الله تعالى: "وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾"</p>
<p>آل عمران: "قُلْ أُو۟نِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنۢ ذَلِكُمْ ۖ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ... ﴿١٥﴾" وقوله: "أُولَٰئِكَ جَزَاءُ هُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾" وقوله: "... فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾"</p>	
<p>العنكبوت: "وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾"</p>	
<p>الروم: "فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾"</p>	
<p>لقمان: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾"</p>	
<p>السجدة: "أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾"</p>	
<p>الخلود في الجنة نصيب من آمن وعمل صالحا وبها يقع التناسب بين هذه السور كما يقع التلازم بينها وبين الخلود في نار جهنم</p>	
<p>البقرة: أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ قال الله تعالى: "وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنَّ آتِیَّتَهُمْ أَهْوَاءُ هُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۗ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَّلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾"</p>	<p>قال الله تعالى: "فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ۗ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّ هُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾"</p>
<p>آل عمران: "وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن</p>	<p>قال الله تعالى: "وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ</p>

لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَنْ تُلْجُمُ الْجَنَّةَ أَوْ رْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾	يَشَاءُ ۖ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ العنكبوت: " وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ "
الهداية من أهم نعم الله على عباده فهي سبب السعادة في الدارين وسبب الخلود في الجنة والنجاة من الخلود في النار ونقطة الالتقاء بين السور المبدوءة بالألف واللام والميم بما فيها سورة الأعراف المبدوءة بـ"المص".	الروم: " بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ۗ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٩﴾ "

المناسبة بين سورة الرعد واللامات:

رب ملاحظ يقول أن سورة الرعد من بين سور الرءاءات فما سر وجودها هنا بين اللامات؟
فأقول: أن بدايتها متفردة بحيث تجمع بين البديتين: " المر " = "الم" + "الر" ومن المنتظر أن يكون
فحواها جامع لمضامين المجموعتين، والبرهان متوقف على ما سيأتي:

سورة الرعد	البقرة: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَيَّنَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾
اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۗ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۗ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۗ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ۗ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ۗ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مِّنْجَاوِرَاتٍ وَجَنَاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ وَصِنَوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضِلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾	آل عمران: " إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ "
اللَّهُ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ۗ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ۗ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مِّنْجَاوِرَاتٍ وَجَنَاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ وَصِنَوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضِلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾	العنكبوت: " خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ "
اللَّهُ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ۗ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ۗ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مِّنْجَاوِرَاتٍ وَجَنَاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ وَصِنَوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضِلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾	قال الله تعالى: " وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۗ فَأَتَىٰ يُوقِفُونَ ﴿٦١﴾ "
اللَّهُ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ۗ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ۗ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مِّنْجَاوِرَاتٍ وَجَنَاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ وَصِنَوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضِلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾	الروم: " وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ "
اللَّهُ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ۗ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ۗ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مِّنْجَاوِرَاتٍ وَجَنَاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ وَصِنَوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضِلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾	لقمان: " وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۗ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ "
اللَّهُ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ۗ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ۗ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مِّنْجَاوِرَاتٍ وَجَنَاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ وَصِنَوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضِلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾	الأعراف: أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۗ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾

نعم الله تعالى على عباده لا تعد ولا تحصى منها ما تعلق بالسماء ومنها ما تعلق بالأرض وهذه الآيات تذكر بهذه النعم لعل الذكرى تنفع المؤمنين . ولعل الارتباط بين متون هذه السور أصبح باديا للعيان لا يقبل الطعن وفيما يلي بقية الأدلة.

<p>البقرة: " أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ "</p> <p>قال الله تعالى: " أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ "</p>	<p>قال الله تعالى: " قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ۗ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۗ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ "</p>
<p>آل عمران: " شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ "</p> <p>قال الله تعالى: " إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ۗ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ "</p>	<p>قال الله تعالى: " لَهُ دَعْوَةٌ الْحَقُّ ۗ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كِبَاسِطٌ كَفِيهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ ۗ وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾ "</p>
<p>العنكبوت: " إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۗ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَاتَّبِعُوا عِنْدَ اللَّهِ الرَّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۗ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ... أَوْلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۗ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۗ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ "</p>	<p>الروم: " أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ ۗ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾ "</p> <p>قال الله تعالى: " اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ "</p> <p>قال الله تعالى: " اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ هَلْ مِن شُرَكَائِكُمْ مَّن يَفْعَلُ مِن دَلِكُمْ مِّن شَيْءٍ ۗ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ "</p>
<p>الأعراف: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۗ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ "</p> <p>قال الله تعالى: " قَلَمًا أَتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ۗ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيْشُرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ "</p>	<p>قال الله تعالى: "الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحَسَنَىٰ ۗ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۗ "</p>

إثبات الألوهية لله وتوحيده ونفي الربوبية عن سواه وعاقبة الشرك ، وعدم جدوى طلب الدعاء من دون الله. نقطة جامعة بين هذه الآيات الكريمة وجعلت التناسب حادًا بين السور بوساطتها.

<p>البقرة: "فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْجَارَةُ ۗ أَعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ "</p> <p>ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِّن بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰنَ وَالسَّلْوَىٰ ۗ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۗ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ "</p>	<p>العنكبوت: "كُلُّ نَفْسٍ دَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۗ نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ وقال الله تعالى: " وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن</p>
--	---

<p>أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾</p>	<p>وَبِنَسِ الْمِهَادُ ﴿١٨﴾ قال الله تعالى: "أَلَمْ يَبْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ الْعَذَابُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٣١﴾"</p>
<p>الروم: "فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ قال الله تعالى: "فَلْيَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ ۗ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾... مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ۗ وَمَن عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾"</p>	
<p>السجدة: "وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِن حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ ۗ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾... أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۗ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ ﴿٢٠﴾"</p>	
<p>الأعراف: "قال الله تعالى: "مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي ۗ وَمَنْ يُضِلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ ۗ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ ﴿١٧٩﴾"</p>	
<p>الوعد والوعيد أو الترغيب والترهيب أو تلازم النعيم مع الطاعة والعذاب مع العصيان من عناصر التناسب بين السور المفتحة بـ "الم" بغض النظر عن الحرف المضاف إلى هذه التركيبة العجيبة صادًا كان أو راء.</p>	
<p>البقرة: "حَتَّمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۗ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۗ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ قال الله تعالى: "صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾"</p>	<p>قال الله تعالى: "قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِّي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَوِيمَ ﴿١٦﴾" وقال الله تعالى: "يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوَاتِحِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾"</p>
<p>الروم: "فَأَنذَرْتُكَ لََّا تَسْمِعَ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَىٰ عَنِ ضَلَالَتِهِمْ ۗ إِنَّ تَسْمِعَ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾"</p>	
<p>لقمان: "وَإِذَا تَنَلَّىٰ عَلَيْهِ آيَاتِنَا وَلَىٰ مُسْتَكْبِرًا كَان لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۗ فَبَسَّرْنَاهُ بِعَذَابِ الْيَمِّ ﴿٧﴾"</p>	
<p>الأعراف: "وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ ۗ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾"</p>	
<p>عصيان الإنسان لربه قديم قدم البشرية ومرده لأمرين: احتناك الشيطان؛ والنفس الأمارة بالسوء. وكلاهما يصنع غشاوة على عيون الأفراد فيحرمهم رؤية الحق فيعند الإنسان الضعيف ويتجبر ويعصي خالقه ويتمادى في ظلمات بعضها فوق بعض، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور.</p>	

4-2- المناسبات في الرءات:

لا بد قبل البدء برصد التناسب بين سورتي يونس وهود أن نبدأ بالبحث عن وجه علاقتها مع ما قبلها وهي التوبة على الرغم أنها ليست ذات علاقة مع مجموعة الرءات إلا جوارها مع السورة.

4-2-1- المناسبة بين سورتي يونس التوبة¹:

التوبة	يونس
<p>اختتمت السورة بذكر النبي: قال الله تعالى: "لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٢٨"</p>	<p>قال الله تعالى: "افتتحت السورة بذكر النبي أيضا: أَكَاغَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَن أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَن أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسُحْرٌ مُّبِينٌ ٢٢"</p>
<p>في السورة بيان لما يقوله المنافقون من نزول القرآن: وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَدْنَىٰ قُلْ أَدْنَىٰ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ ٦١ وَالَّذِينَ يُؤَدُّونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦١)</p>	<p>في هذه السورة بيان لما يقوله الكفار في القرآن: وَإِذَا تَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ۖ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا انْتِ بُرْآنٌ غَيْرٌ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ ۗ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي ۗ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ ۗ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَّوْمٍ عَظِيمٍ (١٥)"</p>
<p>ذم المنافقين بعد التوبة لعدم تذكروا الإيمان إلا إذا أصابهم البلاء: "أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦)"</p>	<p>ذم من يصيبه البلاء فيدعو الله ثم يعود إلى سابق عهده: "وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَا لِحَبِيْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَانُ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ ۗ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢)"</p> <p>وقوله: "هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۗ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُمُ الدِّينَ لَئِنِ أَنْجَيْنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٢٢)"</p>
<p>براءة الرسول من المشركين مع الأمر بقتالهم: "بِرَاءةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ (١) فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ۗ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ (٢) وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ۗ وَرَسُولُهُ ۗ... (٤) فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ ۗ... (٥)"</p>	<p>براءة صلى الله عليه وسلم من عملهم لكن بدون أمر بالقتال بل بأمر إظهار البراءة على وجه يشعر بالإعراض وتخليئة السبيل: "وَمِنْهُمْ مَّن يُّؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّن لَا يُّؤْمِنُ بِهِ ۗ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ (٤٠) وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۗ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٤١)"</p> <p>وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم</p>

¹ الألوسي : روح المعاني ج 08 ص 58.

نَبَأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۖ وَسَيَّرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تَرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٥﴾

4-2-2- المناسبة بين سورتى يونس وهود¹:

<p>يونس</p>	<p>هود</p>
<p>قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ١٠٨</p>	<p>الرَّ كَتَبْتُ أَحْكَمْتَ ءَايَتُهُ ثُمَّ فَصَلْتِ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمِ خَبِيرٍ ١ أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ٢</p>
<p>لما ختمت سورة يونس بالحث على اتباع الكتاب ولزومها طريق الترغيب في الاهتداء والترهيب من الضلال؛ وجاء مثل ذلك في بداية سورة هود².</p>	
<p>قال الله تعالى: ﴿وَأَنْتَلِّ عَلَيْهِمْ نَبَأُ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَوْمَئِذٍ إِنَّ كَانَ كَبِيرًا عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ٧١ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِن أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمْرٌ أَن أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ٧٢ فَكَذَّبُوهُ فَجَبْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خُلَفَاءَ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُؤَدِّينَ ٧٣﴾</p>	<p>قال الله تعالى: "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ٢٥ أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْبَيْمِ ٢٦ فَقَالَ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشِيرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَن يُشْرِكُوا بِمَا لِلَّهِ مِنَ الْغَيْبِ وَنَحْنُ فَجَنَابَ الْمُسْلِمِينَ ٢٧... قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَّةٍ مِّمَّن مَعَكَ وَأُمَّةٍ سَنُنَبِّئُهَا ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ٤٨"</p>
<p>سورة يونس تذكر قصة سيدنا نوح على سبيل الإجمال والاختصار لكن سورة هود ورد فيها من التفصيل والبسط ما لم يرد في غيرها من السور التي تعرضت لذكر هذا النبي مثل الأعراف ونوح التي أفردت خصيصا له³.</p>	
<p>قال الله تعالى: "وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ١٠٩"</p>	<p>قال الله تعالى: "قَالَ الرَّ كَتَبْتُ أَحْكَمْتَ ءَايَتُهُ ثُمَّ فَصَلْتِ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمِ خَبِيرٍ ١ أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ٢"</p>
<p>بين مطلع هود وختام يونس ارتباط شديد فما اختتمت به يونس افتتحت به السورة الموالية لها هود فكأنها تواصل ما ابتدئ هناك.</p>	
<p>أمر الله النبي محمدا صلى الله عليه وسلم في سورة يونس بالصبر حتى يحكم الله بينه وبين الكافرين، وفي هود بالانتظار (أي انتظار هذا الحكم منه تعالى) مع الاستقامة على عبادته والتوكل عليه⁴.</p>	

4-2-3- المناسبة بين سورة هود وسورة يوسف¹:

¹ الألويسي : روح المعاني ج 08 ص 58.

² ينظر البقاعي نظم الدرر ج 3 ص 498.

⁴ ينظر السيوطي : تناسق الدرر ص 94. وكذلك الألويسي: روح المعاني ج 11 ص 202

يوسف	هود
قال الله تعالى "نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ٣"	قال الله تعالى: "وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ١٢٠"
<p>*قال الله تعالى يصف معاناة سيدنا يوسف وسيدنا يعقوب عليهما السلام وأديتهما من أقرب الناس إليهما</p> <p>"... قَالَ يُبَيِّنُ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ٥... أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ٩... وَجَاءَهُ عَلَىٰ قَمِيصَةٍ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨... سِرُّوهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ٢٠... رَوَدَتْهُ أَلْتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ... قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٢... قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلٍ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ... ٧٧... قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ... ٨٣... وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ٨٤ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوَىٰ تَذَكَّرَ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ٨٥"</p>	<p>*قال الله تعالى بخصوص أذية نوح من قومه: "وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسَخَرُوا مِنِّي فَإِنَّا نَسَخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسَخَرُونَ ٣٨"</p> <p>*قال تعالى بخصوص قوم عاد: "قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِنَارِكِي ءَالِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ٥٣ إِنْ تَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ٥٤"</p> <p>*قال تعالى في قوم صالح عليه السلام: "وَيَقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ... فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَنَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدَّ غَيْرَ مَكْدُوبٍ ٦٥"</p> <p>*قال تعالى عن أذية سيدنا لوط: "قَالَ يَقَوْمِ هُوَ لَاءَ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَحْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ٧٨ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَمَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا تُرِيدُ ٧٩"</p> <p>*قال الله تعالى عن أذية سيدنا شعيب من قومه: "قَالُوا يُشْعِبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِيْنَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ٩١"</p>
<p>أذية الأنبياء في سورة نوح كانت من أقوامهم. لكن أذية النبيين في سورة يوسف فكانت من الأهل : الأبناء والإخوة، والمرأة التي كفلته في طفولته</p>	
<p>قال تعالى: "إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ٤ قَالَ يُبَيِّنُ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا... وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٦"</p> <p>﴿٧﴾ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٍ لِّلسَّائِلِينَ ٧ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا أُبَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ آبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٨"</p>	<p>قال تعالى: "قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ٧٠ وَأَمْرُهُ قَائِمَةٌ فَضَحَكْتُمْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ٧١ قَالَتْ يُوَيْلَاتِي ءَالِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ٧٢ قَالُوا أَنْعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتَ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ٧٣ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ٧٤"</p>
<p>التناسب جليّ واضح بين الآيات في السورتين. قال البقاعي: "لما خلل سبحانه هود مما خللها به من القصص والآيات القاطعة بأن القرآن من عنده وبإذنه نزل، وأنه لا يؤمن إلا من شاء إيمانه، وأنه مهما شاء كان وبين عظيم قدرته على مثل ما عذب به الأمم وعلى التأليف بين من أراد وإيقاع الخلاف بين من شاء، وأشار إلى أنه حكم بالنصرة لعابديه فلا بد أن يكون ما أراد لأنه يرجع إليه الأمر كله، لبيان هذه الأغراض بهذه القصة العظيمة الطويلة التي لقي فيها يوسف عليه السلام وما لقيمن أقرب الناس إليه ومن</p>	

غيرهم ومن الغربة وشتات الشمل، ثم كانت له العاقبة فيه على أتم الوجوه؛ لما تذرّع به من الصبر على شديد البلاء و التفويض لأمر الله جل وعلا . تسلية لهذا النبي الأمين وتأسّيه بمن مضى من إخوته المرسلين".¹

كما تشترك السورتان في مكيتهما وتسمية كل واحدة منهما بنبي من أنبياء بني إسرائيل والافتتاح بعد الر بذكر الكتاب كما أنهما متقاربتان في عدد الآي فالأولى منهما عدد آياتها 123 والثانية منهما عدد آياتها 111

قال الله تعالى: "تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعُقُوبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ٤٩"	قال الله تعالى: "ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعُقُوبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ١٠٢"
--	--

الاستدلال قائم في كلا الآيتين على نبوة محمد ورسالته السماوية إذ أن بعض هذه التفاصيل في قصص الأنبياء لا يعرفها حتى الإسرائيليون أنفسهم. والأجزاء المعروفة عند أهل الكتاب لم تكن معروفة في مكة أيام الوثنية. ضف إلى ذلك أمية النبي محمد صلى الله عليه وسلم.²

4-2-4- التناسب بين سورتي يوسف والرعد:

قبل البدء يجدر التذكير بأن سورة الرعد من الرءات لكن بدايتها مختلفة قليلا إذ تبدأ بـ"المر" وتأخذ موقعا استراتيجيا داخل الرءات فلا تنفك تعتبر منهم. وتظهر المناسبة بين السورتين لوجوه:

سورة يوسف	سورة الرعد
قال الله تعالى: "وَكَايْنٍ مِّنْ آيَةِ فِي السَّمَواتِ نُوحِيونَ ٢ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رُوسِي وَأَنهَرًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رُوجِينَ أَنثِينَ يُعَشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ٣ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُنَجُورَةٌ وَجَنَّتْ مِّنْ أَعْنَبٍ وَزَّرْعٍ وَخَيْلٍ صِنَوَانٍ وَعَبْرٍ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَجِدٍ وَنُقْضَلُ مُعْرَضُونَ ١٠٥"	قال الله تعالى: "اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمواتِ بِعَبْرٍ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ٢ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رُوسِي وَأَنهَرًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رُوجِينَ أَنثِينَ يُعَشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ٣ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُنَجُورَةٌ وَجَنَّتْ مِّنْ أَعْنَبٍ وَزَّرْعٍ وَخَيْلٍ صِنَوَانٍ وَعَبْرٍ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَجِدٍ وَنُقْضَلُ مُعْرَضُونَ ١٠٥"

ذكر الله تعالى في أواخر سورة يوسف بعض دلائل قدرته المتمثلة في الظواهر الكونية. مجملا إياها سواء السماوية منها أو الأرضية.³

¹ ينظر: نظم الدرر في تناسق الآي والسور ج 4 ص 03.

² ينظر: محمدرشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم المعروف بالمنار ج 12 ص 250.

³ ينظر: السيوطي: تناسق الدرر ص 95.

اختتمت سورة يوسف بوصف الكتاب: قال الله تعالى: " مَا كَانَ حَدِيثًا يَفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ١١١ "	افتتحت سورة الرعد بما يناسب ذلك في قوله: " الْمَرْ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ١ "
---	--

4-2-5- المناسبة بين سورتي الرعد وإبراهيم: تظهر المناسبة بين السورتين بعدة وجوه:

سورة الرعد	سورة إبراهيم
قال الله تعالى: " وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ فَلِئِمَّا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَابِ ٣٦ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَنْ تُتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ٣٧ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ... ٣٨... وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ٤٣ "	قال جل وعلا: " الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ١ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ٢ "
ختمت سورة الرعد بثميين قيمة شهادة أهل الكتاب بوصفهم شاهدين على إعجازه بما فيه من أخبار غيب عن أمم سابقة تزلت أخبارها بلسان عربي مبين وتلك نهاية الإعجاز لكن بعضهم ينكرون ذلك ويقولون لست مرسلًا وذلك ما يوازي ما افتتحت به سورة إبراهيم من ذكر الكتاب وعاقبة من يكفر به ¹	
جاء في ختام سورة الرعد: " وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ٤٣ "	جاء في مطلع سورة إبراهيم: " الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ... ١ "
* جاء مجملا في سورة الرعد قوله تعالى: " وَلَقَدْ أَسْأَلْتَهُنَّ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتِ لِلَّذِينَ كَفَرُوا نَجْمًا أَحَدْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ٣٢ "	* تم تفصيل كل العناصر في سورة إبراهيم: " أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ٩ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَنَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَنْتُونَا بِسُلْطَنٍ مُبِينٍ ١٠... وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلْتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ١٣ "
* لم تفصح الآية عن هوية الأنبياء المستهزئين بهم ولا طريقة الاستهزاء، ثم كيفية انتقام الله من هؤلاء المستهزئين.	ووردت هنا الحكمة والغاية من إنزال القرآن باللسان العربي: " الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ١ ² "
سبق الإشارة إلى أن سورة إبراهيم امتداد لسورة الرعد ولمزيد من الإثبات تجد قوله تعالى: " وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا... ٣٧ "	

¹ ينظر: البقاعي نظم الدرر ج 4 ص 117.

² ينظر: السيوطي: تناسق الدرر ص 96.

4-2-5- المناسبة بين سورتي إبراهيم والحجر: تظهر المناسبة بين السورتين من عدة وجوه:

إبراهيم	الحجر
قال الله تعالى في وصف القيامة نهاية السورة: "يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ٤٨ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ٤٩ سَرَابٍ لَّهُمْ مِّنْ قَطْرَانٍ تَعْشَىٰ وَجُوهَهُمُ النَّارُ ٥٠ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ٥١"	أخبر الله في بداية السورة عن ندم المجرمين على عدم إسلامهم بعد أن طال عليهم العذاب: "رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ٢" فكأنها تنتم لها.
اختتمت السورة بوصف الكتاب: "هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ ٥٢ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ٥٢"	افتتحت السورة بالموضوع ذاته: "الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ ١" فكأنهما سورة واحدة ¹
يقول السيد قطب في ظلال القرآن: "المحور في السورتين واحد، ولكن شخصية كلمتهما متميزة، وإيقاعهما يتشابه ولا يتماثل، على عادة القرآن الكريم في تناوله لموضوعاتها الموحدة، بطرق شتى، تختلف وتتشابه" ²	
ويقول الدكتور وهبة الزحيلي: "هنالك تناسب بين سورة الحجر وإبراهيم في البدء والختام والمضمون، أما البداية: فكلتا السورتين افتتحتا بوصف الكتاب المبين، أما المضمون: ففي كليهما وصف السماوات والأرض وإيراد جزء من قصة إبراهيم عليه السلام وبعض قصص الرسل السابقين، تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما تعرض له من أذى قومه بتذكيره بما تعرض له الأنبياء من قبله ونصرة الله لهم، مع نقاش الكفار والمشركين" ³ .	

4-3- المناسبة في الطواسين⁴:

تسمى الطواسين أو الطاسينات أو السور المبدوءة بـ(طس) و(طسم) تحرزا، وهذه السور هي: الشعراء والنمل والقصص.

يقول سعيد حوى: "وإذا كانت الطاسينات الثلاث تفصل آية واحدة . كما رأينا. فإن فيما بينها كثيرا من التشابه، ولكن لكل منها سياقاً خاصاً يخدم محور السورة بشكل يختلف هدفه في السورة عن سورة أخرى"⁵. فإن

¹ ينظر: البقاعي: نظم الدرر ج 4 ص 199 وينظر الألوسي: روح المعاني، ج 14 ص 02. وكذلك السيوطي، تناسق الدرر ص

.97

² ج 4 ص، 2123.

³ التفسير المنير ج 14 ص 5.

⁴ ملاحظة: يجدر التذكير بأن طه ليست من الطواسين لكنها شاركتها في حرف واحد هو الطاء ويس بحرف وهو السين، ولذا ارتأينا ملاحظة هذا الخيط عساه يوصلنا إلى تناسب بين هذه السور حتى لو كان بقدر ذلك الحرف سيكون في نظرنا كافياً.

⁵ الأساس في تفسير القرآن: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، ط2 ص 1979 م، ج 7 ص 4058.

سئل عن الآية المقصودة فإن الشيخ - رحمه الله - يرى أن محور الطاسينات الثلاث (الشعراء والنمل والقصص) هو قوله تعالى في سورة البقرة: "تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۗ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾" ¹

4-3-1- المناسبة بين الشعراء والفرقان:

ليس يخفى على أحد أن سورة الفرقان ليست من الطواسين ولا حتى من السور المفتحة بالحروف المقطعة؛ لكننا ألزمتنا بعادة علينا اتباعها باضطراد في كل المبحث، وذلك أننا كلما تطرقنا إلى مجموعة سور لا بد أن نتطرق أولاً إلى محاولة إيجاد المناسبة بين السورة الأولى منها والسورة التي تسبقها، محاولة منا الوقوف على سر تموقع السور على هذه الشاكلة في المصحف الشريف وتوزيعها داخله.

ورد في روح المعاني "ووجه اتصالها بما قبلها اشتمالها على بسط وتفصيل لبعض ما ذكر فيما قبل، وفيها أيضاً من تسليته صلى الله تعالى عليه وسلم ما فيها، وقد افتتحت كلتا السورتين بما يفيد مدح القرآن الكريم وختمتا بإيعاد المكذابين به - كما لا يخفى ² تفصيل ذلك في الجدول التالي:

الفرقان	الشعراء
قال تعالى: "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا آسَاطِيرُ الْأُولِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦﴾"	قال الله تعالى: " طسم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاءٌ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦﴾"
لا يخفى على ملاحظ أن بدايتي السورتين اللتين تناولتا ظاهرة تكذيب المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم وافتراءهم على آيات الله. وبدون كثير عناء يظهر جلياً أن السورة الأولى تناولت هذه الظاهرة بمزيد من التفاصيل بحيث لم تكن هنالك ضرورة لذكرها في السورة الموالية فجاءت مختصرة.	
قال الله تعالى: " وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ۗ ٣٠ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۗ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۗ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾"	قال تعالى: " وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۗ ٢١٥ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرِيءٍ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۗ ٢١٦ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۗ ٢١٧ الَّذِي يَرَاكَ جِئِينَ تَقُومُ ۗ ٢١٨ وَتَقَلِّبُكَ فِي السَّاجِدِينَ ۗ ٢١٩ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۗ ٢٢٠"
تعد هذه الآيات من ضمن ما تكلم عنه الألوسي عن تسليته النبي (عليه الصلاة والسلام) كيف لا وهو الذي كان باخعا نفسه ألا يؤمنوا حتى طمأنه جبريل - عليه السلام - بأن مهمته تتوقف عند تبليغ الرسالة ولا يؤاخذ النبي بتكذيبهم إياه.	

¹ ينظر: سعيد حوى: الأساس في تفسير القرآن ج7 ص 3897.

² الألوسي: ج19، ص58.

<p>قال الله تعالى: " هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ "</p>	<p>قال الله تعالى: " وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ "</p>
<p>من بين نقاط الالتقاء بين السورتين . كما لا يخفى . خذلان الشيطان لمتبعيه الذين تفردت السورة بذكر أوصافهم</p>	

4-3-2- المناسبة بين سورتي الشعراء والنمل:

يقول الصابوني في مقدمة سورة النمل: "وهي إحدى سور ثلاث نزلت متتالية، ووضعت في المصحف متتالية، وهي الشعراء والنمل والقصص، ويكاد يكون منهجها واحدا في سلوك مسلك العظة والعبرة عن طريق قصص الغابرين"¹

سورة الشعراء	سورة النمل
<p>قال الله تعالى: " وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ١٩٥ وَإِنَّ لَفِي زُجُرِ الْأُولَىٰ ١٩٦ "</p>	<p>قال الله تعالى: "طس تلك آيات القرآن ۗ فمن اهتدى فانما لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ﴿٣﴾ إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعتافهم لها خاضعين ﴿٤﴾ "</p>
<p>جاءت أواخر السورة الأولى مناسبة لفاتحة السورة الثانية وهو كلام عن تنزيه القرآن الكريم المنزل بلسان عربي مبين ليكون بشري للعالمين.</p>	
<p>قال الله تعالى: " طس ﴿١﴾ تلك آيات الكتاب المبين ﴿٢﴾ لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ﴿٣﴾ إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعتافهم لها خاضعين ﴿٤﴾ "</p>	<p>قال الله تعالى: " وَأَنْ أُنذِرَ الْفِرْعَوْنَ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۗ إِنَّكَ عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ "</p>
<p>جاءت مقدمة الشعراء ببيان حرص النبي على إيمان قومه، حتى عاتبه ربه في ذلك بقوله: " لعلك باخع نفسك، فكان يتمنى إيمانهم ويبدل قصارى جهده في سبيل ذلك ، وما ذلك إلا لمحبة قومه ورغبته في إسلامهم وأن ينقذهم من النار. وجاء في خاتمة النمل: الأمر بتبليغ القرآن وترك أمر الهداية لله تعالى.</p>	
<p>قال الله تعالى: " فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ "</p>	<p>قال الله تعالى: " إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٢١٧﴾ "</p>
<p>التوكل على الله في السراء والضراء هو سر المؤمن متى كان صاحب حق أيده الله بنصره.</p>	
<p>قال الله تعالى: " كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ١٦٠ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ١٦١ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٦٢ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ١٦٣ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۗ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٦٤ أَتَأْتُونَ "</p>	<p>قال الله تعالى: " وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ٥٤ أُنذِرْكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ الْنِسَاءِ ۗ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ "</p>

¹ صفوة التفاسير(مصدر سبق ذكره) ج2 ص400.

<p>تَجْهَلُونَ ٥٥ ﴿٥٥﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ٥٦ فَانجَبِيْهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ قَدَرْنَا مِنَ الْغَابِرِينَ ٥٧ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطْرًا فَسَاءَ مَطْرُ الْمُنذِرِينَ ٥٨.</p>	<p>الذِّكْرَانَ مِنَ الْعُلَمِينَ ١٦٥ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِّنْ أَرْزَاقِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ١٦٦ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ بِلُوطٍ لَّتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ١٦٧ قَالَ إِنِّي لَعَلَّكُمْ مِنَ الْآقَالِينَ ١٦٨ رَبِّ تَجَنَّبِيْ وَأَهْلِيْ مِمَّا يَعْمَلُونَ ١٦٩ فَانجَبِيْهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ١٧٠ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ١٧١ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ ١٧٢ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطْرًا فَسَاءَ مَطْرُ الْمُنذِرِينَ ١٧٣</p>
<p>تلتقي السورتان في عرض تفاصيل قصة سيدنا لوط عليه السلام فما أجمل في واحدة فصل في الأخرى والعكس وبذلك استحققت أن تأتي متلاحقتين في النزول والترتيب معا .</p>	
<p>قال الله تعالى: "وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةٌ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ٤٨ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ٤٩ وَمَكْرُؤًا مَّكْرًا وَمَكْرًا مَّكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاَهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَبَلَّغْ بَيُّوتَهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ٥٢ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾"</p>	<p>قال الله تعالى: "كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ٢٠٤ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ٢٠٥ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ٢٠٦"</p>

4-3-3- المنااسبة بين سورتي النمل والقصص:

يقول الصابوني: "سورة القصص من السور المكية التي تهتم بجانب العقيدة (التوحيد، الرسالة، البعث) وهي تتفق في منهجها وهدفها مع سورتي (النمل والشعراء) كما اتفقت في جو التنزيل، فهي تكمل أو تفصل ما أجمل في السورتين قبلها".¹ لذا لا بد من تقصي هذه الحقيقة للوقوف على هذه الإجماليات والتفصيلات فرأينا أيضا مقارنة سورة القصص بالشعراء أيضا بعد أن نفرغ من سورة النمل لنرى مدى التناسب والتجانس بين السورتين. يقول الزحيلي: "تلتقي هذه السورة مع ما سبقها من سورتي الشعراء والنمل في بيان أصول العقيدة (التوحيد، الرسالة، والبعث) في ثنايا قصص الأنبياء، وإيضاح الأدلة المثبتة لهذه الأصول في قضايا الكون وعجائبه البديعة ونظمه الفريد".² ومن الملاحظ أن الزحيلي يتفق مع الصابوني لكنه أضاف تفصيلا يخص مواضع التفصيل التي تمثلت في قصص الأنبياء.

ويقول السيوطي: "ظهر لي بعد الفكرة: أنه سبحانه لما حكى في الشعراء قول فرعون لموسى " قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِئْتَ فِينَا مِنْ عُمَرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ " إلى قول موسى عليه السلام " فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ " ثم حكى في طس النمل قول موسى عليه السلام لأهله: " إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بَخْبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ " إلى آخره الذي هو في القوع بعد الفرار، ولما كان الأمران على سبيل الإشارة والإجمال، بسط في هذه السورة أي القصص ما أوجزه في السورتين، وفصله مما أجمله فيهما على حسب ترتيبهما، فبدأ بشرح تربية فرعون له... وما

¹ صفوة التفاسير: ج 2، ص 423.

² التفسير المنير ج 20 ص 52.

استتبع ذلك إلى آخر القصة، فكانت السورة شارحة لما أجمل في السورتين معا على الترتيب، وبذلك عرف وجه الحكمة في تقديم (طس) على هذه وتأخيرها على الشعراء فله الحمد على ما ألهم¹. ويبدو أن السيوطي قد وضع يده على سبب ترتيب الطواسين على هذه الشاكلة والسبب موجود في متن السور ، ويكمن في أن الأولى تناولت تربيته والثانية رسالته بالإجمال أما الثالثة فقد بسطت ما أجمل في السورتين فاستحقت أن تكون خاتمة الطواسين.

النمل	القصص
قال تعالى: " طس ١ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ "	قال تعالى: " طسم ١ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٣ "
الافتتاحيتان شبه متطابقتين في وصف القرآن بالكتاب المبين وفي الحروف المقطعة فقد زادت ميم في القصص وفي ذلك زيادة في التفاصيل. وجاء في افتتاحية النمل أكثر من صفة لهذا القرآن: فهو القرآن والكتاب المبين والهدى والبشرى، وهو من عند الله تعالى. وجاء في القصص أيضا أنه كتاب مبين: حق. كما جاء في المقدمتين وصف لمن ينتفع بهذا القرآن وهم الفئة المؤمنة فقط.	
جاء في خاتمة النمل الأمر بتوحيد الألوهية لله تعالى وإخلاص العبادة له: " إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ۗ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ٩١ "	مثل ذلك في سورة القصص: " وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ الْعِبَادَةَ لَهُ: " إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۗ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۗ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ٨٨ "
جاء في خاتمة النمل قوله تعالى: " وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ ۗ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَأِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ "	وجاء في خاتمة القصص: " إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۗ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ "
تناولت الخاتمتان مفارقة الهداية والظلاله ونتائج كل منهما	
قال الله تعالى: " إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنستُ نَارًا سَأَتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مِنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾... وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۗ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ "	قال الله تعالى: " طسم ١ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٣... وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ "
جاءت قصة سيدنا موسى عليه السلام في سورة النمل مختصرة في سبع آيات مقتصرة على تكليفه بالرسالة، وأمره بالذهاب إلى فرعون. بينما جاءت القصة مفصلة في سورة القصص من ولادته الأسطورية إلى تربيته في قصر الفرعون، إلى تكليفه بالرسالة، وأمره بالذهاب إلى الفرعون.	

¹ تناسق الدرر في تناسب السور ص 108.

<p>جاء في سورة القصص توضيح لهذا الموقف: " فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَىٰ الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَشِيرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾... قَالَ سَنَسُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنْ اتَّبَعَكُمَا الْعَالِيُونَ ﴿٣٥﴾ "</p>	<p>جاء في سورة النمل قوله تعالى: " إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ "</p>
<p>قال الله تعالى: " فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۗ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣١﴾ "1</p>	<p>قال الله تعالى: " وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَىٰ الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ "</p>
<p>الجدير بالملاحظة هنا إضافة أن المصدرية التفسيرية في نداء موسى عليه السلام في سورة القصص: "أن يا موسى؛ بخلاف سورة النمل التي ورد فيها النداء مجردا من أن، حيث جاء مباشرا. وكذلك وردت (أن المصدرية) مع الأمر في السورة ذاتها "أن ألق عصاك" , ولكنك غير واجد إياها في سورة النمل في قوله: "وألق عصاك". وأرجع المفسرون ذلك إلى أسباب أهمها: أن الجو العام لقصة موسى _ عليه السلام في سورة النمل والمقام فيها مقام تعظيم وتكريم له، بينما هو (الجو العام) في سورة القصص مطبوع بطابع الخوف الذي يسيطر على موسى _ عليه السلام _ منذ ولادته وإلقاءه في اليم حتى خرج من المدينة خائفا يترقب بعد قتله المصري، لذلك شرفه بالنداء المباشر في سورة النمل: "يا موسى" و"ألق" لكن في سورة القصص كانت العبارة بمعنى النداء وبمعنى الإلقاء وليس بصريح اللفظ، ولعل الدليل على ذلك قوله تعالى: " إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَىٰ الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ " دليل على خوفه في سورة القصص واطمأنانه في سورة النمل.</p>	
<p>وجاء في سورة القصص مثالان عن العلم أحدهما استخدم في الخير وهو الأمر بالمعروف من طرف حكماء بني إسرائيل الذي كانوا تقارون ومن تمنوا مكانه من الناصحين. ومثال العلم المؤدي إلى الكفر والمتمثل في كفر قارون. قال الله تعالى: " قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْنُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ <u>عِنْدِي ۗ أَوْلَمْ يَعْلَمِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مَنْ أَلْفُرُونَ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۗ وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾... وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُفَاها إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ "</u></p>	<p>جاء في سورة النمل أمثلة لبيان فضل العلم وضرورة استخدامه في الخير قال الله تعالى: " <u>وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ۗ وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾</u> <u>وَوَرَّثَ سُلَيْمَانَ دَاوُودَ ۗ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عِلْمُنَا مَنْطِقُ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ۗ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾</u> ... <u>فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾</u> ... <u>قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۗ فَلَمَّا رَأَهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۗ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ "</u></p>
<p>وقريب من ذلك قوله في القصص: " <u>وَرَبُّكَ</u></p>	<p>الله عليم بذات الصدور ومثال ذلك في هذه السورة قوله</p>

<p>"يَعْلَمُ مَا تَكُنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾"</p>	<p>"إِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾"</p>
<p>وفي القصص مثال استجابة أهل الكتاب الذين تحملوا الأذى في سبيل الدعوة: "الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾"</p>	<p>جاء في النمل ذكر لاستجابة ملكة سبأ لداعي الإيمان: "...قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾"</p>
<p>وفي هذه السورة اعتراف موسى عليه السلام بظلمه لنفسه عند إقدامه على ما لم يؤمر به عند قتله للرجل المصري الذي اعتدى على الإسرائيلي: "قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾"</p>	<p>تجد في ثنايا الآية السابقة اعتراف الملكة بظلم نفسها بعبادة غير الله: "...قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي.. ﴿٤٤﴾"</p>
<p>وذكر في هذه السورة تفاصيل عن هذا اليوم: "...ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَّرْنَا إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوا إِلَّا يَعْْبُدُونَ ﴿٦٣﴾... فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾"</p>	<p>ذكر في السورة كفر المشركين بيوم البعث: "لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾"</p>
<p>قال الله تعالى: "وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتْ عَيْنِي مِنَ قَرْبَيْكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَبْتَطِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٥٧﴾"</p>	<p>قال تعالى: "وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتْ عَيْنِي مِنَ قَرْبَيْكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَبْتَطِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٥٧﴾"</p>
<p>في السورتين مقارنة بين نموذجين من النساء إحداهما مؤمنة وهي زوجة الفرعون، والثانية كافرة رغم أنها زوجة النبي لوط وهنا تقع المفارقة إذ لا تزر وازرة وزر أخرى.</p>	

يمكن ملاحظة أن التناسب بين السورتين السابقتين كان أوضح من كل ما سبق كأنهما سورة واحدة. والأمر لا يتوقف على سورتي النمل والقصاص على ما يبدو بل تجد له نظيرا في كل الطواسين، ولعل ما يأتي يؤكد ذلك.

4-3-4- المناسبة بين سورتي الشعراء والقصاص: يلاحظ التناسب جليا بين السورتين رغم توسط سورة

الشعراء	القصاص
افتتحت سورة الشعراء بقوله تعالى: "طسم ﴿١﴾ تلك آيات الكتاب المبين ﴿٢﴾"	تطابقت مع فاتحة القصاص: "طسم ﴿١﴾ تلك آيات الكتاب المبين ﴿٢﴾"
جاء في مقدمة الشعراء بيان بعض صفات الكفار الذين كذبوا دعوة النبي: "وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين ﴿٥﴾ فقد كذبوا فسأيتهم أنباء ما كانوا به يستهزئون ﴿٦﴾"	وبما أن سيدنا موسى عليه السلام هو الشخصية المحورية في سورة القصاص فإن الفرعون وحده كاف لموازاة الكفار في سورة الشعراء: "إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستخفي نساءهم ۗ إنه كان من المفسدين ﴿٤﴾"
جاء في مقدمة الشعراء قلق النبي من عدم إيمان قومه: "أعلك باجع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ﴿٣﴾"	حلت خاتمة القصاص بشارة للنبي بانتصار دعوته وانتشار الإسلام بعد فتح مكة: "الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد ۗ قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين ٨٥"
عقد الله تعالى في خاتمة السورة موازنة بين الكفار والمؤمنين وصفات كل فريق: "هل أتيتكم على من تنزل الشياطين ﴿٢٢١﴾ تنزل على كل أفاك أثيم ﴿٢٢٢﴾ يلقون السمع وأكثرهم كاذبون ﴿٢٢٣﴾ والشعراء يتبعهم الغاؤون ﴿٢٢٤﴾ ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ﴿٢٢٥﴾ وأنهم يقولون ما لا يفعلون ﴿٢٢٦﴾ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا ۗ ﴿٢٢٧﴾ ثم التحذير في نهاية السورة من عاقبة الظلم ومصير الظالمين: "وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴿٢٢٧﴾"	وتجد نظيرا لذلك في خاتمة سورة القصاص: "تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا ۗ والعاقبة للمتقين ٨٣ من جاء بالحسنة فله خير منها ۗ ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون ٨٤. إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد ۗ قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين ٨٥" ثم تحذير المؤمنين من الشرك ومن مظاهرة الكفار والمشركين الذين ومرجع الجميع إلى الله مقرر المصير "ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك ۗ وادع إلى ربك ۗ ولا تكونن من المشركين ٨٧ ولا تدع مع الله الها آخر ۗ لا إله إلا هو ۗ كل شيء هالك إلا وجهه ۗ له الحكم واليه ترجعون ٨٨"

النمل بينهما فتجد إحداها تشرح أو تكمل أو تقدم تقدم تفاصيل لا تجد لها نظيرا في الأخرى.

قال الله تعالى: "قال ألم نربك فينا وليداً ولبنت فينا من عمرك سنين ﴿١٨﴾ وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين ﴿١٩﴾ هذا كلام مجمل عن تربية موسى عليه السلام وقتله القبطي.	أتى تفصيل ذلك في سورة القصاص: "وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه ۗ فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ۗ ولا تخافي ولا تحزني ۗ إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين ﴿٧﴾... وقالت امرأت فرعون فرث عيني لي ولك ۗ لا نقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون ﴿٩﴾... ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه ۗ فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكره موسى ففضى عليه... ﴿١٥﴾"
تم تفصيل موقف سيدنا موسى عليه السلام مع الفرعون ومع السحرة ونتائج ذلك بما فيها غرق الفرعون: "فأتينا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين ﴿١٦﴾... قال فات به إن كنت من الصادقين ﴿٣١﴾ فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ﴿٣٢﴾... قال فات به إن كنت من الصادقين ﴿٣١﴾ فألقى عصاه فإذا هي ثعبان	وردت هذه المواقف في سورة القصاص باقتضاب: "اسألك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب ۗ فدانك برهانان من ربك إلى فرعون وملئه ۗ إنهم كانوا قوماً فاسقين

<p>﴿٣٢﴾... قَلَمًا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرَى وَمَا سَمِعْنَا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْعَالِيُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأَلْفَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾... فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اصْرَبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا نَمَّ الْأَخْرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْأَخْرِينَ ﴿٦٦﴾ " الظالمين ٤٠ "</p>	<p>﴿٣٢﴾... فَجَمَعَ السَّحْرَةَ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾.. فَأَلْقُوا جِبَالَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْعَالِيُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأَلْفَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾... فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اصْرَبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا نَمَّ الْأَخْرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْأَخْرِينَ ﴿٦٦﴾ " الظالمين ٤٠ "</p>
<p>وورد في سورة القصص ما يؤكد ذلك: "تَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نُبَأٍ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾"</p>	<p>وردت في سورة الشعراء الآيات التالية: "وَأَنَّهُ لَنَتَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّ لَفِي زُجُرِ الْأَوْلِيَيْنِ ﴿١٩٦﴾"</p>
<p>تصف هذه الآيات ذلك الكلام المنزل على قلب النبي بأنه الوحي الصادق من عند الله وينفي افتراءه من لدن النبي أو تعلمه من إنس أو جن، وأخبار الغيب الصادق تؤكد ذلك.</p>	

4-3-5- المناسبة بين سورة طه وبين الطواسين:

يقول الدكتور فاضل صالح السامرائي: "العجيب أن كل سورة تبدأ بالطاء ترد فيها قصة موسى عليه السلام، والملاحظة الأخرى أن ما يبدأ بـ(طسم) تكون قصة موسى فيها أطول مما يبدأ بـ(طس)، فكان زيادة الميم إشعار بزيادة القصة، فانظر يا رعاك الله أي سرٍّ من أسرار التعبير هذا."¹

وضع السامرائي يده على نقطة جوهرية تجمع السور المبدوءة بالطاء وهي اشتراكها في سرد وقائع من قصة النبي موسى عليه السلام، وإن كان في هذا القول بعض التحيز لأن النبي موسى أكثر الأنبياء ذكرا في القرآن الكريم والأمر لا ينحصر في الطواسين ولا في السور المبدوءة بحرف الطاء. لكن ميزة هذه السور أنها فصلت كثيرا من مواقف حياته ومجميئها متوالية(الطواسين) تتعاضد فيما بينها لتوضيح المواقف المبهمة.

لكن النبي موسى عليه السلام ذكر بنسب متفاوتة في كثير من السور، ففي الأعراف وحدها ذكر باسمه عشرين مرة (20) وهي _ كما هو معروف _ مبتدئة بـ(المص). وورد اسمه في سورة النمل(وهي من الطواسين) ثلاث مرات(03) وهنا يمكن الإشارة بأن هنالك مواقف تخص هذا النبي في السورة عرفت بالسياق إذ ليست العبرة بورود الاسم. وورد اسمه سبع عشرة (17) مرة في طه وسبع عشرة (17) أخرى في القصص وثماني (08) مرات في الشعراء، وثلاث عشرة (13) في البقرة على الرغم أنها من الميمات، وثمانين (08) مرات في يونس وهي من الرءاءات. بينما تجد ورود اسم الفرعون في السور المذكورة: الأعراف: عشر(10) مرات، النمل: مرة واحدة(01)، طه: خمس (05) مرات، القصص: تسع(09) مرات، ست(06) مرات في الشعراء، مرتين في البقرة(02)، وست(06) أخرى في يونس.

¹ فاضل صالح السامرائي: التعبير القرآني: دار عمار الأردن، ط2، 2002م، ص24.

إذن مقولة زيادة الميم زيادة في تفصيل قصة موسى تنطبق على سورة القصص:

موسى (17)+فرعون(09)=(26) مرة. أما الشعراء: موسى(08)+(06)=14. بينما سورة طه التي لا تحتوي على ميم (17)+(05)=26. والأرقام فوق كل تعليق.

طه	الطواسين
<p>بخصوص طفولة النبي موسى: "إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنْ أَقْذِيبِيهِ فِي النَّبَاتِوتِ فَأَقْذِيبِيهِ فِي النَّبَمِ فَنُلْقِهُ الْبِئْمُ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ ۗ وَالْفَيْثُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۗ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۗ... ﴿٤٠﴾"</p>	<p>ذكرت تلك المرحلة مجملة على لسان الفرعون في سورة الشعراء: "قَالَ أَلَمْ نُزَيِّكْ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾" وتفصيل ذلك في سورة القصص: "وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْبِئْمِ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۗ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِبِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ ۗ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِعًا ۗ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتِ لِأُخْتِهِ فَصِيحَةٌ ۗ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۗ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾"</p>
<p>قال الله تعالى: " وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿٩﴾ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدَىٰ عَلَىٰ النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَنَاهَا نُودِيَ بِأَنَّهَا نَارُ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۗ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدَبِّرًا لَمْ يَعْقِبْ ۗ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾... وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ۗ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾"</p>	<p>قال الله تعالى: " وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿٩﴾ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدَىٰ عَلَىٰ النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَنَاهَا نُودِيَ بِأَنَّهَا نَارُ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۗ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدَبِّرًا لَمْ يَعْقِبْ ۗ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾... وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ۗ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾"</p>
<p>جاء في سورة القصص توضيح لهذا الموقف: "فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَىٰ الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّا أَنَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۗ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدَبِّرًا لَمْ يَعْقِبْ ۗ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۗ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣١﴾ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ۗ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأِيهِ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٢﴾"</p>	<p>جاء في سورة القصص توضيح لهذا الموقف: "فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَىٰ الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّا أَنَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۗ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدَبِّرًا لَمْ يَعْقِبْ ۗ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۗ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣١﴾ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ۗ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأِيهِ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٢﴾"</p>
<p>شككت عقدة لسان النبي موسى عليه السلام (التي أحدثها اختبار الفرعون واحتراق لسان النبي بإذن الله) مشكلة في التعامل الشفهي بين النبي موسى وقومه فاقترح وزارة أخيه هارون، ليقيم الحجة على بني إسرائيل. قال</p>	<p>شككت عقدة لسان النبي موسى عليه السلام (التي أحدثها اختبار الفرعون واحتراق لسان النبي بإذن الله) مشكلة في التعامل الشفهي بين النبي موسى وقومه فاقترح وزارة أخيه هارون، ليقيم الحجة على بني إسرائيل. قال</p>

الله تعالى: " اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَقْفَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ تَسْبَحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَتَذُكَّرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿٣٧﴾... قَالَ رَبَّنَا إِنَّنا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿٤٦﴾ فَأَتِيَاهُ فُقُولا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَاكَ بآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَيَّ مَن كَذَبَ وَتَوَلَّى ﴿٤٨﴾ "

معجزات النبي موسى عليه السلام استعصت على الفرعون فاتهمه بالسحر وأشاع ذلك بين الناس في منطقة حكمه: وطلب مناظرته مع كبار السحرة في عصره في موعد معلوم "قال أجبتنا لئخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى ﴿٥٧﴾ فلأنتيتك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سؤى ﴿٥٨﴾ قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشَرَ الناس ضحى ﴿٥٩﴾ فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى ﴿٦٠﴾ "

ونظير ذلك في سور الطواسين قوله تعالى في سورة النمل: " فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين ﴿١٣﴾ "

الشعراء: " يريد أن يُخرجكم من أرضكم بسحره فمأذا تأمرون ﴿٣٥﴾ قالوا أوجه وأخاه وأبعث في المذابين حاشيرين ﴿٣٦﴾ يأتوك بكل سحر عليم ﴿٣٧﴾ فجمع السحرة لميقات يوم معلوم ﴿٣٨﴾ وقيل للناس هل أنتم مجتمعون ﴿٣٩﴾ "

القصص: " فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا إلا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آياتنا الأولين ﴿٣٦﴾ " ثم قوله: " فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى ۖ أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل ۖ قالوا سحران تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرين ﴿٤٨﴾ "

موقف النبي موسى في مواجهة السحرة: " قالوا يا موسى إما أن تلقى وإما أن تكون أول من ألقي ﴿٦٥﴾ قال بل ألقوا فإذا جبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى ﴿٦٦﴾... وألقى ما في يمينك تلقف ما صنعوا ۖ إنما صنعوا كيد ساحر ۖ ولا يفلح الساحر حيث أتى ﴿٦٩﴾ "

نظير ذلك في سورة الشعراء: " فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين ﴿٤١﴾ قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين ﴿٤٢﴾ قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملفون ﴿٤٣﴾ فآلقوا جبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون ﴿٤٤﴾ فآلقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون ﴿٤٥﴾ "

إيمان السحرة برب موسى وكفرهم بالفرعون تسبب سخطه عليهم وعذابه إياهم بتفصيل الطريقة (من خلاف) وتفصيل المكان (على جدوع النخل)، قال الله تعالى: "فآلقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب هارون وموسى ﴿٧٠﴾ قال آمنتم له قبل أن آذن لكم ۖ إنه لكبيركم الذي علمكم السحر ۖ فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جدوع النخل ولتعلمن أننا أشد عذابا وأبقى ﴿٧١﴾ قالوا لن نؤثرَكَ على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا ۖ فاقض ما أنت قاض ۖ إنما تقضي

تكرر هذا الموقف في سورة الشعراء بتفاصيل أقل؛ قال الله تعالى: "فآلقى السحرة ساجدين ﴿٤٦﴾ قالوا آمنا برب العالمين ﴿٤٧﴾ رب موسى وهارون ﴿٤٨﴾ ال آمنتم له قبل أن آذن لكم ۖ إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأسوف تعلمون ۖ لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين ﴿٤٩﴾ قالوا لا ضير ۖ إنا إلى ربنا منقلبون ﴿٥٠﴾ إنا نطمع

<p>هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۗ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنُبَغِّفَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ۗ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿٧٣﴾</p> <p>﴿٥١﴾ " أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ</p>	<p>وردت في السورة بعض التفاصيل الخاصة بهلاك فرعون ونجاة النبي موسى ومن معه من بني إسرائيل: "وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ اللَّيْلِ مَا عَشَيْتُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَصْلًا فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ... ﴿٨٠﴾"</p>
<p>إهلاك الله تعالى الفرعون ومن معه ونجاة النبي موسى وبني إسرائيل في سورة القصص: "فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ۗ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾" ثم قوله: "وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْعَرَبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾"</p> <p>الشعراء: "فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اصْرَبْ بِعَصَاكَ الْبَحَرَ ۗ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْأَخْرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْأَخْرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ۗ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾"</p>	<p>يمكن القول بعد هذه الموازات أن سورة طه على الرغم من خروجها عن دائرة الطواسين لكن حرف الطاء كان كافيا للجمع بينها وبين سور هذه المجموعة. وقد صدق قول الدكتور فاضل صالح السامرائي السابق عن تقاطع السور المبدوءة بحرف الطاء بذكر تفاصيل عن قصة النبي موسى عليه السلام.</p> <p>ورب قائل يقول: كيف تكون السورة مسماة باسم النبي محمد فهو يدعى طه والقاسم المشترك بينها وبين الطواسين قصة النبي موسى عليه السلام؟</p> <p>فيكون الرد أن تسمية النبي بـ (طه) فيه خلاف وإن يكن معناه: "يا رجل" فلم ينزل القرآن على رجل غير النبي محمد، والمعروف أن القصة إنما تقصّ لأغراض كالأخبار، والانتعاض، وأخذ العبرة، وإن لم يكن هذا أو ذاك فهي من باب التسمية عن النفوس. وقد توفر كل ذلك في هذه السورة (طه) إذ لا يعقل أن يسري الله عن نبيه بذكر قصته هو فهي معروفة عنده وعند قومه؛ إنما جعل من النبي موسى عليه السلام القدوة؛ ومن فرعون العبرة. وإذا ما قارن النبي أذية قومه له ولمن اتبعه؛ مع الأذى الذي تعرض له النبي موسى وبنو إسرائيل قبل بعثته وبعدها؛ فسيهون ذلك عليه وعلى الذين آمنوا وذلك ما حصل فعلا. ضف إلى ذلك تعزيز معلوماته بأخبار الغيب مما يعزز موقفه أمام يهود مكة والمدينة.</p>

يمكن القول بعد هذه الموازات أن سورة طه على الرغم من خروجها عن دائرة الطواسين لكن حرف الطاء كان كافيا للجمع بينها وبين سور هذه المجموعة. وقد صدق قول الدكتور فاضل صالح السامرائي السابق عن تقاطع السور المبدوءة بحرف الطاء بذكر تفاصيل عن قصة النبي موسى عليه السلام.

ورب قائل يقول: كيف تكون السورة مسماة باسم النبي محمد فهو يدعى طه والقاسم المشترك بينها وبين الطواسين قصة النبي موسى عليه السلام؟

فيكون الرد أن تسمية النبي بـ (طه) فيه خلاف وإن يكن معناه: "يا رجل" فلم ينزل القرآن على رجل غير النبي محمد، والمعروف أن القصة إنما تقصّ لأغراض كالأخبار، والانتعاض، وأخذ العبرة، وإن لم يكن هذا أو ذاك فهي من باب التسمية عن النفوس. وقد توفر كل ذلك في هذه السورة (طه) إذ لا يعقل أن يسري الله عن نبيه بذكر قصته هو فهي معروفة عنده وعند قومه؛ إنما جعل من النبي موسى عليه السلام القدوة؛ ومن فرعون العبرة. وإذا ما قارن النبي أذية قومه له ولمن اتبعه؛ مع الأذى الذي تعرض له النبي موسى وبنو إسرائيل قبل بعثته وبعدها؛ فسيهون ذلك عليه وعلى الذين آمنوا وذلك ما حصل فعلا. ضف إلى ذلك تعزيز معلوماته بأخبار الغيب مما يعزز موقفه أمام يهود مكة والمدينة.

الفصل الثالث

حروف القرآن المقطعة دراسة صوتية

المبحث الأول

التصنيف الصوتي للحروف المقطعة عند علماء الإعجاز

1- التصنيف الصوتي للحروف المقطعة عند الباقلاني

1-1- جملة الحروف المقطعة نصف جملة حروف المعجم

1-2- المستعمل من حروف الهمس في الحروف المقطعة نصف حروف الهمس في المعجم

1-3- حروف الجهر من الفواتح المقطعة هي نصفها في المعجم

1-8- الحروف غير المطبقة من جملة الحروف المقطعة نصفها من مجمل الحروف غير المطبقة من حروف المعجم

1-9- ذكر الألف واللام والميم مجتمعة في (الم) يشير إلى جميع الحروف

2- التصنيف الصوتي للحروف المقطعة عند الزمخشري

3-1- عدد حروف المعجم في العربية

3-2- إفادة الزمخشري من تراث الباقلاني

4-1- تفصيلات الزمخشري في نظرية أنصاف صفات الحروف

4-1-1- الحروف المستعلية والحروف المنخفضة

4-1-2- حروف القلقة

3_ ملاحظات على التصنيفات الصوتية

التصنيف الصوتي للحروف المقطعة عند علماء الإعجاز

تمهيد:

"يتخير القرآن الكريم حروف الكلمة وينتقي أصواتها صافية الذوق في مخارجها لذيذة في السماع، طيبة المجرى على اللسان، معتدلة في تأليفها، نازلة على أحسن هيئة في الإيقاع قوية الإيحاء، شديدة البعث لما تتضمنه من المعاني الواردة والأهداف المقصودة من الآية الكريمة، فوجد في تركيب حروفه تناسقا عجيبا بين الرخو منها والشديد والمجهور والمهموس والممدود والمقطوع ونرى أن اجتماعها إلى بعضها يؤلف نغما موسيقيا يظهر أثره في صوت القارئ."¹

لقد نالت الدراسات الصوتية عناية فائقة من لدن العلماء المسلمين؛ نظرا لارتباطها بالكتاب المبين . وما يهمنا هنا هو اهتمام البلاغيين الذين جعلوا من المستوى الصوتي اهتماما من اهتماماتهم بوصفه بابا من أبواب الفصاحة وبعض المنتصرين لرأيهم من مشارب أخرى كالفقهاء والتفسير والأصول، ممن اعتنوا بالتصنيف الصوتي للحروف المقطعة في فواتح السور المذكورة ، وبيان أسرارها التركيبية، ودلائلها الصوتية، أمثال أبي بكر الباقلاني (ت403هـ)، جار الله الزمخشري (ت: 538هـ)، بدر الدين الزركشي (ت: 794هـ). وأثناء محاولتهم لبيان إعجاز هذه الحروف، اكتشف هؤلاء العلماء قوانين صوتية تحكم هذه الحروف. واطَّلَعُوا عَلَى طَرِيقَةٍ تَنْسِيقُ عَجِيبَةً بَيْنَهَا، تَوْسَسُ لَهَا هُنْدَسَةُ الْخَالِقِ وَتَبْرَهُنَ مِنْ جَدِيدٍ عَلَى إِعْجَازِ هَذَا الْكِتَابِ.

ونحاول فيما يلي بيان تصنيف الأصوات في فواتح السور المبتدئة بالحروف المقطعة عند

العلماء الثلاثة. لكن قبل ذلك هنالك مقدمة لا بدّ منها:

¹ لعلنا لن نجد أروع من هذا النص نفتتح به هذا الفصل فمهما حاولنا إعمال فكرنا لن ينتج عنا ما يضاهيه ويقدم ما نرجوه بهذه الوظيفة إذ تتلخص مهمتنا في هذا المبحث عبد الفتاح لاشين: من أسرار التعبير في القرآن: مكتبة عكاظ، المملكة العربية السعودية"ط1 1983م ص 43.

إذا أردنا التأسيس لدعم الأرضية التي نقف عليها لبناء هذا الرأي الصوتي الأصيل؛ عدنا إلى عرض الحروف التي تتألف منها هذه الفواتح في الفصل الأول وقد اتضح من ذلك "العرض المفصل أن مجموعة الفواتح القرآنية تسع وعشرون، وأنها على ثلاثة عشر شكلا، وأن أكثر الأحرف ورودا فيها الألف واللام، ثم الميم ثم الحاء، ثم الراء ثم السين، ثم الطاء، ثم الصاد ثم الهاء والياء والعين والقاف، وأخيرا الكاف والنون، وجميع هذه الحروف الواردة في الفواتح من غير تكرار يساوي أربعة عشر، وهي نصف الحروف الهجائية."¹ لم يذكر صاحب الكتاب شيئا عن صاحب الاستنتاج، وبما أن الكتاب له وهو لم يرفقه بإحالة فنحسبه من اجتهاداته الخاصة غير أنه أقحم هذا الرأي بين الآراء المنقولة عن علماء السلف دون سلف لكن المهم عندنا الآن هو تنمة هذا القول: "وبذلك يستأنس المفسرون القائلون: إنّ فواتح السور إنما ذكرت في القرآن لتدل على أنّ هذا الكتاب الكريم مؤلف من حروف التهجيّ المعروفة، فجاء بعضها مقطعا منفردا، وجاء تمامها مؤلفا مجتمعاً، ليتبين للعرب أنّ القرآن نزل بالحروف التي يعرفونها فيكون ذلك تقرّيباً لهم ودلالة على عجزهم أن يأتوا بمثله."²

ولعل حساباً ذهنياً بسيطاً يدلنا على خلل بسيط في قول الدكتور صبحي الصالح الأسبق؛ إذ سور الميمات (المبدوءة بالميم) ستة بالإضافة إلى الأعراف التي بدايتها (الم)، والراءات المبدوءة ب(الر) خمسة بالإضافة إلى سورة الرعد المبدوءة ب(الم) سنجد أنّ عدد تكرار (ال) ثلاث عشرة مرة بينما تكرار الميم سبع عشرة مرة حيث وردت سبع في الحواميم وحدها وسبع في الميمات و(المص) الأعراف ضف إليها الميم الواردة في (الم) الرعد، واثنان في الطواسين . فما بال صبحي الصالح يجعل الألف على رأس قائمة الحروف الأكثر تكراراً، ويجعل اللام بعدها؟ ولو ربط بينهما بالواو لكان الأمر لكنه استعمل ثمّ التي يكون الترتيب بواسطتها أوضح، ولعلنا نستفيد من القول التالي لبدر الدين الزركشي أورد فيه عدا عكسيا لهذه الحروف فجاء ترتيبه تصاعدياً فقال: "واعلم أنّ الأسماء المتهجاة في أوائل السور ثمانية وسبعون حرفاً فالكاف والنون كل واحد في مكان واحد والعين والياء والهاء والقاف كل واحد في مكانين والصاد في ثلاثة والطاء في أربعة والسين في خمسة والراء في ستة والحاء في سبعة والألف واللام في ثلاثة عشر والميم في سبعة عشر وقد جمع بعضهم ذلك في بيتين وهما:

¹ د- صبحي الصالح: مباحث في علوم القرآن. دار العلم للملايين، بيروت، 1965 ص 235.

² المرجع نفسه: ص 235.

كُنْ وَاحِدٌ عَيْهُقُ اثْنَانِ ثَلَاثٌ صَا دُ الطَّاءُ أَرْبَعَةٌ وَالسِّينُ خَمْسٌ عَلا

وَالرَّاءُ سِتٌّ وَسَبْعُ الحَاءِ آلٌ وَدَخْ* وَمِئْمَهَا سَبْعٌ عَشْرٌ تَمَّ وَاكْتَمَلَا¹

$$7(ح) + 6(ر) + 5(س) + 4(ط) + 3(ص) + 2(ق) + 2(هـ) + 2(ي) + 1(ع) + 1(ن) + 1(ك) + 13(ال) + 17(م) = 78.$$

"وهي في القرآن في تسعة وعشرين سورة ، وجملتها من غير تكرار أربعة عشر حرفاً، يجمعها قولك: نص حكيم قاطع له سر... ومنهم من ضبطه بقوله: طرق سمعك النصيحة . وحن سرّاً يقطعك جملة...."²

لكن العبارات الجامعة لهذه الحروف على ما روعي في انسجامه من قوانين البلاغة من بيان وبديع وانسجام صوتي يعلق في الذهن حاولوا بهذه الجمل الانتصار لنظرتهم الإعجازية حيث "لاحظ أصحاب هذا الرأي - وهم في أوج حماسهم لفكرتهم هذه- أنّ تحدي القرآن للعرب أن يأتوا بمثله يزداد وضوحاً ويكتسب قوة بظاهرة غريبة حقاً نعجب لدراستهم لها والتفاتهم إليها!"³ وإذا تملكنا الفضول لمعرفة هذه الظاهرة الصوتية العجيبة نجد هذا النص: "لم يكتف القرآن باشماله على فواتح مختلفة يبلغ تعدادها تمام حروف الهجاء ولا بتأليفه تلك الفواتح من نصف الحروف الهجائية، بل حوى فوق ذلك من كل جنس من الحروف نصفه، فمن حروف الحلق: الحاء والعين والهاء، ومن المجهورة الهمزة والميم واللام والعين والراء والطاء والقاف والياء والنون، ومن الحرفين الشفهيّين: الميم واللام والعين والراء والطاء... أخ ثمّ هذه الحروف ذكرت تارة مفردة وتارة حرفين وطورا ثلاثة، وأحيانا أربعة وخمسة، لأنّ تراكيب الكلام على هذا النمط ولا زيادة على الخمسة."⁴

¹ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة بيروت، 1972 ج 1 ص 167.

* كلمة ودج تعني العدد ثلاثة عشر بحسب الجمل

² بدر الدين الزركشي: البرهان ج 1 ص 167.

³ صبحي الصالح: مباحث في علوم القرآن ص 236.

⁴ بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن ج 1 ص 236.

هذا النص -على قصره- أيقونة من أيقونات علم الأصوات . لكن بادئا ذي بدء ،لابد لنا من تأصيل هذه النظرية وردّ الفضل إلى صاحبها الأوّل: ولعلّ أوّل من تكلم عن هذه القضية (تقسيم الحروف المقطعة حسب المخارج والصفات) وهو أبوبكر محمد الباقلاني (ت403هـ).

1- التصنيف الصوتي للحروف المقطعة عند الباقلاني:

لقد كان في طليعة الأعلام الذين تحدثوا عن صفات أصوات الحروف المقطعة في كتابه حيث خصص لها مبحثا في كتاب إعجاز القرآن وخرج منه بنتائج مهمة مثلت فاتحة الدرس الصوتي لهذه الحروف. اعتمد عليها من جاءوا بعده وما حصلوه من نتائج لا يعدوا أن يكون تحيينا للمعلومات الصوتية التي قدمها -على حسب ما وصل إليه علم الأصوات في حياتهم وبعد مماته-

1-1- جملة الحروف المقطعة نصف جملة حروف المعجم:

قال الباقلاني: "إن الحروف التي بني عليها كلام العرب تسعة وعشرون حرفا، وعدد السور التي افتتح بها بذكر الحروف ثمان وعشرون سورة، وجملة ما ذكر من هذه (الحروف) في أوائل السور من حروف المعجم نصف الجملة. وهو أربعة عشر حرفا ليبدل بالمذكور على غيره، والذي تنقسم إليه هذه الحروف أقساما: فمن ذلك قسموها إلى حروف مهموسة وأخرى مجهورة، فالمهموسة منها عشرة وهي: الحاء والهاء والحاء والشين والثاء والفاء والتاء والصاد والسين. وما سوى ذلك من الحروف فهي مجهورة، وقد عرفنا أن نصف الحروف المهموسة المذكورة في جملة الحروف المذكورة في أوائل السورة، وكذلك نصف الحروف المجهورة على السواء لا زيادة ولا نقصان"¹.

وإذا تأملنا مليّا هذا الرأي من أوله وجدنا فيه أكثر من تفصيل صوتي يجب الوقوف عليه، إذ أن العبارة الأولى في النص معكوسة ولا نظن أن ذلك حدث عفويا إذ أن السور المفتحة بالحروف المقطعة تسع وعشرون سورة وليس ثمان وعشرون ولا نظن رجلا مثله التفت إلى هذه الدقائق وغفل عن هذه الحقيقة التي يعرفها العام والخاص! لكننا لن نعطي الموضوع أكبر من حجمه ولا نقوله لأنه محض سهو. عنده أو عند المحقق أو الطابع لسنا ندري!؟

¹ينظر: الباقلاني، إعجاز القرآن (ص44-46).

لكن المهم عندنا الآن هو رأيه في عدد الحروف-ففيه خلاف بين العلماء- فإن صح توقعنا وكانت الجملة البدئية معكوسة؛ فعددها عنده ثمانية وعشرون حرفا. وحاصل سبب الاختلاف في عدد الحروف مرجعه إلى الخلط بين ألف المد والهمزة ، إذ أن الف المد اشتركت مع الهمزة - سواء كانت قطعاً أو وصلاً- في رمز واحد. فالاشتراك بين هذين الصوتين كان سبباً أساسياً في الاختلاف حول إحصاء الأبيجدية حيث ينظر بعض العلماء إلى هذين الصوتين على أنهما حرفاً واحداً فتصبح الأبيجدية بذلك ثمانية وعشرون حرفاً والبعض الآخر يميز بينهما فتصبح تسعة وعشرين حرفاً. ولعلنا لا نستطيع الجزم برأي الباقلائي في هذه المسألة نظراً للالتباس الذي أشرنا إليه في بداية قوله.¹

فإن قال قائل أن الباقي من كلامه حل الإشكالية؛ فإن أربعة عشر نصف ثمانية وعشرون. قلنا أنه لم يجزم بذلك عندما استعمل اللفظ الفضعاض (جملة) مرتين -وهذا مكر منه- لأن أربعة عشر بذلك يمكنها أن تمثل القيمة التقريبية لنصف التسعة والعشرين . وذلك ينطبق أيضاً على الأنصاف الأخرى بوصفها قيمة تقريبية للنصف وليست أنصافاً بالضرورة. فمجموعات أجناس أصوات الحروف تكون قيمة فردية في بعض الأحيان وتكون خلافية في أكثر الأحيان. فإن زاد حرف أو نقص بين عالم أو آخر فهي النصف بالإجمال لا التدقيق فسلم بذلك من أغلب الانتقادات التي جادت بها معطيات الدرس الحديث للأصوات.

وذلك ما وقع فعلاً في حروف الهمس. وفي ما يلي توضيح لذلك:

1-2-المستعمل من حروف الهمس في الحروف المقطعة نصف حروف الهمس في المعجم:

حروف الهمس عنده: "عشرة هي الحاء والهاء والخاء والكاف والشين والفاء والطاء والصاد والسين"² ونصفها خمسة مذكورة في الفواتح هي: الحاء والهاء والكاف والصاد والسين. وجاءت في فواتح السور التالية: مريم، يس، فصلت.

لكن الدرس الصوتي الحديث يضيف إلى تلك القائمة ثلاثة حروف هي: الهمزة والطاء والقاف . فيكون المجموع ثلاثة عشر بإضافة: الهمزة والقاف والطاء.¹ واستعمل منها في الفواتح:

¹ ينظر تفصيل المسألة الخلافية بين العلماء حول الألف والهمزة عند د/عبد الصبور شاهين: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة

الحديث، مكتبة الخانجي ص 17.

² الباقلائي إعجاز القرآن ص 44.

الطاء والقاف. لتشكل سبعة وهي تقريبا نصف الثلاثة عشر. فأية أعجوبة هذه التي جعلت نظريته تصدق رغم المستجدات.

فإن قيل: ما بالكم تجاهلتم الهمزة؟ قلنا أن الألف الموجودة في بداية (الم) كانت لها أحكام مختلفة في القراءات ولم يفصل في كونها همزة وصل أو قطع أو ألفا وقد تم تفصيل ذلك في هذا الفصل في باب القراءات والإعراب ضف إلى ذلك أن الرسم العثماني القديم لم يثبت للهمزة شكلا خاصا² ووجودها فيه الآن من التحسينات التي طرأت عليه.

ولا يفوتنا الالتفات في هذا المقام إلى تفسير إبراهيم أنيس للاختلاف بين القدماء والمحدثين في صفات بعض الأصوات ومنها المعنية هنا: "القاف والطاء اللتان رمى القدماء إلى قلقتهما ليستا القاف والطاء اللتين نسمعهما الآن في قراءة المقرئين في هذا العصر؛ وإنما هما القاف والطاء كما كان ينطق بهما مجهورين، فالقاف كان ينطق بها كالغين، والطاء كان ينطق بها كالضاد الحديثة التي نسمعها الآن من قرائنا."³ وتجد نظيرا لهذا التفسير عند البهناوي-بتفصيل أطول⁴ وكذلك الأمر بالنسبة إلى الهمزة التي اعتبرها القدماء (ومنهم الباقلاني) من الحروف المجهورة. لكن البهناوي يراها مهموسة أما كمال بشر وإبراهيم أنيس فيرانها بين الجهر والهمس⁵ وذلك يعكس عدم الاتفاق بين المحدثين حولها.

1-3-حروف الجهر من الفواتح المقطعة هي نصفها في المعجم :

إذا حذفنا الحروف المهموسة للحصول على المجهورة وجدنا: (الألف) والباء والجيم والذال والذال والراء والزاي والضاد والطاء والظاء والعين والغين والقاف واللام والميم والنون والواو والياء. وعددها ثمانية عشر 18 باحتساب الألف، أو 17 سبعة عشر بدون احتسابها.

¹ ينظر حسام البهناوي: علم الأصوات مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1 سنة 2004 ص50.

² ينظر: إبراهيم أنيس الأصوات اللغوية: مكتبة نهضة مصر ومطبعها ص 77.

³ إبراهيم أنيس الأصوات اللغوية 83-84. وتفصيل أكثر صص 53-54.

⁴ حسام البهناوي: علم الأصوات: ص 99. 100.

⁵ ينظر: حسام البهناوي: علم الأصوات ص 81، إبراهيم أنيس الأصوات اللغوية 86. محمد كمال بشر علم الأصوات، القاهرة، دار غريب سنة 2000، ص 186.

والنصف في الحالة الأولى تسعة (09) وفي الثانية ثمانية (08) وهي: (الألف) والراء والطاء والعين والقاف واللام والميم والنون والياء". وهي النصف بالتمام في الأولى وبالتقريب في الثانية.

1-4- عدد الحروف الحلقية من الحروف المقطعة نصف عددها من حروف المعجم:

ثم يعرض الباقلائي تصنيفا آخر: فيقول: "وكذلك مما يقسمون إليه الحروف؛ يقولون: إنها على ضربين: أحدهما حروف الحلق، وهي ستة أحرف: العين والحاء والهمزة والهاء والحاء والغين والنصف من هذه الحروف مذكور في جملة الحروف التي تشتمل عليها الحروف المثبتة في أوائل السور، وكذلك النصف من الحروف التي ليست بحروف الحلق."¹

ويمكننا -من خلال كلامه- فرز الحروف الحلقية المذكورة في الفواتح وهي: العين والحاء والهاء، وعددها ثلاثة بالضبط -إذ العدد ستة عدد زوجي يقبل القسمة على اثنين- لكن ذلك يتعارض مع علم الأصوات الحديث، إذ تم التمييز بين الأصوات الحلقية والحنجرية، إذ يخرج من الحنجرة صوتان فقط هما العين والحاء وكلاهما مذكور في الفواتح، ومن الحنجرية صوتان هما الهمزة والحاء. وقد تم التفصيل في الهمزة أما الهاء فهي موجودة في الفواتح.

1-5- الحروف غير الحلقية من جملة الحروف المقطعة نصف الحلقية من جملة حروف المعجم:

أما الحروف التي ليست بحروف حلق-وهي الحروف المتبقية بعد حذف حروف الحلق: (أ)- ب-ت-ث-ج-د-ذ-ر-ز-س-ش-ص-ض-ط-ظ-ع-ف-ك-ل-م-و-ي. وعددها بدون احتساب الألف 19 تسعة عشر حرفا. وباحتسابه عشرون 20 حرفا.

والمذكور منها في الفواتح: (الألف) والراء واسين والصاد والطاء والعين والكاف واللام والميم والياء. وعددها عشرة أو تسعة وهو النصف في الحالتين.

وينبغي التنويه هنا أنّ التصنيف الأول (الجهر/ الهمس) كان باعتبار الصفات لكن هذا التصنيف: (الحلق/ غير الحلق) قائم على أساس مخارج الحروف. وحروف غير الحلق مصطلح واسع تندرج تحته الكثير من المجموعات التصنيفية إذ أن حروف غير الحلق تقسم تقسيمات فرعية لم يأتي على ذكرها.

¹ الباقلائي: إعجاز القرآن ص 44-45.

1-6- حروف الشدة من جملة الحروف المقطعة نصف حروف الشدة من حروف المعجم:

وفي مواصلة نظرية الأنصاف يقول الباقلاني: "وكذلك تنقسم هذه الحروف إلى قسمين آخرين: أحدهما حروف غير شديدة، وإلى الحروف الشديدة، وهي التي تمنع الصوت أن يجري فيه وهي همزة والقاف والكاف والجيم والباء والذال والطاء والتاء وقد علمنا أن نصف هذه الحروف أيضا هي المذكورة في جملة الحروف التي بني عليها أوائل السور.¹"

ومما تجدر الإشارة إليه أن الحروف التي تقابل الشديدة اصطلاحا عليها - قديما - بالحروف الرخوة، كما أن هنالك طائفة من الحروف لا تحمل صفات الشدة ولا الرخاوة فلا هي شديدة ولا هي رخوة اصطلاحا عليها - قديما - بالحروف البينية، و من المؤكد أن الباقلاني لم يغفل عن هذه الحقيقة بل كان شديد الحذر في التعامل مع المصطلحات، فبقوله غير الشديدة: جمع طائفتين من الحروف الرخوة والبينية والجامع بينهما هو أنها غير شديدة .

ولكي تتضح الأمور عند الموازنة؛ لا بد من معرفة أنه قد اصطلاح - حديثا - على الرخاوة ب: الاحتكاك وعلى الشدة ب: الانفجار². ويطلق كمال بشر على الشدة مصطلح: الوقفة الانفجارية، ويفصل ذلك في الفصل الخامس من كتابه.³ كما لا ننسى أن المحدثين قد اصطلاحوا على الحروف البينية ب: الأصوات المركبة، أو الاحتكاكية الانفجارية⁴، بينما يطلق عليها كمال بشر مصطلح: الوقفة غير الانفجارية⁵. لكن الجوهر لم يتغير فأساس الشدة منع الصوت وذلك يتسبب بالانفجار عند انطلاق الصوت، لكن المنع أو الوقف موجود في بعض الحروف لكن دون أن يؤدي ذلك إلى الانفجار والباقي من الحروف لا ينحبس الهواء عند النطق بها إنما يكتفي مجرى الهواء بالضيق فيحتك الهواء بالأعضاء محدثا احتكاكا⁶.

¹ الباقلاني: إعجاز القرآن ص 45.

² ينظر: حسام البهنساوي: علم الأصوات ص 52.

³ ينظر: علم الأصوات ص ص 207-212.

⁴ ينظر حسام البهنساوي: المصدر نفسه ص 53.

⁵ كمال بشر: علم الأصوات ص 205.

⁶ ينظر: المصدر نفسه ص ص 207-212.

وبالعودة إلى نصه نجد أنه أطلق حكما عاما بوجود نصف هذه الحروف في جملة الحروف المقطعة لكنه لم يحدد المجموعة التي تشملها ملاحظته! هل نصف الشديدة - بما أن ذكرها جاء قبيل ذكر هذه الملاحظة-؟ أم غير الشديدة؟ أو هما معا. وليس السبيل إلى معرفة ذلك إلا بالتطبيق:

من بين الحروف الشديدة الثمانية المحددة من لدنّه نجد المذكورة في الحروف المقطعة: القاف والكاف والطاء وفي الهمزة خلاف. وبحسابها تكون أربعة وهي نصف الثمانية وإن كانت ثلاثة فلا بأس لأن القيم التي عبرت عن الأنصاف فيما سبق هي قيم تقريبية. هذا إن لم نشأ أن نسلّم بأنّ هذه النتيجة إقرار من الباقلاني بأنّ الألف الموجودة في (الم) ونظيراتها من المركبات هي همزة قطع.

ولابد أن نشير في هذا المقام إلى أنّ الحروف الشديدة أو الانفجارية - كما يسميها - المحدثون ثمانية عندهم أيضا لكنهم أخرجوا الجيم وعوضوه بالضاد¹ لكن ذلك لا يحدث تغييرا في نظرية الأنصاف فالحرفان المتبادلان لا علاقة لهما بتركيب الحروف المقطعة.

ويرى كمال بشر أن إضافة القدماء للجيم إلى قائمة الحروف الشديدة مرده نطقها عندهم الذي يقابل (dj) في اللاتينية².

أما إبراهيم أنيس فيحيلنا إلى نطق الجيم القاهرية والتي يقترّب نطقها من القاف أو الكاف.³ ويرمز إليها ب(ث). وهذه المسألة قد أثارت جدلا كبيرا في أوساط القدماء أمثال سيوييه وابن جني⁴ وابن يعيش⁵.

1-2-7- الحروف غير الشديدة من جملة الحروف المقطعة نصف الحروف غير الشديدة في المعجم:

¹ ينظر: حسام البهنساوي: علم الأصوات ص 52.

² ينظر: كمال بشر: المصدر نفسه ص 209

³ إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص 25-26

⁴ أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت 392هـ). سر صناعة الإعراب، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان ط 2000، م 1 ج 1 ص 46

⁵ يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وابن

الصانع (المتوفى: 643هـ) شرح المفصل للزحشري قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان

ط 1- 2001 مج 10 ص 127.

الحروف المتبقية من حروف المعجم بعد إقصاء الشديدة منها هي الحروف غير الشديدة عند الباقلائي: "الثاء والحاء والحاء والذال والراء والزاي والسين والشين والصاد والضاد والطاء والعين والغين والفاء واللام والميم والنون والهاء والواو والياء. وعددها عشرون . فإذا فرزنا المستعملة منها في الحروف المقطعة وجدناها النصف وهي عشرة - بما أن العدد عشرون عدد زوجي ويقبل القسمة على اثنين - وهي كالتالي: الحاء والراء والسين والصاد والعين واللام والميم والنون والهاء والياء. ولعلنا نستطيع الجزم بعد هذا بأن الجملة الأولى التي استهل بها الباقلائي هذا البحث كانت معكوسة فعلاً. فعدد حروف المعجم عنده ثمانية وعشرون حرفاً باعتبار الهمزة والألف حرفاً واحداً.

1-7- الحروف المطبقة من جملة الحروف المقطعة نصف حروف الإطباق في المعجم:

يقول الباقلائي: "ومن ذلك الحروف المطبقة، وهي أربعة أحرف وما سواها منفتحة، فالمطبقة: الطاء، والطاء، والصاد، والضاد. وقد علمنا أن نصف هذه الحروف في جملة الحروف المبدوء بها في في أوائل السور"¹.

ومن المعلوم أن حروف الإطباق تغير المصطلح الدال عليها دون المساس بها، حيث يصطلح عليها في الدرس الصوتي الحديث بالأصوات المفخمة، وهي ذات القائمة التي سردها الباقلائي. وبما أن نصف الأربعة اثنان؛ فقد صحّ ما ذهب إليه الباقلائي لأن المستعمل من الحروف المطبقة في فواتح القرآن المقطعة اثنان هما: الصاد والطاء.

1-8- الحروف غير المطبقة من جملة الحروف المقطعة نصفها من مجمل الحروف غير المطبقة من حروف المعجم:

بعد فرز المطبق من قائمة حروف المعجم تتكشف القائمة لنا عن الحروف المنفتحة أو كما اصطلح عليها المحدثون بالمرققة وهي كالتالي: الألف (الهمزة) ، الباء ، التاء ، الثاء ، الجيم ، الحاء ، الخاء ، الدال ، الذال ، الراء ، الزاي ، السين ، الشين ، العين ، الغين ، الفاء ، القاف ، الكاف ، اللام ، الميم ، النون ، والهاء و الواو والياء . وعددها أربعة وعشرون حرفاً.

¹ إعجاز القرآن ص 45.

المستعمل منها في الفواتح المقطعة: الألف ، الحاء، الراء ، السين، العين، القاف، الكاف، اللام، الميم، النون، الهاء، والياء. وعددها اثني عشر كما نرى!

1-9- ذكر الألف واللام والميم مجتمعة في (الم) يشير إلى جميع الحروف:

اختتم الباقلائي مبحثه الصوتي عن فواتح السور بملاحظة هامة أساسها مخارج حروف الألف واللام والميم.

قال الباقلائي: "وقد يمكن أن تعاد فاتحة كل سورة لفائدة تخصها في النظم، إذا كانت حروفاً كنحو (الم) لأن الألف المبدوءة بها هي أقصاها مطلعاً، واللام متوسطة، والميم متطرفة، لأنها تأخذ في الشفة، فنبه بذكرها على غيرها من الحروف"¹.

وقبل أن يأتي من يقول بأن الألف هوائية باطنية لا مخرج لها وإنما ما قاله ينطبق على الهمزة؛ يستدرك الباقلائي: "ويشبه أن يكون التصنيف وقع في هذه الحروف دون الألف لأن الألف قد تلغى، وقد تقع الهمزة وهي موقعا واحداً"².

وهنا يؤكد على الالتباس الواقع بين الألف والهمزة في الحروف المقطعة وهو يرجح -دون أن يجزم- بأنها همزة قطع ، لكنه على عادته يستعمل مصطلحا مطاطيا (مطلع) يتمدد ويتقلص مع تغير المعطيات. فإذا كانت همزة فمخرجها من أقصى اللسان، وإن كانت ألفا فهي تطلع من الباطن -وهو أقصى مكان ينطلق منه الهواء طلوعاً نحو الفم. وهي في كلتا الحالتين ترمز إلى كل الحروف التي تشغل الحيز المكاني من مطلعها إلى مطلع اللام.

أما بالنسبة إلى اللام التي قال عنها متوسطة فمخرجها عند ابن جني: "من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، فما فوق الضاحك والنايب والرباعية والثنية"³. فهي قد لا تعد متوسطة المخرج مقارنة مع غيرها من الأصوات لكنها مقارنة مع الألف والميم متوسطة. ووقوعاً بين أقصى مخرج (الألف) وأدناه (الميم) يكون قد مثل جميع الحروف

¹ إعجاز القرآن ص 46.

² المصدر نفسه ص 46.

³ حسام البهنساوي: علم الأصوات ص 48.

الفموية. والميم مخرجها من بين الشفتين عند ابن جني¹. وعند المحدثين شفوي أنفي² ولا يشترك في هذا المخرج إلا مع الواو والباء وهما ليسا من حروف الفواتح لذا مثلهما.

ولعلنا نستحضر هنا ما قاله الآلوسي في تفسيره لـ(المص) الأعراف: " ذكر بعضهم أن ما من سورة افتتحت بـ(الم) إلا وهي مشتملة على ثلاثة أمور ؛ بدء الخلق، والنهاية التي هي المعاد والوسط الذي هو المعاش وإليها الإشارة بالاشتمال على المخارج الثلاثة الحلق واللسان والشفتين، وزيد في هذه السورة على ذلك الصاد لما فيها مع ما ذكر من شرح القصص وهو كما ترى والله تعالى أعلم بمراده"³. وقد تم تفصيل ذلك عندنا في مبحث المناسبات.

وإلى قريب من ذلك ذهب ابن قيم الجوزية عند تفسيره(الم) البقرة، يقول: " تأمل سرّ (الم) كيف اشتملت هذه الحروف الثلاثة، فالألأف إذا بدئى بها أولا كانت همزة وهي أول المخارج من أقصى الصدر، واللام من وسط مخارج الحروف وهي أشد الحروف اعتمادا على اللسان، والميم آخر الحروف ومخرجها من الفم وهذه الثلاثة هي أصول مخارج الحروف أعني الحلق واللسان والشفتين... فهذه الحروف معتمد المخارج التي تتفرع منها ستة عشر مخرجا، فيصير منها تسعة وعشرون حرفا عليها مدار كلام الأمام الأولين والآخرين"⁴

وبهذا نكون قد استوفينا دراسة الملاحظات الصوتية التي قدمها الباقلائي؛ نتيجة لاستقرائه لهذه الحروف. كما لا تفوتنا الإشارة إلى أن الباقلائي ليس من علماء الأصوات وإنما استفاد من معطيات العلماء في هذا المجال وقام بتطبيقها -وهو يقر بذلك- وذلك بقوله: وكذلك مما يقسمون به الحروف... أو قوله: من ذلك أنهم قسموها إلى حروف مهموسة.. وإذا كان القوم الذين قسموا في الحروف هذه الأقسام..."⁵. وياله من تطبيق .

¹ ينظر المصدر نفسه ص 48.

² ينظر المصدر نفسه ص

³ روح المعاني ج 8 ص 74.

⁴ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت751هـ): التفسير القيم .تحقيق: مكتب الدراسات

والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال - بيروت ط1410، 1هـ، ص123

⁵ الباقلائي : إعجاز القرآن ص 44، 45.

ومن جملة المستفيدين من هذه الدراسة التطبيقية : جار الله محمود الزمخشري وفيما يلي دراسة
الدراسة.

2-التصنيف الصوتي للحروف المقطعة عند الزمخشري:

في تفسيره الكشاف؛ وأثناء تفسيره ل(الم) -شأن غالبية المفسرين والقراء والمشتغلين بالإعراب- أشار جار الله الزمخشري إلى أهمية ورود الحروف في القرآن، وأنها أدت معاني متعددة، إذ قال الزمخشري: "اعلم أنك إذا تأملت ما أورده الله عزّ سلطانه في الفواتح من هذه الأسماء وجدتها نصف أسامي حروف المعجم أربعة عشر سواء، وهي: الألف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم".¹

3-1- عدد حروف المعجم في العربية:

ولعلنا عائدون هنا إلى قضية عدد حروف المعجم فكأن القارئ يلمس تناقضا طي هذا النص إذ قال عن العدد أربعة عشر نصف حروف المعجم ومنه تستطيع القول أنه أضمر عدد أربعة وعشرون كقيمة عددية لجميع الحروف، إلا أنك تجده يعترف صريحا بأنّ عدد السور المفتحة بالحروف المقطعة، هو عدد حروف المعجم .

لكننا سبق وفسرنا هذا التضارب عند الباقلاني الذي فض الاشتباك الواقع بين الهمزة والألف التي يمكن أن تختزل في حرف واحد، يمثله عمود الألف الذي تعلوه عين الهمزة. وبهذا يصبح عدد الحروف ثمانية وعشرين حرفا إذا أدمجت الهمزة مع الألف ، وهي عدد زوجي يمكن قسمته على اثنين ويكون حاصل القسمة عددا صحيحا هو أربعة عشر. أما إذا فصلت الهمزة عن الألف يرتفع العدد إلى تسع وعشرين ويبقى حاصل القسمة أربعة عشر ما دمن لا نستطيع التعبير عن الحروف بعدد عشري.

الحروف التسعة والعشرون هي الحروف الأصلية فقط إذ يمكن أن ترتقي حروف العربية إلى ثلاثة وأربعين حرفا: " ويرتقي عدد الحروف إلى ثلاثة وأربعين. فحروف العربية الأصول تلك التسعة والعشرون. وتتفرع منها ستة مأخوذ بها في القرآن وكل كلام فصيح، وهي الهمزة بين بين، والنون الساكنة التي هي غنة في الخيشوم نحو عنك وتسمى النون الخفيفة والخفية، وألفا الإمالة والتفخيم نحو عالم والصلوة، والشين التي هي كالجيم نحو أشدق، والصاد التي كالزاي نحو مصدر، والبواقي حروف

¹ الزمخشري، الكشاف: ج1 ص34.

مستهجنة وهي الكاف التي كالجيم، والجيم التي كالكاف، والجيم التي كالشين. والضاد الضعيفة، والضاد التي كالسين، والطاء التي كالتاء، والطاء التي كالثاء، والباء التي كالفاء¹.

فلغة القرآن الكريم إذن معيار للتفاضل بين الحروف الفرعية الأربعة عشر. وما ثبت منها في لغة القرآن مستحسن وما لم يرد فهو مستهجن. ولعل ذلك كان سبب دراسة الحروف المقطعة من الوجهة الصوتية.

3-2- إفادة الزمخشري من تراث الباقلاني:

يوصل الزمخشري: " ثم إذا نظرت في هذه الأربعة عشر وجدتها مشتملة على أنصاف أجناس الحروف، بيان ذلك أن فيها من المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء، ومن المجهورة نصفها الألف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والباء والنون، ومن الشديدة نصفها الألف والكاف والطاء والقاف. ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد والهاء والسين والحاء والياء والنون. ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء، ومن المفتحة نصفها الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والباء والنون،"²

ومن الملاحظ أن -وصولاً إلى هذه النقطة- لم يضيف الزمخشري شيئاً على ما جاء به الباقلاني لكنه لم يجل إليه كما كان يفعل الألوسي عندما يستعير لسان غيره، كما أنه لم ينسبها لنفسه أيضاً - كي لا يفهم ذلك اتهاماً للزمخشري بقلة الأمانة-.

فإن قيل أن الرماني لا يعتبر نفسه ممن قسم أصوات الحروف العربية باعتبار الصفات بل كان يشير في كل مرة أنها ليست من عنده، بيد أن الزمخشري قد خصص مبحثاً لمخارج الحروف وصفاتها في كتاب المفصل (ملحق بالإدغام)، بل وتولاه شارح مثل ابن يعيش³، ويعتبر مادة صوتية مهمة لمن جاء بعده؟

¹ الزمخشري: المفصل في صنعة الإعراب ص 487.

² الزمخشري: الكشاف ج 1 ص 35.

³ يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلية، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (ت643هـ): شرح المفصل للزمخشري: قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت - ط 2001، 1 م، ج 5 ص - ص 515-525.

قلنا: إن الرماني إن لم يكن صاحب فكر صوتي، لكنه كان مطبقاً فذاً بحيث التفت إلى تلك الأنصاف، كما أن الفارق الزمني بين الرجلين يحيل إلى أن الزمخشري قد استند فعلاً على قاعدة الباقلاني لكنه أضاف اجتهاداته الشخصية، وهي أكثر تفصيلاً، ولعله اعتبر كل ما قيل حتى الآن تمهيداً بديهيها لما سيقوله هو.

ولعله ما جعلنا نشدد على هذه القضية؛ كون الزمخشري (في كتاب المفصل) حدد ثمانية حروف متوسطة - بين الشدة والرخاوة - جمعتها عبارة (لم يروعنا¹)، ويحدد الحروف الرخوة بإقصاء تلك الحروف الثمانية بالإضافة إلى أصوات حروف الشدة التي جمعت في عبارة (أجدك قطبت). وذلك في قوله: "والشديدة ما في قولك أجدت طبقك أو أجدك قطبت، والرخوة ما عداها وعدا ما في قولك لم يروعنا أو لم يروعنا وهي التي بين الشديدة والرخاوة"². لكنه في الكشف يجعل نصف

¹ أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ): المفصل في صناعة الإعراب، تحقيق: علي بوملحم، مكتبة الهلال - بيروت، ط1، 1993 ص 488.

² الزمخشري: المفصل ص 488.

وقد حدد علماء القراءات الحروف البينية (بين الشدة والرخاوة) بقولهم: (لن عمر). وعلمنا بأن مقدار الصغير هو الذي يحدد الرخاوة - عند المحدثين - فأكثرهم صغيراً أكثرهم رخاوة؛ ويفسر الدكتور إبراهيم أنيس الاختلاف في هذه الحروف: "قد يتسع الفراغ مع بعض الأصوات اتساعاً كبيراً يسمح بمرور الهواء دون أن يحدث أي نوع من الصغير أو الخفيف، ويلاحظ هذا مع اللام والنون والميم والراء. ولعل هذا هو الذي دعا القدماء إلى تسمية هذه الأصوات الأربعة بالأصوات المتوسطة، أي التي ليست انفجارية ولا احتكاكية. والمحدثون من علماء الأصوات قد برهنوا على أن هذه الأصوات الأربعة تكون مجموعة خاصة لا هي بالشديدة ولا هي بالرخوة وسموها: Liquids أما تسميتها بالأصوات المتوسطة فليست تعني أكثر من أنها تخالف النوعين السابقين، أي أنها ليست بالشديدة ولا الرخوة. وقد زاد القدماء على هذه الأصوات الأربعة صوت العين فعدوها صوتاً متوسطاً أيضاً ولقلة التجارب الحديثة التي أجريت على أصوات الحلق لا نستطيع أن نرجح صحة هذه الصفة للعين بل نتركها لتجارب المستقبل لتبرهن عليها" الأصوات اللغوية ص 26. فهو بذلك متفق مع جمهور علماء الصوت من القدماء على حروف لن عمر باستثناء العين التي يتركها للزمان والتجارب العلمية فالاختلاف يكمن في دقة المصطلح الذي يعكس دقة التجارب العلمية المفتقر إليها قديماً؛ ولا خلاف في جوهر الفكرة.

لكن ماذا بشأن الحروف الثلاثة المتبقية عند الزمخشري (الألف والياء والواو)؟

من المعروف أن أصوات الحروف المدية: الألف والواو والياء تسمى حروف اللين عند المحدثين من علماء الصوت، وذلك باعتبار طبيعتها الصوتية "فالصفة التي تجمع بين كل أصوات اللين Vowels هي أنه عند النطق بما يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة، ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم في ممر ليس فيه حوائل تعترضه فتضيق مجراه - كما يحدث مع الأصوات الرخوة - أو تحبس النفس ولا تسمح له بالمرور - كما يحدث مع الأصوات الشديدة - فالصفة التي تختص بها أصوات اللين هي كيفية مرور الهواء في الحلق والفم وخلو مجراه من حوائل وموانع" إبراهيم أنيس: الصوت اللغوي ص 27. وقد اتضحت الصورة إذن فالمرجح أنّ الزمخشري عندما أضاف الألف والياء والواو إلى قائمة الحروف البينية قصد المدية منها ولم يقصد صورها الأخرى (الهمزة والياء

الحروف الرخوة عشرة! فمجمّلها إذن عشرون! والحروف المتوسطة التي جمعتها عبارة (لم يروعا) كلها موجودة إلا الواو؛ فهو ليس من الحروف المقطعة! فهو بهذا لم يحدد نصف الرخوة وإنما نصف ما سماه الباقلائي (غير الشديدة) إذ تجمع الرخوة والمتوسطة.

ويمكن أن نستنتج أن الباقلائي -رغم بعده عن التخصص- كان أكثر حذرا عند استعمال المصطلحات الصوتية! فكيف يستقيم ذلك وهو عالم جليل؟

والحقيقة التي لا ينبغي تجاهلها أن الزمخشري - الذي يبدو لوهلة - متناقضا مع نفسه، ومع الدراسات الصوتية العربية القديمة؛ لكنه كان موافقا للدراسات الصوتية الحديثة. وقضية تناقض آراءه ليست سوى فهم سطحي لكلامه.

فإن قيل: وكيف ذلك والدراسات الحديثة ترى أن صفة البينية (الانفجارية الاحتكاكية) لا تتحقق سوى في الجيم الفصيحة؟ وعدد الحروف الانفجارية (الشديدة) ثمانية¹ وقد وضحنا سابقا اختلافهم مع القدماء في الجيم القاهرية والضاد ولا علاقة للثنتين بالحروف المقطعة، لكن مرادنا هنا أن الباقي من الحروف عشرون ونصفها عشرة هي المذكورة في الحروف المقطعة وقد تم تحديدها سابقا. وبالنسبة للتناقض الذي يوحي به رأيه: إذ عد الشديدة ثمانية حروف (8)+الرخوة عشرون (20) + لم يروعا البينية (08)=36 فكيف يستقيم ذلك؛ وعدد حروف العربية الذي حدّده في الكشاف تسعة وعشون (29) حرفا؟

قلنا أن ذلك هو الأصل، لكنها يمكن أن ترقى إلى ثلاثة وأربعين وما أخذ من القرآن وفصح العربية تفريعا للحروف التسعة والعشرين ستة حروف هي: (الهمزة بين بين، والنون الساكنة التي هي غنة في الخيشوم) (الخفيفة)، وألفا الإمامة والتفخيم، والشين التي هي كالجيم، والصاد التي كالزاي) فيكون مجموع الحروف في العربية الفصيحة $35=06+29$ ولا بد من معرفة الحرف الإضافي ليتطابق الرقمان، ولعل ذلك الحرف هو محل الخلاف بين الصوتيين القدماء والمحدثين وقد أشرنا إليه سابقا وهو الجيم القاهرية. وقد فصلّ كمال بشر وإبراهيم أنيس في هذه القضية.² حيث أن الزمخشري ذكره

والواو غير المديتين) وهي على ما أظهر إبراهيم أنيس اتخذت معبرا خاصا من باطن الرتئين إلى خارج الفم يختلف عن مسار الرخوة في اتساعه، وعن الشديدة في عدم وجود حواجز تحبس الهواء في موضع معين. ولعل هذا كان مبرر الزمخشري في جعله إياها بين الرخوة والشديدة. وبهذا فالزمخشري لا يختلف كثيرا مع علماء الصوتيات لا القدماء منهم ولا المحدثون.

¹ ينظر حسام البهنساوي: علم الأصوات ص 52-53.

² الأصوات اللغوية: ص 84. علم الأصوات: ص 299.

في جملة الحروف المستهجنة فهو إذن خارج عن دائرة الفصح، وذلك في قوله: "والبواقي حروف مستهجنة وهي الكاف التي كالجيم، والجيم التي كالكاف والجيم التي كالشين والضاد الضعيفة، والصاد التي كالسين، والطاء التي كالتاء، والطاء التي كالفاء".¹

ولعلنا من خلال هذا القول: نستنتج سبب اختلاف المحدثين من الصوتيين مع القدماء حول الضاد في قائمة الحروف الشديدة (استبعدها القدماء وأقرها المحدثون)، ويبدو أن الضاد المستبعدة هي الضاد الضعيفة.

كما أننا لا نستطيع الوقوف على آراء الزمخشري الصوتية في الفواتح المقطعة في كتاب الكشاف بمعزل عن كتاب المفصل في صنعة الإعراب فلتكتمل الصورة يجب التنسيق بين الكتابين فما أشكل في الأول يردّ إلى الثاني فيوضحه ويفسره.

ولن نبرح هذا الموضوع حتى نشير إلى أنه لا خلاف على الحروف المطبقة والمنفتحة بين الباقلاني والزمخشري ولا بين علماء الصوتيات الحديثة إلا في المصطلحين الحديثين التفخيم والترقيق ولا خلاف في الجوهر. وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على تطابق النتائج التي وصل إليها الرجلان و علم الأصوات الحديث.

4-1-1- تفصيلات الزمخشري في نظرية أنصاف صفات الحروف:

4-1-1-1- الحروف المستعلية والحروف المنخفضة:

ذكر الزمخشري تفصيلات لم يذكرها الباقلاني قبله تضاف إلى مزايا دراسته حيث قال: "ومن المستعلية نصفها القاف والصاد والطاء ومن المنخفضة نصفها: الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون".²

ولمعرفة قائمة الحروف المستعلية كاملة كان لابدّ من العودة إلى المفصل فوجدنا قوله: "المستعلية: الأربعة المطبقة، والحاء والغين والقاف والمنخفضة ما عداها".³

¹ الزمخشري: المفصل في صنعة الإعراب ص 488.

² الكشاف ص 35.

³ الزمخشري: المفصل: 488.

فالأربعة المطبقة هي: الصاد و الضاد والطاء والظاء. ضف إليها: الحاء والغين والقاف . وعددها سبعة وهو عدد فردي لا يقبل القسمة على اثنين؛ ولأننا لا يمكن أن نعبر عن عدد الحروف بعدد عشري؛ استعمل المدور وهو ثلاثة حروف هي الصاد والقاف والطاء.

والحروف المنخفضة هي حصيلة طرح الحروف المستعلية من مجموع حروف المعجم ، وهي تساوي اثنين وعشرين حرفا هي: الألف والباء ، التاء و الثاء، الجيم والحاء، الدال و الذال، الراء والزاي، السين والشين، العين والفاء، الكاف واللام، الميم والنون، الهاء و الواو والياء والهمزة. ونصف الاثنين والعشرين هي الحروف الأحد عشر المذكورة في كلام السابق وجاءت هذه الحروف في فواتح: الرعد، ومريم، وغافر، والقلم.

ولعل الزمخشري استشعر التباسا بين الإطباق والانخفاض فراح يبرز الفوارق بقوله: "والاستعلاء ارتفاع اللسان إلى الحنك أطبقت أو لم تطبق والانخفاض بخلافه"¹.

ولعلنا من خلال هذا التعريف نضع أيدينا على سر اختلافه مع المحدثين من علماء الأصوات حين أقصوا حروف الإطباق من قائمة الحروف المستعلية، حيث يرون في تعريفهم الحروف المستعلية بأنها: "الأصوات التي ترتفع فيها مؤخرة اللسان، نحو اللهاة في أثناء النطق بها فيخرج الصوت غليظا مفخما، لكن دون مبالغة في تغليظ النطق". إذ المبالغة في تغليظ النطق جوهر الخلاف بينهم وسوى ذلك متفق عليه.

فإن قيل : إذا كان المحدثون من علماء الأصوات العرب قد نفوا الاستعلاء عن الحروف المطبقة فهل يعني ذلك أنها منخفضة عندهم؟ إذ أن الأنصاف المتبقية (نصف المستقلة) متعلقة بهذه القضية!

قلنا: هذا ليس بالضرورة؛ لأنهم يصطلحون على الإطباق بالتفخيم، ويعتبرون الاستعلاء تفخيما جزئيا أو تفخيما من الدرجة الثانية. وعليه فإن الاستعلاء يندرج ضمن مراتب التفخيم وليس العكس. كما ارتضاه الزمخشري الذي رأى الإطباق (التفخيم) من فروع الاستعلاء.

ومن خلال ما قيل يمكن استنتاج أنه إذا كان الاستعلاء نوع من التفخيم -على رأي المحدثين- أو أنه أصل تفرع عنه الإطباق؛ فالنتيجة واحدة بالنسبة للاستفال (باصطلاح المحدثين)

¹ المفصل في صنعة الإعراب ص488.

أو الانخفاض (باصطلاح القدماء) فهو ما دونهما . وبالتالي عدد الحروف المستقلة اثنان وعشرون نصفها أحد عشر حرفاً تمّ بيانها أعلاه عند الزمخشري ولا خلاف عليها.

4-1-2 حروف القلقلة:

قال الزمخشري: "ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء"¹.

والقلقلة عنده في المفصل: " ما تحسن به إذا وقفت عليها من شدة الصوت المتصعد من الصدر مع الحفز والضغط."²

وحروفها خمسة: القاف والذال والطاء والباء والجيم مجموعة في قولهم: " قد طبع"³

و مما تنبغي معرفته أن تصنيف الحروف باعتبار القلقلة (التحريك أو التشريب أو الصويت) ليس من التصنيفات الحديثة لا بهذا المصطلح ولا بغيره من المصطلحات لكن حروفها الخمسة كانت محل نقاش من ناحية جمعها لصفتي الشدة والجهر قد تم الاتفاق بينهم حول: القاف والطاء والباء والذال كحروف القلقلة، لكنهم اختلفوا في حرف الجيم فنطقها الفصحح (dj) يخرجها من دائرة الشدة، ونطقها باللكنة القاهرية (g) أو الشامية (j) يجعلها مستهجنة عند علماء العربية أمثال سيبيويه وغيره⁴. وقد سبقت الإشارة إلى هذه المسألة في موضعها.

وما يهمنا هنا أنه بإقصاء المحدثين للجيم ينخفض عددها إلى أربعة وبهذا تتحقق المساواة بين النصفين . اثنان مذكوران في الفواتح (القاف والطاء)، واثنان غير مذكورين (الباء والذال).

¹ الكشاف : ج 1 ص 35.

² ص 488.

³ المفصل ص 488.

⁴ ينظر: كمال بشر: الأصوات اللغوية ص ص 381-384.

3_ ملاحظات على التصنيفات الصوتية:

اعتبرت الحروف المقطعة مادة دسمة طبق من خلالها البلاغيون ما تعلموه من الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه وابن جني على هذه الحروف .

نستطيع القول من خلال هذه الدراسة أنه قد صدقت نظرية أنصاف الصفات التي جاء بها الباقلائي، وفصلها الزمخشري إلى حدّ بعيد. حتى مع التعديلات التي طالت قوائم الحروف التي تندرج تحت كل صفة- مع تطور المختبرات التي تكشف عن الصوت اللغوي- وإن لمسنا تغييرا طفيفا طرأ على بعض القوائم فذلك مرده في غالب الأحيان إلى تطور النطق بالحرف تاريخيا وجغرافيا ولا يعكس ذلك خطأ في صميم النظرية بالضرورة.

يمكن القول أن علماء الصوت العرب وعلى رأسهم الباقلائي كانوا حذرين في التعامل مع المصطلحات في هذه النظرية حتى أنهم تركوا للزمن والعلم مساحة للتصحيح المخبري، بحيث استعملوا مصطلحات مطاطية تستوعب التعديل، مثل النصف والضعف والجملة. عوض الضبط الصريح بالأرقام بحيث إذا عدلت القائمة الأصلية فارتقى عدد حروفها أو نقص لا يغير ذلك شيئا لأن النصف عندهم يستوعب الأعداد الصحيحة والعشرية عن طريق التدوير .

تصنيفات نظرية الأنصاف كانت باعتبار الصفات لكننا لاحظنا تقسيما واحدا باعتبار المخرج (الحلق وغير الحلق)، لكن ذلك لا يحيل إلى خلط الباقلائي بين التقسيمين -وهو عالم كبير- وتبعه في ذلك الزمخشري فكيف يغفل الرجلان؟ ويمكن تفسير ذلك بأن صنيعهما كان من قبيل التنبيه على إمكانية تطبيق النظرية على أساس مخارج الحروف أو حصر تطبيقها على مخرج الحلق.

ينبغي التذكير في هذا الصدد أن الفواتح ليست منزلة كي تكون تابعة لمسألة أقسام الحروف وأنواعها أو لتصب صبا في قوالها وإنما هي تابعة لأهداف الكتاب الذي أنزلت فيه ولوسائله البيانية الخاصة وإن كان مع ذلك موافقة لهذه الأقسام والأنواع في عمومها، وقد مثلت الدكتوراه سهام الخضر لذلك بالشاعر الذي يمارس نشاطه الشعري في حدود موسيقى الشعر وبحورها. والله المثل الأعلى.

المبحث الثاني

القراءات في الحروف المقطعة وما يترتب عليها

تمهيد

1-1-1 (الم) سورة البقرة 1-2-1 (الم) آل عمران 1-3-1 (الم) العنكبوت

1-4-1 (الم) الروم

2-المص في سورة الأعراف

2-المر 1-3-1 الر - يونس 2-3-2 إعراب الر (هود)

3-3-3 (الر) إبراهيم 3-4-3 الر يوسف

3-5-3 الر الحجر

5-كهيعص

5- طه في بداية سورتها

6-طسم بدايتي سورة الشعراء والقصص

7-(طس) بداية سورة النمل:

8-يس

9- ص ابتدأت بها سورتها:

10-حم

10-1-حم غافر

10-2-حم فصلت

10-3-حم الزخرف

11- حم عسق في سورة الشورى

12-ق: في بداية سورتها

14-ن: في بداية سورتها

2-نتائج القراءات

القراءات في الحروف المقطعة وما يترتب عليها

تمهيد:

اهتمام علماء القراءات بالحروف المقطعة كان لافتاً للانتباه نظراً لخصوصية طريقة قراءة هذه الحروف - فهي ليست كغيرها من الحروف - ركبت تركيباً خاصاً وقرئت قراءةً أخصّ. وتبعاً لأنواع القراءات؛ اختلفت قراءة هذه الحروف على أنواع مخصوصة روعيت فيها أحكام أخصّ، يحكمها علم قائم بذاته؛ له قواعده ومصطلحاته؛ يسمى علم القراءات. وكانت لتلك الاختلافات نتائج أثرت على نواح أخرى أهمها الإعراب.

وينبغي الإشارة هنا إلى أن إعراب الحروف المقطعة لم ينتهي به المطاف في المبحث الخاص به لأن هناك متعلقات بالقراءة - إذا تغيرت القراءة تغير الإعراب - فحال ذلك دون تفصيله في بابه فكان الإتيان به مجملاً في محله. لكن التفاصيل سترافق القراءة بالتوازي - حسب الاستطاعة طبعا - وسنعرضها حسب تسلسلها في القرآن الكريم.

1-(الم)

1-1-(الم) سورة البقرة

قال الله تعالى: "الْم ۝ ١ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٢"

ورد في مصحف التجويد:¹ الألف بالأسود، واللام والميم بالأحمر، وهذا يعني أن الألف تقرأ قراءة طبيعية: ألف، لكن اللام والميم تمدان مدّاً لازماً بمقدار ستّ حركات لأنّها من حروف (سنقص

¹ القرآن الكريم برواية ورش عن نافع خطّ حروف كلماته بالرسم العثماني الخطاط عثمان طه جود حروفه الدكتور المهندس صبحي طه بموجب براءتي اختراع للتمييز الزمني واللوني وللغرض الوقفي الاختياري، بأحكام النقل والتسهيل والإبدال والتقليل والإمالة والمدود والإدغام، والإخفاء، والإظهار والإقلاب والتفخيم والترقيق والقلقلة منفذة مع شرحها في آخر المصحف الشريف، على ما قرأ به أبو عمرو الداني على شيخه أبي القاسم بن خاقان عن أبي جعفر التجيبي عن إسماعيل النحاس عن أبي يعقوب الأزرق عن ورش عن نافع، حازت شرف إصدارها تأسيساً على نسخة مأذونة أصولاً من الدار الشامية دار المعرفة، مطبعة الثريا طبعة 1437.

لكم) أو (نقص عسلكم). ولا بدّ من التذكير في هذا الموضوع أن "الم" آية حيث وقعت من السور المفتوحة بها وهي ست.¹

يقول الفراء: "الهجاء موقوف*" في كل القرآن، وليس بجزم يستمى جزماً، إنما هو كلام جزمه نيّة الوقوف على كلّ حرف منه"²، إذن فالوقف هو الميزة الواضحة أثناء قراءة (الم) هذا بالنسبة لقراءتها لكنها إعرابياً في موضع نصب بمعنى اقرأ (الم) ويجوز أن يكون موضعه رفعا بمعنى هذا (الم) أو هو أو ذاك "... (ذلك) يكون بمعنى هذا ذلك الكتاب، فيكون خبر هذا."³

أما الزمخشري فيقول: "إن جعلت (الم) اسماً للسورة ففي التأليف وجوه: أن يكون (الم) مبتدأ، وذلك مبتدأً ثانياً والكتاب خبره والجمله خبر للمبتدأ الأول.⁴ ومعناه أن ذلك الكتاب هو الكتاب الكامل كأن ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص. ويمكن أن يكون الكتاب صفة، ومعناه: هو ذلك الكتاب الموعود.

والمد اللام: الذي فيه الطول ست حركات ويسمى بالمدّ الحرفي بنوعيه: المخفف والمثقل. وعدد حروفه ثمانية والتي أوسطها حرف مدّ ساكن وهي: (النون)، (القاف)، (الصاد)، (العين)، (السين)، (اللام)، (الكاف)، (الميم)، وهذه الحروف مجموعة في عبارة: (نَقَصَ عَسَلُكُمْ). سميّ مدّاً لازماً حرفياً؛ لأن حرف المدّ اللين والسكون واقعان في حرف واحد. ولإجماع القراء على مدّه ست حركات بلا نقصان أو زيادة وكما تقدم في المدّ اللازم الكلمي. والمدّ الحرفي المثقل: هو أن يأتي بعد حرف المدّ حرف ساكن مدغم مشدد، ويوجد في اللوالميم، وفي (طسم)، وهجاؤه مركب من ثلاثة أحرف أوسطها حرف مدّ وبعده حرف مشدد. سميّ مثقلاً؛ لأن الحرف الذي جاء بعد حرف المدّ مدغم فيما بعده فلزم تشديده، مثل إدغام ميم اللام في ميم الميم في ﴿الم﴾ وتصويره هكذا: (ألف لام ميم) تدغم الميم الساكنة بالميم المتحركة هكذا (ألف لام ميم) فيكون المدّ ست حركات على حرف المدّ الألف الذي جاء بعدها حرف مشدد. ينظر تقريب النشر³⁴ ج1

¹ الزمخشري: الكشف ج1، ص35.

² معاني القرآن ج1، ص9.

* الوقف: قال ابن الجزري: الوقف قطع الصوت زمناً يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة، إما بما يلي الحرف الموقوف عليه، أو بما قبله لا بنية الإعراض. ويأتي في رؤوس الآي وأوسطها، ولا يأتي في وسط الكلمة ولا فيما اتصل رسماً، ولا بد من التنفس معه النشر في القراءات العشر: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري محمد بن محمد بن يوسف (ت 833 هـ) تحقيق: علي محمد الضباع (المتوفى 1380 هـ، المطبعة التجارية الكبرى ص75).

³ أبو جعفر بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت338هـ)، إعراب القرآن، اعتنى به الشيخ خالد العلي، دار المعرفة - بيروت، ط2

⁴ الزمخشري: الكشف ج1 ص35.

وأن يكون (الم) خبر مبتدأ محذوف أي هذه (الم)، ويكون ذلك خبراً ثانياً أو بدلاً على أن الكتاب صفة.

وأن يكون هذه (الم) جملة، وذلك الكتاب جملة أخرى.

وإن جعلت (الم) بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدأ خبره الكتاب أي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل".¹

وربما تقاطع هنا مع الشنقيطي في نقطة واحدة فقط؛ كونه رأى أن ذلك مبتدأ لكن تلك لا تعدو أن تكون نقطة تماس، فهو يرى إعراب (الم) آية مكونة من حروف مقطعة لا محل لها والآية كلها في محل نصب مفعول به لفعل محذوف تقديره اقرأ.²

ويبدو أن هذا الإعراب كان منتشراً في عهد الزمخشري -عند البلاغيين لا النحاة-: "والذي هو أرسخ عرفاً في البلاغة... أن يقال إنَّ قوله (الم) جملة برأسها، أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها. (وذلك الكتاب) جملة ثانية، و(لا ريب فيه) ثالثة، و(هدى للمتقين) جملة رابعة، وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق، وذلك لحيثها متأخية آخذاً بعضها بعنق بعض. فالثانية متحدة بالأولى معتنقة لها، وهلمّ جرا إلى الثالثة والرابعة... ثم لم تخلُ واحدة من الأربع بعد أن رتبت في هذا الترتيب الأنيق ونظمت هذا النظم السري من نكتة ذات جزالة. ففي الأولى الحذف والرمز إلى الحرف بلطف وجه وأرشقه وفي الثانية: ما في التعريف من الفخامة، وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف. وفي الرابعة الحذف والإيجاز في ذكر المتقين رادنا الله إطلاعا على أسرار كلامه وتبيننا لنكت تنزيله وتوقيفا للعمل بما فيه".³

كل كلام نقوله بعد هذا وإيه فهذا شيخ البلاغيين جار الله الزمخشري.

1-2-(الم) آل عمران:

¹ الزمخشري: الكشاف ج1 ص36.

² الشنقيطي إعراب القرآن الكريم ص1 الفاتحة/البقرة.

³ الزمخشري الكشاف ج1، ص37.

قال الله تعالى: " **الْم** ۱ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۲ " رب قائل يقول سبقت الإشارة إلى قراءة (الم) البقرة فلا ضرورة لقراءة (الم) آل عمران فليس هنالك فرق. فيكون الردّ أن هنالك فرقا جوهريا في القراءة كون (الم) آل عمران اتبعت بساكن في قراءة (الله) وذلك يؤثر صوتيا على هذه القراءة بخلاف (الم) البقرة التي اتبعت ب(ذلك) وذلك لا يُحدِثُ مشكلا صوتيا.

فقد قرأ الحسن وعمرو بن عبيد وعاصم بن أبي النجود وأبو جعفر الرّوآسي (الم الله) بقطع الألف. قال الأخفش: " ويجوز (الم الله) بكسر الميم لالتقاء الساكنين"¹.

والقراءة الثانية هي الأقل تداولاً فيما وجدنا من الكتب التي اهتمت بهذا الموضوع، لكن الأمر لا يخلُ من بعض الإشارات ضمن شروح القراءات الأخرى. فورد عند الزجّاج قوله: "وذكر أبو الحسن الأخفش أن الميم كُسِرَتْ لالتقاء الساكنين فلو قيل (الم الله) لجاز، وهذا غلط من أبي الحسن لأن قبل الميم ياء مكسورا ما قبلها فتحها الفتح لالتقاء الساكنين وذلك لثقل الكسرة مع الياء"². وهنا عرف السبب وراء إلغاء هذه القراءة - وهو سبب صوتي محض - ولأجل ذات السبب اشتهرت قراءة (الم) آل عمران بالميم المفتوحة فقد "أجمعت القراء على فتح الميم وقد رُوِيَ عن الرّوآسي: (الم الله) بتسكين الميم، وقد روى هذه القراءة بعضهم عن عاصم. والمضبوط عن عاصم في رواية أبي بكر بن عيّاش وأبي عمرو فتح الميم، وفتح الميم إجماع"³

مجددا يضع الزجّاج يده على السبب الرئيسي في تداول هذه القراءة دون سواها وهي أنها إجماعٌ، قال الفراء: "قرأت الفراء (الم الله) في آل عمران ففتحوا الميم، لأن الميم كانت مجزومة لنية الوقفة عليها، وإذا كان الحرف يُنوي به الوقوف نوي بما بعده الاستئناف؛ فكانت القراءة (الم الله) فتزكت العرب همزة الألف من (الله)، فصارت فتحها في الميم لسكونها ولو كانت الميم جزما مستحقا

¹ أبو جعفر النحاس إعراب القرآن ص 120.

² معاني القرآن وإعرابه ج 1 ص 373. حكى هذا الرأي النحاس في إعراب القرآن؛ فقال: "قال أبو إسحاق (يقصد الزجّاج) الذي حكاه الأخفش من كسر الميم خطأ لا يجوز ولا تقوله العرب لثقله " إعراب القرآن ص 120. وعلق الرمخشري على ذلك فقال: " فإن قلت : فما وجه قراءة عمرو بن عبيد بالكسرة؟ قلت: هذه القراءة على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وما هي بمقولة". الكشاف ج 1 ص 160.

³ الزجّاج: المصدر نفسه ج 1 ص 373.

للجزم لكسرت، كما في (قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ۗ). وقد قرأها رجل من النحويين والقراءة بطرح الهمزة. قال الفراء: وبلغني عن عاصم أنه قرأ بقطع الألف.¹

على الرغم من الخلاف الواقع بين قطع الهمزة و طرحها فإن الأمر الذي يعدّ أكثر ثباتا وأقل خلافا هو فتح الميم. وتبريراتها تبدو معقولة -رغم اختلافها- أيضا، فبينما رأى الفراء إلقاء حركة الهمزة على الميم سببا لفتحها؛ رأى سيبويه أن الميم فتحت لالتقاء الساكنين. واختاروا لها الفتح لئلا يجمعوا بين كسرة وياء وكسرة قبلها.²

وحاول الزجاج أن يمسك العصا من وسطها فقال: "واختلف النحويون في علة فتح الميم، فقال بعض البصريين: جائز أن يكون الميم فُتحت لالتقاء الساكنين، وجائز أن يكون طرحت عليها فتحة الهمزة لأن نية حروف الهجاء الوقف، وهذا أيضا قول الكوفيين."³

لكن الزمخشري اختار الفصل بين الموقفين: "فإن قلت كيف جاز إلقاء حركتها عليها وهي همزة وصل لا تثبت في درج الكلام فلا تثبت حركتها، لأن ثبات حركتها كثباتها؟ قلت: هذا ليس بدرج، لأن ميم في حكم الوقف، والسكون والهمزة في حكم الثبات، ولما حذف تخفيفا وألقيت حركتها على الساكن قبلها ليدل عليها... لأن التقاء الساكنين لا يبالي به في باب الوقف.. ولو كان التقاء الساكنين في حال الوقف يوجب التحريك لحركت الميمات في ألف لام ميم لالتقاء الساكنين ولما انتظر ساكنا آخر"⁴.

وربّ ملاحظ يكتشف أن كل هذه القراءات تحكمها ضوابط صوتية محضة لكنها نسبت إلى النحو لأنه عدة من عتاده.

ولنا عودة إلى الهمزة الآن والتحقيق في قضية قطعها أو وصلها، ففي كتاب السعة في القراءات لصاحبه ابن مجاهد⁵ مساحة واسعة للأحاديث المنقولة عن أصحابها تخصّ هذه الألف فقال: "قرؤوا

¹ الفراء: معاني القرآن ج1 ص9 والآية هي 27 من سورة يس.

² الكتاب ج2 ص275.

³ الزجاج -معاني القرآن ج1 ص373.

⁴ الزمخشري ج1 ص160

⁵ ابن مجاهد: كتاب السبع في القراءات تحقيق شوقي ضيف -دار المعارف- مصر 1919.

كلهم (ألم الله) الميم مفتوحة والألف ساقطة، إلا ما حدّثني به موسى القاضي، قال: حدّثنا محمد بن يزيد قال: حدّثنا يحيى، عن أبي بكر، عن عاصم: أنه قرأ (الم) ثم قطع، فابتدأ (الله) ثم سكن فيها، وقال يحيى: آخر ما حفظت عنه: (ألم الله) مثل حمزة¹.

يعني هذا القول أن عاصم ثبتت عنه القراءتان بالوصل وهذا معنى قوله: (الألف ساقطة) وبالقطع: أي أنه وقف عليها وقرأ (الله) بجمزة القطع وهذا معنى قوله (ثم قطع) والدكتور شوقي ضيف يؤكد ذلك على هامش التحقيق.

وبعودة بسيطة إلى مصحف حفص - وحفص عن عاصم - تجد: (ألم (1) الله لا إله إلا هو الحي القيوم (2)) وهذا يعني أن: (الم) بالوقف.

لكن ما يشدّ الاهتمام هنا هو أن (الم) في مصحف ورش آية وحدها موقوف عليها تماما مثلما هي في حفص لكن في نسخة رواية ورش عن طريق أبي يعقوب الأزرق نجد قوله تعالى: (ألم الله لا إله إلا هو الحي القيوم (1)). وهذا يعني أنه لا يعتبر الم آية هنا لكن مجموع الآيات نفسه وهو 200 آية لكن أين تمّ استدراك الفرق بين الآيات؟ في مكان غير بعيد في الآية الثالثة: "مَنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ" لكن ليس في بقية المصحف إشارة آية في هذا الموضوع، إنما تنتهي الآية في قوله: "وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ"².

لكن ابن مجاهد يواصل إثبات القراءتين عن طريق عاصم بروايات أخرى: "قال أبو هشام: سمعت أبو يوسف الأعشى قرأها على أبي بكر، فقال: (الم) ثم قطع فقال: (الله) بالهمزة وحدّثني محمد بن الجهم عن أبي أمية عن أبي بكر عن عاصم (الم) جزم ثم ابتداء (الله). وحدّثني أحمد بن محمد بن صدقه عن أبي بكر، عن عاصم: أنه قرأ (ألم الله) بتسكين الميم وقطع الألف، وحدّثني محمد بن الجهم عن الفراء، قال قرأ عاصم: (الم) جزم و (الله) مقطوع³.

¹ كتاب السبع في القراءات ص 200 وموسى القاضي هو موسى بن اسحاق الأنصاري البغدادي القاضي. ومحمد بن يزيد هو أبو هشام الرّفاعي من كبار القراء.

² ابن مجاهد المصدر نفسه ص 200.

³ القرآن الكريم بالرسم العثماني برواية ورش لقراءة الإمام نافع عن طريق أبي يعقوب الأزرق. الناشر القدس للنشر والتوزيع - القاهرة. وهو متداول بتصريح من مجمع الأزهر للبحوث الإسلامية بتاريخ 1 شعبان 1421هـ

بالنسبة إلى إعراب (الم) آل عمران فقد لا تعثر على إعراب لها عند النحّاس¹. ولا عند الزجاج²، أما بالنسبة للشنقيطي في معجم إعراب القرآن³ فهو يميلنا إلى إعراب (الم) البقرة فيقول (الم سبق إعرابها)، ولعل هذا هو السبب الذي جعل الآخرين لا يذكرون إعرابها فهم يعتبرون أنهم أعربوها في بداية سورة البقرة. ويبدو هذا مبرّرا كافيا لعدم إعرابها في بقية السور الخمسة المبدوءة ب(الم) وفعل مثل ذلك المفسرون الذين اهتموا بالإعراب لما له من دخل في توجيه فهم المعنى - ولعلنا نستأنس بما قاله الألوسي في هذا المقام: "وقد تقدم الكلام على ما يتعلق بالفواتح من حيث الإعراب وغيره، وفيه كفاية لمن أخذت عنه العناية بيده. والاسم الجليل مبتدأ وما بعده خبره، والجملة مستأنفة، أي هو المستحق للعبودية لا غير، والحي القيوم خبر بعد خبر له أو خبر لمبتدأ محذوف أي هو الحي القيوم لا غير."⁴

1-3- (الم) العنكبوت:

قال الله تعالى: " **الْم** ١ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ٢ " ورد في روح المعاني "بسم الله الرحمن الرحيم الم" سبق الكلام فيه وفي نظائره، ولم يجوز بعضهم هذا الارتباط مابعد به ارتباطا إعرابيا لأن الاستفهام مانع منه وبحث فيه بأن اللازم في الاستفهام تصدّره في جملته وهو لا ينافي وقوع تلك الجملة خبراً. ونحوه كقولك: زيد هل قام أبوه؟⁵

وهذا الكلام أكبر دليل على عدم عودة مصنفي كتب القراءات، وإعراب القرآن وحتى المفسرين إلى قراءة نموذج سابق أو إعرابه أو حتى شرحه بكتابة هذا التبرير أو دونه.

لكن ما يهمنا هنا هو تنمة الإعراب، وهو أنّ للاستفهام حقّ الصدارة في الكلام، والحروف المقطعة سلبت منه هذا الحق لذا منعوا من أن يكون لها أثر في إعراب الاستفهام. بل الاستفهام هو

¹ أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحّاس (ت338هـ)، إعراب القرآن اعتنى به الشيخ خالد العلي ص120 .

² أبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت.311هـ)، تحقيق وشرح د. عبد الجليل عبده شلي عالم الكتب ط1، 1988 ص373 وما بعدها.

³ في ص88.

⁴ أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ت1270 تحقيق وتصحيح ونشر ورثته السيد محمود شكري الألوسي البغدادي - دار الطباعة المنيرية ودار إحياء التراث العربي، بيروت ط2 ومصر درب الأتراك رقم 1 ج3 ص74.

⁵ الألوسي المصدر نفسه ج20 ص132.

الذي يقود الإعراب هنا. والمثال على ذلك قولهم: (زيدٌ هل قام أبوه؟) لكنهم لا يمانعون من إعراب الحروف المقطعة مبتدأً ، وجملة الاستفهام إلى نهاية الآية؛ خبر للمبتدأ. وأن يتركوا جملة تسدّ مسدّ مفعولين فعل الظن حسب. والرأي منقول عن ابن مالك وغيره: "الاستفهام للإنكار، والحسبان مصدر كالغفران، مما يتعلق بمضامين الجمل لأنه من الأفعال الداخلة على المبتدأ والخبر وذلك للدلالة على وجه ثبوتها في الذهن أو في الخارج من كونها مظنونة أو متيقّنة فتقتضي مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر أو ما يسدّ مسدّهما. وقد سدّ مسدّهما هنا -على ما قاله ابن مالك-: (أن يتركوا)¹. ويبدو أن هذا أيضا رأي سيوييه فيما أورده النحاس في إعراب القرآن: "أن" الأولى في موضع نصب بحسب، وهي وصلتها مقام المفعولين على قول سيوييه.²

ويكفي هنا رأي الرّجلين حتى لو كان الزمخشري مخالفا لهما حيث لا يرى الجملة المصدرية سادّة لمفعولين؛ إنّما هي أول المفعولين.³

ولا داعي للخوض أكثر في غمار هذا الموضوع فهو ليس الرئيس.

1-4-(الم) الروم:

قال الله تعالى: " **الْم** ۱ غُلِبَتِ أَلْرُومُ ۲ " وقال الزمخشري "الم" القراءة المشهور الكثيرة "غُلِبَت بضم الغين وسيغلبون بفتح الياء. والأرض أرض العرب. لأن الأرض المعهودة عند العرب أرضهم."⁴

والظاهر هنا أنه بعد أن تقدم ذكر (الم) في عدد من السور قبل سورة الروم؛ لم ير هنا حاجة إلى إعادة قراءتها أو حتى إعرابها، فرأى أن يصبّ كل اهتمامه على الفعل (غُلِبَت) لهذا لا تستغرب إن وجدت من المفسرين من يقول: "بسم الله الرحمن الرحيم الم1" الكلام فيه كالذي مرّ في أمثاله من الفواتح الكريمة.⁵

¹ الألويسي: روح المعاني ج 20 ص 133.

² إعراب القرآن : ص 725.

³ الكشاف: ج 20 ص 812.

⁴ المصدر نفسه: ج 11، ص 824.

⁵ الألويسي، روح المعاني ج 21 ص 17.

ويظهر أن هذه كانت السمة الغالبة على المفسرين آنذاك لكن ذلك امتدّ إلى كتب إعراب القرآن فتجد النحاس يقول: "الم ١ غُلِبَتِ الرُّومُ ٢" قال أبو جعفر: (يقصد نفسه)، هذه قراءة أكثر الناس، وروى عن أبي عمرو وأبي سعيد الخدري أنّهما قرآ: (غُلِبَتِ الرُّومُ) وحكى أبو حاتم أن عَصَمَةَ روى عن هارون أن هذه قراءة أهل الشام، وأحمد بن حنبل يقول: إن عصمة هذا ضعيف، وأبو حاتم كثير الرواية عنه والحديث يدل على أن القراءة (غُلِبَتِ) بضم الغين.¹ أما عند الزجاج فتجد قوله: "قد شرحنا ما جاء في (الم) وقرئت غُلِبَت بضم الغين، وقرأ أبو عمرو غَلَبَتْ بفتح الغين والمعنى أنّها غُلِبَت، وهي إجماع القراء."²

وإذا عدنا إلى إعراب (الم) في السور السابقة: مبتدأ فتكون الجملة الفعلية المبنية للمجهول في محل رفع خبر. وإذا سلمنا بإعراب الشنقيطي (السابق) الم: حروف مقطعة في محل رفع خبر مبتدأ محذوف تقديره اقرأ.

ولعله لا أحد يلومنا إذا توقفنا عند هذا الحدّ فيما يخصّ (الم) ولا داعي للتعرف إلى بقية السور (لقمان)³، فلا يكاد أحد من القراء أو المفسرين أو ممن تعرّضوا لآيات القرآن بالإعراب يخوض في هذا الموضوع.

¹ أبو جعفر بن إسماعيل النحاس: إعراب القرآن ص 735.

² أبو إسحاق إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه شرح وتحقيق عبد الجليل عبده شلبي ص 175.

³ تجد في إعراب سورة لقمان عند الزجاج: "قد فسرت في سورة البقرة جميع ما قيل في (الم) وما أشبهها". إعراب القرآن ص 193. وعند الألوسي: تمام الكلام في الآية قد تم في الكلام على نظيرها ج 21 ص 76 أما بالنسبة ل(الم) ورد في إعراب القرآن: (الم) تنزيل الكتاب) الاجتماع على رفع تنزيل، ورفع من ثلاثة أوجه أحدها بالابتداء والخبر (لاريب فيه) والثاني على إضمار مبتدأ أي هذا المتلّو تنزيل، والثالث بمعنى هذه الحروف تنزيل، و(الم) تدل على الحروف كلها كما تدل عليها أ، ب، ت، ث ولو كان تنزيل منصوباً على المصدر لجاز كما قرأ الكوفي: "إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم) (يس 3-5) إعراب القرآن ص 756.

وعند الألوسي ج 21 ص 116: "الم إن جعل اسماً للسورة والقرآن؛ فمحلّه الرفع على أنه مبتدأ محذوف. أي هذا (الم) وقوله تعالى (تنزيل الكتاب) خبر بعد خبر على أنه مصدرٌ باق على معناه، لقصد المبالغة أو بتقدير مضاف، أو هو مؤول باسم المفعول أي مُنَزَّلٌ وإضافته إلى الكتاب من إضافة الصفة إلى الموصوف أو بيانه بمعنى من وقوله سبحانه لا ريب فيه خبر ثالث"

2-المص في سورة الأعراف:

قال الله تعالى: **المص** ﴿١﴾ كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لَتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾".

تجدها في مصحف التجويد: **المص** الألف بالأسود تقرأ بغير ما مدّ واللام بالأحمر ممدودة مدّ لازماً بمقدار ست 6 حركات والميم والصاد حمران أيضاً بمدّ لازم لهما من حروف (نقص عسلكم) أو ستقص عملك) - كما يرد في كتب هذا العلم حيث ورد في كتاب مخارج وصفات الحروف العربية عند جمهور علماء التجويد.¹ "الألف لا يمدّ لأن هجاءها ألف اعتبر ساكن الوسط وليست مكونة من حرفين ثانيهما ممدود.

واللام تمدّ مدّاً لازماً ست حركات، وهو حرفيّ مثقل لكونها مدغمة فيما بعدها [الميم والصاد] كلاهما يمدّ مداً لازماً ست حركات وهو حرفيّ مخفّف".

وبخصوص إعراب يرى غير واحدٍ ومن بينهم الفخر الرازي أن (المص) مبتدأ، وقوله (كتاب) خبره، وقوله (أنزل إليك) صفة لذلك الخبر² ويرى آخرون من بينهم الألوسي أنها قَسَمٌ. "وقوله سبحانه: (كتاب) على بعض الاحتمالات خبر مبتدأ محذوف، أي هو أو ذلك كِتَابٌ. وقوله سبحانه: (أنزل إليك) أي من عنده تعالى صفة له مشرّفة لقدره وقدر من أنزل إليه صلى الله عليه وسلم"³ وتجد نظير هذا القول في الكشاف.⁴

¹ مصطفى أكرور: مصطفى أكرور: مخارج وصفات الحروف العربية عند جمهور علماء التجويد، دار الخلدونية، الجزائر، 2013، ص710.

² ينظر مفاتيح الغيب ج 14 ص 17.

³ شهاب الدين الألوسي: روح المعاني ج 8 ص 75.

⁴ الزمخشري: ج 8 ص 355.

*الإشمام: قال ابن الجزري بأنه: "حالة من حالات الوقف على الصوت في الكلمة المرفوعة وهي أن تقف على صوت دون إتباعه، وإنما تضم شفتيك فقط، أو هو الإشارة إلى حركة الرفع من غير صوت" النشر ج 2 ص 221.

** التفخيم: جاء في كتاب المنير في التجويد تعريف "التفخيم لغة: التسمين والتعظيم... واصطلاحاً تسمين صوت الحرف يجعله في المخرج سمياً وفي الصيغة قوياً، وذكر ابن الطحان (ت 560هـ) التعريف الاصطلاحي الآتي فهو يعرف التفخيم "سمن يدخل على الحرف عند النطق به فملاً الفم بصداه، وذلك لتضييق الحلق وتصدع صوت الحرف إلى قبة الحنك فيسمع له نبرة قوية" الأبناء

والاختلافات في الإعراب نابعة عن الاختلاف في التفاسير لهذا لاجابة هنا الاستفاضة في هذه الاختلافات لأنها قد تقودنا إلى رحاب التفسير، وليس هذا بابه ولعله من الأفضل حالياً الولوج في قراءة وإعراب بداية سورة مريم.

2-الـ:

ابتدأت بها مجموعة من السور تسمى بالراءات نسبة إلى الراء وهو الحرف الفارق بينها وبين الميمات (المبدوءة ب الم)، وعددها خمس سور إذا استثنينا سورة الرعد المبدوءة ب (الم)، لكنها غير مستثناة من الدراسة إنما هي مؤجلة فقط.

و تقرأ الألف دون مد وتمد اللام مدا لازما بمقدار ست حركات أما الراء فتمد مداً طبيعياً بمقدار حركتين(را).¹

3-1-الـ - يونس:

قال الله تعالى: "الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾" ذكر الألويسي في روح المعاني (بسم الله الرحمن الرحيم الر) بتفخيم الراء المفتوحة وهو الأصل وأمال أبو عمرو وبعض القراء إجراءً لألف الراء مجرى الألف المنقلبة عن الياء فإنهم يميلونها تنبيهاً على أصلها، وفي الإمالة هنا دفع توهم أن تكون - را- حرفاً كما و لا فقد صرّحوا أن الحروف يمتنع فيها الإمالة*². وقرأ ورش بين-بين.¹

في تجويد القرآن الكريم، منشور في مجلة الأحمديّة بدبي، عن مجلة جامعة تكريت للعلوم، المجلد 19، العدد 9، أيلول 2012 ص 189.

¹ ما يمدّ مداً طبيعياً بمقدار حركتين وذلك في خمسة حروف فقط وهي: (حا، يا، طا، ها، را)، مجموعة في عبارة (حي طهر)، ومواضعها في السور الآتية: (حا) من ﴿حم﴾. (يا) من ﴿يس﴾ و ﴿كهيعص﴾. (طا) من ﴿طسم﴾ و ﴿طس﴾. (ها) من ﴿طه﴾ و ﴿كهيعص﴾. (را) من ﴿الر﴾ و ﴿المر﴾. وتقرأ هذه الحروف بلا همز عند تلاوتها (خا، يا، طا، ها، زا) مصطفى أكرور: مخارج الحروف وصفاتها عند علماء التجويد، الدار الخلدونية، الجزائر ط 1 2013 م ص 710.

*الإمالة لغة: الانحراف والعدول عن الشيء أو الإقبال عليه، وكذلك الميلان، ومال الشيء يميل ميلاً، وممالاً وممياً، وممياً. الإمالة اصطلاحاً: هي: "أن تميل بالألف نحو الياء، والفتحة نحو الكسرة، وعرفها الفراء بقوله إنهما: "ضد الفتح، وهي نوعان إمالة كبرى وإمالة صغرى، فالإمالة الكبرى حدّها أن ينطق بالألف مركبة على فتح يصرف إلى الكسر قليلاً، والعبارة المشهورة في هذا بين اللفظين، أعني بين الفتح الذي حددنا، وبين الإمالة الكبرى" وقد نسب القراء الإمالة إلى أهل نجد من (تميم)، و(أسد)، و(قيس) أما الفتح فنسبوه إلى لهجة الحجازيين²، والإمالة تعد مظهرًا من مظاهر السرعة في لغات القبائل النجدية، والتفخيم من

ولعل الألوّسي هنا يحاول التفريق بين الراء كحرف مقطّع، ومصطلح حرف المستعمل في النحو للتعبير عن حروف المعاني مثل: ما، ولا وغيرها من الحروف. لكن الفكرة وصلت مع حرصه الشديد لأن تلك الحروف ممنوعة من الإمالة.

وذكر ابن مجاهد في القراءات السبعة أن العلماء: "اختلفوا في الإمالة والتفخيم من قوله: (الر) فقرأ ابن كثير (الر) مفتوحة الراء. وقال حفص عن عاصم: (الر) خفيف تام لا يُمدّ الراء في كل القرآن، وهي غير مكسورة. وقال عبيدة عن حفص، عن عاصم: (الر) مكسورة وقرأ نافع في رواية المسيّب: (الر) مفتوحة وليست ممدودة وقال أحمد بن صالح عن ورش، وقالون (الر) لا يُفخّم الراء نافع. وقال ابن جَمّاز: نافع بكسر الراء.²

ولعلنا نأخذ حكما مهما من كلام ابن مجاهد يخصّ أحكام الراء في القرآن الكريم، لا يُمدّ الراء في كل القرآن لكن المصطلح على أحكام المدّ يجد الراء من حروف (حيّ طهر) التي تمدّ مدا طبيعيا بمقدار حركتين ولعلّ مراد حفص هنا الراء في الحروف المقطعة لأنها لا تمدّ في أي سورة من سور الراءات بما فيها الرعد.

أما المقصود بقوله مكسورة يعني مماله، ونافع يكسر الراء يعني يميلها. وهذا ما شرحه شوقي ضيف على هامش التحقيق.³

أما بالنسبة إلى الإعراب، فذكر الألوّسي رأيين الأول منهما وهو الأقل شيوعا وهو تابع لمعناها والقائلين بالإتيان بها بطريق التحدي وعليه فلا محلّ لها من الإعراب.

مظاهر التأني في لغة الحجازيين، ورأي المحدثين لا يكاد يختلف في أصوله عن كلام القدماء، سواء كانوا نحاة أم قراء، يقول الدكتور عبد الفتاح شلي: "إن المحدثين حين يتحدثون عن الإمالة يقسمون الأصوات إلى Consonant Vowels، ويسمون الأولى ساكنة، والأخرى لينة، وأصوات اللين هي الحركات من فتحة وكسرة وضمّة، وكذلك الألف اللينة والياء اللينة والواو اللينة.. ولا فرق بين أن تمال الفتحة أو تمال ألف المدّ؛ لأن العملية العضلية في الحالتين واحدة، وكل ما هنالك أنّ الأصوات اللينة تختلف من ناحية طول المدة التي تستغرقها وفي العادة يستمر الصوت اللين الطويل ضعف الصوت القصير.

¹ روح المعاني ج8 ص58.

² القراءات السبعة ص322.

³ ابن مجاهد كتاب السبعة في القراءات ص322.

أما الأكثرون فهم أصحاب الرأي القائل بأن محلها الرفع على أنها اسم للسورة ومن ثم اختلفوا في رفعها على الابتداء أو أنها خبر لمبتدأ محذوف وهو (الآلوسي) يؤيد الرأي الأخير.¹ لكن ذلك لا يتوقف هنا إذ يترتب عليه رأيان أيضا في إعراب تلك فيما أن تعرب خبرا للمبتدأ، أو مبتدأ ثانيا أو بدلا من الأول لكن لا حاجة هنا للتفصيل أكثر في ذلك فإعرابها تابع لتأويل معناها ومدلولاتها وليس هذا بابه.

3-2- إعراب الر (هود):

لا بد من الإشارة هنا إلى أن قراءة الر في الرءاءات لا تختلف كون الرءاء الأخيرة لا تمد مدّا لازما ويكتفى فيها بالتفخيم وظاهرة تفخيم الرءاء متعلقة بما قبلها وليست متعلقة بما بعدها لهذا فشأن الرءاءات غير شأن اللامات فالرءاءات أكثر ثباتا من ناحية القراءة. قال الله تعالى: "الرَّ كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾" بالنسبة لإعراب (الر) فلا تكاد تختلف فتجد النحاس يمر مباشرة إلى إعراب (كتاب) دون التذكير بإعراب (الر)² وكذلك فعل الزجاج³ أما الآلوسي فيقول اختار غير واحد من المتأخرين كونها اسما للسورة وأنها خبر مبتدأ محذوف أي هذه السورة مسماة - بالر - وقيل محلها الرفع على الابتداء أو النصب بتقدير فعل يناسب المقام نحو اذكر أو اقرأ: وقوله سبحانه: (كتابٌ) خبر لها على تقدير ابتدائها أو لمبتدأ محذوف على غيره من الوجوه، ولتنوين فيه للتعظيم أي: كتاب عظيم الشأن جليل القدر (أحكمت آياته) أي نظمت نظما محكما.⁴

وهذا لا يتعارض مع رأي الزجاج الذي قال: "كتاب مرفوع بإضمار هذا كتاب، وقال بعضهم: كتابٌ خبر (الر) وهذا غلط لأن قوله: "الرَّ كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾" ليس هو (الر) وحدها.⁵ لكن النحاس تفادى إعراب (الر) ومرر الكرام على

¹ روح المعاني ج 8 ص 59.

² أبو جعفر أحمد بن محمد بن محمد بن إسماعيل النحاس: إعراب القرآن 409. وتجذ الفراء في معاني القرآن يقول: "رفعت الكتاب بالهجاء الذي قبله كأنك قلت حروف.

³ أبو إسحاق إبراهيم السري معاني القرآن وإعرابه ج 3 ص 37.

⁴ روح المعاني ج 11 ص 203.

⁵ الزجاج: معاني القرآن وإعرابه ج 3 ص 37.

كتاب فقال: " (كتاب) بمعنى هذا كتاب (أحكمت آياته) في موضع رفع نعت لكتاب¹، وغير بعيد؛ في بداية سورة يوسف تجد إعرابا مطابقا "الرَّ ۙ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ" التقدير هنا تلك آيات الكتاب على الابتداء والخبر²، ولا تعثر على غير هذا الإعراب في الكتب المخصصة لذلك، وتجد قول الألويسي أصدق تعبير (بسم الله الرحمن الرحيم الر) الكلام فيه وفي نظائره شهير وقد تقدم لك ما فيه إيضاح³

3-3- (الر) إبراهيم: قال الله تعالى: "الرَّ ۙ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾" 

ما قيل في قراءة الر هود ويونس تنطبق على قراءة (الر) يوسف وإبراهيم. وبالنسبة لإعراب (الر) إبراهيم فيكاد يتجاوزها الجميع فلا تعثر لإعرابها على أثر سوى عند الألويسي: " (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الرَّ ۙ) مَرَّ الْكَلَامُ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ (كِتَاب) جَوَّزَ فِيهِ أَنْ يَكُونَ خَبْرًا لـ (الر) - على تقدير كونه مبتدأ أو المبتدأ مغمر على تقدير كونه خبرا لمبتدأ محذوف أو مفعولا لفعل محذوف أو مسرودا على نمط التعديد وجَوَّزَ أَنْ يَكُونَ خَبْرًا ثَانِيًا لِلْمَبْتَدَأِ الَّذِي أَخْبَرَ عَنْهُ - بِالر - وَأَنْ يَكُونَ مَبْتَدَأً وَسَوْغَ لَابْتِدَاءِ بِهِ كَوْنَهُ مَوْصُوفًا فِي التَّقْدِيرِ أَي كِتَابٍ عَظِيمٍ." ⁴

ههنا وضع أبو الفضل يده على سبب تجاوز المفسرين (الر) قراءة وتفسيرا وإعرابا كلما توغلنا في الرءات بقوله: "مَرَّ الْكَلَامُ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ" وربّ ملاحظ يلمس أن إعراب (الر) لم يطرأ عليه تغيير ففريق يراها مبتدأ وآخر يراها خبرا لمبتدأ محذوف أو مفعولا لفعل محذوف أيضا بل لم ير حاجة إلى تأويل الفعل المحذوف الذي أشير إليه في سابقات السور القرآنية وهو إقرأ، والملاحظة ذاتها تتعلق (بالر) الحجر.

3-4- الر يوسف: قال الله تعالى: "الرَّ ۙ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾" 

¹ إعراب القرآن مصدر سابق ص 409.

² المصدر نفسه ج 11 ص 203.

³ ج 12، ص 170.

⁴ روح المعاني ج 13 ص 180.

3-5- الر الحجر: قال الله تعالى: "الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رَبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾"

لا تغيير يذكر يخص القراءة بل أن بداية الآية (الر تلك آيات الكتاب) تشترك فيها أغلب السور الرائية فهي بداية سورة يونس (الر تلك آيات الكتاب الحكيم) و سورة يوسف (الر تلك آيات الكتاب المبين) والرعد (الر تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق..). والحجر: (الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) وبهذا سبق إعراب الر تلك آيات الكتاب فيما تقدّم ولا حاجة لإعادته لكن هنالك شيئاً في الآية أحسبه مهما كونه متعلق بالراء لكنها بداية الآية الثانية. "ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين"¹

ورد في إعراب القرآن (ربما) فيه ثمانية اوجه: قرأ الأعمش وحمزة والكسائي (ربما) مثقلة وقرأ أهل المدينة وعاصم (ربما) مخففة والأصل الثقيل، والعرب تخفف المثقل ولا تثقل المخفف. قال إسماعيل بن إسحاق: حدثنا نصر بن علي عن أبيه عن الأصمعي قال: سمعت أبا عمرو العلاء قرأ (ربما) مخففة ومثقلة. قال: التخفيف لغة أهل الحجاز والثقل لغة تميم وقيس وبكر، وحكى أبو زيد أنه يقال: رُبَّتْمَا وَرَبَّتْمَا، وعلى هذا تأنيث الكلمة فهذه أربع لغات وحكى أبو حاتم: رَبَّمَا وَرَبَّتْمَا وَرَبَّتْمَا. ولا موضع لها من الإعراب عند أكثر النحويين لأنها كافة جيء بها لأن رب لا يليها الفعل²

بعد هذا الإسهاب في الكلام عن قراءات ربما بلغات الأمصار نكون قد أنهينا السور المبدوءة بالر ولم يتبق سوى سورة الرعد مبدوءة بالر.

4- المر الرعد:

¹ الحجر الآية 2.

² النحاس 485.

قال الله تعالى: "الْمَرْجُ تَلْكَ ءَايَةُ الْكِتَابِ... ١"

وردت (المر) في بداية سورة الرعد ولا توجد في بداية سواها. تقرأ الألف دون مدّ وتمدّ اللام مدّا لازما بمقدار 6 حركات وكذلك الميم أما الراء فتقرأ مفحّمة مع مدّ لين بمقدار حركتين لذا جاءت في مصحف التجويد باللون الأزرق القاتم بينما اللام والميم باللون الأحمر. "وقد أمالها أبو عمرو والكسائي وفخمها جماعة منهم عاصم¹، ويكاد يجمع شراح القرآن ومعربون خبرا أو مبتدأ² ثانياً لكن سواء كان هذا أو ذاك فإن إعراب الراءات تكاد تكون واحدة في اغلب السور إذا لم نقل كلها³.

5- كهيعص: في بداية سورة مريم قال الله تعالى: "كهيعص ١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَّرِيًّا ٢" تتضمن خمسة مقاطع وفي قراءتها أوجه:

الكاف: في مصحف التجويد بالأحمر تمد مدا لازما بمقدار ست حركات لأنها من أحرف نقص عسلكم. قرأ الجمهور الكاف بإسكان الفاء وليس في ذلك خلاف وإنما الخلاف جلّه حول الهاء والياء: وهي من أحرف (حي طهر) وتمدان مد لين بمقدار حركتين. لذا قرأها ابن كثير بالفتح هاء، ياء، وقرأ أبو عمرو (كهيعص) بكسر الهاء وفتح الياء وقرأ الحسن بضمّ الهاء وعنه أيضا ضمّ الياء وكسر الهاء، وعن عاصم ضم الياء وعنه أيضا كسرهما، وعن حمزة فتح الهاء وكسر الياء⁴.

ويبدو أن المراد بالضم ليس الضم على توجّه النحاة ولا الكسر أيضا إنما أريد بالضم الإشمام* وشيء من التفخيم** وبالكسر الإمالة.

وليس لنا في هذا المقام إلا تأسيس المصطلح من عند النحاة فتجد الزجاج يقول: "فيها في القراءة ثلاثة أوجه: فتح الهاء والياء، وكسرهما، وقرأ الحسن بضمّ الهاء وهي أقلّ اللغات فأما الفتح فهو الأصل، تقول ها، با، تا في حروف الهجاء، ومن العرب من يقول هابا بالإمالة ومنهم من ينحو نحو الضم فيقول هُا، يَأ. يُثِثُّ الضمّ، أما من روى ضمّ الهاء مع ضمّ الباء، قليل منه⁵ وحكى الألوسي

¹ مفاتيح الغيب: الرازي ج 13 ص 85.

² ينظر النحاس: إعراب القرآن ص 466.

³ يمكن مراجعة الصفحات السابقة من هذا المبحث.

⁴ الألوسي: روح المعاني ج 16 ص 57.

⁵ معاني القرآن وإعرابه وتجد تأكيدا على الإمالة والإشمام على هامش تحقيق د عبد الجليل عبده شليبي ج 3 ص 317.

قول أبي الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن المقرئ الرازي¹. "إن الضّم في هذه الأحرف ليس على حقيقته وإلا وجب قلب ما بعدهنّ من الألفات وأوات بل المراد أن ينحى هذه الألفات نحو الواو على لغة أصل الحجاز وهي التي تسمى ألف التفخيم ضد الإمالة، وهذه الترجمة كما ترجموا عن الفتحة الممالة المقربة من الكسر بالكسر لتقريب الألف بعدها من الياء" ويرى الألوسي أن وجه الإمالة والتفخيم أن هذه الألفات لما لم يكن لها أصل حملوها على المنقلبة عن الواو تارة، وعن الياء أخرى بتجوّز الأمر دفعا للتحكم.²

وإن كان الإشمام للتفخيم لغة أهل الحجاز فالإمالة لغة أهل المدينة والبصرة، قال أبو جعفر النحاس: "قراءة أهل المدينة من أحسن ما في هذا، والإمالة جائزة في (ها) وفي (با) وما أشبهها نحو با و تا، إذا قصرت، وهذا قول الخليل وسيبويه وحكى لي عليّ بن سليمان أن البصريين ينفردون بالكلام في الإمالة، وأن الكوفيين لم يذكروا ذلك كما ذكروا غيره من النحو إنما جازت الإمالة عند سيبويه والخليل".³

العين والصاد: وردت في مصحف التجويد بالأحمر لذا تمدان مدا لازما بمقدار ست حركات.

ذكر ابن مجاهد في كتاب السبع في القراءات⁴ أن: "ابن كثير بيّن الدال في هجاء صاد، وأبو عمرو يدغم هذه الدال في ذال ذكر، أما محمد بن إسحاق وأبوه؛ فهما لا يدغمان الدال التي في هجاء الصاد في الذال. لكن ابن سعدان عن إسحاق المدني عن نافع في ورش وقالون لا يبيّن نون العين ولا ذال الصاد، بل يدغمهما في ذال ذكر ولا يدغمهما. لكنّ الكسائي لا يبيّنهما، كما قرأ حفص عن عاصم وفرقة؛ بإظهار النون* من عين، والجمهور على إخفائها**".⁵

¹ روح المعاني ج16 ص57.

² المصدر نفسه ج16، ص57.

³ إعراب القرآن ص557.

⁴ تحقيق شوقي ضيف ص406 وانظر أيضا النحاس إعراب القرآن ص557.

⁵ ينظر الألوسي روح المعاني ج16 ص57.

*الإظهار لغةً هو البيان واصطلاحاً معناه: إخراج كل حرف من حروفه من مخرجه من غير غنة ويسمى هذا النوع من الإظهار إظهاراً حلقياً لخروج حروفه من الحلق، والسبب في إظهار النون الساكنة والتنوين عند هذه الأحرف الستة بعد المخرج أي: بعد مخرجهما عن مخرج هذه الأحرف، فقد علمنا أن النون تخرج من طرف اللسان، وهذه الستة تخرج من الحلق، وهي: الهمزة والهاء،

و لعلّ ما يهمننا في هذا كله قراءة ورش عن نافع لكن المتصفح للمصحف الشريف يجد أن الحروف في هذه السورة آية منفصلة تسبقها(ص) فوق الضاد وهذا يعني أن الصاد موقوف عليها، لكنّ الوقف هنا عند ورش ليس وقف تمام، والخلاف وقع في نوعية الوقف على الصاد فمن يدغم الدال في الذال لا يقف عليها، ومن يرى تبيين الدال وعدم إدغامها يقف عليها وقف تمام. ولعلّ هذا ما عناه النحاس عندما قال: لا اختلاف في إسكانها.¹ والرجّاح حيث ادّعى أنها أسكنت لأنها حروف تهجّ النية فيها الوقف.² وما حكاها الألوسي "قرأ أبو جعفر بتقطيع هذه الحروف وتخليص بعضها من بعض. واقتضى ذلك إسكان آخرهن، والتقاء الساكنين مغتفر في الوقف"³. والتقاء الساكنين يكون في كاف وعين وكذلك في صاد، أما الياء والهاء فتقرأ ياءً، هاءً وليس فيها التقاء السواكن. وإن يكن فذلك مسموح به لأنه من صميم القوانين الصوتية التي تحكم الإيقاع القرآني والفاصلة القرآنية.

وكان للإعراب نصيب من الاختلاف تبعاً للاختلاف في التفسير، فإذا سلّمنا أنّ كل حرف منها أخذ من اسم من أسماء الله الحسنى مثل: (كافٍ، هادٍ عالمٍ صادٍ = فلا محلّ لأي حرف منها من الإعراب متفرقة كانت أو مجموعة؛ وقيل إن كل حرف على نية الإتمام خبر مبتدأ محذوف أي هو هادٍ، هو كافٍ...

واثنان من وسطه وهما: العين المهملة والحاء المهملة، واثنان من أدناه وهما: الغين المعجمة والحاء المعجمة، فعلم من ذلك أن مخارج الحلق ثلاثة وحروفه ستة وهي: الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والحاء، نحو: {من إله} و: {رسول أمين}، و: {من هاجر}، و: {جُزِفَ هارٍ}، و: {من عند}، و: {أجرٌ عظيم}، و: {من حكيم}، و: {وخيراتٌ حسان}، و: {من غلٍ}، و: {ماءٌ غير}، و: {من خوف}، و: {نداءٌ خفياً}

**إخفاء في أحكام النون الساكنة والتنوين هو النطق بأحرف الإخفاء بين الإظهار والإدغام فيما بينهما، مع لفظ الحرف الأول بغنة بدون تشديد، والحرف الأول يكون إما نوناً ساكنة أو تنويناً. وحروف الإخفاء في التلاوة هي خمسة عشر حرفاً من أحرف الأبجدية، وهي: ص، ذ، ث، ك، ج، ش، ق، س، د، ط، ز، ف، ت، ض، ظ، وتجمع أحرفها في أوائل كلمات هذا البيت الشعري: صف ذا ثنا كم جاد شخص قد سما دم طيباً زد في تقي ضع ظالماً وسمي الإخفاء بهذا الاسم لأنّ النون الساكنة والتنوين إذا ألحقت بأحد حروف الإخفاء لا يلفظ الحرف ويذول ويخفى، وتبقى صفتة فقط، ولذلك يسمّى هذا النوع من الإخفاء إخفاء حقيقياً، وقد يأتي الإخفاء في كلمة واحدة مع النون الساكنة، أو في كلمتين مع النون الساكنة والتنوين.

¹ النحاس: إعراب القرآن ص 557.

² الرجّاح: معاني القرآن وإعرابه ج 3 ص 218.

³ الألوسي: روح المعاني ج 16 ص 57.

وعلى القول بأنها: حروف مسرودة لا محل لها من الإعراب، وعلى اعتبار أنها كلمة تقال في موضع النداء وهو اسم من أسمائه تعالى؛ فهو منادى، وتبعاً لذلك اختلفوا في إعراب ذكر فمنهم من أعربها خبر لمبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره محذوف.¹

5- طه: في بداية سورتها :

قال الله تعالى: "طه ١ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ٢" قراءة أهل المدينة بفتح الطاء والهاء وكذلك قراءة ابن عمر بن العلاء²

قراءة أهل الكوفة بالإمالة إلا عاصم، إذ رُوِيَ عنه اختلاف في القراءة.³ حيث قرأ في رواية أبي بكر وحمزة والكسائي: (طه بكسر الطاء والهاء)⁴ ولعلّ الكسر هنا بمعنى الإمالة فتجد في روح المعاني:⁵ "وأمال الحرفين حمزة والكسائي وأبو بكر".

القراءة الثانية: "قرأ أبو عمرو في غير رواية عباس عن عاصم (طه) بالتفخيم،⁶ وفي روح المعاني: "فخمها على الأصل ابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب وهو إحدى الروايتين عن قالون وورش".

ولعل ما يهمنا هنا _أكثر من أهمية حفص وعاصم_ رواية ورش ونافع لأنها المعمول بها والمتداولة عندنا (أهل المغرب العربي) والرواية الأولى عند الألوسي أنها مفخمة وهذا يعني فتحها⁷.

"والرواية الثانية أنهما (يقصد ورش وقالون) فخما الطاء وأمالا الهاء."⁸

¹ ينظر التفاصيل عند الألوسي، روح المعاني ج 16 ص 58.

² انظر النحاس: إعراب القرآن ص 576.

³ انظر النحاس المصدر نفسه ص 576.

⁴ انظر ابن مجاهد: كتاب السبع في القراءات ص 416.

⁵ الألوسي ج 16 ص 148.

⁶ الألوسي ج 16 ص نفسها.

⁷ قال محمد بن إسحاق المسيب عن أبيه عن نافع: (طه) بفتح الطاء والهاء وكذلك قال القاضي عن قالون: مفتوحتان ابن مجاهد: كتاب السبع في القراءات

⁸ الألوسي: روح المعاني ج 16 ص 238.

ويذكر ابن مجاهد أن نافع قرأ (طه) بين الفتح والكسر وهو إلى الفتح أقرب... فكأنه يشدهما للكسر... وقال الأصمعي عن نافع: (طه) كأنك تقطعها.¹

فلو قلت: إن الطاء من حروف الاستعلاء وحروف الاستعلاء تمتنع عن الإمالة!

فرد بقول الألويسي: "إنها لا تستعلي لقصد النحاس".² يعني مجاورة الهاء والطاء. ورفض كذلك النحاس الإمالة لأن لاوجه لها لذات السبب حدده الألويسي أي أن الطاء مستعلية والثاني أنه لسبب هنالك ياء ولا كسرة من مقتضيات الإمالة وهاتان علتان يبتتان.³

لكن سيويه أجاز الإمالة في حروف المعجم بوصفها أسماء للحروف وتفريقا بينها وبين حروف المعاني.⁴

ويبدو أن (طه) -على قصرها (مكونة من حرفين، يقابلها مقطعان صوتيان)- إلى أن المسائل الصوتية لم تقف فيها على التفخيم والإمالة والوقف والإشمام. بل تعدت هذه الحدود لتصل إلى الإبدال الحرفي.

فتبعا لمعناها بالعربية -تفاديا للقول بعجمية هذه اللفظة- طأ الأرض بقديمك جميعا ولا تشدّ على رجل واحدة أثناء الصلاة والأمر موجّه إلى النبي (ص) إذ كان يقوم في تهجده على إحدى رجليه فأمر بأن يطاء الأرض بقدميه معا وأن الأصل طأ فقلبت همزته هاءً أو قلبت ألفا والهاء للسكت.⁵ ويوافق من النحاة غير واحد على هذا فرأى النحاس أن الهمزة أبدلت هاءً مثل إياك هياك⁶. ورأى الزجاج أن من قرأ طه بإسكان الهاء ففيها وجهان أحدهما أن لكون أصله (طأ) بالهمزة فأبدلت منها

¹ كتاب السبع في القراءات ص 116.

² روح المعاني ج 16 ص 148.

³ إعراب القرآن ص 576.

⁴ الكتاب ج 2 ص 267.

⁵ انظر الزمخشري الكشاف ص 650 وأيضاً الزجاج: إعراب القرآن ص 576.

⁶ انظر إعراب القرآن ص 576.

الهاء كما قالها في أَرَقْتُ الماءَ هَرَقْتُ وجائز أن يكون من (وَطِي) على ترك الهمزة فيكون ط ياهذا، ثم جاء بالهاء لبيان الحركة في الوقف.¹

إعرابها: اختلف في إعراب هذه الحروف حسب الاختلاف في المراد منها لكن رأي الجمهور أنه لا محل لها من الإعراب وكذا ما بعدها من قوله (مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى) لأنه استئناف مسوق لتسليته صلى الله عليه وسلم، عما كان يعتريه من جهة المشركين من التعب.

ويجوز فيها أن يكون محلها الرفع على الابتداء والجملة بعدها خبره. وقد أقيم فيها الظاهر (أعني القرآن) مقام الضمير الرابط لنكتة هي: أن القرآن رحمة يرتاح لها، وليس بسبب شقاء.

وقيل الخبر محذوف، وقيل هو خبر لمبتدأ محذوف، لكن الجملة على القولين مستأنفة.

وجوّز أن يكون محله نصب على إضمار أتل. وقيل أنه مُقَسَّمٌ به على حذف حرف القسم وانتصب بفعله المضمر ويجوز أن يكون محله الجزر بتقدير حرف القسم والجملة بعده على تقدير إراحة المقسم جواب القسم. وجوّزت هذه الاحتمالات على تقدير أن يكون المراد منه السورة، وأمر ربط الجملة على تقدير ابتدائيتها وخبريتها؛ إن كان القرآن خاصاً بهذه السورة— باعتبار كون تعريفه عهدياً حضورياً ظاهراً— وإن كان عامّاً؛ فالرابط به لشموله للمبتدأ².

6- طسم بدايتي سورة الشعراء والقصص:

بسم الله الرحمن الرحيم " طسّم ١ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢ "، في مصحف التجويد الملون: طسم الطاء بالأسود فهذا يعني أنها تقرأ قراءة طبيعية دونما مدّ أو تفخيم بينما كتبت السين والميم بالأحمر دلالة على مدّ لازم مقداره ست حركات لكل حرف منهما لكن الطاء أحد حروف حتى طهر ولا بأس بالتذكير هنا أنها تمتدّ بمقدار حركتين.

ورد في الكشف: بتفخيم الألف وإمالتها وإظهار النون وإدغامها³ والزخشي هنا يضع أمامنا مخططاً لقراءة طسم يمكن أن نجد تفصيله في الكتب المتخصصة في القراءات.

¹ معاني القرآن وإعرابه ج3 ص349.

² انظر تفصيل هذا الإعراب كتاب روح المعاني ج16 ص150.

³ الزخشي ج2 ص754.

طا ← بتفخيم الألف
← بالإمالة

سين ← بإظهار النون
← بإدغامها.

وذكر النحاس¹ أن الكوفيين كانوا يكسرون

طا <

وأن المدنيين يقرؤون بين الفتح والكسر

فمن ذا الذي كان يقرأ بفتح الطاء وتفخيمها؟ وماهي حجته في ذلك؟² يقول الألوسي: "أمال فتحة الطاء حمزة، والكسائي وأبو بكر، وقرأ نافع كما روى عنه أبو علي الفارسي في الحجة بين بين، ولم يُملِ صِرفاً."³ وحجته في ذلك أن الألف هنا منقلبة عن ياء فلو أميلت انتقض العرض من القلب وهو التخفيف.

لكن من يدري عن الياء المنقلبة التي قصدتها الألوسي إذ كان قد فسر الطاء بأنها مخففة من ذي الطول؟ وواصل عن نافع! (يهمنا بوصف قراءته أصل رواية ورش): "روى بعض أنه قرأ كباقي السبعة من غير إمالة، لأن الطاء حرف استعلاء يمنع من الإمالة"⁴

بالنسبة إلى السين: قال النحاس: "قرأ المدنيون وأبو عمر وعاصم والكسائي (طسم) بإدغام النون في الميم والقراء يقولون بإخفاء النون، وقرأ الأعمش وحمزة (طسين ميم) بإظهار النون" وينقد النحاس هذه القراءة عن طريق أحكام النون الساكنة والإدغام في كتاب سيبويه.¹

¹ إعراب القرآن ص 674.

² ورد في كتاب السبع القراءات: "اختلفوا في إدغام النون من س عند الميم وبيانها وكسر الطاء وفتحها من (طسم) فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر: (طسم) بفتح الطاء وإدغام النون، غير أن خارجة روى عن نافع: (طسم) بكسر الطاء وإدغام النون. وقال خلف عن إسحاق المسيبي، عن نافع: الطاء غير مكسورة ولا مفتوحة، وهي إلى الفتح أقرب. وقال ورش وقالون عن نافع: الطاء مفتوحة وسطاً من ذلك. وقال يعقوب عن نافع وأبي جعفر: (ط س م) يقطعان كل حرف على حدة. وقال الكسائي عن إسماعيل عن نافع يوجب رواية يعقوب بن جعفر عن أبي جعفر ونافع: بيان النون من (طسم). ابن مجاهد ص 470.

³ روح المعاني ج 19 ص 58.

⁴ المرجع نفسه ص 58.

حيث أن لها أربعة أقسام:

- 1- يبيّنان (التنوين والنون) عند حروف الحلق.
- 2- و يُدغمان عند الراء واللام والميم والواو والياء.
- 3- يقلبان ميمًا عند الباء.
- 4- يكونان عند الخياشيم (أي هما من حروف الغنة).

وعن طريق الأحكام الأربعة السابقة حكم النحّاس بعدم جواز هذه القراءة (إظهار النون)، لأن ليس ههنا حرف من حروف الحلق فتُبين النون عنده.

لكنه استدراك أن من شروط صحة القراءة موافقة ولو وجهٍ واحداً من وجوه العربية. فقال: "ولكنّ في ذلك وجهٌ وهو أنّ حروف المعجم حكمها أن يوقف عليها فإذا وُقف عليها تبيّنت النون."²

وورد في روح المعاني الحكم الأخير نفسه ويرر الإدغام بسبب آخر يبدو مقنعا أيضا: "قرأ حمزة بإظهار نون سين لأنه في الأصل أحد أسماء الحروف المقطّعة؛ منفصل عمّا بعده وأدغمها الباقون لما رأوها متصلة في حكم كلمة واحدة خصوصا على القول بالعلميّة."³

ميم: "قرأ عيسى بكسر الميم هنا وفي القصص، وجاء كذلك في نافع، وفي مصحف عبد الله (يقصد عبد الله بن مسعود) (ط س م) من غير اتصال وهي قراءة أبي جعفر" وجعفر من شيوخ نافع. ذكر ذلك شوقي ضيف على هامش تحقيق كتاب السبعة في الرّاءات حيث أكّد ابن مجاهد على هذه القراءة عن طريقين: رواية يعقوب بن جعفر عن نافع: (ط س م)، يقطّعان كل حرف على حدة"، ورواية الكسائي عن إسماعيل بن جعفر عن نافع قراءة طسم بتبيين النون.⁴ وهذه الرواية تثبت الأولى فالداعي إلى بيان النون هو ذاته الداعي إلى بيان الميم وهو تقطيع الحروف والوقف على كل واحد.

¹ ج 2 ص-ص 414-415.

² إعراب القرآن ص 674.

³ الألوسي ج 19 ص 58.

⁴ انظر السبع في القراءات ص 470 (المتن والهامش).

وهكذا لا يكون لها محلّ من الإعراب وتكون تلك مرفوعة على إضمار المبتدأ المقدّر بهذه فيكون التقدير (هذه تلك آيات الكتاب المبين) وآيات بهذا تكون بدلا من تلك. ويجوز أن تكون (تلك) في موضع نصب مفعول به نقدم الفعل نتلو والفاعل مستتر وآيات بدل منها أيضا وتنصب بالكسرة نيابة عن الفتحة وذلك نظير قولك زيّدًا ضَرَبْتُ¹

7- (طس) بداية سورة النمل:

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: طسٌ تِلْكَ ءَايَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ١" جاء في

مصحف التجويد الملون برواية ورش عن نافع طسّ الطاء بالأسود وهذا يعني قراءتها عاديا بدون مدّ أما السين فهي باللون الأحمر وهذا يعني مدّها مدّا لازما بمقدار ست حركات. ومن المعروف أن الطاء من أحرف حيّ طهر وتقرأ هذه الأحرف عادة حرفين ثانيهما حرف

مدّ، ويمدّ بمقدار حركتين طا //²، جاء في الكشاف: " (طس) قرئ بالتفخيم والإمالة."³

(تلك): إشارة إلى السورة... وأداة البعد للإشارة إلى بُعد المنزلة في الفضل والشرف أو إلى الآيات التي تتلى، ومحلّها الرفع على الابتداء خبرها قوله تعالى: (آيات القرآن) والجملة مستأنفة أو خبر لقوله تعالى: (طس) وإضافة (آيات إلى القرآن) لتعظيم شأنها.⁴

وهذا يعني أن طس في محل رفع مبتدأ خبره الجملة الاسمية المتكونة من اسم الإشارة (تلك) في محل رفع مبتدأ+المركب الإضافي (آيات القرآن). و"كتاب" مخفوض على معنى تلك آيات القرآن آيات كتاب مبين وهذا يعني أنه معطوف على القرآن ويحتمل أن يُعطف على آيات بموجب هذه القراءة:

¹ انظر النحاس: إعراب القرآن ص 674 (إعراب سورة الشعراء ص 711 إعراب سورة النمل).

² يقول د. مصطفى أكرور: عدد الحروف الواقعة في فواتح السور أربعة عشر حرفا مجموعة في قول الشيخ ابن الجمزوري في التحفة (صله سُخْرًا مَنْ قَطَعَكَ) منها ما يمدّ مدّا طبيعيا وذلك في خمسة أحرف فقط من الأربعة عشر حرفا وهي مجموعة من كلمتين (حيّ طهر) وحي الحاء من (حم) والياء (يس) و (كهيعص) والطاء من (طه) و (طسم) و (طس) والهاء من طه و (كهيعص) والراء من (الر) - (الر) في جميع مواضعها في القرآن الكريم ينظر: أكرور مصطفى أكرور: مخارج وصفات الحروف العربية عند جمهور علماء التجويد، دار الخلدونية، الجزائر، 2013 ص 36.

³ الزمخشري ج 3 ص 774 روح المعاني ج 19 ص 154.

⁴ ينظر روح المعاني ج 19 ص 155.

"وكتابٌ مبينٌ" لكنّ الزجّاج لا يعلم أحداً قرأ بها.¹ لكنّ الزمخشري يُثبت صحة هذه القراءة وورودها عن ابن أبي عبلة (كتابٌ مبينٌ)² وهنا يُعطَف كتابٌ على آياتٍ.

وحاول الزمخشري أن يجيب على بعض التساؤلات التي يمكن أن تراودنا فقال: "فإن قلت ما وجه عطفه على القرآن إذا أُريد به القرآن؟ قلت: كما تُعطَف إحدى الصفتين على الأخرى في نحو قولك هذا فعل السّخّيّ الجواد الكريم، لأنّ القرآن هو المنزل المبارك المصدّق لما بين يديه مكان حكمه حكم الصفات المستقلة بالمدح. فكأنه قيل: تلك الآياتُ آياتُ المنزل المبارك أيّ كتابٍ مبينٍ"³

8-يس: قال الله تعالى: " **يس ١** وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ٢ " السين بالأحمر تمدّدًا لازماً بمقدار ست حركات، والياء مدلين بمقدار حركتين.

ذكر ابن مجاهد أن حمزة والكسائي يميلان الياء في (يس) غير مقرضين وحمزة أقرب إلى الفتح من الكسائي في (يس)، وقاس قول أبي بكر عن عاصم (يس) بالإمالة. كما ذكر أن ابن كثير ونافعا وأبا عمرو وابن عامر وحفصا عن عاصم يقرؤون: (يس) مفتوحة الياء وأنّ قراءة نافع بين بين حيث روى ورش وقالون ومحمد ابن إسحاق (رواة قراءة نافع) أنّ (الياء مفتوحة والنون مبينة في السورتين جميعاً) (يقصد نون يس ونون القلم) إذ الجميع يعرف أن (يس) تنطق (ياسين) وكذلك (ن) تنطق (نون) ومعنى نوهما ظاهرة مدغمة يعني النون الأخيرة من كل مقطع مع ما يليها من الحروف في الآية⁴ حيث أن ما يروى عن الكسائي عن أبي بكر عن عاصم عدم تبيين النون وهذا يعني إدغامها في الواو التالية (يس والقرآن الحكيم)⁵ وذكر الزجّاج رواية غريبة حيث قال⁶ "ويعضهم أعني بعض العرب تقول: يَاسِينَ والقرآن بفتح النون، وهذا جائز في العربية، والتسكين أجودٌ لأنها حروف هجاء".

¹ معاني القرآن وإعرابه ج 3 ص 107.

² انظر الكشف ج 3 ص 774.

³ الكشف ج 3 ص 774.

⁴ ينظر ابن مجاهد: السبع في القراءات ص 538 وانظر هامش التحقيق لشوقي ضيف الصفحة ذاتها.

⁵ المرجع نفسه ص 538.

⁶ ينظر معاني القرآن وإعرابه ج 4 ص 277.

والتوجيه النحوي لهذه القراءة أن "من فتح فعلى ضريين: على أن (يس) اسم للسورة حكاية كأنه قال: اتلُ يس، وهو على وزن هاويل وقابيل لا ينصرف، ويجوز أن يكون فتح لالتقاء الساكنين¹

وفي السياق ذاته يحصي النحاس أربع قراءات ويقدم التوجيه النحوي لكل قراءة فذاك شرط تواتر القراءة. ولعلّ الأنسب هنا البدء بإظهار النون كقراءة أولى وهي قراءة أبي عمرو والأعمش وحمزة ثم القراءة بفتح نون ياسين وهي قراءة عيسى بن عمر. والنقد النحوي لهما أنّ من بين قال: سبيل حروف التهجي أن يوقف عليها وإنما يكون الإدغام في الإدراج. وبالنسبة للثانية احتكم إلى رأي سيبويه في النصب الذي جعله وجهتين أولاهما أن يكون مفعولا لا يصرفه، لأنه عنده أعجمي بمنزلة هاويل على وزن فاعيل والتقدير هنا: اذكر يس، وثانيهما أن يكون مبنيا على الفتح مثل أين وكيف² وبهذا بقيت قراءتان إحداهما بإدغام نون ياسين في واو العطف وهي قراءة أهل المدينة والكسائي وعند توجيهها يقول: "الأولى بالإدغام (على ما يجد في العربية) لأن النون تدغم في الواو لشبهها بها."³ والأخرى قراءة ذكرها الفراء (ياسين والقرآن الحكيم) وتولى بنفسه قضية توجيهها وهي أنه مشبه بقول العرب جِيرٍ لأفَعَلَنَّ، وجِيرٍ لا أفَعَلُ.⁴

(والقرآن) قسم والواو مبدلة من باء لشبهها بها، و(الحكيم) نعت للقرآن.⁵ "وقرأ الكلبيّ بضم النون وخرج على أنّه منادى مقصود، بناءً على أنه بمعنى إنسان، أو على أنه خبر مبتدأ محذوف، أو مبتدأ خبره محذوف. ويقدر هذا إذا كان اسما للسورة. وهذا إن كان اسما للقرآن وهو يطلق على البعض كما يطلق على الكلّ. وجعله مبتدأ محذوف الخبر وهو قسم وقيل الضمة فيه ضمة بناء كما في حيثُ والقرآن، ابتداء قسم. وجوّز أن يكون عطفا على يس على تقدير كونه مجرورا بإضمار ياء القسم لأن لا قَسَمَ بعد قَسَمَ.⁶

¹ المرجع نفسه ج4 ص277

² ينظر إعراب القرآن ص813 وانظر أيضا سيبويه الكتاب ج2 ص30.

³ النحاس: إعراب القرآن ص813.

⁴ ينظر الفراء معاني القرآن ج2 ص371.

⁵ ينظر النحاس: إعراب القرآن ص813.

⁶ انظر الألوسي ج22 ص211.

9- ص ابتدأت بها سورتها:

قال الله تعالى: "صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ۱"

تمتد في التجويد مدًا لازماً بمقدار ست حركات. قُرأت بالفتح وبالكسر وإسكان الدال. وهي القراءة الشهيرة المتواترة. وإسكان الدال أجود قراءة باختيار سيبويه،¹ لأنها حروف تهج. وقيل أنها قَسَمٌ.

قرأ عيسى ومحبوب عن أبي عمرو وفرقة: (صاد) بفتح الدال، فقيل: هو لالتقاء الساكنين طلباً للرخفة، وقيل: هي حركة إعراب على أنّ صاد منصوب بفعل مضمر تقديره اذكر، أو اقرأ، أو بفعل القسم بعد نزع الخافض لما فيه من معنى تعظيم المتحدث بنفسه، نحو: الله لأفعلنّ، أو مجروراً بإضمار حرف القسم، وهو ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث (بناءً على أنه اسم للسورة)².

ذكر القرّاء في معاني القرآن قراءة المحسن وابن أبي إسحاق وأبو السمال وابن أبي عبلة ونصر بن عاصم بكسر الدال بغير تنوين، ولقراءته مذهبان: أحدهما: أنه من صادى وصادي، إذا عارض الصوت وصادِ افعل الأمر، ومنه: الصدى، والمعنى اتل القرآن.

الثاني: أن تكون الدال مكسورة لالتقاء الساكنين.³

وقراءة ابن أبي إسحاق بكسر الدال مع التنوين على أن يكون مضغوطاً على حذف حرف القسم، قال أبو جعفر: وهذا بعيد وإن كان سيبويه قد أجاز مثله.⁴

وقرأ ابن السميع وهارون الأعور والحسن في رواية (صاد) بضمّ الدال، وكأنه اعتبره اسماً للسورة وجعله خبر مبتدأ محذوفٍ تقديره: هذه صادٌ. وهذا خلاف قراءة الجمهور.⁵

ولعله بعد المزاجية بين القراءة والإعراب في (ص) يمكننا الخلوص إلى الحواميم.

¹ الكتاب ج 2 ص 34.

² انظر الألوسي روح المعاني ج 23، ص 161.

³ معاني القرآن ج 2 ص 396.

⁴ انظر النحاس: إعراب القرآن ص 858.

⁵ انظر الألوسي روح المعاني ج 23 ص 161.

10-حم: في بداية سبع سور أولها غافر أو سورة المؤمن¹.

10-1-حم غافر:

قال الله تعالى: " **حَمَّ** ۙ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۚ " والحاء من حروف (حيّ طهر) لهذا تقرأ حاءً ممدودة هكذا: حا. وتمدّ بمقدار حركتين، والميم من حروف نقص عسلكم لذا تقرأ ميم بمدّ لازم بمقدار ست حركات لذا تلوّن بالأحمر في مصحف التجويد.

تقرأ حم بتفخيم الألف وتسكين الميم، وقرأ ابن عامر برواية ذكوان وحمزة والكسائي وأبو بكر بالإمالة الصريحة ونافع برواية ورش، وأبو عمرو بالإمالة بين بين، وقرأ ابن أبي إسحاق، وعيسى بن عمر بفتح الميم على التحريك لالتقاء الساكنين بالفتحة للخفة كما في أين؟ وكيف؟ وقرأ أبو السمال بكسر الميم على أصل التقاء الساكنين كما في جِير².

ولعلّ ما جاء به الزجاج في هذا الباب خير تلخيص لكل ما قيل عدا كسر الميم، حيث قال: القراءة (في حم) على ضربين، حم بفتح الحاء وحم بكسر الحاء (الإمالة) أما الميم فساكنة في قراءة القراء كلهم إلا عيسى بن عمر فإنه قرأ: **حَمَّ** والكتاب، بفتح الميم وهو على ضربين أحدهما أن يجعل حم اسما للسورة، فنصبه ولا ينون لأنه على لفظ الأسماء الأعجمية -نحو هاويل وقاويل ويكون المعنى اتل (حم) والأجود أن يكون فتح لالتقاء الساكنين، حيث جعله اسما للسورة، ويكون حكاية لحروف الهجاء.³ أما تنزيل: فرأى الألوسي جواز كونه خبرا ل(حم)⁴ ويمكن أن يكون مرفوعا بالابتداء والخبر: من الله.⁵

¹ غافر- فصلت- الشورى- الدخان- الجاثية- الأحقاف.

² انظر الألوسي: روح المعاني ج 24 ص 40.

³ معاني القرآن وإعرابه ج 4 ص 365.

⁴ روح المعاني: ج 24 ص 41.

⁵ النحاس: إعراب القرآن ص 892.

10-2- حم فصلت:

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: حَمَّ ١ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٢ "

إن جعلت (حم) اسما للسورة كانت في موضع المبتدأ، وتنزيل: خبر، وإن جعلتها تعديدا للحروف؛ كان تنزيل خبر المبتدأ المحذوف، وجوز الزجاج أن يكون تنزيل مبتدأ، وكتاب خبره، ووجهه أن تنزيل: تخصص بالصفة فساغ وقوعه مبتدأ

10-3- حم الزخرف: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: حَمَّ ١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢ " أقسم الله

بالكتاب المبين وهو القرآن، واو القسم.

وتجدر الإشارة إلى أنك لا تجد في كتب الإعراب القرآني ولا كتب القراءات تفاصيل إضافية عن قراءة أو إعراب حم في بقية الحواميم . لذا سيتم المرور إلى فاتحة حم عسق الخاصة بسورة الشورى

11- حم عسق في سورة الشورى:

جاء في مصحف التجويد: " حَمَّ ١ عَسَقَ ٢ كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٣" الحاء بمد لين بمقدار حركتين أما الميم والعين والسين والقاف فكلها باللون الأحمر، وهذا يعني مد كل واحد منها مدًا لازما بمقدار ست حركات، فهي من حروف " (نقص عسلكم)، لكن هنالك من يرى بأنها مقصاة من هذه المجموعة لأنهم يجمعون هذه الحروف في سنقص لكم وعليه فهم يصنفون العين في الحروف التي تمد أربع حركات.

ويبدو أنه بعد توضيح قراءة حم لم يعد هنالك مشكل في قراءة العين والسين والقاف فلا تجد في الكتب المهمة بذلك أي إشارة إلى الخلاف ماعدا قراءة ابن مسعود (وتعتبر قراءة شاذة)، وقد قرأ حم سق، تجد في الكشاف "قرأ ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما: (حم سق)"¹، وعلق الزجاج على ذلك بقوله: "رويت حم سق بغير عين، والمصاحف فيها العين بائنة."² وهو بذلك كأنه ينكر هذه القراءة لكن المعروف عن الشاذ أنه: يحفظ ولا يقاس عليه. وقوله عز وجل: " كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" قرئت يوحى، وقرئت نوحى إليك وإلى الذين

¹ الزمخشري، ج24، ص973.

² معاني القرآن وإعرابه، ج4، ص393.

من قبلك بالنون¹، ويتبع ذلك اختلاف في الإعراب بطبيعة الحال. فمن قرأ يوحى بالياء: فاسم الله عز وجل رُفِعَ بفعله وهو يوحى. ومن قرأ يُوحى إليك: فاسم الله مبيّنٌ عما لم يسم فاعله. ومن قرأ: نوحى إليك بالنون: جعل نوحى إخباراً عن الله - عز وجل - ورفع (الله) بالابتداء وجعل (العزیز الحكيم) خبراً عن الله.

معنى هذا القول أنه إذا قرئ يوحى: فعل مضارع، جار ومجرور، عطف، فاعل مؤخر.

إذا قرئ يُوحى: فعل مبني للمجهول، جار ومجرور، عطف، نائب فاعل.

إذا قرئ نوحى: فعل مضارع، فاعل مستتر (نحن)، جار ومجرور، مبتدأ، صفة، خبر (العزیز)

يؤكد هذا القول الزمخشري باختصار وتوضيح، "وقرئ يوحى إليك على البناء للمفعول: فإن قلت فما رافع اسم الله على هذه القراءة؟ قلت: مادّل عليه يوحى كأن قائلاً قال من الموحى فقبل الله... فإن قلت فما رافعه فيمن قرأ نوحى بالنون؟ قلت: يرتفع بالابتداء والعزیز وما بعده أخبار والعزیز الحكيم صفتان والظرف خبر"²

12-ق: في بداية سورتها:

قال الله تعالى: "ق وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدِ"³

هي من حروف سنقص لكم أو نقص عسلكم لذا تجدها في مصحف التجويد ق والقرآن المجيد، القاف بالأحمر فوقه علامة مدّ طويلة فهو يمدّ بمقدار ست حركات.

قال أبو جعفر النحاس (ق) غير معربة لأنها حروف تهج. ولا يذكر خلافاً في قراءتها في كل الكتب المهمة بذلك. (والقرآن): حُفِضَ بواو القسم (المجيد): نعت للقرآن الكريم، أما جواب القسم ففيه أربعة احتمالات:

1- الجواب محذوف تقديره (والقرآن المجيد لتبعثن).

¹ الزجاج، معاني القرآن، ج4، ص393.

² الكشاف، ج24، ص973.

³ ق من الآية 3.

2- قال الزجاج: "جواب القسم في (ق والقرآن المجيد) محذوف يدل عليه: "أَذَا مِثْنَا وَكُنَّا تُرَابًا" والمعنى -والله أعلم-: والقرآن المجيد أنكم لمبعوثون، فعجبوا فقالوا (أَذَا مِثْنَا وَكُنَّا تُرَابًا)¹

3- من قال: "معناه: (قضي الأمر والله) فليس يحتاج إلى جواب، لأن القسم متوسط. كما تقول: قد كلمتك والله اليوم"².

4- أن يكون (ق) اسما للجبل المحيط بالأرض؟ قال ذلك وهب بن منبه، ويكون التقدير هو قاف والله. فقاف على هذا في موضع رُفِع³، لكن النحاس يرجح الاحتمال الأول وهو أن يكون الجواب محذوفا.

14-ن: في بداية سورتها:

قال الله تعالى: "نَّ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝ ١"

نون من أحرف (سنقص عليكم) وفي مصحف التجويد (نَّ وَالْقَلَمِ) باللون الأحمر، برمز المد وهو مدّ لازم بمقدار ست حركات.

ورد في الكشاف: "قرئ (ن والقلم) بالبيان والإدغام، وبسكون النون وفتحها وكسرها، كما في (ص)"⁴.

وهذا كلام مركّز يحوي عددا من المعلومات قال عنها النحاس: "في هذه الكلمة نيف وثلاثون جوابا، منها ستة معانٍ وست قراءاتٍ في إحداهن ستة أجوبة.."⁵.

فالسنة الأولى خاصة بمعنى صاد وليس هذا بابه، أما القراءات الستة وإعراب كل قراءة؛ فهو ما نحتاج إلى دراسته في هذا المبحث.

¹ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج5، ص41.

² انظر أبو جعفر النحاس: إعراب القرآن، ص 1017.

³ المرجع نفسه، ص 1017.

⁴ الزمخشري: ج29، ص 1128.

⁵ إعراب القرآن، ص 1180.

تجد النحاس يفصل فيقول: "أما القراءات فهي ستُّ كما ذكرنا قرأ أكثر الناس (نون والقلم) ببيان نون، وقرئ بإخفائها، وقرئ بإدغامها بغنة وبغير غنة، وروى عن عيسى بن عمر أنه قرأ (نون والقلم) وقرأ ابن إسحاق (نون والقلم) بالخفض"¹.

هذا القول -على تفصيله- يعدّ مجملاً يحتاج إلى تفصيل أدقّ، وبعد البحث يمكنك العثور على هذا القول لابن مجاهد: "قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ابن عامر وحمة: (ن والقلم) النون في آخرها هجاء (ن) ظاهرة عند الواو، وروى يعقوب بن جعفر عن نافع: أنه أخفاها* وروى الحلواني عن قالون عن نافع: "(يس) مخفأة النون و(ن) ظاهرة واختلف عن عاصم فروى الكسائي عن أبي بكر عن عاصم: أنه كان لا يبين النون في (يس) و(ن) و(طسم)، وروى حفص عن عاصم وحسين بن آدم عن أبي بكر عن عاصم (ن) جزم، ولم يزد عن ذلك، وهذا يدل على أنه كان يبيّنهما، وكان الكسائي لا يبين في قراءته"².

¹ المرجع نفسه، ص 1180.

* الإخفاء والإخفاء ومعناه في اللغة : ضد الإعلان والإبانة ، يقال : أخفيتُ الأمر أي كتمته . وفي اصطلاح علماء التجويد : النطق بالحرف بصفة بين الاظهار والادغام خالياً من التشديد مع بقاء الغنة ، ومعنى هذا أن النون الساكنة أو التنوين لا يذهب لفظهما بالكلية ولا يظهران ظهوراً تاماً بل يذهب الحرف وتبقى صفته وهي الغنة. والحروف التي يقع الإخفاء عندها هي باقي حروف الهجاء بعد أحرف الاظهار والادغام والاقلاب، وعددها خمسة عشر مجموعة في أوائل كَلِم هذا البيت.

صف ذا ثنا كم جاد شخص قد س.... ما دم طيبا زد في تقى ضع ظالما

فإذا جاءت النون الساكنة أو التنوين قبل أحد هذه الحروف وجب إخفاؤها عنده ، وسواء كان اجتماع النون وحرف الإخفاء في كلمة أو في كلمتين (بصورة عملية ليحذر القارئ عند الإخفاء من إصااق اللسان فوق الثنايا العليا عند إخفاء النون ولتحقيق ذلك يجب إبعاد اللسان قليلا عن الثنايا العليا) وأما سبب الإخفاء هو توسط مخارج الحروف ، والمراد بالحروف حرف النون وحروف الإخفاء ، فلا هي بعيدة فتظهر كالإظهار ولا هي بقريبة فتدغم كما في الإدغام.

الإظهار: المراد به إظهار النطق بالنون الساكنة أوالتنوين من غير غنة كاملة إذا جاءت قبل أحد الحروف الستة التالية : الهمة والهاء والعين والحاء والغين والحاء . وقد جمعت هذه الحروف في أوائل هذه الكلمات: أخي هاك علما حازه غير خاسر . والغنة هي : صوت يصدر من الخيشوم وهو أعلى الأنف ولا عمل للسان فيه وهي صفة ملازمة للنون ، والواجب هو نطق هذه النون أو التنوين واضحا من غير غنة كاملة ، ثم تنطق بحرف الإظهار من غير فصل ولا سكت بينهما .. وتسمى هذه الحروف بالحروف الحلقية لأنها تخرج من الحلق ، ويسمى أيضاً بالإظهار الحلقى . وسببه : بعد المخرج ، فالنون والتنوين تخرج من طرف اللسان ، وحروف الإظهار تخرج من الحلق . ويجب التنبيه إلى أن التنوين يقع دائماً في آخر الكلمة ، أما النون الساكنة فإنها تقع في آخر الكلمة وفي وَسَطها ، ويجب إظهارها في كلا الحالتين حين وقوعها قبل أحد الحروف الحلقية

² ابن مجاهد كتاب السبعة في القراءات.

عرفنا من خلال هذا القول مَنْ من علماء القراء من يظهرها ومن يخفيها، ولعل أهم قارئين هما: عاصم الذي أخذ عنه ورش روايته المتداولة عندنا (المغرب العربي)؛ وعاصم الذي روى عنه حفص روايته المتداولة في المشرق. وكلاهما كان يقرأ بإظهار النون. وبهذا الخصوص قال الفراء "قوله عز وجل (ن والقلم) تُخفي النون الآخرة وتظهرها، وإظهارها أعجب إليّ، لأنها هجاء، والهجاء كالموقوف عليه وإن اتّصل، ومن أخفاها بنى على الاتصال وقد قرأت القراء بالوجهين."¹

لا ينبغي أن ننسى ههنا ما قاله التّحّاس عن التوجيه الإعرابي للقراءات: "وفي إسكانها قولان: فمذهب سيبويه أن حروف المعجم إمّا سُكّنت لأنها بعض حروف الأسماء، فلم يجز إعرابها، كما لا يعرب وسط الاسم، ورد عليه بعض الكوفيين فقال: إذا قلت: زايٌّ فقد زدت على الحرف ألفاً"².

موقف سيبويه ثابت في هذه الحروف وحكمها عنده عدم الإعراب وكذلك موقف الكوفيين الذين خالفوه. لكن القراءة بالفتحة فوق النون -رغم عدم انتشارها- تجدلها ستّ توجيهات. ولا يكاد يقرأ بها سوى عيسى بن عمر. "في المنصوبة منها ستة أجوبة: منها أن تكون منصوبة بوقوع الفعل عليها أي: اذكر نون، ولم تنصرف لأنها اسم للسورة. وجواب ثانٍ: أن تكون لم تنصرف لأنها اسم أعجمي، هذان جوابان عن الأخفش سعيد. وقول سيبويه أنها شُبّهت بآية فكيف وقول الفراء إنها شُبّهت بثمّ؟ وقيل شُبّهت بنون الجميع. وقال أبو حاتم: حذف منها واو القسم فانتصبت بإظهار الفعل، كما تقول: الله لقد كان كذا."³

وتفريع هذا القول فيما يلي:

1- مفعول به لفعل محذوف تقديره اذكر

2-أ- ممنوعة من الصرف لأجل العلمية (اسم للسورة).

2-ب- ممنوعة من الصرف لأجل عجمها.

3- هي مبنية مثل أين وكيف { سيبويه

4- هي مبنية مثل أين وكيف { الفراء

¹ معاني القرآن، ج3، ص172.

² النحاس: إعراب القرآن، ص1180. وانظر الكتاب، ج2، ص30.

³ النحاس: المرجع نفسه، ص 1180 وانظر الكتاب ج2، ص30.

5- شَبَّهت بنون الجميع ويقصدون بها نون الجمع التي تأتي بعد الواو مثل تكتبون لأنها تأتي دائما بالفتحة.

6- منصوبة بإظمار واو الضم.

يبدو أن النحاس بهذا أسدى لنا خدمة ما بعدها خدمة؛ بأن جمع كل الإعرابات التي جاءت توجيهها للقراءات النحوية للحروف المقطعة. فهي لا تخرج عن التخريجات الثمانية التي رَدَّها إلى أصولها. وذكر صاحب كل واحد منها فما انطبق على النون ينطبق على كل الحروف المقطعة أحادية كانت أو ثنائية أو ثلاثية ورباعية وخماسية فجزاه الله عنا خير جزاء.

وعليه لم يبق على عاتقنا سوى حصر نتائج القراءات مادام قد حصر وجوه الإعراب.

2- نتائج القراءات:

اختلف علماء العربية وعلماء القراءات حول الحروف المقطعة، إعرابا وبناء، وفي الاحتجاج للقراءات الواردة فيها، وحول حالاتها الإعرابية، قد تم تفصيل ذلك ومن خلال ذلك تم رصد مجموعة من الملاحظات:

- الحروف التالية تقرأ بالألف الممدودة فتمد طبيعيا بمقدار حركتين، وتم جمعها بعبارة حي طهر وهي: الراء من (الر) ومن (المر)، الهاء من (كهيعص) ومن (طه)، الياء من (كهيعص) ومن (يس)، الطاء من (طه)، ومن (طسم) ومن (طس)، الحاء من (حم).

_احتمال وقوع الإبدال في طه لوجهين: أن يكون أصلها (طأ) بالهمزة، أمرا من وطيّ يطيّ، فأبدلت الهمزة هاء، كما أبدلت هرقث من أرقث. أو يكون أصلها بالهمز، فأبدلت الهمزة ألفا، كأنه أخذ من وطيّ يطا بالبدل.

- الحروف التالية كلها تمدّ مدّا مشبعا بلا خلاف؛ وذلك لاجيء حرف المد واللين فيها بعده حرف ساكن سكونا لازما: وتم جمعها في عبارة سنقص لكم.

وهي:ميم (الم) في البقرة، وآل عمران، والعنكبوت، والروم، ولقمان، والسجدة. لام (المص) في الأعراف. لام (الر) في يونس، وهود، ويوسف، وإبراهيم، والحجر. لام (المر) في الرعد. ميم (الم) في البقرة، وآل عمران، والعنكبوت، والروم، ولقمان، والسجدة. ميم (المص) في الأعراف. ميم (المر) في الرعد. وميم (طسم) في سورتي الشعراء، والقصاص. ميم (حم) في سورة غافر، وفصلت، والشورى،

والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف. كاف (كهيعص) من سورة مريم. صاد (المص) من سورة الأعراف، و (كهيعص) من سورة مريم، وسورة (ص). قاف (حم عسق) من سورة الشورى، وسورة (ق). سين (طسم) من سورة الشعراء والقصص، و(طس) من سورة النمل، و(حم عسق) من سورة الشورى، (يس) من سورة يس. نون (ن) من سورة القلم.

-اختلف في مد العين من كهيعص و عسق فمنهم من مدها مدًا متوسطًا بمقدار أربع حركات، ومنهم من مدها مداً مشبعًا بمقدار ست حركات وعليه استبدلت عبارة سنقص لكم ب: نقص عسلكم.

- لفظ ألف في (الم) من سورة البقرة وآل عمران والعنكبوت والروم ولقمان والسجدة، وفي (المص) من سورة الأعراف، وفي (الر) من يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر، وفي (المز) من سورة الرعد. لا مد فيها.

-الطاء في (طه) و (طسم) في أول الشعراء والقصص، و(طس) في سورة النمل. والهاء من (كهيعص) في سورة مريم، الهاء من سورة (طه). والراء (الر) من سورة يونس، وهود، ويوسف، وإبراهيم، والحجر، (المز) من سورة الرعد. الياء من (كهيعص) في سورة مريم. الحاء من (حم) في سورة غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف. حكمها القصر، وذلك لعدم مجيء حرف ساكن بعد حرف المد .

-قرأ الجمهور العين من (كهيعص) في سورة مريم بإخفاء النون، وقرأها حفص عن عاصم بالإظهار. والحجة في إخفاء النون أن النون تقارب الصاد في مخرجها حيث يشتركان في الفم. والحجة في القراءة بإظهار النون أنها في نية الوقف والانفصال مما بعدها؛ لأن الحروف المقطعة يميز بعضها عن بعض للدلالة على أنها مقطعة، ولهذا وقف بعضهم على كل حرف من هذه الحروف وقفة يسيرة، وعليه أظهرت النون ونظير ذلك:السين من (طسم) من سورتي الشعراء والقصص، ومن (طس) في سورة النمل، ومن (يس) ومن (عسق) في سورة الشورى.

-قد تحرك أواخر الحروف المقطعة إذا جاء بعدها ألف وصل، حيث تحذف لالتقاء الساكنين كما في قوله تعالى في سورة آل عمران: "الم ﴿١﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾" إذ التقت فيه الميم الساكنة بساكن آخر، فأدى ذلك إلى تحريكها بعد حذف ألف الوصل من اسم الجلالة وقد أجمعت القراء على فتح الميم بدلا من الكسر؛ لأن قبل الميم ياءً مكسورا ما قبلها فتحها الفتح لالتقاء

الساكنين وذلك لثقل الكسرة مع الياء. وفتحة الميم كانت في الأصل لهزمة اسم الجلالة الله فنقلت منها إلى الميم الساكنة لأن نية حروف الهجاء الوقف وهذا أيضا قول الكوفيين.

- إذا عرض عارض للساكن يُجْرِكُ كما جاء في سورة آل عمران: "الم ﴿١﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾" يجوز عند جمهور القراء: المد نظرا إلى الساكن الأصلي. والقصر نظرا للحركة العارضة على الميم.

- اختلف القراء في إدغام النون من سين (طسم) وبياتها، وحجة من أدغم أن هذه الحروف لما كانت متصلة بعضها ببعض، لا يوقف على شيء منها دون شيء، ولا يفصل في الخط شيء من شيء، أدغم لاشتراك النون مع الميم في الغنة، ولأنه يدغم في غير هذا، فأجرى هذا على كل ما تلقى فيه النون الساكنة الميم، نحو: (مِنَ مَا وَمَنْ مَعَهُ)

المقاطع الصوتية في فواتح السور القرآنية

تمهيد :

تتكون كل لغة من وحدات صوتية صغيرة، مكونة من حركات وصوامت تنتظم فيما بينها لتؤلف وحدات كبرى، والأصوات البسيطة المفردة هي الوحدة الدنيا في بناء اللغة، والوحدة التي تلي الأصوات البسيطة هي المقطع "syllabe" وهي من أهم الوحدات اللغوية.

1- المقطع لغة :

مقطع كل شيء ومنقطعه : آخره حيث ينقطع كمقاطع الرمال والأودية والحرّة وما أشبهها. والمقاطع الأودية : ومنقطع كل شيء: حيث ينتهي إليه طرفه... والمقطع الآخر والخاتمة.. والمقطع: غاية ما قطع. والمقطع: الموضع الذي يقطع فيه النهر من المعابر، ومقاطع القرآن: مواضع الوقوف¹ وجاء في المعجم الوسيط: المقطع من كل شيء آخره حيث ينقطع وينتهي كمقاطع الرمال والأودية والمزارع ونحوها.

والمقطع من النهر الموضع الذي يعبر فيه ومقطع الحق ما يقطع به الباطل² ومما تقدم يلاحظ أن المقطع في معناه يدل على الانتهاء أو آخر الشيء، أو التقسيم والتجزئة، أو التحليل والتفريق.

2- المقطع اصطلاحاً (وفق الدراسات الحديثة):

عرفه عبد الرحمن أيوب بأنه "مجموعة من الأصوات التي تمثل قاعدتين تحصران بينهما قمة"³ ومنهم من رأى أنه "أصغر وحدة في تركيب الكلمة"⁴ أو "وحدة من عنصر أو أكثر يوجد خلالها نبضة صدرية واحدة: قمة إسماع أو بروز"¹

1 - ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت 1966 ج7 ص418
2 - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط مكتبة الشروق الدولية 2004، ط 04 (ص746).
3 - عبد الصبور شاهين: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي 2006، ص 62.
4 - عبد الرحمن أيوب: أصوات اللغة مطبعة الكيلاني، مصر، ط1968، 2، ص 139.

ومن اللغويين من ركّز أكثر على الناحية الفسيولوجية فعرف المقطع على أنه ² "نبضة صدرية" و"وحدة منفردة لتحرك هواء الرئتين لا تتضمن أكثر من قمة كلامية" أو "قمة تموج مستمر من التوتر في الجهاز العضلي النطقي" أو "نفخة هواء من الصدر".

ولعل تمام حسان على توافق تام مع أحمد مختار عمر تشعر بذلك عندما تقرأ هذا التعريف "المقاطع تعبيرات عن نسق منظم من الجزئيات التحليلية، أو خفقات صدرية في أثناء الكلام أو وحدات تركيبية، أو أشكال وكميات معينة"³

وإذا عدنا إلى تعريف عبد الرحمن أيوب يمكن استنتاج ما يسمى: مكونات المقطع

1- القاعدة الأولى: وتنعت بالاستئناف وهو صوت صامت.

2- القمة أو النواة، وهو صوت صائت قصير أو طويل.

3- القاعدة الثانية أو ذلك المقطع وهو صوت صامت أو صوتان أو يكون صفرًا⁴

3- أشكال المقاطع العربية:

تعرف اللغة العربية أربعة أنواع من المقاطع هي: ⁵

3-1- قصيرة: وهي المقاطع التي تتكون من صامت وحركة قصيرة ويرمز إليها بالرمز "ص ح" حيث ترمز (ص) إلى الصامت و (ح) إلى الحركة القصيرة، وتمثل هذا النوع من المقاطع؛ مقاطع الفعل "كَتَبَ" (ka/ta/ba).

3-2- متوسطة: وهي على نوعين:

3-2-1- مفتوحة: وهي المقطع التي تتكون من صامت وحركة طويلة ويرمز إليها بالرمز "ص ح ح" ويمثلها كل من "ما"، و "في" و "ذو".

1- أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، مصر، 1991، ص 285.

2- أحمد مختار عمر: مرجع سبق ذكره ص 285.

3- تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، سنة 1990، ص 170.

4- إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، مكتبة تحضة مصر ومطبعتها ص 218.

5- فوزي الشايب: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، عالم الكتب الحديثة 2004 ص 100-101.

3-2-1-مغلقة: وهي تلك التي تتكون من صامت + حركة قصيرة + صامت. ويرمز إليها بالرمز "ص ح ص" ويمثله كل من: "قَدَّ"، "مِنْ" و "خَذَ".

3-3-طويلة وهي على نوعين أيضا:

3-3-1-طويل مفرد الإغلاق: ويتكون من صامت + حركة طويلة + صامت، ويرمز إليه بالرمز "ص ح ح ص" ويمثله المقطع "ضال" من "الضالين" ومثله المقطع "مين" من "المسلمين" وذلك في حالة الوقف.

3-3-2-طويل مزدوج الإغلاق: ويتكون من صامت + حركة قصيرة + صامت + صامت ، ويرمز إليه بالرمز: (ص ح ص ص) ويمثله كلمة بنت، شمس، قطّ، وحدّ، وذلك في حالة الوقف فقط.

3-3-2-1-مديدة: ولا تكون إلا وقفا، وتتكون من صامت وحركة طويلة ويرمز إليه بـ "ح ح ص" نحو سارّ، وحارّ وقفاً.

وهناك من فضل أن يطلق على هذه المقاطع الأسماء الآتية:¹

المقطع القصير المفتوح (ص ح).

المقطع المتوسط المفتوح (ص ح ح).

المقطع المتوسط المقفل (ص ح ص).

المقطع الطويل المقفل (ص ح ح ص).

المقطع الطويل المزدوج الإقفال (ص ح ص ص).

هذه هي الإمكانيات المقطعية في اللغة العربية، وكل مقطع من هذه المقاطع ينتهي بحركة فهو مقطع مفتوح "open"، وكل مقطع ينتهي بصامت فهو مغلق "closed" فالمقاطع العربية إما مفتوحة وإما مغلقة. وواضح تماما أن المقاطع القصيرة مفتوحة أبداً، والمتوسطة منها المفتوح منها المغلق، أما المقاطع الطويلة والمديدة فمغلقة أبداً.²

4-خصائص النظام المقطعي العربي:

¹ - تمام حسان، مناهج البحث في اللغة (ص173).

² - فوزي الشايب: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية ص101.

إن دراسة نظام المقاطع في أية لغة من اللغات يساعد على معرفة الصيغ الجائزة فيها والصيغ الممنوعة أو الصيغ الدخيلة عليها، وبذلك كان لكل نظام مقطعي خصائص تميزه عن غيره من الأنظمة.

ومن خصائص النظام المقطعي العربي ما يأتي¹:

- أقل ما تتركب منه الكلمة العربية هو مقطع واحد من، مثل حروف الجر: ب، ل، وأكثر ما تتكون منه هو سبعة مقاطع، مثل كلمة: أنلزمكموها، وهذا. وهذا النوع من الكلمات التي تتألف من سبعة مقاطع نادر في اللغة العربية، وأغلب الكلمات المجردة لا تكاد تزيد عن أربعة مقاطع، وإذا اتصلت بها لواحق أو سوابق يمكن أن تزيد عن أربعة.
- المقطع العربي لا بد أن يبدأ بصامت ولا يمكنه الابتداء بحركة كالانجليزية والفرنسية.
- لا يجوز أن تبدأ الكلمة العربية بصامتين أو أكثر.
- يقلّ في اللغة العربية توالي مقطعين طويلين مفتوحين (ص ح ح) ولا يسمح بتوالي ثلاثة مقاطع منها في كلمة واحدة مجردة، فكلمة إبراهيم يقيد فيها توالي المقطعين (ص ح ح، ص ح ح) بضرورة تحريك المقطع الأخير هكذا (ص ح ص، ص ح ح، ص ح ح، ص ح ح). فعند الوقف يزول هذا التوالي وينشأ التركيب المقطعي إبراهيم هكذا (ص ح ص، ص ح ح، ص ح ح ص ح ص) باندماج المقطعين الأخيرين في مقطع واحد.
- لا يقبل التركيب المقطعي العربي أن يتجاوز أو يتوالى أكثر من صامتين وسط الكلمة.
- لا يجوز وقوع المقطع الخامس في صدر الكلمة العربية أو في حشوها. فهو مقطع خاص بحالة الوقف على آخر الكلمة. وقد يكون نسيجا لكلمة عربية واحدة مثل صَهْرٌ، بُنْتُ.
- لا تقبل الكلمة العربية أن يتألف تركيبها المقطعي من مقطع طويل مغلق (ص ح ص) بعده مقطعان من الطويل المفتوح (ص ح ح) مثل.. إخراجا، أفذاذا.
- لا تقبل الكلمة العربية أن يتألف تركيبها المقطعي من المقطع الطويل المفتوح (ص ح ح) يتلوه مقطعان من النوع الثالث الطويل المغلق (ص ح ص) مثل كلمة شَابِنْدَرُ الفارسية.

¹ -انظر: حسام البهنساوي: علم الأصوات، مكتبة الثقافة الإسلامية (ص214-224)، كمال بشر: علم الأصوات، دار

غريب القاهرة، ص510،509.

- لا تقبل الكلمة العربية أن تتألف من المقطع الثاني الطويل المفتوح (ص ح ح) يتلوه مقطع زائد الطول مغلق (ص ح ص ص) مثل كلمة جومرّت الأعجمية.
- لا يقبل النظام المقطعي توالي أربعة مقاطع من النوع الأول مثل: قرأت=قرأت
- لا يوجد في اللغة العربية المقطع المديد المغلق (ص ح ح ص)، إلا في حالة الوقف على الكلمة أو في وسطها، شرط أن يكون المقطع التالي له مبتدئا بصامت يماثل الصامت الذي ختم به المقطع السابق¹

5- المقاطع الصوتية في فواتح السور القرآنية:

الحروف المقطعة هي حروف عربية افتتح الله بها سبحانه تسعا وعشرين سورة من سور القرآن العظيم... تقرأ بأسمائها في التهجي على التقطيع والفصل فمثلا (الم) (ألف لام ميم) وهي أربعة عشر حرفا بغير التكرار "أي نصف الحروف الأبجدية العربية تقريبا".

وقد وردت كحرف واحد مثل (ق، ن) وحرفين مثل (حم)، وثلاثة أحرف مثل (ألم، أله، طسم)، وأربعة مثل (ألمر) وخمسة حروف مثل (كهيعص) وتكررت منها حروف في سور مثل (ألمر) في ست سور و (حم) في سبع سور، ومنها ما لم يتكرر مثل ن، و ق.

جمع بعض العلماء هذه الحروف بعد حذف المكرر منها ورتبها في جملة: "نص حكيم قاطع له سر".

ما يهمنا في هذا الباب ليست الدراسة الدلالية لهذه الحروف فقد عقدنا لها فصلا طويلا دون الوصول إلى تفسير يرضي جميع الأطراف. إنما هنا الدراسة الصوتية المقطعية لهذه الحروف، ولا بد من بدئها من الأول حسب ورودها في القرآن الكريم، بغير احتساب المكرر منها ومراعاة قراءة هذه الحروف دون كتابتها. فالدراسة صوتية كما أسلفنا الذكر تعتمد على قواعد النطق لا على قواعد الإملاء

5-1-الم:

المقطع	رمزه	نوعه
أ	ص ح	مقطع قصير

¹ - انظر فوزي الشايب أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية ص 108.102.

لف	ص ح ص	مقطع متوسط مغلق
لام	ص ح ح ص	مقطع طويل مغلق
ميم	ص ح ح ص	مقطع طويل مغلق

الألف المهموزة: حرف شديد يحصل صوتها بانطباق فتحة المزمار وانفراجه الفجائي قبل أن يصل النفس إلى الحنجرة. فلذلك لا يهتز معه الوتران الصوتيان، ولا تعتبر بالتالي حرفا مجهورا ولا مهموسا¹ وهي حرف مستقل منفتح مصمت². وصوت الهمزة في أول اللفظة يضاهاى نتوءا في الطبيعة.. وهو يأخذ في هذا الموقع صورة البروز كمن يقف فوق مكان مرتفع، فليفت الانتباه كهاء التنبيه. ولكن بفرق أن الهاء شعورية والهمزة بصرية. والصورة البصرية تتصف بالحضور والوضوح والعيانية.

لذلك بدأت الضمائر المنفصلة للمتكلم والمخاطب بالهمزة: (أنا، أنت، أنتم، أنتن..).

كما بدأت الألوان الطبيعية بالهمزة: أبيض، أسود، أحمر، أخضر.³

أما الألف اللينة فهي جوفية مجهورة رخوة منفتحة مصممة وشكلها يشبه صورة رأس، أما رسمها في السريانية فيشبه الإنسان⁴

حرف اللام: مجهور متوسط الشدة، منفتح مندلِق منحرف.

ويرى عباس حسن⁵ "أن صوت هذا الحرف يوحي بمزيج من الليونة والمرونة والتماسك

والالتصاق، وهذه الخصائص الإيجابية لمسية صرفة.

ولكن يلاحظ أن صوت هذا الحرف يتشكل على مرحلتين اثنتين:

الأولى: بالتصاق اللسان بأول سقف الحنك قريبا من اللثة العليا حسبنا للنفس.

الثانية: بانفكاك اللسان عن سقف الحنك، وانفلات النفس خارج الفم وهكذا فإن طريقة النطق

بصوت (اللام) تماثل الأحداث التي يتم فيها الالتصاق .

كما أن طريقة النطق بصوت (اللام) تماثل الأحداث التي تتم فيها الاستعانة باللسان في

عمليات اللوك والمضغ واللحس وما إليها.

1 - عباس حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، دراسة منشورات اتحاد الكتاب. ص 94

2 - ينظر: مصطفى أكرور: مخارج وصفات الحروف العربية عند جمهور علماء التجويد، دار الخلدونية، الجزائر، 2013، ص 93

3 - عباس حسن، مصدر سبق ذكره ص 94، 95.

4 - إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية.

5 - انظر خصائص الحروف العربية ومعانيها. ص 72

ويعد صوت اللام لثويا مجهورا مائعا جانبيا، والجانبية تعني أن أحد جانبي اللسان أو كليهما يسمح بمرور الهواء الرئوي بينه وبين الأضراس في الوقت الذي يتصل طرف اللسان بالثة فيمنع مرور الهواء على وسط اللسان.¹

حرف الميم: مجهور متوسط الشدة أو الرخاوة، شكله في السريانية يشبه المطر يحصل صوت هذا الحرف بانطباق الشفتين على بعضهما بعضا في ضمة متأنية وانفتاحهما عند خروج النفس، ولذلك فإن صوته يوحي بذات الأحاسيس للمسية التي تعانيتها الشفتان لدى انطباقهما على بعضها، من الليونة والمرونة والتماسك مع شيء من الحرارة.

فانطباق الشفة على الشفة مع حرف الميم يماثل الأحداث الطبيعية التي يتم فيها السد والانغلاق. كما أن ضم الشفة على الشفة بشيء من الشدة والتأني قبيل خروج صوت الميم يمثل بداية الأحداث التي يتم فيه المصّ بالشفّتين والجمع والضم، أما انفراج الشفتين أثناء خروج صوت الميم فهو يمثل الأحداث التي يتم فيها التوسع والامتداد.² كما أنه حرف مستقل منفرد من تلقه الغنة والترقيق والتفخيم.

والجدير بالملاحظة في هذا المقام تكرار المقطع (ص ح ص) في اللام والميم.

ومما ينتج عن ذلك تناغم موسيقي يوحي بالتوازن العاطفي والانفعالي مما يعطي راحة نفسية للقارئ ناجمة عن استقرار وتوازن الموسيقى يدخل القارئ والسامع معا في جوّ السورة ويعتبر مرحلة فاصلة قبل وبعد التلاوة. وليس هذا هو القاسم المشترك الوحيد بين الحرفين حيث اشتركا في كل الصفات وهي الجهر والتوسط والاستفال والانفتاح والإصمات ولا يختلفان إلا في انحراف أولهما وإلحاق الغنة بثنائيهما وينبغي التنويه هنا أن هذا المقطع نوع من الحالات الخاصة المكروهة في غير ما وضعت له. وتأباه العربية ولا تكاد تستسيغه على حد قول د. فوزي الشايب "أما المقطع الطويل الآخر وهو (ص ح ص) فإنه يوجد في النثر كثيرا في باب شابه ودابه، كما أنه يكثر أيضا في أواخر الكلم في حالة الوقف مثل المقطع: "مين" من المسلمين، والمقطع "يون" من في آخر الفعل "يكتبون". فهذه هي الحالات التي يرد فيها هذا النوع من المقاطع، ومن ثم فإن الجيئ به وصلا في غير ما ذكرنا مكروه تأباه العربية ولا تكاد تستسيغه".

¹ - تمام حسان: مناهج البحث في اللغة ص 105.

² - عباس حسن؛ خصائص الحروف العربية ص 72.

5-2-المص¹

المقطع	رمزه	نوعه
أ	ص ح	مقطع قصير
لف	ص ح ص	مقطع متوسط مغلق
لام	ص ح ح ص	مقطع طويل مغلق
ميم	ص ح ح ص	مقطع طويل مغلق
صاد	ص ح ح ص	مقطع طويل مغلق

رب ملاحظ يلمس تطابق الجدولين فلا خلاف إلا في آخر ركن وهو الخاص بآخر مقطع صاد وهو الحرف الوحيد الذي أضيف إلى المر، وهذه البداية اتسمت بها سورة واحدة هي الأعراف لذا فلا عبرة من إعادة سرد قصة أوائل المقاطع ولا بد من الاكتفاء بآخر مقطع وهو الصاد. والصاد حرف مهموس رخو مستعلي مطبق، وهو لذوي احتكاكي²، يتم النطق به بوضع طرف اللسان ضد الثنايا السفلى ومقدمه ضد لثة الثنايا العليا ورفع مؤخر اللسان في اتجاه الطبقة، ورجوعه في اتجاه الجدار الخلفي للحلق.³

ويرى المفسرون زيادة الصاد في الأعراف لأجل قوله تعالى: " فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ " ⁴ وشرح فيها قصص آدم ومن بعده من الأنبياء، ولهذا قال بعضهم: معنى (المص)، " أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ

1 - الأعراف: الآية 01.

2 - انظر جدول ملخص صفات الحروف في مطوية مخارج الحروف والصفات تأليف عبد السلام فليسي - دار المفكر - الجزائر منقحة أو: عند مصطفى أكرور: مخارج وصفات الحروف العربية عند جمهور علماء التجويد ص 94/93.

3 - انظر كمال بشر: علم الأصوات ص 103.

4 - الأعراف: الآية 02.

صَدْرَكَ¹ وقيل معناه المصوّر، وقيل: أشار بالميم لمحمد، وبالصاد للصدّيق؛ وفيه إشارة لمصاحبة الصاد والميم، وأنها تابعة لها كمصاحبة الصدّيق لمحمد ومتابعته له²

وينبغي التنبيه هنا إلى حضور صوت الدال لفظا لا كتابة وهو حرف مجهور شديد يشبه شكله في السيريانية صورة الدلو. وهو مستقل منفتح مصمت وهو من حروف القلقلة³.

ولكن صوت الدال أصم أعمى مغلق على نفسه كالحرم، لا يوحى إلا بالأحاسيس اللمسية وبخاصة مايدل على الصلابة والقساوة وكأنه من حجارالصوان، فليس في صوت (الدال) أي إيحاء بإحساس ذوقي أو شمّي أو بصري أو سمعي أو شعوري، ليكون بذلك أصلح الحروف للتعبير عن معاني الشدة والفعالية الماديتين.⁴

5-3- المر:

من الملاحظ جليا أن الله تعالى أضاف (راء) على (الم) ويرجح العلماء أنها أضيفت للدلالة على الرعد وهو اسم السورة.

المقطع	رمزه	نوعه
أ	ص ح	مقطع قصير
لف	ص ح ص	مقطع متوسط مغلق
لام	ص ح ح ص	مقطع طويل مغلق
ميم	ص ح ح ص	مقطع طويل مغلق
را	ص ح ح	مقطع متوسط مفتوح

وحرف الراء مجهور متوسط الشدة والرخاوة . شكله في السيريانية يشبه الرأس ، ولئن كان بعض أصوات العربية يماثل عظام الإنسان في قساوتها ؛ وبعضها يماثل عضلاته في قوتها ومرونتها، وبعضها الآخر يماثل لحمه في ليونته وطراوته، وغيرها يماثل أعصابه في حساسيتها ورهافتها وما إلى

1 -الشرح: الآية 01.

2 -الزركشي، البرهان (ج1/170).

3 -انظر عبد السلام فليسي: مخارج الحروف والصفات. مصطفى أكرور: مخارج وصفات الحروف العربية عند جمهور علماء التجويد ص 94/93.

4 -انظر عباس حسني خصائص الحروف العربية ومعانيها ص 67.

ذلك من وظائف أعضاء البدن وخصائص الحروف، فإن صوت حرف الراء من أصوات الحروف هو أشبه ما يكون بالمفاصل من الجسد.

وانطلاقاً من خاصية التمثيل هذه في صوت الراء وفي مفاصل الجسد؛ قد أدخل العربي هذا الحرف في معظم الأعضاء التي تتصل بغيرها بمفاصل غضروفية منها: الرأس، الرقبة، المرفق، الركبة، الرجل، الرسغ، الورك. ويلحق بها الأعضاء التي تتوافق معها في ظاهرة التحرك وهي: الخصر، الرئة، الصدر، الشعر، البصر وكل هذه الأعضاء تتسم بالحركة وبوصف الراء أحد حروف الذلاقة فإن حاجة اللغة العربية إلى حرف الراء لا تقل عن حاجة الجسد للمفاصل فلولا صوت الراء لفقدت اللغة العربية كثيراً من مرونتها وحيويتها وإيجاءاتها الحركية.¹ ومن صفاته أيضاً الاستفال والانفتاح والانغلاق والانحراف والتكرير.² "وينطق به بترك اللسان مسترخياً في طريق الهواء الخارج من الرئتين، فيرقق اللسان ويضرب طرفه في اللثة ضربات مكررة، وهذا معنى التكرار في صفته"³.

5-4-الراء: ابتدأت بها سورة: يونس، هود، يوسف، إبراهيم، الحجر.

المقطع	رمزه	نوعه
أ	ص ح	مقطع قصير
لف	ص ح ص	مقطع متوسط مغلق
لام	ص ح ح ص	مقطع طويل مغلق
را	ص ح ح	مقطع متوسط مفتوح

مرت بنا كل هذه الحروف لذا لا حاجة للتفصيل في مخارجها ومعانيها بيد أنه لا بد لنا من الإشارة إلى أنها متألفة من من أربعة مقاطع حسب القراءة القرآنية، وتنوعت هذه المقاطع بين القصير (ص ح) الذي يتميز بسرعته وخفة حركته لأنه لا يقع فيه مدّ والمقطع المتوسط المغلق (ص ح ص) حيث يعمل هذا المقطع بخصائصه وسماته الصوتية على نوع من التلوين الصوتي التآلف الموسيقي بشكل متناوب مع المقطع القصير، والمقطع الطويل المغلق (ص ح ح ص) الممدود مداً لازماً بمقدار

¹ - ينظر عباس حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها ص 73، 74.

² - عبد السلام فليسي: مخارج الحروف والصفات (مطوية صادرة عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف) مصطفى أكرور: مخارج وصفات الحروف العربية عند جمهور علماء التجويد ص 93/94.

³ - تمام حسان: مناهج البحث في اللغة ص 104.

ست حركات وانتهت بالمقطع المتوسط المفتوح الذي له دور بارز في إضفاء إيقاع موسيقي متميز بمدته مد لين بمقدار حركتين فقط¹.

5-5- كهيص: ابتدأت بها سورة واحدة فقط هي سورة مريم

المقطع	رمزه	نوعه
كاف	ص ح ح ص	مقطع طويل مغلق
ها	ص ح ح	مقطع متوسط مفتوح
يا	ص ح ح	مقطع متوسط مفتوح
صاد	ص ح ح	مقطع طويل مغلق

الكاف: " يتم النطق به عن طريق رفع مؤخر اللسان في اتجاه الطبقة بالجدار الخلفي للحلق ليسد المجرى الأنفي، مع فتح الأوتار الصوتية كما يعد هذا الحرف طبقاً شديداً مهموساً مرققاً² وهو يوحى بشيء من الحشونة والحرارة والقوة الانفعالية.³

أما بالنسبة لصوت الهاء: فهو صوت مهموس رخو يشبه رسمه في السريانية شكل الهالة، واختلفوا في مخرجه من أقصى الحلق أو وسطه وذلك لا يخفى أنه تابع لكيفية النطق به فمن أشبعه ورفع نبرته؛ وجده يخرج من أقصى الحلق. ومن خفت بصوته فلا بد أنه واجد إياه خارجاً من وسط الحلق. وهو صوت حنجري احتكاكي مضطرب مهزوز من أشجى الأصوات وأبلغها تعبيراً عن الحزن.⁴

صوت الياء:

الياء لينة جوفية يشبه شكلها في السريانية صورة اليد وصوت هذا الحرف يوحى بصورة بصرية تختلف إلى حد ما بحسب مواقعه في اللفظة، وبما أنه وقع في الوسط فإن إيجاءات صوت الياء في هذا الموقع تختلف تبعاً لحركتها وحركة ما قبلها، فإن كانت متحركة بالفتحة وما قبلها فتحة - وهذا حالها

¹ - انظر كمال بشر علم الأصوات 304 وعباس حسسن المصدر السابق ومصحف أحكام التجويد الملون برواية ورش عن نافع

² تمام حسان: مناهج البحث في اللغة ص 95، 96.

³ - انظر عباس حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها ص 70.

⁴ - ينظر: كمال بشر: علم الأصوات ص 304/ عباس حسن المصدر نفسه ص 191.

في (كهيعص) - أخذت الياء صورة المطبّ الهوائي الصغير يعترض مسار طائرة.¹ وهو يوحى بالانفعال المؤثر في البواطن، وهو صوت لين جوفي مرقق، يتكون برفع مقدم اللسان في اتجاه الغار ، ورفع الطبقة حتى يسد المجرى الأنفي، مع تذبذب الأوتار الصوتية.²

لكن صوت العين حلقي احتكاكي³ مجهور وعند النطق به تتذبذب الأوتار الصوتية ويندفع الهواء مارا بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين حتى إذا وصل إلى وسط الحلق ضاق المجرى⁴. وهو يوحى بالفعالية والإشراق والظهور والسمو.⁵

يظهر أنه لا ضرورة للعودة إلى حرف الصاد المدروس سابقا في (المص) بداية سورة الأعراف. لذا تجدر هنا مناقشة الخاصية المقطعية لهذه الحروف.

تتكون (كهيعص) من خمسة مقاطع حسب القراءة القرآنية ، تكرر فيها المقطع المفتوح المتوسط مرتين كما تكرر المقطع الطويل المغلق ليحدث نوعا من الانسجام الصوتي لكننا هنا لا ننسى المقطع الطويل مزدوج الاغلاق والذي تحلل المقاطع المنتظمة ليحدث نوعا من الاستدراك دافعا للقارئ والسامع معا إلى التدبر والتفكير بعدما ساد جو من الخشوع والطمأنينة على وقع خطى المقاطع المنتظمة. وننوه هنا أن مثل هذا المقطع (ص ح ص ص) مقتصر على حالات الوقف، وهو قليل الورد في الكلمات العربية باستثناء بعض الأوزان المقيدة⁶ ووروده في القرآن تخفي الشروط المعهودة في الشعر والنثر، ولعل ذلك يندرج ضمن الإعجاز القرآني.

وإذا أردنا متابعة ورود هذا المقطع في فواصل السورة وجدنا

كهِيعَص	صِيَّيَا	يُرْجَعُونَ	نُحِيَّيَا	نَسِيَّيَا	مَرَدَّيَا	سَمِيَّيَا	وَوَلَدَّيَا	وَلَدَّيَا
زَكْرِيَّيَا	نَبِيَّيَا	نَبِيَّيَا	نَبِيَّيَا	شَيْءَا	نَبِيَّيَا	حَيَّيَا	عَهْدَّيَا	إِدَّيَا
خَفِيَّيَا	وَعَشِيَّيَا	بَعِيَّيَا	حَيَّيَا	سَوِيَّيَا	مَرَضِيَّيَا	شَيْءَا	مَدَّيَا	هَدَّيَا

¹ - ينظر عباس حسن : مصدر سابق ص 99.

² - ينظر: تمام حسان : مناهج البحث في اللغة ص 108.

³ - هو أقل الأصوات الاحتكاكية احتكاكا لذا تجد من العلماء من يصنفه مع الأصوات الرخوة وآخرين يصنفونه مع الأصوات البينية المتوسطة.

⁴ - تمام حسان: المرجع نفسه ص 102 إبراهيم أنيس الأصوات اللغوية ص 89.

⁵ - ينظر عباس حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها ص 99.

⁶ - ينظر: فوزي الشايب: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية ص 114 تجد قوله: " فالمقطع الطويل من نوع (ص ح ص ص) لا تسمح به العربية إلا في الوقف فقط ، وذلك في النثر، وفي بعض الأوزان الشعرية المقيدة القافية ، ومن ذلك قول الشاعر: يا قوم أهلكنموني باللوم ولم أقاتل عامرا قبل اليوم " ينظر أيضا سيبويه الكتاب ج 3 ص 590.

شَقِيًّا	صَبِيًّا	مُقْضِيًّا	شَقِيًّا	عَصِيًّا	نَبِيًّا	جَنِيًّا	فَرَدًّا	وَلَدًّا
وَلِيًّا	تَقِيًّا	فَصِيًّا	حَيًّا	وَلِيًّا	عَلِيًّا	تَعِيًّا	عَرًّا	وَلَدًّا
رَضِيًّا	عَصِيًّا	مَنْسِيًّا	يَمْتَرُونَ	مَلِيًّا	وَبَكِيًّا	صَلِيًّا	ضِدًّا	عَبْدًا
سَمِيًّا	حَيًّا	سَرِيًّا	فَيَكُونُ	حَفِيًّا	عَيًّا	مُقْضِيًّا	أَرًّا	عَدًّا
عَتِيًّا	شَرَفِيًّا	جَنِيًّا	مُسْتَقِيمٌ	شَقِيًّا	شَيْءًا	جَنِيًّا	عَدًّا	فَرَدًّا
شَيْءًا	سَوِيًّا	إِنْسِيًّا	عَظِيمٌ	نَبِيًّا	مَأْتِيًّا	نَدِيًّا	وَفَدًّا	وُدًّا
سَوِيًّا	تَقِيًّا	فَرِيًّا	مُؤْمِنٌ	عَلِيًّا	وَعَشِيًّا	وَرِيًّا	وَرَدًّا	لُدًّا
	زَكِيًّا	بَعِيًّا	يُؤْمِنُونَ	نَبِيًّا	تَقِيًّا	جُنْدًا	عَهْدًا	رُكْرًا

حيث تردد المقطع الأوسط يا زكيا بغيا تقيا في تساقق وانسجامين قلما يحصل نظيرهما في سورة طويلة ولا تغادر الفاصلة أذنك إلا لتخيب التوقع بإحداث التفات صوتي يعبر بعش النشاط من جديد ويقضي على الرتبة فلا تفقد الأذن شهوة الانتظار

5-6-طه : وردت مرة واحدة في سورتها

طا	ص ح ح	مقطع متوسط مفتوح
ها	ص ح ح	// // //

الملاحظ هنا تكرار المقطع المتوسط لإضفاء نوع من الاستقرار على نفسية النبي محمد وطمأنته والطاء: حرف مجهور شديد مستعل مطبق مصمت من أصوات القلقلقة. 1 يشبه شكله في السريانية صورة الطير وصوت هذا الحرف إنما هو تفخيم للتاء الرقيقة. له إيحاء لمسي بين المرونة والطرارة ، وله من المذاقات طعم الدسم ، ومن الشمّيات رائحة العطور، وله إيحاء بصري من الضخامة بين التكوّر والفلطحة. 2

أمّا الهاء فقد مرّ بنا هذا الحرف في بداية سورة مريم (كهيعص)

ولابأس هنا بإيراد هذه المقارنة بين صفات الحرفين لإظهار أنّ الهاء أليق الحروف بالطاء والعكس. فقد تعقب الزركشي ملائمة صوت الطاء للسين في (طس) ومجانسته للهاء في (طه) وهو

1 - عبد السلام فليسي مخارج الحروف والصفات مصطفى أكرور: مخارج وصفات الحروف العربية عند جمهور علماء التجويد ص 94/93. تنبغي الإشارة إلى أنه تم الاعتماد على مصادر القراءات القرآنية لتحديد الصفات والمخارج رغم اختلافها النسبي مع معطيات علم الأصوات الحديث لأن قراءة القرآن متواترة بما فيها هذه المقاطع لذا ينبغي دراستها من منظورهم .

2- ينظر عباس حسن خصائص الحروف العربية ومعانيها- دراسة ص 119-120

يعمم هذه الملائمة وتلك المجانسة صوتيا على القرآن فيقول: "وتأمل اقتران الطاء بالسين والهاء في القرآن، فإن الطاء جمعت من صفات الحروف خمس صفات لم يجمعها غيرها وهي الجهر، والشدة، والاستعلاء، والإطباق، والسين: مهموس، رخو، مستقل، صغير، منفتح، فلا يمكن أن يجمع إلى الطاء حرف يقابلها، كالسين والهاء، فذكر الحرفين اللذين جمعا صفات الحروف"¹.

وهذا التعقب خالص الصوتية في الاستقراء والاستنتاج معا، فإن ما ذكره اهتمام صوتي ليس غير، وإن ماعده من المصطلحات: الجهر، الشدة، الاستعلاء، الإطباق، الإصمات، المهموس، الرخو، المستقل، الصغير، المنفتح، مصطلحات صوتية في الصميم، وهو وإن سبق إلى التسمية وسبق إلى الضبط، إلا أنه طبقها تنظيرا صوتيا على فواتح السور.

ط	الجهر	الشدة	الاستعلاء	الإطباق	الاصمات	القلقلة
هـ	الهمس	الرخاوة	الانتفال	الانفتاح	الاصات	

وهذا جدول يلاحق فواصل سورة طه؛ من أجل مراقبة مدرى حضور مقطعي طا وها

طه	فَتَرَدَى	أَزْرَى	وَأَرَى	افْتَرَى	تَرَكَّى	مُوسَى	صَفْصَفًا	فَعَوَى
لِيَشْفَى	بِمُوسَى	أَمْرِي	الْهَدَى	النَّجْوَى	تَحْسَى	ضَلُّوا	أَمَّنَّا	وَهَدَى
يَحْسَى	أُخْرَى	كَثِيرًا	وَتَوَلَّى	الْمُثَلَّى	عَشِيْمُهُم	أَمْرِي	هَمَسًا	يَشْفَى
الْعُلَى	بِمُوسَى	كَثِيرًا	بِمُوسَى	اسْتَعْلَى	هَدَى	قَوْلِي	قَوْلًا	أَعْمَى
اسْتَوَى	تَسَعَى	بَصِيرًا	هَدَى	الْقَى	وَالسَّلْوَى	يُسْمِرِي	عِلْمًا	بَصِيرًا
النَّزَى	الْأُولَى	بِمُوسَى	الْأُولَى	تَسَعَى	هَوَى	نَفْسِي	ظُلْمًا	تُنْسَى
وَأُخْفَى	أُخْرَى	أُخْرَى	يَنْسَى	مُوسَى	اهْتَدَى	نَسَفًا	هَضْمًا	وَأَبْقَى
الْحُسَى	الْكُبْرَى	يُوحَى	شَى	الْأَعْلَى	بِمُوسَى	عِلْمًا	ذِكْرًا	النَّهَى
مُوسَى	طَعَى	عَيْنِي	النَّهَى	أَتَى	لِتَرْضَى	ذِكْرًا	عِلْمًا	مُسَمَّى
هُدَى	صَدْرِي	بِمُوسَى	أُخْرَى	وَمُوسَى	السَّامِرِي	وَرَزًا	عَزَمًا	تَرْضَى
بِمُوسَى	أَمْرِي	لِنَفْسِي	وَأَبَى	وَأَبْقَى	مَوْعِدِي	جَمَلًا	أَبَى	وَأَبْقَى
طَوَى	لِيسَانِي	ذِكْرِي	بِمُوسَى	الدُّنْيَا	السَّامِرِي	رُزْقًا	فَتَشْفَى	لِلتَّشْوَى
يُوحَى	قَوْلِي	طَعَى	سَوَى	أَبْقَى	فَنَسَى	عَشْرًا	تَعْرَى	الْأُولَى
لِذِكْرِي	أَهْلِي	يَحْسَى	ضَحَى	يحي	نَفْعًا	يَوْمًا	تَضْحَى	وَنَحْرِي

¹ الزركشي، البرهان (ج1/169).

تَشَعَّى	أَخِي	يَطْعَى	أَتَى	الْغَلَى	أَفْرَى	نَسَفَا	يَبَلَى	اهْتَدَى
----------	-------	---------	-------	----------	---------	---------	---------	----------

لعل قراءة طه بالإمالة انعكست صوتيا على صدى الصوت في السورة حيث لا نجد الطاء ولا الهاء لكننا نجد المدّ الأخير حاضرا مراوحة بين الألف المقصورة والياء وكأن تلك الياءات تحرك فواصل الألف المقصورة إلى الأسفل فترتبط بها موسيقيا.

5-7-طسم : بداية الشعراء والقصص

المقطع	رمزه	نوعه
طا	ص ح ح	مقطع متوسط مفتوح
سين	ص ح ح ص	مقطع طويل مغلق
ميم	ص ح ح ص	مقطع طويل مغلق

تم الحديث عن حرف الطاء والميم سابقا ولم يتبقّ من هذا المقطع سوى السين. وهو صوت لثوي احتكاكي مهموس رخو مستفل منفتح مصمت وهو من أصوات الصفير أيضا¹ لا تتذبذب الأوتار الصوتية عند النطق به ويعتمد طرف اللسان خلف الأسنان العليا وتلقي مقدمته مع اللثة العليا، مع وجود منفذ ضيق للهواء، ويرفع أقصى الحنك حتى يمنع مروره من الأنف 2 . يشبه رسمه في السريالية صورة السنّ وقيل أنّه للطلب والحركة، صوته المتناسك النقي يوحي بإحساس لمسيّ بين النعومة والملامسة، و بإحساس سمعي هو أقرب للصفير. وليس في صوته ما يوحي بأيّ إحساي ذوقي أو شمّي أو مشاعر إنسانية. 3

وتتكوّن الآية من ثلاثة مقاطع يتكرّر الثاني الذي يمثّل مقطعا طويلا مغلقا. فالأول يمدّ مدّا طبيعيا بقدر حركتين (طا) والسين يمدّ مدّا لازما بمقدار ست حركات والميم أيضا ست حركات لأجل ضبط فاصلة السورة.

¹ - ينظر عبد السلام الفليسي مخارج الحروف والصفات. مصطفى أكرور: مخارج وصفات الحروف العربية عند جمهور علماء التجويد ص 93/94.

² - كمال بشر: علم الأصوات (ص301)

³ - عباس حسن المصدر نفسه

5-8-طس: بداية سورة النمل

نوعه	رمزه	المقطع
مقطع متوسط مفتوح	ص ح ح	طا
مقطع طويل مغلق	ص ح ح ص	سين

لا بأس بالتذكير في هذا المقام بصفات الحرفين المتنافرين الذين جمعنا كل صفات الحروف على حدّ عكسي فما توفر في الأول تجد عكسه في الثاني.

ط	الجهر	الشدة	الاستعلاء	الإطباق	الاصمات	القلقلة
س	الهمس	الرخاوة	الاستفال	الانفتاح	الاصمات	الصفير

5-9-يس : في بداية سورتها

نوعه	رمزه	المقطع
مقطع متوسط مفتوح	ص ح ح	يا
مقطع طويل مغلق	ص ح ح ص	سين

تمدّ الياء مدّا طبيعيا بمقدار حركتين بينما تمدّ السين مدّا لازما بمقدار لحركات محدثة نوعا من التنويع

لإبعاد السأم عن السامع . فاصلتها:

يس	تَعْقِلُونَ	تُرْجَعُونَ	يَعْلَمُونَ	يَرْجِعُونَ	الْكَافِرِينَ
الحَكِيمِ	تُوَعَدُونَ	يُنْفِقُونَ	مُظْلَمُونَ	يَنْسَلُونَ	مَلِكُونَ
الْمُرْسَلِينَ	تَكْفُرُونَ	مُبِينٍ	الْعَلِيمِ	الْمُرْسَلُونَ	يَأْكُلُونَ
مُسْتَقِيمٍ	يَكْسِبُونَ	فَأَسْمِعُونَ	الْقَدِيمِ	مَحْضَرُونَ	يَشْكُرُونَ
الرَّحِيمِ	يُبْصِرُونَ	يَعْلَمُونَ	يسبحون	تَعْمَلُونَ	يُبْصِرُونَ
عُقُلُونَ	يَرْجِعُونَ	المكرمين	المشحون	فَكَاهُونَ	مُحْضَرُونَ
يُؤْمِنُونَ	مرسلون	مُنزِلِينَ	يَرْكَبُونَ	مُتَّكِعُونَ	يُغْلِبُونَ
مُقَمَّحُونَ	تَكْذِبُونَ	حُمِدُونَ	يُنْفِقُونَ	يَدْعُونَ	مُبِينٍ
يُبْصِرُونَ	لَمُرْسَلُونَ	يَسْتَهْزِئُونَ	حِينَ	رَّحِيمٍ	رَمِيمٍ
يُؤْمِنُونَ	الْمُبِينِ	يَرْجِعُونَ	تُرْجَعُونَ	الْمُجْرِمُونَ	عَلِيمٍ
كَرِيمٍ	الْيَمِّ	مُحْضَرُونَ	مُعْرِضِينَ	مُبِينٍ	تُوقَدُونَ

مُؤْمِنِينَ	مُسْرِفُونَ	يَأْكُلُونَ	مُؤْمِنِينَ	يَعْقِلُونَ	الْعَلِيمِ
الْمُرْسَلِينَ	الْمُرْسَلِينَ	الْعُيُونَ	صٰدِقِينَ	مُؤْمِنِينَ	فَيَكُونُ
مُتَهْتَدُونَ	مُتَهْتَدُونَ	يَشْكُرُونَ	يَخْصِمُونَ		تُرْجَعُونَ

يبدو أن النون الساكنة التي يختتم بها المقطع سين الغائبة ربما الحاضرة نظماً أثرت في فاصلة السورة، بل حضرت مع رديفها الياء الذي يتراوح مع الواو بالتناوب تفادياً للرتابة والسأم بل وتأخذ دورها الميم الساكنة أحياناً لاقتربها من مخرجها فلا تحدث صدمة في القافية بل تكفي بتخيب أفق انتظار صوت النون فتحدث المفاجأة بالميم على سبيل الالتفات الصوتي.¹

5-10- ص : في بداية سورتها مقطع واحد

المقطع	رمزه	نوعه
صاد	ص ح ح ص	مقطع طويل مغلق

وكونه طويلاً معناه يمدّ مدّاً لازماً بمقدار ست حركات. والجدير بالذكر هنا أن السور أحادية

المقطع مبنية الفواصل على ذات الحرف بل تجده حتى في الحشو وهذه السورة أهمّ مثال 2.

الدُّكْرِ	أَوَابٌ	أَصَابٌ	تَفَادٍ	طِينِ
وَشِقَاقٍ	الْحِطَابِ	وَعَوَاصٍ	مَاءِ	سُجْدِينَ
مَنَاصٍ	الْمِحْرَابِ	الْأَصْفَادِ	الْمِهَادِ	أَجْمَعُونَ
كَذَّابٌ	الصِّرَاطِ	حِسَابِ	وَعَسَاقٍ	الْكُفْرَيْنِ
عُجَابٌ	الْحِطَابِ	مَاءِ	أَزْوَاجٍ	الْعَالِيْنَ
يُرَادُ	وَأَنَابِ	وَعَدَابِ	النَّارِ	طِينِ
اِحْتِلَاقٍ	مَاءِ	وَشَرَابِ	الْقَرَارِ	رَجِيمٍ
عَذَابِ	الْحِسَابِ	الْأَلْبَابِ	النَّارِ	الدِّينِ
الْوَهَابِ	النَّارِ	أَوَابٌ	الْأَشْرَارِ	يُبْعَثُونَ
الْأَسْبَابِ	كَالْفَجَارِ	وَالْأَنْصَارِ	الْأَنْصَارِ	الْمُنْظَرِينَ
الْأَحْزَابِ	الْأَلْبَابِ	الدَّارِ	النَّارِ	الْمَعْلُومِ
الْأَوْتَادِ	أَوَابٌ	الْأَخْيَارِ	الْقَهَّارِ	أَجْمَعِينَ
الْأَحْزَابِ	الْحَيَاةِ	الْأَخْيَارِ	الْعَقْرِ	الْمُخْلِصِينَ
عِقَابِ	بِالْحِجَابِ	مَاءِ	عَظِيمِ	أَقُولُ

¹ ينظر محمد الحسنوي: الفاصلة في القرآن، دار عمار، عمان، ط2000، ص222.

² - ينظر بدر الدين الزركشي : البرهان ج 1 ص 169-170

فَوَاقٍ	وَالْأَعْنَاقِ	الْأَنْبُوبِ	مُعْرَضُونَ	أَجْمَعِينَ
الْحِسَابِ	أَنَابَ	وَشَرَابٍ	يَخْتَصِمُونَ	الْمُتَكَلِّفِينَ
أَوَابٍ	الْوَهَّابِ	أَتْرَابٍ	مُؤَيِّنِينَ	لِلْعَالَمِينَ
وَالْإِشْرَاقِ		الْحِسَابِ		حِينَ

حدث هنا نظير ذلك الذي حدث في فواصل سورة مريم لكن هناك تكرر المقطع الأوسط لكن في فواصل هذه السورة الحرف الحاضر هو ألف المد الوسطى (الحركة الطويلة) يليها ساكن على سبيل القافية المطلقة: أواب - أتراب شراب - حساب - أناب.. والمتدبر يلحظ ازدحام صور الخصومة ونماذجها مثل خصومة الكفار للنبي في قوله تعالى: "وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ ۗ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ الْإِلَهَةَ الْإِلَهًا وَإِحْدًا ۗ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾" وانطلق الملام منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم ۗ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمَلَأَةِ الْآخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴿٧﴾" واختصام الملام في حضرة داود عليه السلام وهو في المحراب. قال الله تعالى: "وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۗ قَالُوا لَا تَخَفْ ۗ خَصَمَانِ بَعَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لِيَبْغِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَحَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَعَفَوْنَا لَهُ ذَلِكَ ۗ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ ﴿٢٥﴾ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۗ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾"

والخصومة الثالثة ليست خصومة دنيا بل هي خصومة آخرة: "هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۗ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ ۗ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَأَمْحَقُونَ لَنَا ۗ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۗ فَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾".

ثم جاء حديث خصومة الملام الأعلى بشأن خلق سيدنا آدم: "مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾"

5-11-حـم: تكررت سبع مرات في بداية الحواميم وهي غافر - فصلت - الشورى - الزخرف - الدخان - الجاثية - الأحقاف بإضافة (عسق) إلى بداية الشورى.

نوعه	رمزه	المقطع
مقطع متوسط مفتوح	ص ح ح	حا
مقطع طويل مغلق	ص ح ح ص	ميم

مرّ بنا حرف الميم منذ بداية هذه الدراسة غير أنّ حرف الحاء لا يوجد في غير الحواميم رغم أنّه أكثر الحروف المقطّعة تكرارا لكنّ تكرره هذا لم يتجاوز الحواميم وعددها سبعة .

وإليك صفات الحرفين 1

ح	الهمس	الرخاوة	الاستفال	الانفتاح	الإصمات	الصفير
م	الجهر	التوسط	الاستفال	الانفتاح	الإذلاق	الغنة

ولا تفوتنا الفرصة في هذا المقام ذكر بعض خصائص حرف الحاء الذي يحدث صوته باندفاع النفس بشيء من الشدة مع تضيق قليل مرافق في مخرجه الحلقي، فيحتك النفس بأنسجة الحلق الرقيقة ، ويحدث صوت هو أشبه ما يكون بالهفيف . وهكذا .. شدّ صوت هذا الحرف عن الحروف الحلقيّة جميعا ، بأن تحولت اهتزازاته الصوتية الواهية المضمرّة إلى هفيف . وإخراج صوت الحاء من على صفحات الأنسجة الحلقيّة دون اهتزاز أو اضطراب يتطلّب مهارة عفوية فائقة في التحكّم بخلايا هذه الأنسجة الحساسة لمنع النفس من الاهتزاز والاضطراب لحظة احتكاكه بها . ولهذا السبب من الصعوبة الفائقة النطق بصوته².

معانيه: إذا لفظ صوت الحاء مشدّدا مفتحّما عالي النبرة أوحى صوته بالحرارة ، وبأصوات فيها شيء من الحدّة وبمشاعر إنسانية لا تخلو من الحدّة والانفعال أمّا إذا لفظ صوته كما نلفظه اليوم بجنّاجر حضارية رخوة ... مرخما أوحى لنا بلمس حريري ناعم دافئ وبطعم من الحلاوة والحموضة ويعد أعذب أصوات الدنيا قاطبة وأوحا بمشاعر الحب والحنين. 3

دعت الحكمة الإلهية تناوب المقطعين في تناسق معهود بين الأول المتوسط الذي يمد طبيعيا بمقدار حركتين بيد أنه يبدأ بأصعب الحروف نطقا لكنه تركه مفتوحا كيلا يزيد صعوبة على صعوبة،

1 - انظر مثلا عبد السلام فليسي الحروف والصفات

2 - ينظرعباس حسن خصائص الحروف العربية ومعانيها ص 181

3 - ينظرعباس حسن المصدر نفسه ص 181

وبين المقطع الطويل ذو الستة مدود الذي يبدأ بأسهل الحروف نطقاً على الإطلاق كيف لا وهو صوت الميم الذي يعتبر أول حرف ينطق به الرضيع مستجدياً أمه. ولا يضيع ذوى النهى في إدراك بعض ما يشير إليه ذلك من تداول الأيام ، فبعد العسر دائماً يسر وفسح الرحمان أوسع وأطول لكننا لا ندركها إلا أيام الضيق.

5-12-عسق : بداية الشورى بعد حم

نوعه	رمزه	المقطع
مقطع طويل مزدوج الإغلاق	ص ح ح ص	عين
مقطع طويل مغلق	ص ح ح ص	سين
مقطع طويل مغلق	ص ح ح ص	قاف

جمعت (عسق) كل المنوعات المقطع الطويل مزدوج مغلق ومقطعين طويلين مغلقين لكن المنوعات عند البشر تمام الإعجاز عن الخالق ومركز البلاغة وحسن التأليف والتناغم الصوتي، والملاحظ هنا أن حرف القاف هو الوحيد الذي لم يذكر سابقاً، وهو حرف شديد يلفظه بعضهم مجهوراً ، وبعضهم يلفظه مهموساً، يوصف بأنه للمفاجأة ويصفه بعضهم بأنه للمقاومة ، وكلا الوصفين يقضيان به الأحاسيس اللمسية من القساوة والصلابة والشدة. و الأحاسيس البصرية والسمعية مثل فقاعة تنفجر، أو فخارة تنكسر، ولا بأس من هذه المقارنة بين صفات هذه الأصوات التي كونت بداية سورة الشورى(عسق).¹

ع	الجهر	التوسط	الانتفال	الانفتاح	الاصمات
س	الهمس	الرخاوة	الانتفال	الانفتاح	الاصمات
ق	الجهر	الشدة	الاستعلاء	الانفتاح	الاصمات

5-13- ق : في بداية سورتها

نوعه	رمزه	المقطع
مقطع طويل مغلق	ص ح ح ص	قاف

¹ - عباس حسن خصائص الحروف العربية ومعانيها ص 144

أمامنا (غير بعيد) جدول الصفات التي تعرض كلّ المواصفات التي جمعها القاف من جهر وشدة واستعلاء . ويمكننا ذكر الإيحاءات المعنوية التي يمكن لهذا الحرف إضافته إلى السورة خاصة إذا عرفنا أنّ السور ذات الحرف المقطّع الواحد مبنية كلماتها على ذلك الحرف والسورة تعجّ بالكلمات القافية إذ بلغ عددها 57 كلمة في 45 آية. وهذه الكلمات مثل: تلقى ، قرآن ، خلق، قول ، قريب...

ويقول الزركشي: ¹. وتأمل السورة التي اجتمعت على الحروف المفردة: كيف تجد السورة مبنية على كلمة ذلك الحرف، فمن ذلك "ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ". ² فإن السورة مبنية على الكلمات القافية، من ذكر القرآن " وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ " .

ومن ذكر الخلق " أَفَعَيْنَا بِالْحَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ" ³، " وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ " ⁴.

وتكرار القول ومراجعته مرارا "مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ" ، " وَقَالَ قَرِينُهُ" ، " قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ: "يَوْمَ نَقُولُ لِحَنَمٍ".

والقرب من ابن آدم: " وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ" ، " وَاسْتَمِعَ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ".

وتلقي الملكين وقول العتيد " إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ "

وذكر الرقيب: " مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ"

وذكر السائق: " وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ"

وذكر القرين: " وَقَالَ قَرِينُهُ"

والإلقاء في جهنم " أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ "

والتقدم بالوعد " وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ"

وذكر المتقين " وَأَزْلَفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ" وذكر القلب: "إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ"

¹ ينظر: الزركشي: البرهان ج1ص169.

² سورة:ق الآية1.

³ سورة ق: الآية 15.

⁴ سورة ق: الآية 16.

وذكر القرون والتنقيب في البلاد: "وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ" وتشقق الأرض: "يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا" وإلقاء الرواسي فيها: "وَالْأَرْضَ مَدَدْنَا هَا وَالْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ" وبسوق النخل والرزق: "وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ رِزْقًا لِلْعِبَادِ" وذكر القوم: "كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ وَقَوْمُ نُبُعٍ" وخوف الوعيد: "كُلُّ كَذَّبٍ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدٌ" وغير ذلك. ومما يلاحظ سيطرة صوت القاف على غيره من الأصوات.

لكنك لا تجد لذلك نظيرا في الفاصلة ولعل ذلك ما يحدث التوازن: فتجد الفاصلة تؤدي وظيفة عكسية اما أتت به المفردات القافية التي هوّلت أجواء السورة وأعطتها الصخب الذي يزعزع الأنفاس ويشعر بالرعب فجاءت حروف الفاصلة هادئة تعطي جوا من الاطمئنان لكن دون أن يفقد السورة المكية وظيفتها في الترهيب فجاءت مفردات الفاصلة على وزن صيغة المبالغة (فعليل). عتيد منيب. التي توحى بالقوة والرهبة .

المجيد	نَضِيدٌ	تَحِيدٌ	بِالْوَعِيدِ	شَهِيدٌ
عَجِيبٌ	الْحُرُوجُ	الْوَعِيدِ	لِلْعَبِيدِ	لُغُوبٌ
بَعِيدٌ	وَمَوْدٌ	وَشَهِيدٌ	مَزِيدٌ	الْعُرُوبُ
حَفِيظٌ	لُوطٌ	حَدِيدٌ	بَعِيدٌ	السُّجُودِ
مُرِيحٌ	وَعِيدِ	عَتِيدٌ	حَفِيظٌ	قَرِيبٌ
فُرُوجٌ	جَدِيدِ	عَنِيدِ	مُنِيبٌ	الْحُرُوجِ
بَهِيحٌ	الْوَرِيدِ	مُرِيبٌ	الْحُلُودِ	الْمَصِيرُ
مُنِيبٌ	فَعِيدٌ	الشَّدِيدِ	مَزِيدٌ	يَسِيرٌ
الْحَصِيدِ	عَتِيدٌ	بَعِيدِ	مَحْيِصِ	وَعِيدِ

5-14- ن : بداية سورة القلم

المقطع	رمزه	نوعه
نون	ص ح ح ص	مقطع طويل مغلق

والنون صوت مجهور متوسط مستقل منفتح مندلِق تلحقه الغنة 1 رسمه في السريالية يشبه النجم ومعناه شفرة السيف أو الحوت أو الدواة ولعلّ رسمها في العربية اقتبس من سورة أحد المسميات ، فالنقطة في النون تمثل نتوء عند مقبض السيف أو عين الحوت أو مرسوم القلب في الدواة وهي صوت هجائي ينبعث من الصميم للتعبير عن الألم العميق (أنين) . والنون ذو الغنة أصدق الأصوات تعبيرا عن الألم والخشوع. والنون المرققة توحى بالأناقة والرقّة والاستكانة، والمشدّد يوحي بالانبثاق. 2 وعند النطق يندفع الهواء من الرئتين ثم يتخذ مجراه في الحلق حتّى إذا وصل هبط أقصى الحنك الأعلى فيسدّ بمبوطة فتحة الفم فيتسرب الهواء من التجويف الأنفي محدثا نوعا من الحفيف لا يكاد يسمع. 3

فواصل سورة القلم:

يَسْطُرُونَ	وَبَيْنَ	مَحْرُومُونَ	رَعِيمٌ
بِمَجْنُونٍ	الْأَوَّلِينَ	تُسَبِّحُونَ	صَادِقِينَ
مَمْنُونٍ	الْحُرُطُومِ	ظَلَمِينَ	يَسْتَطِيعُونَ
عَظِيمٍ	مُضْجِحِينَ	يَتَلَوُونَ	سُلُومٍ
وَيُبْصِرُونَ	يَسْتَنْتُونَ	طُعِينَ	يَعْلَمُونَ
الْمَقْتُولِ	نَائِمُونَ	رُعُوبٍ	مَتِينٌ
بِالْمُهْتَدِينَ	كَالصَّرِيمِ	يَعْلَمُونَ	مُتَّقِلُونَ
الْمُكَذِّبِينَ	مُضْجِحِينَ	النَّعِيمِ	يَكْتُبُونَ
فَيُدْهِنُونَ	صُرْمِينَ	كَالْمُجْرِمِينَ	مَكْظُومٍ
مَهِينٍ	يَتَخَفَتُونَ	تَحْكُمُونَ	مَذْمُومٌ
بِنِيمٍ	مَسْكِينٍ	تَدْرُسُونَ	الصَّالِحِينَ
أَنِيمٍ	قُدْرِينَ	تَحْيِرُونَ	لَمَجْنُونٍ
رَنِيمٍ	أَضَالُونَ	تَحْكُمُونَ	لِلْعَلَمِينَ

وبدون عناء ملاحظة تجد فواصل هذه السورة جاءت نونية واحتوت في حشوها كثيرا من الكلمات التي شكل النون أحد حروفها إذ وصل عدد الكلمات النونية 131 ضمن 52 آية . وهذه ظاهرة صوتية جديدة بالانتباه والدراسة لأن النون لم تتكرر وحدها، إذ لا يخفى على سامع كيف أن الواو المدية التي تخللت المقطع وأكسبته ذلك الطول بمقدار المدود الستة كيف يتكرر في فواصل

1- عبد السلام فليسي: مخارج الحروف والصفات / مصطفى أكرور: مخارج وصفات الحروف العربية عند جمهور علماء التجويد ص 93/94.

2- عباس حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها 145.

3- كمال بشر علم الأصوات ص 277 .

السورة: ن، يَسْـَٔنَ طُرُونٌ، مَمْنُونٍ، يُبْصِرُونَ، الْمَفْتُونُ، تَذَهْنُونَ . وتقلب ياء
 أحيانا: الْمُهْتَدِينَ، الْمُكَذِّبِينَ، " فحرف النون فاصلة القرآن الأثيرة، لقد بلغ ما جاء عليها ساكنة بعد
 واو أو ياء (3050) خمسين وثلاث آلاف فاصلة، منها (1758) ثمان وخمسون وسبعمئة وألف على
 الواو والنون و(1291) إحدى وتسعون ومئتان وألف على الياء والنون"¹،

¹ محمد الحسنوي: الفاصلة في القرآن ص 210.

6- جدول تكرار الحروف المقطعة داخل السور المفتوحة بها:¹

السورة	الحروف	الحرف 1 في الترتيب	الحرف 2 في الترتيب	الحرف 3 في الترتيب	الحرف 4 في الترتيب	الحرف 5 في الترتيب	مجموع الحروف
البقرة	الم	4214=ا	3198=ل	2192=م			9604
ال عمران	الم	2351=ا	1888=ل	1246=م			5485
الاعراف	المص	2344=ا	1526=ل	1161=م	68=ص		5099
يونس	الر	1224=ا	909=ل	255=ر			2388
هود	الر	1277=ا	791=ل	323=ر			2391
يوسف	الر	1234=ا	808=ل	255=ر	135=ر		2297
الرعد	الم	557=ا	476=ل	257=م			1425
ابراهيم	الر	550=ا	448=ل	158=ر			1156
الحجر	الر	458=ا	319=ل	94=ر			871
مريم	كهيعص	342=ي	174=هـ	137=ك	117=ع	26=ص	796
طه	طه	250=هـ	28=ط				278
الشعراء	طسم	481=م	93=س	33=ط			607
النمل	طس	93=س	27=ط				120
القصص	طسم	457=م	101=س	19=ط			577
العنكبوت	الم	712=ا	550=ل	341=م			1603
الروم	الم	493=ا	390=ل	314=م			1197
لقمان	الم	337=ا	293=ل	170=م			800
السجدة	الم	242=ا	155=م	151=ل			548
يس	يس	236=ي	47=س				283

¹ تم الاعتماد في هذه النتائج على أكبر برنامج لإحصاء القرآن الكريم برواية ورش عن أبي يعقوب الأزرق عن الإمام نافع لصاحبه الأستاذ حمادي محمد الجزائري المستغاثي وهو موضوع مجانا على موقع عبد الدايم الكحيل بتطوير مستمر وقد تم الاعتماد على النسخة المحسنة الصادرة في ماي 2018 والرابط: www.kahil.com

29					ص=29		ص
439				ح=62	م=377	حم	غافر
319				ح=46	م=273	حم	فصلت
556	ح=15	س=53	ق=57	ع=98	م=297	حم عسق	الشورى
363				ح=42	م=321	حم	الزخرف
161				ح=14	م=147	حم	الدخان
176				ح=29	م=197	حم	الجاثية

و بعد استعراض كل المقاطع وبمراجعة خاطفة للجداول يمكننا إحصاء أكثر أنواع المقاطع شيوعاً وهو المقطع الطويل المغلق حيث تكرر عشرين مرة (20) من مجموع أربعين مقطعا(40) وهذا يعتبر النصف بنسبة 50% من المقاطع وهي نسبة مرتفعة خاصة إذا عرفنا أن هذا النوع من المقاطع متحفظ عليه في لغة البشر إلا في موضع الضرورة الشعرية والوقف في أنواع خاصة من النثر كالخطبة والمقامة.

بينما كان تكرر المقطع المتوسط المفتوح 10 عشر مرات بنسبة 25% من مجمل المقاطع.

أما المقطع الطويل المزدوج الإغلاق فهو الأقل تكرراً سواء في اللغة البشرية أو الإلهية فلم يتكرر سوى مرتين في الفواتح بينما تكرر المقطع القصير والمتوسط المغلق بصفة متوازنة بين الاثنين وهي أربع مرات للنوع، ولعل المرجح من تكرار المقطع الطويل المغلق بصفة لافتة؛ هو إراحة الحنجرة حيث يستغرق نطقها زمناً أقل. وهي ملائمة لمواقف الحزم والجزم والقوة مما يتلاءم مع السور المكينة وجوها العقائدي الممزوج بالترغيب والترهيب - والله أعلم -.

ومن خلال جدول إحصاء تكرر الحروف المقطعة في ثنايا السور المفتوح بها رأينا أن مسألة بناء كلمات السور المفتوحة بالحروف على أساس الحروف المفتوحة بها فيها نظر حيث تصدق مع مجموعة من السور خاصة المبنية على حرف أحادي بينما الأمر ليس كذلك مع السور الأخرى وأن تم ذلك فلن يكون غرتفاع تكراره كرا على تلك السورة بل يمكن أن يتكرر بشكل أوضح في غيرها مما لم يفتح بالحروف، وهذا راجع في اعتقادنا واعتقاد الدارسين الذين عالجوا مسألة نسبة تردد هذه الحروف في المعجم العربي أن من هذه الحروف ما يكثر استعماله لسهولة مخرجه، أو لكونه من

حروف الذلاقة التي لا يبنى الكلام العربي بدونها. وإن كان ذلك صحيحا أو لم يكن فالقرآن معجز بنواح أخرى تغنيه عن هذه الجهة - مع أنها موجودة-.

ما قلناه عن تردد صوت الحرف ينطبق على تردد المقطع أو جزء منه في فواصل السور وامتون أيها فهو موجود بحيث لا ينكره ناكر لكنه لا يشمل كل السور ولم نستطع تحديد ضابط له ، مع أننا لا نؤمن بالمصادفة في القرآن الكريم ، لكن الضوابط شريعة العلماء، خاصة في علم دقيق كالصوتيات.

*لطالما اعتبرت براعة الاستهلال عند العرب أكثر من ضرورة إذ لا بد أن يتأنق الكاتب والشاعر في استفتاحاته ما استطاع إلى ذلك سبيلا، ويعتبر ذلك اقتداءً ببلاغة القرآن والفصاحة النبوية. إذ لم تكن ظاهرة الاهتمام معروفة إلا بعد ظهور البلاغة التي نشأت في أحضان إعجاز كتاب الله.

*الاهتمام بالاستفتاح نذير القيمة الرفيعة للمتلقي، واستقطاب الجمهور سمعا وقراءة، كان من أهم ما يشغل كل شاعر وخطيب.

*لم يبق الاهتمام بالاستفتاح حكرا على الشعراء والخطباء بل اتسعت مساحة طالبه لتشغل الكتاب والترزسين وباتت صنعة يطلبها ديوان الإنشاء.

*ما أسس له جيرار جينات من فن العتبات في العصر الحديث كان متأصلا في تراثنا الإسلامي، وكان له نظير في الثقافات الغربية في المسرح والملاحم.

*ما زال الاهتمام بالفواتح قائما بل وضعت له مقاييس حسب الفنون فعرفت الفواتح السردية والمسرحية والغنائية، لكنها استأثرت باسم العتبات.

*اختص القرآن الكريم بعشرة أنواع من الاستفتاح لا يخرج عنها، والاستفتاح بحروف التهجي واحد من الأنواع العشرة.

*لم تخرج أنواع الاستفتاح في الشعر القديم عن أنواع استفتاح القرآن الكريم.

*تعتبر سورة الفاتحة وسورة العلق من أحسن الاستهلال: كون الأولى يفتح بها المصحف والثانية فاتحة نزول الوحي.

*اختار الله من حروف العربية ما نحى به منحى مختلفا عن عادة البشر في التأليف جعلت العرب والعجم يتعجبون من صنيعه ويأخذون بها كل مذهب.

* عدد الحروف المقطعة المفتوح بها من غير تكرار أربعة عشر حرفا مجموعة في قولهم نص حكيم قطعاً له سر. وهذا العدد يمثل نصف حروف المعجم.

* عدد صيغ الحروف المقطعة أربع عشرة صيغة على نصف عدد حروف المعجم

* عدد السور المفتوحة بالحروف المقطعة تسع وعشرون سورة على عدد حروف المعجم.

* السور المفتوحة بالحروف المقطعة كلها مكية إلا الزهراوان (البقرة وآل عمران) وفي الرعد خلاف.

* ترتيب هذه السور وفق تاريخ النزول كشف عن انتمائها للفترة الثانية من النزول المكي ، ولسور هذه الفترة مميزات في الشكل والمضمون أهمها: التوكيد على مبدأ الوحدانية، هدوء اللهجة، وقصص الأنبياء ، وأسماء الله المركبة مثل الغفور الرحيم، القوي العزيز.

* بعض الفواتح الحرفية آيات وبعضها أبعاض آيات توقيفاً من عند الخالق.

* تواتت بعض الفواتح في المصحف الشريف وتباعدت أخرى، ففي كل ربع من القرآن سبع منها.

* ترتيب الفواتح وتفريقها على المصحف الشريف يرجع إلى التوقيف ، ولا يخل ذلك من نكت يختص علم المناسبات بتفصيلها.

* تأليف الحروف المقطعة كان على حرف وحرفين إلى خمسة التزاماً بقواعد العرب في التأليف لتكون المعجزة أوضح ولسد باب الاحتجاج بأنها مخالفة لتأليفهم.

* كون هذه الحروف سيقت لإعجاز الناس ومباراتهم في البلاغة فكان من العدل استعمال المادة الأولية نفسها وهي الحروف. واتباع قاعدتهم في التأليف على حرف واثنين وثلاثة وأربعة وخمسة لا يخرج عنها ولا يخرجون.

* عرفت الحروف المقطعة بأسماء أخرى مثل أوائل السور، واستأثرت باسم الفواتح دوناً عن بقية الفواتح العشرة .

- *تقرأ الحروف المقطعة بأسماء الحروف لا مسمياتها، كل حرف منفرد على حده وذلك معنى التقطيع.
- *عرف العرب ظواهر مشابهة للحروف المقطعة شعرا ونثرا مما ينظوي تحت ظاهرة الاجتزاء قديما، أو الاقتصاد اللغوي حاليا. ولعل ذلك ما يفسر عدم تصدي المشركين لهذه الحروف بالانتقاد والصحابة بالسؤال.
- *إعراب الحروف المقطعة يختلف باختلاف قراءاتها وتأويلاتها. لكن الأشهر كونها: مبتدأ أو مفعولا به لفعل محذوف أو خبرا لمبتدأ محذوف وتحت الأنواع أنواع فرعية تابعة لتفرعات التخريجات الدلالية.
- *نظرا لمسحة الغموض التي تميزت بها الحروف المقطعة تحرز كثير من العلماء من تفسيرها بل عدوها من متشابه القرآن الذي لا يجوز الخوض فيه. ولهم في ذلك أدلة عقلية ونقلية.
- *رأى فريق المجوزين لإعرابها أن الغامض أولى الأمور بالإيضاح ولا مزية في توضيح الواضح ولهم في ذلك أدلة عقلية تعاضدها أخرى نقلية.
- *من جملة التخريجات الدلالية التي خرجت بها معاني الحروف المقطعة في القرآن ما هو موافق للنقل ولا يتنافى مع العقل ، فهو مقبول .
- *ومن جملة التخريجات ما أسس على حق لكنه أفضى إلى باطل فهو مردود ومن ذلك الإعجاز العددي للقرآن الكريم والذي له أساس صحيح وجهوه توجيهها فاسدا لافتتاهم بالعدد سبعة أو العدد سبعة عشر فأفسدوه .
- *التفسيرات المقبولة بعضها أولى من بعض إذ فيها القريب والبعيد .
- *التفسيرات المقبولة لا تتعارض ولا تتصادم بل تجد بعضها آخذا بناصية بعض لذا تجد تعددا في الآراء عند العالم الواحد دون أن ينعت بالارتباك وعدم الثبات .

*يمكن للمركب الواحد حمل أكثر من معنى على التوازي وذلك من سنن اللغة العربية التي تقبل بتعدد المعاني للمفردة الواحدة وتعدد المسميات للمسمى الواحد.

*من التخریجات الدلالية لهذه الحروف مالا يعد منكرًا لكنه غريب قبل به بعض العلماء ورفضه البعض دون أن يسيء ذلك إلى أصحابه ومن ذلك القول بأعجمية هذه الحروف.

*تجمع السور ذات المطع الموحد علاقات لا تنحصر في البداية بالفاصلة الواحدة وذكر التنزيل بعده وإنما تتقاطع في المواضيع الداخلية فجاء بعضها يفسر ما أجمل في البعض فكانت برهانا على توقيفية ترتيب سور القرآن.

*للافتتاح علاقة بالختام وهذا ما يدرسه علم المناسبات ولهذه السور نصيب من ذلك.

*اهتم قدماء البلاغيين أمثال الزمخشري والباقلاني بدراسة أصناف الحروف فاكتشفا حكمة الله التي أرشد إليها النبي نوح فتجد من كل نوع نصفًا مثلما أصدت إلى السفينة من كل نوع زوجين . وكان الرجلان أهم مطبقين للعلم الذي جاء به الخليل وسيبويه وابن جني وعلى الرغم من اختلاف مخارج الحروف والصفات في علم الأصوات الحديث إلا أنك تجد هذه النظرية ثابتة في وجه هذه العوامل، وإن شذ عنها حرف ردّ إلى تطور النطق بالحروف تاريخيا وجغرافيا.

*اختلاف القراءات في هذه الحروف أسفر عن اختلاف في التخریج الدلالي والتوجيه النحوي، فدرسوا الإبدال والإدغام والغنة والإمالة والإشمام ، ومناقشات علماء القراءات حول هذه الحروف تعتبر مادة صوتية خاما أسست لعلم الأصوات عند العرب.

*المقاطع الصوتية للحروف المقطعة لا تخرج عن المقاطع العربية المعروفة، لكن الأقل استعمالا عندهم أكثر استعمالا عند الله تعالى في الفواتح. وهو المقطع الطويل المغلق.

*للمقطع الصوتي في فاتحة السورة صدى في متنها وفاصلتها ولذلك أثر في الدلالة أيضا، لكن ذلك ليس بقاعدة، بل مجرد ملاحظات صوتية تصدق على بعض السور وتحايفها بعض السور، و ذلك

إعجاز صوتي خاص بالسور التي ورد فيها وليس من الضروري أن يعم جميع السور المشتملة على الفواتح.

*بناء كلمات السور الموحدة الحرف على ذلك الحرف العتيد ليست قاعدة إذ تظهر في بعض السور وتختفي في أخرى. وقد تبنت ذلك بعلم الإحصاء.

فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان.

الملخص:

استهل الله تعالى تسعا وعشرين سورة -من القرآن الكريم- بحروف مقطعة لفظا، متصلة كتابة، كانت محط اهتمام العلماء من كل الفئات، تولاهم القراء من ناحية النطق بها ومخارج حروفها وصفاتها، وتعرض لها النحاة بالإعراب والجدل في مسائلها الخلافية، وتصدى المفسرون لمعانيها. وتحرز بعض العلماء من الخوض فيها لما يؤدي ذلك من محاذير ينبغي الاتقاء منها. ونقاشات العلماء حول هذه المادة المكونة من خامات صوتية -هي مادة هذا البحث- كما مثلت بؤرة ترميز حاول كثير من الشراح الظفر بفك شيفراتها، فكيف كانت تخريجاتهم الدلالية لهذه الحروف؟ وما هي دواعي تباعدها وتواليها، وتنوعها وتناسب السور المفتتحة بما تشابه منها؟ وماهي طريقة النطق الصحيح بها، وكيف يتم الامتثال للظواهر الصوتية التي تحكمها عند التجاور؟

ومن أجل ذلك استهللنا بحثنا بمدخل عرضنا فيه فنون الاستهلال عند العرب شعرا ونثرا ووجدنا أن للاستهلال أهمية كبرى لا يستغني عنها ناثر ولا شاعر وقد أحيطت باهتمام النقاد قديما وحديثا وأسفر هذا الاهتمام عن علم قائم بذاته هو علم العتبات عند جيران جينات، وله ما يوازيه في الثقافة العربية وهو ما تحدث عنه حسين النصير ببراعة الاستهلال وفن البدايات، ووقفنا على هذا الفن في الشعر والخطابة والمسرح والرواية كي نمهد دعامة متينة نقف عليها عندما نصل إلى أنواع الاستهلال في القرآن الكريم في الفصل الأول وفصلنا في تلك الأنواع إلى أن وصلنا إلى النوع المنشود وهو الاستهلال بالحروف المقطعة، فوقفنا على عددها وأنواعها وترتيب سورها حسب النزول، وترتيبها حسب المصحف الشريف، وتقصينا استعمالات العرب للحروف المقطعة في الشعر الجاهلي، وحالات إعرابها وبنائها، وفي الفصل الثاني المختص بالجانب الدلالي حاولنا أولا الوقوف على الرأي القائل بأنها من المتشابه الذي لا ينبغي الخوض فيه وتم عرض أدلتهم العقلية والنقلية، وبعد الخلوص منها تفرغنا للرأي الثاني - وهو الرأي القائل بوجوب تفسيرها- وعن هذا الرأي تفرغت وتشعبت تخريجات دلالية لاتكاد تنضب إلى هذا العهد فميزنا بين المنطقي المقبول منها وبين الغريب المتروك واحتكنا في كل هذه الآراء إلى ما يقتضيه العقل إذ افتقر النقل إلى التواتر ووصف في أغلبه بضعف السند، ولم نغادر هذا الفصل حتى وقفنا على المناسبات التي تجمع بين السور المفتتحة بذات الحروف أو ما تشابه منها ووجدنا في ذلك من التناسق ما لا يخفى على عاقل ومن خلال ذلك عرفنا أيضا سبب الترتيب الذي يبدو للوهلة الأولى عشوائيا لكنه في حقيقة الأمر يعكس تناسقا أقل ما يقال عنه أنه معجز، وقد تم بعد ذلك الخلوص إلى الفصل الثالث ليتم الحديث عن الاختلافات في قراءتها وما أسفر عنه من اختلاف في إعرابها ومسائله الخلافية الناجمة عن اختلاف تخريجاتها الدلالية، ثم تحديد مخارج أصوات هذه المركبات ومقاطعها وإحصاء ترددتها في سورها وفي القرآن كله، مع معرفة متعلقات الفاصلة بها.

الكلمات المفاتيح: مقطع - حرف - فاصلة - دلالة - تفسير - تهجي - مناسبة.

ABSTRACT:

The study is about to highlight theseperated letters analytically and linguistically, the letters are in the opening twenty nice surahs in Quran, The surahs are Makki ones except of three are Madanisurahs (al Baquarah and Aal Imran and alRa'd, the study show the different names of the letters incuding al-fawateh (openings), horof el hijae (Alphabets), al-horouf al-nouraneyya (the shining letters), and al-horouf al-moqatta'ah (the separated letters).

These letters are gathered by some in following expression (nassonhakkem on qate'onlahuserr), which significate littoraly (a wise and definite text has that has a secret) , others gathered it as (alamyastaa'nourhaqqenkoreh) which significate literally (isn't it true that an unwanted true light has shined?) . The separated letters are classified single letters (Saad, Qaaf, Noun), the dual ones(Taha, Taa Sin, Yaa sin, and HaaMim) the triple ones (Alif Lam Meem, Alif Lam Ra, and Ta Sin Mim) the quadruple ones (Alif Lam Mim Sad, and Alif Lam Mim Ra), and the quintuple (KafHaaYaa Ayn Saad, and Ha Mim Ayn Sin Qaaf). Scholars of Tafseer depending on their meaning have differentiated these letters. It's been considered as mutashaabeh, which is only known by the almighty Allah, and most of scholars allowed the searching in their meaning, one of the strongest opinion are mentionedto highlight the power (Ijaz) of the Noble Quran, some of these letters represent a complete verse. A harmony and continuity exist among the surahs and the opening letters. The study divided the letters into their vocal syllables which are generally including in different proportions. The long closed syllable is the most common one, as it occurred twenty times As for middle closed syllable, it is reported four times. As well the study focus on the connection and disconnection in the separated letters and the conclusion is by the meaning affect pausing, where pause can be related on the Arabic grammar .

RESUMÉ:

Cette recherche vise à définir les lettres abrégés qui se trouvent au début des sourahs coraniques.

Vingt neuf sourah du Coran commencent par des lettres abrégées (Horof mokataea) et rien n'est mentionné dont le prophète Mohammed que la prière soi sur lui a parlé de leurs significations.

Cette méthode était connue à l'Islam par les gens du la vie des chrétiens et juifs ou par les arabes avant l'Islam mais c'était complètement différent que la méthode du saint Coran .

Çes lettres abrégées ont un lien avec la coordination numérique (chiffrée) , mais elle n'ont aucun lien avec le nombre de lettres qui était connu par les juifs, les savants ont plus que vingt paroles de çes lettres (hors certains) d'entre elles sont plus acceptables pour éclairer la nature miraculeuse du saint Coran.

L'affination du prophète et la vérité plénitude du prophète que le salut soit sur lui.

Certaines de çes lettres abrégées sont considérées comme sourahs et d'autres non, aussi il existe un lien entre les sourahs qui commencent par des lettres abrégées.

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم :

- 1_ القرآن الكريم : مضبوط على ما يوافق رواية أبي سعيد المصري الملقب بورش(ت197)لقراءة نافع بن عبد الرحمن بن أبي النعيم المدني(ت169هـ) .
- 2_ القرآن الكريم برواية حفص عن الإمام عاصم بن أبي النجود الأسدي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416: هـ/1995م
- 3_ القرآن الكريم بالرسم العثماني برواية ورش لقراءة الإمام نافع عن طريق أبي يعقوب الأزرق. الناشر القدس للنشر والتوزيع -القاهرة. وهو متداول بتصريح من مجمع الأزهر للبحوث الإسلامية بتاريخ 1 شعبان 1421هـ.
- 4_ القرآن الكريم برواية ورش عن نافع خطّ حروف كلماته بالرسم العثماني الخطاط عثمان طه جود حروفه الدكتور المهندس صبحي طه بموجب براءتي اختراع للترميز الزمني واللوني ولل فراغ الوقفي الاختياري، بأحكام النقل والتسهيل والإبدال والتقليل والإمالة والمدود والإدغام، والإخفاء، والإظهار والإقلاب والتفخيم والترقيق والقلقلة منفذة مع شرحها في آخر المصحف الشريف، على ما قرأ به أبو عمرو الداني على شيخه أبي القاسم بن خاقان عن أبي جعفر التجيبي عن إسماعيل النحاس عن أبي يعقوب الأزرق عن ورش عن نافع ، حازت شرف إصدارها تأسيساً على نسخة مأذونة أصولاً من الدار الشامية دار المعرفة، مطبعة الثريا طبعة 1437.
- 5_ محرك البحث الخاص بالقرآن الكريم: النسخة الإلكترونية الخاصة بالقرآن الكريم مضبوطاً بالشكل على رواية ورش مع خدمات الترجمة إلى اللغات الأجنبية وخدمات التفسير [www .Tanzil.net](http://www.Tanzil.net)
- 4_ أكبر برنامج لإحصاء القرآن الكريم: لصاحبه : الأستاذ حمادي [http //kahil.co](http://kahil.co) محمد ، نسخة 2018 على موقع الداعية عبد الدايم الكحيل

القرآن الكريم باللغة الفرنسية:

5-Al Quran Color-coded Arabic English Translation
Marmaduke Pickthall Syed Abul Aala Maududi
Muhsin Khan -Taqiud Din AlHilaliJan,2008 Hafiz
Khan

6-Le Noble coran et la traduction en langue
françaises de ses sens selon la lecture de hafs réalisées
par Dr/Mohamed El-Mokhtar Ould Bah &de la part
du complexe par Dr/ Bello Mana. complexe roi fahd
pour l'impression du noble coran .son excellence
Cheikh Saleh Ibn MuhamMed Al-As-saïkh ministre
des Affaires Islamiques. Des Waqfs de l'apele et de l'
orientation et superviseur général du complexe .

7-le Saint Coran Texte arabe et traduction
françaises ; publié sous les auspices de hadrat Mirza
Masroor Ahmad cinquième calif du messie promis et
Cef Suprêmes de la communauté Islamique
Ahmadiyya .Edition revue avec apports
nouveaux.2012 Islam International publications Ltd.

8_Web Address www.quranpda.com

9-Qoran traduction dans le Navigateur du
Coran :[http : //Tanzil .net](http://Tanzil.net)

القرآن الكريم باللغة الانجليزية:

10-THE HOLY QURAN(KORAN) English Translation of the Meanings by Abdullah Yusuf Ali From a version revised by the Presidency of Islamic Researches, IFTA, Call and Guidance. Published and Printed by the King Fahd Holy Quran Printing Complex in 1987. Formatting by William B. Brown & QURAN(KORAN)English Translation of the Meanings and Verse Notes by Abdullah Yusuf Ali Formatting By William B. Brown

11_QURAN(KORAN) English Translation of the Meanings and Commentary Notes by Abdullah Yusuf Ali Formatting By William B. Brown

12_Translation of the meaning of The Noble Qu'ran. Dr/Muhammad Taqi-ud-Din Al-Hilali &Dr/Muhammad Muhsin Khan.King Fahd comlex for the printing of the holy qur'an madina.K ,S,A 1419 .

المعاجم:

13_ إبراهيم زكي خورشيد: موجز دائرة المعارف الإسلامية تحرير: م. ت. هوتسما، ت. و. أرنولد، ر. باسيت، ر. هارتمان الأجزاء (أ) إلى (ع): (إعداد وتحرير/ إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتناوي، عبد الحميد يونس الأجزاء من (ع) إلى (ي): (ترجمة / نخبة من أساتذة الجامعات المصرية والعربية المراجعة والإشراف العلمي: أ. د. حسن حبشي، أ. د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ، أ. د. محمد عناني مركز الشارقة للإبداع الفكري الطبعة: الأولى، 1418 هـ - 1998 مج 26 ص 8222 / 8224.

- 14_ مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (المتوفى: 1067هـ) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون مكتبة المثنى - بغداد (وصورتها عدة دور لبنانية، بنفس ترقيم صفحاتها، مثل: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية، 1994م .
- 15_ ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت 1966
- 16_ أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت538هـ): أساس البلاغة، تحقيق عبد الرحيم محمود، دار المعرفة بيروت لبنان.
- 17_ مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط مكتبة الشروق الدولية 2004.
- 18_ بدوي طبانة: معجم البلاغة العربية، دار المنارة جدة، ط3، 1988
- 19_ الزبيدي : محب الدين أبو الفضل محمد مرتضى الحسيني الواسطي: شرح القاموس المسمى تاج العروس من جواهر القاموس دار الفكر دطدت
- 20_ أبو البقاء الكفوي: الكليات، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1993.
- 21_ علي بن الشريف الجرجاني: التعريفات، تحقيق عبد المنعم الحنفي، دار الرشاد، القاهرة.
- 22_ ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي شهاب الدين أبو عبد الله: معجم البلدان دار صادر، بيروت، سنة 1993
- 23_ محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لآيات القرآن الكريم، دار الجيل ، بيروت.
- التراجم والسير:
- 24_ أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء 207هـ معاني القرآن ، عالم الكتب دط-دت،
- 25_ أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ): تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، ط1، 1986.
- 26- خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ) الأعلام، دار العلم للملايين ط 15- أيار مايو 2002

- 27_ شمس الدين أبو الخير ابن الجزري محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833هـ): غاية النهاية في طبقات القراء: عني بنشره: برجستراسر: مكتبة ابن تيمية عام 1351هـ
- 28_ عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، ط3 سنة 1993م
- 29_ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2001م

الدواوين:

- 30_ الأعلام الشنتمري: شرح ديوان علقمة بن عبدة الفحل، قدم له ووضع هوامشه وحواشيه د/حنا نصر الجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1992م
- 31_ الأعلام الشنتمري: شرح ديوان علقمة بن عبدة الفحل، قدم له ووضع هوامشه وحواشيه د/حنا نصر الجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1992م
- 32_ أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي: ديوان المتنبّي أبو الطيب؛ دار بيروت للطباعة والنشر، 1988
- 33_ أبو نواس الحسن بن هانئ الحكمي (ت195هـ): ديوان أبي نواس: جمع وتحقيق حمزة بن الحسن الأصفهاني طبع على نفقة لطف الله الزهار مطبعة جمعية الفنون المكتبة
- 34_ الوطنية سوق النصر 1301هـ
- 35_ زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح بن قرّة بن الحارث بن إلياس بن نصر بن نزار، المزني، ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، ط1، 1988م بيروت
- 36_ ذي الرمة: غيلان بن عقبة بن مسعود: ديوان ذي الرمة تحقيق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية ط1 1995
- 37_ الشنفرى: عمرو بن مالك الشنفرى (ت07ق هـ) ديوان الشنفرى، جمع وتحقيق وشرح: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، سنة 1996م
- 38_ الطرماح بن حكيم بن الحكم بن نفر بن قيس الطائي: ديوان الطرماح: تحقيق: د/عزّة حسن، دار الشرق العربي، ط2، ص1994م.
- 39_ لبيد بن ربيعة العامري ديوان لبيد، دار صادر، بيروت، دط، دت.

40_ النابغة: أبو أمامة زياد بن معاوية المعروف بالنابغة الذبياني (ت604م): ديوان النابغة، شرح وتقديم: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، ط 3، 1996م

كتب علوم القرآن:

42_ أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس: إعراب القرآن تحقيق خالد العلي: - دار المعرفة- بيروت، ط 2 2008.

43_ الأخفش الأوسط: أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي: معاني القرآن، تحقيق الدكتور فائز مسعد، دار البشير

44_ إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: 311هـ معاني القرآن وإعرابه). (المحقق: عبد الجليل عبده شلبي عالم الكتب - بيروت، ط 1، 1988

45_ ابن الجوزي (ت597هـ) فنون الأفنان في علوم القرآن ، تحقيق محمد حسن دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط

46_ ابن الجوزي، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، دار الفكر، دون طبعة وسنة طبع

47_ أبو إسحاق إبراهيم بن السري: معاني القرآن وإعرابه، تحقيق وشرح د. عبد الجليل عبده شلبي عالم الكتب ط 1 1988

48_ ابن مجاهد: كتاب السبع في القراءات تحقيق شوقي ضيف - دار المعارف - مصر 1919.

49_ أبو القاسم الحسين محمد المعروف بالراغب الأصفهاني المفردات في غريب القرآن ، مطبعة الباي الحلبي مصر، ط 1961

50_ أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي مجاز القرآن، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط 2، 1981.

51_ أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس: معاني القرآن، تحقيق محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى مكهط 1-1409هـ

52_ أبو الطاهر إسماعيل بن خلف: العنوان في القراءات السبع، تحقيق زهير زاهد، عالم الكتب، بيروت 1985.

- 53_ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت276هـ): تأويل مشكل القرآن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ط3/1401هـ-
- 54_ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دارالمعرفة، بيروت.
- 55_ جلال الدين السيوطي (ت911)، الإتقان في علوم القرآن - دار الفكر للطباعة نسخة مصححة ومنقحة بعناية د. خالد العطار، ط2008
- 56_ حفص بن علي بن عادل الحنبلي (ت880هـ) : اللباب في علوم الكتاب، تحقيق عادل أحمد الموجود وآخرون، دار الكتب
- 57_ رشاد خليفة ، معجزة القرآن الكريم، جزء واحد، دار العلم للملايين-بيروت ط1،1983م
- 58_ رمضان عبد التواب، حول فواتح بعض سور القرآن الكريم مجلة كلية الآداب جامعة عين شمس، القاهرة.
- 59_ سهام الخضر: الإعجاز اللغوي في فواتح السور، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008م
- 60_ صبحي الصالح: مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة والعشرون كانون الثاني/يناير 2000
- 61_ عبد الجبار محمد حسين شرارة، الحروف المقطعة في القرآن الكريم، الإرشاد -بغداد ط62.1980 العلمية، بيروت-لبنان ط1 /-1998
- 63_ عبد الله إبراهيم جلعوم: أسرار ترتيب القرآن، جزء واحد دار الفكر-الأردن ط1سنة1994م
- 64_ عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني: المحكم في نقط المصاحف، مجمع اللغة العربية بدمشق سنة1390هـ. _ عدنان زرزور: علوم القرآن: مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه، المكتب الإسلامي سنة: 1981،
- 65_ عماد الدين أبي الحسن القاضي عبد الجبار بن أحمد (415هـ) تنزيه القرآن عن المطاعن، دار النهضة الحديثة. بيروت.

66- فاضل صالح السامرائي: التعبير القرآني، جزء واحد، دار عمار-عمان ط1 سنة 1998م

67- محمد عبد العظيم الزرقاني (ت1367هـ): مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى الباي الحلبي وشركاه، ط3 ج1، ص 230-231.

68- فرج توفيق الوليد: قواعد التلاوة وعلم التجويد، دار سعيد ابن جبير، ط1/1426هـ
_ نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري (ت728): غرائب القرآن
ورغائب الفرقان، ضبط وتخريج زكريا عميرات، دار الكتاب العلم: بيروت ط1، 1416-
1996م.

69- محمد عبد العظيم الزرقاني / مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق أحمد بن علي،
دار الحديث، القاهرة، 2001م .

70- محمد متولي الشعراوي(ت1418): خواطر حول القرآن الكريم، مطابع أخبار اليوم،
سنة 1997.

71- فكتاب تاريخ القرآن قد قام شفاليه بتعديله في طبعة لايتسغ سنة 1909 وقد أعيد
طبعتها رابع طبعة من الدار نفسها سنة 1938. وهي الطبعة المعتمدة في الترجمة إلى العربية
من طرف د-جورج تامر وفريق عمله المتكون من: زوجته د-عبلة معلوف ود-خير الدين
عبد الهادي ود-نقولا مراد وأخرجت الأجزاء الثلاثة في مجلد واحد، نشرته دار جورج ألمز،
هيلد سهيام-زيوريخ-نيويورك، بإذن دار نشر ومكتبة ديتريش-فيسبادن، ط1 بيروت
2004 كونراد أدناور. Konrad Adenaver

كتب التفسير:

72- أبو الحسن الجاشعي بالولاء البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط، معاني
القرآن، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1990 م

73- ابن عطية محمد بن عبد الحق: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: فاروق
الرحالي، طبعة قطر

74- أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ: البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت 1420 هـ

75_ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ تفسير القرآن العظيم). (تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت 1 - 1419 هـ

76_ أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت538هـ): الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار إحياء التراث العربي بيروت.

77_ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ: الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: أبو تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة

78_ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت548هـ) مجمع البيان في تفسير القرآن: تحقيق إبراهيم شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 1997،

79_ سعيد حوى الأساس في تفسير القرآن: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، ط2 ص1979م، ج7 ص4058.

80_ سيد قطب (ت1378هـ) في ظلال القرآن، دار الشروق-بيروت، ط3، سنة 1977

81_ السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ): الدر المنثور. دار العلم للملايين ط 15 - 2002 م

82_ شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت1270هـ): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق، علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت

83_ صلاح عبد الفتاح الخالدي: تهذيب تفسير الطبري، دار القلم-دمشق (ط1/-) (1997م)

- 84_ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني (ت1425هـ) معارج التفكير ودقائق التدبر، دار القلم دمشق ط1-2000م.
- 85_ علي الصابوني: صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت- ط1 1981.
- 86_ فخر الدين محمد الرازي ابن العلامة ضياء الدين الشهير بخطيب الدين ت544 تفسير الفخر الرازي الشهير بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، تحقيق: عبد السلام هارون، ط1 1981، دار الفكر.
- 87_ فضل بن حسن الطبرسي (ت548هـ): مجمع البيان في تفسير القرآن: تحقيق إبراهيم شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 1997.
- 88_ محمد أبو زهرة: زهرة التفاسير، دار الفكر العربي.
- 89_ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ): جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق إبراهيم شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 1997.
- 90_ محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن ملا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ): تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة 1990م
- 91_ محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، دار الشروق، 2004 ط12 القاهرة
- 92_ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ): (التحرير والتنوير: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر - تونس، سنة 1984 هـ
- 93_ محمد طه البيلساني: القول المصنف في تفسير سورة يوسف، مطبعة وزارة الأوقاف والشؤون الدينية-بغداد-العراق 1981م
- 94_ محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي المعروف بابن عربي (ت638هـ): الفتوحات المكية، ضبطه وصححه ووضع فهارسه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية من منشورات علي بيضون، بيروت، صص 85-144.

95_ محي الدين محمد بن مصلح الدين القوجوي الحنفي (ت951هـ) حاشية محي الدين محمد بن مصلح على تفسير القاضي البيضاوي (ت685هـ): ضبطه وصححه وخرّج آياته: محمد عبد القادر شاهين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت

96_ الواحدي أبو الحسن بن علي بن أحمد (468هـ): البسيط في القرآن، تحقيق وتقديم محمد أبو العزّ الزفيتي-القاهرة 1406. طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث.

كتب الحديث:

97_ أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحُسْرُوْجْردي الخراساني، أبو بكر البيهقي : (المتوفى: 458هـ) شعب الإيمان، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد تحت إشراف: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي، الهند ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2003 م .

98_ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي فتح الباري شرح صحيح البخاري 1379 رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب دار المعرفة، بيروت

99_ أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: 211هـ): المصنف (تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، لمجلس العلمي، الهند، بطلب من: المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1403

100_ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي فتح الباري شرح صحيح البخاري 1379 رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي: قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب دار المعرفة، بيروت.

101_ ابن الجزري محمد بن أحمد: كتاب التسهيل لعلوم التنزيل : تحقيق محمد سالم هاشم ، دار الكتب العلمية 1995.

102_ أبو بكر الرازي: مختارالصحاح، دار الحديث، القاهرة

- 103_ أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري: مسند أبي داود، تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر - مصر، 1999 م
- 104_ البخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله: التاريخ الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان
- 105_ جار الله محمود بن عمر الزمخشري: الفائق في غريب الحديث، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ومحمد علي البجاوي، مطبعة عيسى الباي الحلبي ط2 سنة 1971.
- 106_ محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت1250هـ) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعية: تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان
- الكتب اللغوية والأدبية:
- 107_ إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها
- 108_ ابن المعتز أبو العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي (المتوفى: 296هـ): البديع في علم - ابن جني سر صناعة الإعراب: تحقيق مصطفى السقا وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط1-1954
- 109- ابن يعيش: يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصللي، المعروف بابن الصانع (المتوفى: 643هـ) شرح المفصل للزمخشري قدّم له إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2001، م1.
- 110_ ابن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، البديع، دار الجيل، 1990 م ط1
- أبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت.311هـ)، تحقيق وشرح د. عبد الجليل عبده شلبي عالم الكتب ط1، 1988
- 111_ أبو بشر عثمان قنبر (سيبويه): الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون مؤسسة الأعلمي، بيروت (ط2-1387هـ)
- 112_ أبو جعفر بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت338هـ)، إعراب القرآن، اعتنى به الشيخ خالد العلي، دار المعرفة - بيروت، ط2 2008م

- 113_ أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودي (ت346هـ): مروج الذهب ومعادن
الجوهر، دار الهجرة سنة1409هـ
- 114_ أبو الفتح عثمان ابن جنى (ت392هـ): سر صناعة الإعراب: تحقيق محمد حسن
محمد حسن إسماعيل، وأحمد رشدي شحاتة، دار الكتب العلمية، 1971م،
- 115_ أبو عثمان عمرو بن محبوب الكناي (الجاحظ): البيان والتبيين ، تحقيق محمد عبد
السلام هارون، مكتبة الخانجي، 1998م
- 116- أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: 463هـ): العمدة في محاسن
الشعر وآدابه، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5 ، 1981 م
- 117_ أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة (ت276 هـ) : الشعر والشعراء، تحقيق :
أحمد محمد شاكر، دار المعارف، ط2،
- 118_ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري
(المتوفى: نحو395هـ :الصناعتين (الكتابة والشعر)، تحقيق:علي محمد البجاوي ومحمد أبو
الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - ط3بيروت، 1419 هـ
- 119_ أحمد بن عبد الوهاب النويري شهاب الدين: نهاية الأرب في فنون الأدب.
تحقيق: مفيد قميحة ، حسن نور الدين ، يحيى الشامي، علي بو ملحم ، محمد رضا مروة،
يوسف طويل، علي محمد هاشم، دار الكتب العلمية
- 120_ أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة،
مصر، 1991
- 121_ برتوتبرشت : طبول في الليل & حياة جاليليو، ترجمة عبد الرحمن بدوي ضمن
سلسلة روائع المسرح العالمي التي يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في
الكويت2009
- 122_ تمام حسان: مناهج البحث في اللغة ،مكتبة الأنجلو المصرية، سنة1990
- 123_ جيرار جينيت: عودة إلى خطاب الحكاية، 1997م.
- 124_ حسام البهنساوي: علم الأصوات، مكتبة الثقافة الإسلامية
- 125_ حسين عطوان: مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، جمع وتحقيق ودراسة، دار
المعارف، القاهرة 1972م

- 126_ خليل شكري هياس: فاعلية العتبات النصية في قراءة النص السيرى، السيرة الأدبية للربيعى أنموذجا، مؤلف جماعى بعنوان " أسرار الكتابة الإبداعية، عند عبد الرحمن مجيد الربيعى والنص المتعدد، إعداد وتقديم ومشاركة محمد صابر عبىد، دار صامد للنشر، صفاقص، تونس، ط1 فىفرى 2000_ سىد أحمد الهاشمى :جواهر البلاغة، المكتبة العصرية، ط1، 1999
- 127_ صدر الدين المدينى الحسينى على بن أحمد بن مجد المعروف بعلى خان بن مىرزا أحمد(ت1113هـ): أنوار الربىع بين أنواع البديع تحقيق: شاكى هادى شكر، مطبعة النعمان - النجف الشرىف ط1 سنة 1969
- 128_ صفى الدين الحلوى: براعة المطلع. انظر شرح الكافية البديعية فى علوم البلاغة ومحاسن البديع، تحقيق: د. نسىب نشاوى، دار صادر- بىروت، د ط، دت ص51.
- 129_ ضياء الدين بن الأثير نصر الله بن محمد (ت637هـ): المثل السائرى فى أدب الكاتب والشاعر. تحقيق: أحمد الحوفى، بدوى طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة
- 130_ طه الباقى: ترجمة ملحمة كلكامش
- 131_ عباس حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب
- 132- عائشة عبد الرحمن: الإعجاز الببائى للقرآن الكرىم ومسائل ابن الأزرق، دارالمعارف، مصر، مكتبة الدراسات الأدبية.
- 133_ عبد الحق بلعابد: عتبات جىرار جىنات من النص إلى المناص، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر،.
- 134_ عبد الرحمن أىوب: أصوات اللغة مطبعة الكىلانى، مصر، ط1968، 2
- 135_ عبد الصبور شاهىن: القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجى 2006
- 136_ عبد القادر عبد الجلىل: الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغىة، دار صفاء- عمان، ط1 2002

- 137_ عبد القادر عبد الجليل: الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، دار صفاء- عمان، ط1 2002
- 138- عبد الله العروي: أوراق (سيرة إدريس الذهنية) ، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، ط2004، 6
- 139_ عوض حمد القوزي: المصطلح النحوي، نشأته وتطوره حتى القرن الثالث الهجري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر - ط1-1983.
- 140_ علاء الأسواني : عمارة يعقوبيان، مكتبة مدبولي، مصر، ط1 يناير 2006
- 141_ عهد عبد الواحد: السور المدنية دراسة أسلوبية وبلاغية، دار الفكر، بيروت، ط1، 1999
- 142_ فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي: دراسات في علوم القرآن الكريم- كليه المعلمين، الرياض، ط 11 سنة 2003
- 143_ فوزي الشايب: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، عالم الكتب الحديثة 2004
- 144_ كمال بشر: علم الأصوات، دار غريب القاهرة 2000.
- 145_ محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: 739هـ) لإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، المكتبة الأزهرية للتراث، ط3، 1993م
- 146_ محمد المقداد: قراءات في أدب العصر الأموي جامعة دمشق 1993_ محمد بن علي بن محمد الجرجاني (ت729هـ): الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تحقيق د عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، د ط، د ت .
- 147_ محمد فكري الجزار: العنوان وسيموطيقا الاتصال الادبي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1998.
- 148_ مصطفى أكرور: مخارج وصفات الحروف العربية عند جمهور علماء التجويد، دار الخلدونية، الجزائر، 2013،
- 149_ ناهضة ستار: بنية السرد في القصص الصوفي (المكونات والوظائف والتقنيات) من منشورات اتحاد الكتاب العربي.

كتب مختلفة:

- 150_ ابن خلدون المقدمة، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر تحقيق د.علي عبد الواحد وافي، ط1 1960 لجنة البيان العربي مصر.
- 151_ بسام جرار ، إرهاصات الإعجاز العددي في القرآن الكريم، جزء واحد، نون للدراسات والأبحاث القرآنية (ط1/1998م)
- 152_ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة الحرانی (ت728هـ): مجموع فتاوي ابن تیمیة تحقيق: عبد الرحمن _ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط 153- عبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط27 سنة 1994.
- 154_ محي الدين بن عربي: الكبريت الأحمر والسر الأفخر والدر والجوهر، دار المحجة البيضاء للنشر والتوزيع سنة 2000 مكون من 200ص مع رسوم بيانية

المقالات بالمجلات والمواقع الالكترونية:

- 155_ إبراهيم محمد عبد الله: ظاهرة الاجتزاء ببعض الكلمة، مجلة جامعة دمشق، المجلد 20 العدد (403) 2004
- 156_ إحسان طه ياسين: الحروف المقطعة في القرآن الكريم، دراسة تفسيرية (مجلة جامعة السابع من أبريل) العدد 6 سنة 2004.
- 157_ حسني خليفة الرميح: المركبات الفريدة في مفتتحات السور القرآنية "مقاربة صوتية" (الم) نموذجاً- جامعة تكريت للعلوم- عدد 4 نيسان المجلد 19.
- 158_ دليلة مزوز: سيميائية الحرف العربي قراءة في الشكل والدلالة، الملتقى الثالث "السيما والنص الأدبي والعلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة محمد خيضر.
- 159_ راجحة عبد السادة سلمان/ د.أكرم عبد الله محمد: براعة الاستهلال وحسن الخاتمة في شعر زهير بن أبي سلمى مجلة كلية التربية الإنسانية العدد 70 2011

- 160_رشيد شعلال: شعرية الاستهلال عند عبد الله البردوني، مجلة كلية الآداب واللغات، العدد 08. جانفي 2011 (مقال).
- 161_عباس صالح فضل: الحروف المقطعة في أوائل السور، رسالة ماجستير بإشراف: د محسن سميح الخالدي ود محمد السيد، فلسطين، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، 2003م
- 162_عبدالمحسن عبدالله الحزني: لطائف الأدب في استهلال الخطب مجلة الوعي الإسلامي مجلة كويتية ط1 الإصدار 27 2012.
- 163_عبد السلام فليسي: مخارج الحروف والصفات (مطوية صادرة عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف)
- 164_منصور بويش: جمايات العتبات النصية في رواية يعقوبيان، لعلاء الأسواني: مجلة جيل للدراسات الأدبية والفكرية العام الثالث . العدد18. أبريل 2016 ص 128.
- 165_وداد مكاوي: بناء العتبات في القرآن الكريم مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية المجلد 21 العدد 1-2013
- 166_كتاب الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي حسين النصير والصادر عن الهيئة العامة للقصور بالقاهرة، مقال بجريدة الأهرام ثورة أدب وثقافة بدون مؤلف، العدد:19009.
- 167_فواتح القرآن الكريم وأثرها في براعة الاستهلال، بحث علمي كامل عن فواتح
- 168_السور في القرآن الكريم على موقع المصطبة: 2016/07/17
[httpM//vbMelmvstabg.com/L220781](http://vbMelmvstabg.com/L220781)
- 169_عبدالرحمن الخطيب(باحث في الشؤون الإسلامية.): أسرار فواتح السور بتاريخ: 10 أغسطس 2010 / 20:59 موقع جريدة الحياة على الرابط:
<http://www.alhayat.com/article/68679/%D8>
- 170_محمد السواعده : سلسلة الرد على المستشرقين(دعوى نولدكه في ترتيب القرآن
- 180_والأحرف المقطعة) مقال على الموقع التالي:
<http://sawadeh.rigala.net/t7-topic> تاريخ النشر، 2018/05/28.

- 181_مصطفى أبو الطابوق: الحروف المقطّعة في القرآن الكريم مقال بمجلة الولاية مجلة إلكترونية صادرة عن العتبة العلوية المقدسة قسم الإعلام شعبة: الصحافة بتاريخ: 06/أبريل/2017 على الموقع: <http://alwelayh.com>
- 182_رمضان عبد التواب، بحث في فواتح بعض سور القرآن الكريم، مجلة منبر الإسلام العدد 10،

فهرس المحتويات

02.....	الشكر
04.....	الاهداء
أ.....	المقدمة:
09.....	الفصل الأول
09.....	الفواتح المقطعة في القرآن الكريم (لمحة عامة)
10.....	المدخل: جودة الاستفتاح عند العرب أكثر من ضرورة
10.....	1- تمهيد:
10.....	2- براعة الاستهلال في النقد الأدبي القديم
11.....	3- ظاهرة الاهتمام بالاستفتاح
11.....	4 _ سورة الفاتحة وسورة العلق من أحسن الاستهلال
13.....	5- بواذر الاهتمام بالافتتاح
14.....	6- الاستهلال في النقد القديم
17.....	6-1- الافتتاح في الشعر
22.....	6-1-1- أضرب الابداء في الشعر
22.....	6-1-1-1- الاستفهام
23.....	6-1-2- النداء
24.....	6-2- الاستهلال في الخطب
27.....	6-3- الاستهلال في مقدمات الكتب
28.....	7- الاستهلال في النقد الحديث والمعاصر
34.....	المبحث الأول: الاستفتاح في القرآن الكريم
34.....	1- تعريف الفواتح
35.....	1-2- الفواتح في الاصطلاح
35.....	2- أنواع الفواتح في القرآن الكريم

- 35.....1-2-الثناء عليه تعالى وهو قسمان.....
- 35.....1-1-2-إثبات لصفات المدح ونفي و تنزيه له من صفات النقص.....
- 36.....2-1-2-التسبيح.....
- 36.....2-2-حروف التهجي.....
- 36.....3-2-النداء.....
- 37.....4-2-الجملة الخبرية.....
- 37.....5-2-القسم.....
- 38.....6-2-الشرط.....
- 38.....7-2-الأمر.....
- 38.....8-2-الاستفهام.....
- 38.....9-2-الدعاء.....
- 38.....10-2-التعليل.....
- 38.....المبحث الثاني: لمحة عامة عن الحروف المقطعة.....
- 40.....3-تعريف الحروف.....
- 40.....1-3-لغة.....
- 41.....2-3-الحرف في الاصطلاح.....
- 42.....4-قداسة الحرف العربي.....
- 43.....5-الكتابة والحرف العربي.....
- 44.....6-علاقة الصوت بالشكل.....
- 46.....7-الحروف المقطعة.....
- 46.....1-7-القطع لغة.....
- 46.....2-7-الحروف المقطعة اصطلاحاً.....
- 46.....3-7-السور التي اختصها الله بالحروف المقطعة.....
- 47.....4-7-الحروف المقطعة في الفواتح.....

- 7-5- السور المبدوءة بالحروف المقطعة مكية أم مدنية.....49
- 9-8- هذه الفترة الثانية للسور المكية برزت لها مميزات أهمها.....51
- 10- صيغ الحروف المقطعة.....53
- المبحث الثالث أحكام عامة تخص الحروف المقطعة.....59
- 12- أسماء أخرى عرفت بها الحروف المقطعة.....61
- 13- استئثار الحروف المقطعة باسم الفواتح.....63
- 14- قراءة الحروف المقطعة.....64
- 15- معنى التقطيع.....64
- 16- الحروف المقطعة في كلام العرب.....66
- 17- علاقة الحروف المقطعة بظاهرة الاجتزاء.....66
- 18- أي الفواتح آية وأيها جزء من آية؟.....72
- 19- الفرق بين الأحرف السبعة و الحروف المقطعة.....75
- 20- إعراب الحروف المقطعة.....78
- 20-1- القول بأنها حروف معربة.....81
- 20-2- القول بأنها أسماء.....85
- 21- ترجمة الحروف المقطعة.....85
- الفصل الثاني حروف القرآن المقطعة دراسة دلالية.....87
- المبحث الأول: أقوال العلماء في الحروف المقطعة.....87
- تمهيد.....88
- 1- القول الأول : الحروف المقطعة سر الله في القرآن، وهي من المتشابه الذي انفرد الله تعالى بعلمه، ولا يجب أن يتكلم فيها، ولكن نؤمن بها كما جاءت
- 1-1- الدليل النقلي:89
- 1-1-1- الوجه الأول.....89

- 92..... 1-1-2-الدليل العقلي
- 2-القول الثاني : أن المراد من الحروف المقطعة معلوم، ويجب أن يتكلم فيها،
ونلتمس الفوائد التي تحتها والمعاني التي تتخرج عليها، وهو قول جمهور العلماء
- 93..... 1-2-الدليل النقلي
- 96..... 2-2-الدليل العقلي
- 97..... المبحث الثاني التخريج الدلالي للحروف المقطعة
- 98..... تمهيد
- 98..... 1-الآراء المعتدلة
- 98..... 1-1-أنها أسماء
- 98..... 1-1-1-أسماء للسور
- 102..... 1-1-2-أنها أسماء للقرآن الكريم
- 105..... 1-1-3-هذه الحروف أسماء لله تعالى
- 107..... وقد تفرع عن هذا البعد الدلالي (أسماء الله تعالى) بعد دلالي آخر هو
- 107..... 1-1-4-الحروف المقطعة صفات لله تعالى
- 112..... 1-1-5-أن هذه الحروف بعضها يدل على أسماءه تعالى، وبعضها يدل على أسماء غير الله
- 113..... 1-1-6-هي حروف من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم أو صفاته أو هي من أسماء الصحابة:
- 114..... 1-1-7-أنها تشير إلى أسماء الأنبياء
- 116..... 2-هذه الحروف تدل على القسم
- 118..... 3-أن الله تعالى استغنى بذكر بعضها عن ذكرها جميعا
- 121..... 3-أن هذه الحروف جاءت للدلالة على انقطاع كلام واستئناف آخر
- 126..... 4-أن هذه الحروف سيقت لأجل قرع الأسماع والتنبيه:
- 135..... 6-القول العاشر: أنها تعليم للحروف المقطعة
- 136..... 7-هذه الحروف دليل على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
- 137..... 7-القول بأنها للتحدي والإعجاز

المبحث الرابع: المناسبات بين السور المفتوحة بالحروف المقطعة.....	171
تمهيد:	172
1-1- المناسبة لغة:	172
1-2 المناسبة في الاصطلاح:	172
2- فائدة معرفة المناسبات:	172
3- أنواع المناسبات:	172
4- المناسبات بين سور الفواتح:	173
أ_ السور الموحدة المطالع :	173
ب_ السور المختلفة المطالع:	173
1-4- المناسبات بين اللامات (وهناك من يسميها الميمات)	
2-4- المناسبات في الرءات	190
3-4- المناسبات في الطواسين	196
الفصل الثاني.....	209
حروف القرآن المقطعة دراسة صوتية.....	209
المبحث الأول: التصنيف الصوتي للحروف المقطعة عند علماء الإعجاز	
تمهيد:	210
1- التصنيف الصوتي للحروف المقطعة عند الباقلاني.....	213
1-1- جملة الحروف المقطعة نصف جملة حروف المعجم.....	213
1-2- المستعمل من حروف الهمس في الحروف المقطعة نصف حروف الهمس في المعجم.....	214
1-3- حروف الجهر من الفواتح المقطعة هي نصفها في المعجم	215
1-8- الحروف غير المطبقة من جملة الحروف المقطعة من مجمل الحروف غير المطبقة من حروف المعجم	
1-9- ذكر الألف واللام والميم مجتمعة في (الم) يشير إلى جميع الحروف.....	223
2- التصنيف الصوتي للحروف المقطعة عند الزمخشري.....	223
3-1- عدد حروف المعجم في العربية:	223

- 224..... 3-2- إفادة الزمخشري من تراث الباقلاني:
- 227..... 4-1- تفصيلات الزمخشري في نظرية أنصاف صفات الحروف
- 227..... 4-1-1- الحروف المستعلية والحروف المنخفضة:
- 229..... 4-1-2 حروف القلقة:
- 229..... 3_ ملاحظات على التصنيفات الصوتية:
- 230..... المبحث الثان: القراءات في الحروف المقطعة وما يترتب عليها
- 231..... تمهيد
- 231..... 1-1-1(الم)-1(الم) سورة البقرة
- 234..... 1-2-1(الم) آل عمران
- 237..... 1-3-1(الم) العنكبوت
- 238..... 1-4-1(الم) الروم
- 238..... 2-المص في سورة الأعراف
- 241..... 2-الـ
- 241..... 3-1-1-الر - يونس
- 243..... 3-2-إعراب الر (هود)
- 244..... 3-3-1(الر) إبراهيم
- 245..... 3-4-الر يوسف
- 245..... 3-5-الر الحجر
- 246..... 5-كهيص
- 249..... 5- طه في بداية سورتها
- 251..... 6-طسم بدايتي سورة الشعراء والقصص
- 254..... 7-(طس) بداية سورة النمل:
- 255..... 8-يس
- 257..... 9- ص ابتدأت بها سورتها:
- 258..... 10-حم

- 259.....10-1-حم غافر.....
- 259.....10-2-حم فصلت.....
- 260.....10-3-حم الزخرف.....
- 260.....11-حم عسق في سورة الشورى.....
- 261.....12-ق: في بداية سورتها.....
- 262.....14-ن: في بداية سورتها.....
- 265.....2-نتائج القراءات.....
- 268.....المبحث الثالث: المقاطع الصوتية في فواتح السور القرآنية.....
- 268.....تمهيد.....
- 269.....1-المقطع لغة.....
- 269.....2-المقطع اصطلاحاً (وفق الدراسات الحديثة).....
- 270.....3-أشكال المقاطع العربية.....
- 270.....3-1-قصيرة.....
- 270.....3-2-متوسطة.....
- 270.....3-2-1-مفتوحة.....
- 270.....3-2-1-مغلقة.....
- 271.....3-3-طويلة.....
- 271.....3-3-1-طويل مفرد الإغلاق.....
- 271.....3-3-2-طويل مزدوج الإغلاق.....
- 271.....3-3-2-1-مديدة.....
- 271.....4-خصائص النظام المقطعي العربي.....
- 273.....5-المقاطع الصوتية في فواتح السور القرآنية.....
- 273.....5-1-الم.....
- 276.....5-2-المص.....

277.....	5-3-المر
278.....	5-4-الر
279.....	5-5-كهيعص
281.....	5-6-طه
283.....	5-7-طسم
283.....	5-8-طس
284.....	5-9-يس :
285.....	5-10-ص
287.....	5-11-حم
288.....	5-12-عسق
288.....	5-13-ق
290.....	5-14-ن -جدول تكرار الحروف المقطعة داخل السور المفتوحة بها:
297.....	الخاتمة :
	ملاحق :
302.....	ملخص الموضوع باللغة العربية..
303.....	ملخص الموضوع باللغة الفرنسية..
304.....	ملخص الموضوع باللغة الانجليزية..
305.....	فهرس المصادر والمراجع:
332.....	فهرس المحتويات..

